www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

للمولى

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الرابع عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران - شارع ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپي:

المكتبة الاسلامية

ناشر ديجيتالي:

مركز تحقيقات رايانه‌اي قائميه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۴ ----- ۱۴

مشخصات کتاب ----- ۱۴

تتمهٔ باب المختار من خطب أمیر المؤمنین علیه السلام و أوامره ----- ۱۴

تتمهٔ الخطبهٔ المأتان و الثامن ----- ۱۵

تتمهٔ المعنی ----- ۱۵

تتمهٔ تنبیه علی مذهب الصوفیهٔ ----- ۱۵

اشارهٔ ----- ۱۵

المقام الثامن فی الاخبار الواردهٔ فی ذم الصوفیهٔ ----- ۱۶

بیان ----- ۳۳

خاتمهٔ ----- ۳۵

استدراک ----- ۳۶

الترجمهٔ ----- ۳۷

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و التاسع من المختار فی باب الخطب ----- ۳۸

اشارهٔ ----- ۳۸

اللغهٔ ----- ۴۰

الاعراب ----- ۴۱

المعنی ----- ۴۱

اشارهٔ ----- ۴۱

و ینبغی تذییل المقام بامور مهمهٔ ----- ۴۹

اشارهٔ ----- ۴۹

الاول ----- ۴۹

الثانی ----- ۵۳

الثالث ----- ۶۲

أما الأخبار الخاصية ---- ۶۲
و أما الاخبار العامية ---- ۶۴
الرابع ---- ۷۱
تذنيب ---- ۷۲
تكملة ---- ۷۲
الترجمة ---- ۷۶
و من خطبة له عليه السّلام و هى المأتان و العاشرة من المختار فى باب الخطب ---- ۷۹
اشارة ---- ۷۹
اللغة ---- ۸۰
الاعراب ---- ۸۲
المعنى ---- ۸۲
الترجمة ---- ۸۷
و من خطبة له عليه السّلام و هى المأتان و الحادية عشر من المختار فى باب الخطب ---- ۸۸
اشارة ---- ۸۸
اللغة ---- ۸۸
الاعراب ---- ۸۹
المعنى ---- ۸۹
الترجمة ---- ۹۳
و من خطبة له عليه السّلام و هى المأتان و الثانية عشر من المختار فى باب الخطب ---- ۹۴
اشارة ---- ۹۴
اللغة ---- ۹۴
الاعراب ---- ۹۵
المعنى ---- ۹۵
اشارة ---- ۹۵
الفصل الاول ---- ۹۵
الفصل الثانى ---- ۹۸

الترجمة ----- ۱۰۰
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الثالثة عشر من المختار فی باب الخطب ----- ۱۰۱
اشارة ----- ۱۰۱
اللغة ----- ۱۰۲
الاعراب ----- ۱۰۳
المعنی ----- ۱۰۴
اشارة ----- ۱۰۴
تذییل ----- ۱۲۱
بیان ----- ۱۲۴
الترجمة ----- ۱۲۴
و من دعاء کان یدعو به علیه السّلام کثیرا و هو المأتان و الرابع عشر من المختار فی باب الخطب ----- ۱۲۶
اشارة ----- ۱۲۶
اللغة ----- ۱۲۶
الاعراب ----- ۱۲۷
المعنی ----- ۱۲۷
الترجمة ----- ۱۳۳
و من خطبة له علیه السّلام خطبها بصفین و هی المأتان و الخامسة عشر من المختار فی باب الخطب ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
الفصل الاول ----- ۱۳۴
اشارة ----- ۱۳۴
اللغة ----- ۱۳۶
الاعراب ----- ۱۳۷
المعنی ----- ۱۳۸
اشارة ----- ۱۳۸
تذییلان ----- ۱۴۴
الاول ----- ۱۴۴

التذييل الثانی ---------- ۱۴۸
ثم حقوق الافعال ---------- ۱۵۱
ثم حقوق الائمة ---------- ۱۵۲
ثم حقوق الرعیة ---------- ۱۵۲
و أما حق الرحم ---------- ۱۵۳
الترجمة ---------- ۱۶۰
الفصل الثانی ---------- ۱۶۲
اشارة ---------- ۱۶۲
اللغة ---------- ۱۶۴
الاعراب ---------- ۱۶۴
المعنی ---------- ۱۶۵
اشارة ---------- ۱۶۵
تکملة ---------- ۱۷۳
بیان ---------- ۱۷۷
الترجمة ---------- ۱۸۲
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السادس عشر من المختار فی باب الخطب ---------- ۱۸۳
اشارة ---------- ۱۸۳
اللغة ---------- ۱۸۴
الاعراب ---------- ۱۸۵
المعنی ---------- ۱۸۵
اشارة ---------- ۱۸۵
تنبیه ---------- ۱۸۸
الترجمة ---------- ۱۹۷
و من کلام له علیه السّلام و هو الماتان و السابع عشر من المختار فی باب الخطب ---------- ۱۹۸
اشارة ---------- ۱۹۸
اللغة ---------- ۱۹۹

الاعراب ---------- ۲۰۰
المعنی ---------- ۲۰۰
اشارة ---------- ۲۰۰
تذییل ---------- ۲۰۲
ایضاح ---------- ۲۰۴
الترجمة ---------- ۲۰۵
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الثامن عشر من المختار فی باب الخطب ---------- ۲۰۶
اشارة ---------- ۲۰۶
اللغة ---------- ۲۰۶
الاعراب ---------- ۲۰۶
المعنی ---------- ۲۰۶
الترجمة ---------- ۲۲۰
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و التاسع عشر من المختار فی باب الخطب ---------- ۲۲۱
اشارة ---------- ۲۲۱
الفصل الاول ---------- ۲۲۱
اشارة ---------- ۲۲۱
اللغة ---------- ۲۲۲
الاعراب ---------- ۲۲۴
المعنی ---------- ۲۲۵
الترجمة ---------- ۲۳۴
الفصل الثانی ---------- ۲۳۶
اشارة ---------- ۲۳۶
اللغة ---------- ۲۳۷
الاعراب ---------- ۲۳۸
المعنی ---------- ۲۳۹
الترجمة ---------- ۲۴۶

الفصل الثالث ---------- ۲۴۷
اشارة ---------- ۲۴۷
اللغة ---------- ۲۴۸
الاعراب ---------- ۲۴۹
المعنی ---------- ۲۵۰
الترجمة ---------- ۲۵۷
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۲۶۰
اشارة ---------- ۲۶۰
اللغة ---------- ۲۶۲
الاعراب ---------- ۲۶۳
المعنی ---------- ۲۶۴
اشارة ---------- ۲۶۴
اما الفصل الاول ---------- ۲۶۷
و اما الفصل الثانی ---------- ۲۶۸
و اما الفصل الثالث ---------- ۲۷۳
الترجمة ---------- ۲۸۰
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الحادی و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۲۸۲
اشارة ---------- ۲۸۲
اللغة ---------- ۲۸۵
الاعراب ---------- ۲۸۶
المعنی ---------- ۲۸۸
الترجمة ---------- ۲۹۹
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الثانی و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۳۰۲
اشارة ---------- ۳۰۲
اللغة ---------- ۳۰۳
الاعراب ---------- ۳۰۵

المعنی ----- ۳۰۵
اشارة ----- ۳۰۵
تکملة ----- ۳۱۳
بیان ----- ۳۱۶
الترجمة ----- ۳۲۱
و من دعاء له علیه السّلام و هو المأتان و الثالث و العشرون من المختار فی باب الخطب ----- ۳۲۳
اشارة ----- ۳۲۳
اللغة ----- ۳۲۳
الاعراب ----- ۳۲۴
المعنی ----- ۳۲۴
اشارة ----- ۳۲۴
تبصرة ----- ۳۳۲
تذییل ----- ۳۳۲
الترجمة ----- ۳۳۵
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الرّابعة و العشرون من المختار فی باب الخطب ----- ۳۳۵
اشارة ----- ۳۳۵
اللغة ----- ۳۳۶
الاعراب ----- ۳۳۸
المعنی ----- ۳۳۸
اشارة ----- ۳۳۸
تکملة ----- ۳۵۲
تنبیه ----- ۳۵۴
الترجمة ----- ۳۵۶
و من دعاء له علیه السّلام و هو المأتان و الخامس و العشرون من المختار فی باب الخطب ----- ۳۵۷
اشارة ----- ۳۵۷
اللغة ----- ۳۵۸

الاعراب ---------- ۳۵۹
المعنی ---------- ۳۵۹
اشارة ---------- ۳۵۹
تذییل ---------- ۳۷۱
الترجمة ---------- ۳۸۵
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السادس و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۳۸۶
اشارة ---------- ۳۸۶
اللغة ---------- ۳۸۶
الاعراب ---------- ۳۸۷
المعنی ---------- ۳۸۷
اشارة ---------- ۳۸۷
تنبیهان ---------- ۴۰۲
اشارة ---------- ۴۰۲
الاول ---------- ۴۰۲
التنبیه الثانی ---------- ۴۱۲
بیان ---------- ۴۱۴
الترجمة ---------- ۴۲۰
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السابع و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۴۲۱
اشارة ---------- ۴۲۱
اللغة ---------- ۴۲۱
الاعراب ---------- ۴۲۲
المعنی ---------- ۴۲۲
الترجمة ---------- ۴۲۴
و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الثامنة و العشرون من المختار فی باب الخطب ---------- ۴۲۴
اشارة ---------- ۴۲۴
اللغة ---------- ۴۲۶

الاعراب ---------- ۴۲۸
المعنی ---------- ۴۲۸
اشارة ---------- ۴۲۸
الفصل الاول منها ---------- ۴۲۸
الفصل الثانی ---------- ۴۳۸
الترجمة ---------- ۴۴۱
درباره مرکز ---------- ۴۴۳

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد 14

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، 1268 - 1324ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، 13 -

مشخصات ظاهری:20 ج.

شابک:150 ریال (ج. 8)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، 1386 ق.= 1344.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، 1292 - 1370.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، 23 قبل از هجرت - 40ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP38/02 /خ9 1300ی

رده بندی دیویی:297/9515

شماره کتابشناسی ملی:199206

ص:1

تتمة باب المختار من خطب أمیر المؤمنین علیه السلام و أوامره

تتمة الخطبة المأتان و الثامن

تتمة المعنى

تتمة تنبيه على مذهب الصوفية

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرّحيم

المقام الثامن فى الاخبار الواردة فى ذم الصوفية

و لعنهم و طعنهم، و فى المنع من التّصوف و الرّهبانيّة، و هى كثيرة لا تحصى و لنشير إلى بعضها فأقول و باللّه التّوفيق:

الاول ما رواه علىّ بن إبراهيم فى تفسير قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ » قال حدّثنى أبى عن ابن أبى عمير عن بعض رجاله عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: نزلت هذه الاية فى أمير المؤمنين عليه السّلام و بلال و عثمان بن مظعون، فأمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فحلف أن لا ينام باللّيل أبدا، و أمّا بلال فانه حلف أن لا يفطر بالنّهار أبدا، و أمّا عثمان بن مظعون فانّه حلف أن لا ينكح أبدا، فدخلت امرأة عثمان على عايشة و كانت امرأة جميلة فقالت عايشة ما لى أراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن ازيّن فو اللّه ما قرّبنى زوجى منذ كذا و كذا فانّه قد ترهّب و لبس المسوح و زهد فى الدّنيا، فلمّا دخل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أخبرته عايشة بذلك، فخرج فنادى الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيّبات ألا إنّى أنام اللّيل و انكح و افطر بالنهار، فمن رغب عن سنّتى فليس منّى، فقام هؤلاء

ص:2

فقـالوا يا رسول اللّه قـد حلفنا على ذلک فأنزل اللّه «لا يُؤاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللّغْوِ فِى أَيْمانِكُمْ وَ لكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ فَكَفّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيّامٍ ذلِکَ كَفّارَةُ أَيْمانِكُمْ إِذا حَلَفْتُمْ ».

الثانى فى البحار من اكمال الدّين باسـناده عن زيد بن علىّ عن آبائه عن علىّ عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: ليس فى امّتى رهبانيّة و لا سـياحة و لازم يعنى سـكوت الثالث فى البحار بعدّة طرق عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى جملة وصاياه لأـبى ذرّ رضـى اللّه عنه: يا باذرّ يكون فى آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف فى صـيفهم و شـتائهم، يرون أنّ لهم الفضل بـذلک على غيرهم، أولئک يلعنهم ملائكة السماوات و الأرض.

الرابع فى روضات الجنّات من الكشـكول للشـيخ البهائى قال: قال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا تقوم السّاعة على امّتى حتى يخرج قوم من امّتى يحلقون للذّكر رؤوسـهم، و يرفعون أصواتهم بالذّكر يظنون أنّهم على طريق إبراهيم عليه السّلام، بل هم أضلّ من الكفّار، لهم شهقـة كشـهقة الحمار، و قولهم كقول الفجار، و عملهم عمل الجهّال، و هم ينازعون العلماء ليس لهم إيمان و هم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلاّ التّعب.

الخـامس مـا تقـدّم روايته فى المتن فى الكلاـم السابع عشـر من المختار فى باب الخطب قال أمير المؤمنين عليه السّلام هناک: إنّ أبغض الخلايق إلى اللّه رجلان:

رجل وكله اللّه إلى نفسه جائر عن قصد السّبيل مشعوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به ضالّ عن هدى من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به فى حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

و رواه الكلينى فى بـاب البـدع و الرّأى و المقـائيس من الكـافى نحوه، و قـال شارح الكافى ملاّ خليل القزوينى: إنّ مراده عليه السّلام بهـذا الرّجل هو الصّوفى الغير

المتقيّد بقيود الشريعة و لا خفاء فى أنّ الصّوفيّة من مصاديق هذا الكلام لاتّصافهم بالأوصاف المذكورة فيه.

السادس فى كتاب الاحتجاج عن أبى يحيى الواسطى قال: لمّا فتح أمير المؤمنين عليه السّلام البصرة اجتمع النّاس عليه و فيهم الحسن البصرى و معه الألواح فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام بأعلى صوته: ما تصنع؟ فقال: نكتب آثارهم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: أما أنّ لكلّ قوم سامر بّا و هذا سامرىّ هذه الامّة، أمّا انه لا يقول: لا مساس و لكنّه يقول: لا قتال و الحسن البصرى من مقدّم مشايخ الصّوفيّة كما ذكروه فى كتبهم.

السابع فى البحار فى باب احتجاجات الحسن عليه السّلام على المخالفين من كتاب العدد للشيخ الفقيه رضى الدّين على بن يوسف بن المطهر الحلّى قال:

كتب الحسن البصرى إلى الحسن بن على عليهما السّلام أمّا بعد فانتم أهل بيت النّبوّة و معدن الحكمة و انّ اللّه جعلكم الفلك الجارية فى اللجج الغامرة يلجأ إليكم اللاجى و يعتصم بحبلكم العالى، من اقتدى بحبلكم اهتدى و نجى و من تخلّف عنكم هلك و غوى، و إنّى كتبت إليک عند الحيرة و اختلاف الامّة فى القدر، فتقضى الينا ما أقضاه اللّه إليكم أهل البيت فأخذ به فكتب إليه الحسن بن على عليهما السّلام أمّا بعد فانّا أهل بيت كما ذكرت عند اللّه و عند أوليائه فأمّا عندک و عند أصحابک فلو كنّا كما ذكرت ما تقدّمتمونا و لا استبدلتم بنا غيرنا، و لعمرى لقد ضرب اللّه مثلكم فى كتابه حيث يقول «أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ » هذا لأوليائک فيما سألوا و لكم فيما استبدلتم، و لولا ما اريد من الاحتجاج عليک و على أصحابک ما كتبت إليک بشىء ممّا نحن عليه، و لئن وصل كتابى إليک لتجدّن الحجّة عليک و على أصحابک مؤكّدة حيث يقول اللّه عزّ و جلّ «أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » فاتّبع ما كتبت إليک فى القدر فانّه من لم يؤمن

بالقدر خيره و شرّه فقد كفر، و من حمل المعاصى على اللّه فقد فجر.

إنّ اللّه عزّ و جلّ لا يطاع باكراه، و لا يعصى بغلبة، و لا يهمل العباد من الملكة، و لكنّه المالک لما أملكهم، و القادر على ما أقدرهم، فان ائتمروا بالطاعة لن يكونوا صادّا مثبطا، و ان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم و بين ما ائتمروا به فعل، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها و لا كلّفهم ايّاها جبرا، بل تمكينه إيّاهم و إعذاره إليهم طرفهم و مكّنهم، فجعل لهم السّبيل إلى أخذ ما أمرهم به و ترک ما نهاهم عنه، و وضع التّكليف عن أهل النّقصان و الزّمانة، و السلام.

و هذا الحديث الشريف و إن كان صدره مختصّا بالطعن على الحسن البصرى و أتباعه إلاّ أنّه بتمامه متضمّن للرّد على جميع الصوفيّة فى قولهم بالجبر و على الواصليّة و الاباحية خصوصا حيث قالوا بسقوط التكاليف عند الوصول حسبما عرفت فيما تقدّم تفصيلا الثامن فى الاحتجاج روى أنّ زين العابدين عليه السّلام مرّ بالحسن البصرى و هو يعظ الناس بمنى فوقف عليه ثمّ قال له: أمسک أسألک عن الحال الّتى أنت عليها مقيم أ ترضاها لنفسک فيما بينک و بين اللّه للموت إذا نزل بک غدا؟ قال: لا، قال:

أفتحدّث نفسک بالتحوّل و الانتقال عن الحال التى لا ترضاها لنفسک إلى الحال الّتى ترضاها؟ قال: فأطرق مليّا ثمّ قال: إنّى أقول ذلک بلا حقيقة، قال: أ فترجو نبيّا بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يكون لک معه سابقة؟ قال: لا، قال: أ فترجو دارا غير الدّار الّتى أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها؟ قال: لا، قال: أ فرأيت أحدا به مسكة عقل رضى لنفسه من نفسه بهذا أنّک على حال لا ترضاها و لا تحدّث نفسک بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة و لا ترجو نبيّا بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا دارا غير الدار الّتى أنت فيها فتردّ إليها فتعمل فيها و أنت تعظ الناس؟ قال: فلمّا ولّى عليه السّلام قال الحسن البصرى:

من هذا؟ قالوا: علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: أهل بيت علم، فما رأى الحسن بعد ذلک يعظ الناس

و هـذا الحديث مثل سابقيه كاف فى الدّلالة على سوء حال الحسن البصـرى و كونه من حزب الشـيطان، و مع ذلک عدّه العطار فى التّذكرة فى الدّرجة الثالثة و نقلوا عنه كرامات عديدة التاسع فى الاحتجاج لقى عبّاد البصـرى علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى طريق مكّة فقال له: يا علىّ بن الحسين تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت على الحجّ و لينه و انّ اللّه يقول «إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ » - إلى قوله - «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » فقال علىّ بن الحسـين عليهما السّلام: إذا رأينا هؤلاء الّذين هذه صـفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ العاشر فى الاحتجاج عن ثابت البنانى قال: كنت و جماعة عباد البصرة مثل أيّوب السّجستانى و صالح المروى و عتبة الغلام و حبيب الفارسى و مالک بن دينار فلمّا أن دخلنا مكّة رأينا الماء ضيّقا و قد اشتدّ بالنّاس العطش لقلّه الغيث، ففزع إلينا أهل مكة و الحجّاج يسألوننا أن نستسـقى لهم، فأتينا الكعبة و طفنا بها ثمّ سألنا اللّه خاضـعين متضـرّعين بها فمنعنا الاجابة، فبينا نحن كـذلک إذا نحن بفتى قـد أقبل قـد أكربته أحزانه و أقلقته أشـجانه، فطاف بالكعبة أشواطا ثمّ أقبل علينا فقال: يا مالک بن دينار و يا ثابت البنانى و يا أيّوب السّجسـتانى و يا صالـح المروى و يا عتبة الغلام و يا حبيب الفارسـى و يا سـعد و يا عمر و يا صالح الأعمى و يا رابعة و يا سعدانـة و يا جعفر بن سـلمان، فقلنا: لبّيک و سـعديک يا فتى، فقال: أما فيكم أحد يحبّه الرّحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدّعاء و عليه الاجابة، فقال: ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبّه الرّحمن لأجابه، ثمّ أتى الكعبة فخرّ ساجدا فسـمعته يقول فى سجوده: سيّدى بحبّک لى إلاّ سقيتهم الغيث، قال: فما استتمّ الكلام حتّى أتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت: يا فتى من أين علمت أنّه يحبّک؟ فقال عليه السّلام:

لو لم يحبّنى لم يستزرنى فلمّا استزارنى علمت أنّه يحبّنى، فسألته بحبّه لى فأجابنى ثمّ ولّى عنّا و أنشأ يقول:

من عرف الرّب فلم تغنه معرفة الرّب فهذا شقى

ما ضرّ فى الطاعة ما ناله فى طاعة اللّه و ما ذا لقى

ما يصنع العبد بعزّ الغنى و العزّ كلّ العزّ للمتّقى

فقلت: يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام.

أقول: و هؤلاء المذكورون فى هذا الحديث جلّهم من الصّوفيّة، و كذا عبّاد البصرى المذكور فى الحديث السابق كما يظهر من كتب المتصوّفة و تذكراتهم.

الحادى عشر فى الكافى فى باب من يظهر الغشية عند القرآن، عدّة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن إسحاق الضبّى عن أبى عمران الأرمنى عن عبد اللّه بن الحكم عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قلت: إنّ قوما إذا ذكروا شيئا من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتّى نرى أنّ أحدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلک، فقال: سبحان اللّه ذاک من الشيّطان ما بهذا نعتوا إنّما هو اللّين و الرّقة و الدّمعة و الوجل.

أقول: و هذه الحالة الّتى نقلها جابر للباقر عليه السّلام هى حالة الصّوفيّة فى مجالس ذكرهم و يسمّونها بالوجد و الجذبة.

الثانى عشر فى حديقة الشيعة بسند صحيح عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى قال: قال رجل من أصحابنا للصّادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام: قد ظهر فى هذا الزّمان قوم يقال لهم الصوفيّة فما تقول فيهم؟ فقال عليه السّلام: إنّهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم و يحشر معهم، و سيكون أقوام يدّعون حبّنا و يميلون إليهم و يتشبّهون بهم و يلقّبون أنفسهم بلقبهم و يؤوّلون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منّا و إنّا منهم براء، و من ردّهم و أنكر عليهم كان كمن جاهد الكفّار بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و رواه المحدّث الجزائرى فى الأنوار النعمانيّة عن البزنطى عنه عليه السّلام أيضا الثالث عشر فى حديقة الشيعة عن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّى فى قرب الاسناد عن سعد بن عبد اللّه عن محمّد بن عبد الجبّار عن الحسن العسكرى قال:

سئل عن أبی عبد اللّه علیه السّلام عن حال أبی هاشم الصوفی الکوفی فقال علیه السّلام: انّه کان فاسد العقیدة جدّا و هو الّذی ابتدع مذهبا یقال له التّصوّف و جعله مفرّا لعقیدته الخبیثة.

و فی روایة بسند آخر قال علیه السّلام: و جعله مفرّا لعقیدته الخبیثة لنفسه و أکثر الملاحدة، و جنّة لعقائدهم الباطلة.

الرابع عشر فی کشف الغمّة روی محمّد بن طلحة عن سفیان الثوری قال: دخلت علی جعفر بن محمّد علیهما السّلام و علیه جبّة خزّ دکنا و کساء خزّ فجعلت أنظر الیه تعجّبا، فقال لی: یا ثوری مالک تنظر الینا لعلّک تعجب ممّا تری؟ فقلت: یا ابن رسول اللّه لیس هذا من لباسک و لا لباس آبائک، قال: یا ثوری کان ذلک زمان إقتار و افتقار و کانوا یعملون علی قدر إقتاره و افتقاره، و هذا زمان قد أسبل کلّ شیء عز الیه، ثمّ حسر ردن جبّته فاذا تحتها جبّة صوف بیضاء یقصر الذّیل عن الذّیل و الرّدن عن الرّدن، و قال:

یا ثوری لبسنا هذا للّه و هذا لکم، فما کان للّه أخفیناه و ما کان لکم أبدیناه.

الخامس عشر فی الکافی فی کتاب المعیشة باب دخول الصّوفیّة علی أبی عبد اللّه علیه السّلام و احتجاجهم علیه فیما ینهون النّاس عنه من طلب الرّزق علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن مسعدة بن صدقة قال: دخل سفیان الثّوری علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فرأی علیه ثیاب بیاض کأنّها غرقئ البیض فقال له: إنّ هذا اللّباس لیس من لباسک، فقال علیه السّلام: اسمع منّی و ع ما أقول لک فانّه خیر لک عاجلا و آجلا إن أنت متّ علی السّنة و الحقّ و لم تمت علی بدعة، أخبرک أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان فی زمان مقفر جدب، فأمّا إذا أقبلت الدّنیا فأحقّ أهلها بها أبرارها لا فجّارها، و مؤمنوها لا منافقوها، و مسلموها لا کفّارها، فما أنکرت یا ثوری فو اللّه إنّنی لمع ما تری ما أتی علیّ مذ عقلت صباح و لا مساء و للّه فی مالی حقّ أمرنی أن أضعه موضعا إلاّ وضعته.

قال: و أتاه قوم ممّن یظهرون الزّهد و یدعون النّاس أن یکونوا معهم علی مثل الّذی هم علیه من التّقشّف فقالوا له: إنّ صاحبنا حصر عن کلامک و لم تحضره حججه، فقال لهم: فهاتوا حججکم، فقالوا له: إنّ حججنا من کتاب اللّه فقال لهم

فـادلوا بهـا فانّهـا أحقّ مـا اتّبع و عمل به، فقالوا: يقول اللّه تبارک و تعالى مخبرا عن قوم من أصـحاب النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم «وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فمـدح فعلهم و قال فى موضع آخر «وَ يُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً » فنحن نكتفى بهـذا، فقال رجل من الجلساء إنا رأيناكم تزهـدون فى الأطعمـة الطيّبـة و مع ذلک تـأمرون النـاس بـالخروج من أموالهم حتى تمتّعوا أنتم منها، فقال له أبو عبـد اللّه عليه السّلام: دعوا عنكم ما لا ينتفع به أخبرونى أيها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابهه الذى فى مثله ضلّ من ضلّ و هلک من هلک من هذه الامة؟ فقالوا له أو بعضه: فأما كلّه فلا، فقال لهم: فمن هنا أتيتم، و كذلک أحاديث رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فأما ما ذكرتم من اخبار اللّه عزّ و جلّ إيانا فى كتابه عن القوم الذين أخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحا جائزا و لم يكونوا نهوا عنه و ثوابهم منه على اللّه عزّ و جلّ، و ذلک انّ اللّه جلّ و تقـدّس أمر بخلاف ما عملوا به فصار أمره ناسـخا لفعلهم و كان نهى اللّه تعالى رحمـة منه للمؤمنين و نظرا لكيلا يضـرّوا بأنفسـهم و عيالاتهم منهم الضـعفة الصغار و الوالدان و الشيخ الفانى و العجوزة الكبيرة الّذين لا يصبرون على الجوع، فان تصدّقت برغيفى و لا رغيف لى غيره ضاعوا و هلكوا جوعا.

فمن ثمّ قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الانسان و هو يريد أن يمضـيها فأفضلها ما أنفقه الانسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه و عياله، ثمّ الثالثة على قرابته الفقراء، ثمّ الرّابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة فى سبيل اللّه و هو أحسـنها «أخسّها خ» أجرا و قال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم للأنصارى حين اعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرّقيق و لم يكن يملک غيرهم و له أولاد صغار: لو أعلمتمونى أمره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين يترک صبية صغارا يتكفّفون النّاس.

ثمّ قال عليه السّلام حدّثنى أبى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ابدء بمن تعول الأدنى فالأدنى.

ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّا لقولكم و نهيا عنه مفروضا من اللّه العزيز الحكيم قال «وَ الَّذِينَ إِذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً » أ فلا ترون أنّ اللّه تبارک و تعالى قال غير ما أراكم تدعون النّاس إليه من الاثرة على أنفسهم و سمّى من فعل ما تدعون إليه مسرفا فى غير آية من كتاب اللّه يقول «إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ » فنهاهم من الاسراف و نهاهم عن التّقتير لكن أمر بين أمرين لا يعطى جميع ما عنده ثمّ يدعو اللّه أن يرزقه فلا يستجيب له.

للحديث الّذى جاء عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ أصنافا من امتّى لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، و رجل يدعو على غريم ذهب له بمال فلم يكتب له و لم يشهد عليه، و رجل يدعو على امرأته و قد جعل اللّه تخلية سبيلها بيده، و رجل يقعد فى بيته و يقول ربّ ارزقنى و لا يخرج و لا يطلب الرّزق فيقول اللّه عزّ و جلّ له:

عبدى ألم أجعل لک السّبيل إلى الطّلب و الضّرب فى الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بينى و بينک فى الطّلب لاتّباع أمرى و لكيلا تكون كلاّ على أهلک فان شئت رزقتک و إن شئت قترت عليک و أنت معذور عندى، و رجل رزقه اللّه عزّ و جلّ مالا كثيرا فأنفقه ثمّ أقبل يدعو يا ربّ ارزقنى فيقول اللّه عزّ و جلّ: ألم أرزقک رزقا واسعا فهلاّ اقتصدت فيه كما أمرتک و لم تسرف و قد نهيتک عن الاسراف، و رجل يدعو فى قطيعة رحم.

ثمّ علّم اللّه جلّ اسمه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كيف ينفق، و ذلک انّه كان عنده أوقية من الذّهب فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها فأصبح و ليس عنده شىء و جاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل و اغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه و كان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحيما رفيقا فأدّب اللّه عزّ و جلّ نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأمره فقال «وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً » يقول: إنّ الناس قد يسألونک و لا يعذرونک فاذا أعطيت جميع ما عندک من المال كنت قد حسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يصدّقها الكتاب و الكتاب يصدّقه أهله من المؤمنين.

و قال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوص فقال: اوصى بالخمس و الخمس

كثير فانّ اللّه عزّ و جلّ قد رضى بالخمس، و قد جعل اللّه عزّ و جلّ له الثلث عند موته و لو علم أنّ الثلث خير له أوصى به.

ثمّ قد علمتم من بعده فى فضله و زهده سلمان رضى اللّه عنه و أبوذرّ رحمه اللّه.

فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبد اللّه أنت فى زهدک تصنع هذا و أنت لا تدرى لعلّک تموت اليوم أو غدا، فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لى البقاء كما خفتم علىّ الفناء أما علمتم يا جهلة أنّ النّفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هى أحرزت معيشتها اطمأنّت و أمّا أبوذرّ رضى اللّه عنه فكانت له نويقات و شويهات يحلبها و يذبح منها إذا اشتهى أهله اللّحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشّاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللّحم، فيقسمه بينهم و يأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم و من أزهد من هؤلاء؟ و قد قال فيهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما قال و لم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئا البتّة كما تأمرون النّاس بالقاء أمتعتهم و شيئهم و يؤثرون به على أنفسهم و عيالاتهم و اعلموا أيّها النّفر أنّى سمعت أبى يروى عن آبائه عليهم السّلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال يوما: ما عجبت من شىء كعجبى من المؤمن إنّه إن قرض جسده فى دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له، و إن ملک ما بين مشارق الأرض و مغاربها كان خيرا له، و كلّ ما يصنع اللّه عزّ و جلّ به فهو خير له.

فليت شعرى هل يحقّ فيكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم أم أزيدكم أما علمتم أنّ اللّه عزّ و جلّ قد فرض على المؤمنين فى أوّل الأمر أن يقاتل الرّجل منهم عشرة من المشركين ليس له أن يولّى وجهه عنهم، و من ولاّهم يومئذ دبره فقد تبوّء مقعده من النّار، ثمّ حوّلهم من حالهم رحمة منه لهم فصار الرّجل منهم

عليه أن يقاتل رجلين من المشركين تخفيفا من اللّه عزّ و جلّ للمؤمنين، فنسخ الرّجلان العشرة.

و أخبرونى أيضا عن القضاة أجورة حيث هم يقضون على الرّجل منكم نفقة امرأته إذا قال إنّى زاهد إنّى لا شىء لى، فان قلتم جورة ظلمكم أهل الاسلام و إن قلتم بل عدول خصمتم أنفسكم، و حيث تردّون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت بأكثر من الثلث.

أخبرونى لو كان الناس كلّهم كالذين تريدون زهادا لا حاجة لهم فى متاع غيرهم فعلى من كان يصدق بكفارات الايمان و النّذور و الصدقات من فرض الزكاة من الذّهب و الفضة و التّمر و الزّبيب و ساير ما وجب فيه الزّكاة من الابل و البقر و الغنم و غير ذلك إذا كان الأمر كما تقولون لا ينبغى لأحد أن يحبس شيئا من عرض الدنيا إلاّ قدّمه و إن كان به خصاصة فبئس ما ذهبتم فيه و حملتم الناس عليه من الجهل بكتاب اللّه عزّ و جلّ و سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أحاديثه الّتى تصدقها الكتاب المنزل و ردّكم ايّاها بجهالتكم و ترككم النظر فى غرايب القرآن من التّفسير بالنّاسخ من المنسوخ و المحكم و المتشابه و الأمر و النّهى.

و أخبرونى أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السّلام؟ حيث سأل اللّه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده، فأعطاه عزّ و جلّ اسمه ذلك و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد اللّه عزّ و جلّ عاب عليه ذلك و لا أحدا من المؤمنين و داود النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبله فى ملكه و شدّة سلطانه.

ثمّ يوسف النّبى عليه السّلام حيث قال لملك مصر: اجعلنى على خزائن الأرض إنّى حفيظ عليم، فكان من أمره الذى كان أن اختار مملكة الملك و ما حولها إلى اليمن، و كان يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم و كان يقول الحقّ و يعمل به فلم نجد أحدا عاب ذلك عليه.

ثمّ ذو القرنين عليه السّلام عبد أحبّ اللّه فأحبّه اللّه و طوى له الأسباب و ملّكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول الحقّ و يعمل به ثمّ لم نجد أحدا عاب

ذلک علیه.

فتأدّبوا أیّها النفر باداب اللّه عزّ و جلّ للمؤمنین، اقتصروا علی أمر اللّه و نهیه و دعوا عنکم ما اشتبه علیکم ممّا لا علم لکم به، و ردّوا العلم إلی أهله توجروا و تعذروا عند اللّه تبارک و تعالی، و کونوا فی طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه و محکمه من متشابهه و ما أحلّ اللّه فیه ممّا حرّم فانّه أقرب لکم من اللّه و أبعد لکم من الجهل، و دعوا الجهالة لأهلها فانّ أهل الجهل کثیر و أهل العلم قلیل، و قد قال اللّه عزّ و جلّ: و فوق کلّ ذی علم علیم.

السادس عشر فی الکافی فی کتاب الحجّة فی باب ما أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالنّصیحة لأئمّة المسلمین:

محمّد بن الحسن عن بعض أصحابنا عن علیّ بن الحکم عن الحکم بن مسکین عن رجل من قریش من أهل مکّه قال: قال سفیان الثوری: اذهب بنا إلی جعفر بن محمّد علیهما السّلام قال: فذهبت معه إلیه فوجدناه قد رکب دابّته فقال له سفیان: یا أبا عبد اللّه حدّثنا بحدیث خطبة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مسجد الخیف قال علیه السّلام: دعنی حتّی أذهب فی حاجتی فانّی قد رکبت فاذا جئت حدّثتک، فقال أسألک بقرابتک من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لمّا حدّثتنی قال: فنزل، فقال سفیان: من لی بدواة و قرطاس حتّی اثبته فدعی علیه السّلام به ثمّ قال: اکتب:

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم خطبة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی مسجد الخیف نضرّ اللّه عبدا سمع مقالتی فوعاها و بلّغها من لم تبلغه یا أیّها الناس لیبلغ الشاهد الغایب فربّ حامل فقه لیس بفقیه، و ربّ حامل فقه إلی من هو أفقه منه، ثلاث لا یغل علیهنّ قلب امرء مسلم: إخلاص العمل للّه، و النصیحة لأئمة المسلمین، و اللّزوم لجماعتهم فانّ دعوتهم محیطة من ورائهم، و المؤمنون إخوة تتکافی دماؤهم و هم ید علی من سواهم یسعی بذمّتهم أدناهم.

فکتبه سفیان ثمّ عرضه علیه و رکب أبو عبد اللّه علیه السّلام و جئت أنا و سفیان، فلمّا کنّا فی بعض الطریق فقال لی: کما أنت حتّی أنظر فی هذا الحدیث، فقلت

له: قد و اللّه الزم أبو عبد اللّه عليه السّلام رقبتک شيئا لا يذهب من رقبتک أبدا، فقال: و أىّ شىء ذلک؟ فقلت: ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرء مسلم: إخلاص العمل للّه قد عرفناه و النّصيحة لأئمة المسلمين من هؤلاء الأئمة الّذين يجب علينا نصيحتهم معاوية بن أبى سفيان و يزيد بن معاوية و مروان بن الحكم و كلّ من لا تجوز شهادته عندنا و لا يجوز الصلاة خلفهم، و قوله: و اللّزوم لجماعتهم فأىّ الجماعة مرجئ(1) يقول من لم يصلّ و لم يصم و لم يغتسل من جنابة و هدم الكعبة و نكح امّه فهو على ايمان جبرئيل و ميكائيل، أو قدرىّ يقول لا يكون ما شاء اللّه عزّ و جلّ و يكون ما شاء إبليس، أو حرورىّ يبرء من علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و يشهد عليه بالكفر، أو جهمىّ يقول إنّما هى معرفة اللّه وحده ليس الايمان شىء غيرها، قال: ويحک فأىّ شىء يقولون؟ فقلت: يقولون: إنّ علىّ بن أبى طالب و آله الامام الّذى يجب علينا نصيحته و لزوم جماعتهم أهل بيته قال: فأخذ الكتاب و خرقه ثمّ قال: لا تخبر بها أحدا.

السابع عشر المحدّث الجزائرى فى الأنوار النّعمانية:

فى الحديث إنّ الصوفيّة لمّا دخلوا على الصادق عليه السّلام و سفيان الثّورى لا بس الصّوف الخشن و الصادق عليه السّلام لابس الثياب الرّقاق فقال له سفيان: إنّ جدّک أمير المؤمنين عليه السّلام كان يلبس ما خشن من الثّياب فلم لا تقتدى به؟ فقال له الصادق عليه السّلام: إنّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام كان فى زمان الضّيق و لم تسع الدنيا على

1- (1) - المرجئة بالهمزة فرقة من فرق الاسلام يعتقدون أنه لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة سموا بذلک لاعتقادهم أن اللّه أرجى تعذيبهم على المعاصى، أى أخره عنهم يقال أرجئت الأمر و أرجيته بالهمزة و الياء أى أخرته، و الحرورية فرقة من الخوارج منسوبة إلى حروراء و هى قرية قريبه من الكوفة، و الجهمية فرقة منسوبة الى جهم بن صفوان اعتقادهم أنّ الجنة و النار تفنيان و انّ الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار و دون ساير الطاعات و أنه لا فعل على الحقيقة الا للّه و ان العباد فيما ينسب اليهم من الأفعال كالشجر يحركها الريح، هكذا فى حواشى الكافى، منه.

المسـلمين كاتّساعها فى هذا الوقت، و نحن قوم إذا وسّع اللّه علينا وسّ عنا على أنفسنا و إذا ضيّق اللّه علينا ضيّقنا على أنفسنا و إنّ اللّه تعالى إنّما خلق الدّنيا و ما فيها من الملاذ للمؤمن لا للكافر لأنّه لا قدر له عنده و لو كان علىّ عليه السّ لام فى هذا العصر لما وسعه إلاّ أن يسلك مثل ما سـلك أهله لئلاّ يقال له: إنّه مراء و لئلاّ يشـتهر بثيابه و مأكله، مع أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان واليا و ينبغى لوالى المسلمين أن يكون فى المعاش كواحـد من فقراء المسـلمين، و قد قيل له: يا أمير المؤمنين إنک تبيت جائعا و لک الملک؟ فقال عليه السّ لام: أخاف أن أشـبع و واحـد فى اليمامـة يبيت جائعا و حتّى يسـهل الفقر على أهله إذا نظروا إلى الوالى مع ما هو عليه، و أمّا أنا فلست بوالى و الملک قد غصب منّا، فلو كنت واليا لاقتديت به.

ثمّ قال عليه السّ لام لسـفيان الثورى: ادن منّى، فدنى منه، فمدّ يده إلى تحت ثياب سـفيان فأخرج ثوبا حريرا كان سـفيان لابسه تحت ثياب الصّوف لرفاهيّة بدنه و الثياب الصّوف فوقه لخدع النّاس، ثمّ أخذ يد سـفيان فقال انظر يا سفيان ما تحت ثيابى هذه الرّقاق، فنظر فاذا هو عليه السّلام لابس ثوبا خشنا، فقال يا سفيان: هذا تواضعا للّه تعالى و هذه الثياب الرّقاق إظهار النّعمة للّه تعالى.

الثامن عشر فى البحار عن كتاب المسائل لعلىّ بن جعفر عن أخيه موسى ابن جعفر عليهما السّلام قال: سألت أخى موسى عليه السّلام عن الرّجل المسلم هل يصلح أن يسبح فى الأرض أو يترهّب فى بيت لا يخرج منه؟ قال عليه الصّلاة و السلام: لا.

التـاسع عشـر فى البحـار من الـدّرة الباهرة قال له «أى للرّضا» عليه السّ لام: إنّ المأمون قـد ردّ هـذا الأمر اليک و أنت أحقّ النّاس به إلاّ أنّه تحتـاج أن يتقـدّم منـک تقـدّمک إلى لبس الصّوف و ما يحسن لبسه، فقال عليه السّ لام: و يحكم إنّما يراد من الامام قسـطه و عـدله إذا قال صـدق، و إذا حكم عدل، و إذا وعد أنجز، قل من حرّم زينة اللّه الّتى أخرج لعباده و الطيّبات من الرّزق، إنّ يوسف عليه السّ لام لبس الدّيباج المنسوج بالذّهب و جلس على متّكات آل فرعون.

و قد مرّ هذا الحديث برواية الشارح المعتزلى فى شرح المتن بأبسط من

ذلک فلیراجع هناک.

العشرون فی حدیقة الشیعة عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر البزنطی و إسماعیل ابن بزیع عن الرّضا علیه السّلام قال: من ذکر عنده الصّوفیّة و لم ینکرهم بلسانه و قلبه فلیس منّا، و من أنکرهم فکانّما جاهد الکفّار بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و رواه أیضا المحدّث الجزائری فی الأنوار النّعمانیّة عن البزنطی عن الرّضا علیه السّلام مثله.

الحادی و العشرون فی حدیقة الشّیعة عن السیّد المرتضی ابن الدّاعی الحسن الرّازی و ابن حمزة جمیعا عن المفید بسنده عن محمّد بن الحسین بن أبی الخطاب و کان من خواصّ أصحاب الأئمّة علیهم السّلام.

قال: کنت مع الهادی علیّ بن محمّد علیهما السّلام فی مسجد النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفری، و کان رجلا بلیغا و کانت له منزلة عظیمة عنده علیه السّلام، ثمّ دخل المسجد جماعة من الصوفیّة و جلسوا فی جانبه مستدیرا و أخذوا بالتهلیل.

فقال علیه السّلام: لا تلتفتوا بهؤلاء الخدّاعین فانّهم خلفاء الشیاطین و مخرّبوا قواعد الدّین، یتزهّدون لراحة الأجسام و یتهجّدون لتصیید الأنعام، یتجوّعون عمرا حتّی یذبحوا للایکاف حمرا، لا یهلّلون إلاّ لغرور النّاس و لا یقلّلون الغذاء إلاّ الملاء العساس، و اختلاس قلب الدّفناس یتکلّمون النّاس باملائهم فی الحبّ، و یطرحونهم بازالیلهم «(1)» (باولیائهم) فی الجبّ، أورادهم الرقص و التّصدیة، و أذکارهم الترنّم و التّغنیة، فلا یتّبعهم إلاّ السّفهاء، و لا یعتقدهم إلا الحمقاء، فمن ذهب إلی زیارة أحد منهم حیّا أو میّتا فکأنّما ذهب إلی زیارة الشّیطان، و عبادة الأوثان و من أعان أحدا منهم فکانّما أعان یزید و معاویة و أبا سفیان فقال رجل من أصحابه: و إن کان معترفا بحقوقکم؟ قال: فنظر الیه شبه المغضب و قال علیه السّلام: دع ذا عنک، من اعترف

1- (1) - بأضالیلهم ظاهر.

بحقوقنا لم يـذهب فى عقوقنا، أما تدرى انّهم أخسّ طوايف الصّوفيّة، و الصّوفيّة كلّهم من مخالفينا، و طريقتهم مغايرة لطريقتنا، و إن هم إلاّ نصارى و مجوس هذه الأمة، أولئک الذين يجحدون «يسعون ظ» فى إطفاء نور اللّه، و اللّه متم نوره و لو كره الكافرون.

و رواه المحدّث الجزائرى أيضا فى الأنوار من كتاب قرب الاسناد مسندا عن محمّد بن الحسين بن أبى الخطاب مثله.

الثانى و العشـرون فى حديقة الشـيعة عن السيد المرتضى أيضا بسنده عن المفيد عن أحمد بن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عن أبيه عن عبد اللّه عن محمّد ابن عبد الجبّار عن الحسن العسكرى عليه السّلام أنّه خاطب أبا هاشم الجعفرى فقال عليه السّلام:

يا أبا هاشم سـيأتى زمان على النّاس وجوههم ضاحكة مستبشـرة، و قلوبهم مظلمة منكدرة، السّـنة فيهم بدعة، و البدعة فيهم سـنّة، المؤمن بينهم محقّر، و الفـاسق بينهم مـوقّر، أمراؤهم جـاهلون جـائرون، و علمـاؤهم فى أبواب الظّلمـة سـائرون، أغنيـاؤهم يسـرقون زاد الفقراء، و أصـاغرهم يتقـدّمون على الكبراء، كـلّ جاهـل عنـدهم خبير، و كلّ مجيل عنـدهم فقير، لا يميّزون بين المخلص و المرتاب، و لا يعرفون الضّأن من الـذّئاب، علماؤهم شـرار خلق اللّه على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسـفة و التّصوّف، و أيم اللّه إنّهم من أهل العـدول و التّحرّف، يبالغون فى حبّ مخالفينا و يضـلّون شـيعتنا و موالينا، فان نالوا منصبا لم يشبعوا من الرّشاء، و ان خذلوا عبدوا اللّه على الرّياء، ألا إنّهم قطّاع طريق المؤمنين، و الدّعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم و ليصن دينه و ايمانه.

ثمّ قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثنى به أبى عن آبائه عن جعفر بن محمّد عليهم السّـلام و هو من أسـرارنا فاكتمه إلاّ عن أهله، و رواه المحدّث الجزائرى أيضا فى الأنوار مرسلا عن العسكرى عليه السّلام مثله.

الثالث و العشرون فى الاحتجاج روى أصحابنا:

إنّ أبا محمّد الحسن الشـريعى كان من أصـحاب أبى الحسن علىّ بن محمّد ثمّ الحسن بن علىّ عليهم السّلام، و هو أوّل من ادّعى مقاما لم يجعله اللّه فيه من قبل صاحب

الزّمان عليه السّلام و كذب على اللّه و على حججه عليهم السّلام و نسب اليهم ما لا يليق بهم و ما هم منه براء، ثمّ ظهر منه القول بالكفر و الالحاد.

و كذلک كان محمّد بن نصير النّميرى من أصحاب أبى محمّد الحسن، فلمّا توفّى عليه السّلام ادّعى النّيابة لصاحب الزّمان عليه السّلام ففضحه اللّه بما ظهر منه من الالحاد و الغلوّ و القول بالتناسخ، و كان يدّعى انّه رسول نبى أرسله علىّ بن محمّد عليهما السّلام و يقول فيه بالرّبوبيّة و يقول بالاباحة للمحارم.

و كان أيضا من جملة الغلاة أحمد بن هلال الكرخى و قد كان من قبل فى عداد أصحاب أبى محمّد عليه السّلام ثمّ تغيّر عمّا كان عليه و انكر بابيّة أبى جعفر محمّد بن عثمان رضى اللّه عنه، فخرج التوقيع بلعنه من قبل صاحب الزّمان عليه السّلام.

و كذا كان أبو طاهر محمّد بن علىّ بن بلال، و الحسين بن منصور الحلاّج، و محمّد ابن علىّ الشّلمغانى المعروف بابن أبى العزاقر لعنهم اللّه، فخرج التّوقيع بلعنهم و البراءة منهم جميعا على يد الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح رضى اللّه عنه نسخته:

عرّف أطال اللّه بقاک و عرّفک اللّه الخير كلّه و ختم به عملک من تثق بدينه و تسكن إلى نيّته من اخواننا أدام اللّه سعادتهم بأنّ محمّد بن علىّ المعروف بالشّلمغانى عجّل اللّه النّقمة و لا أمهله قد ارتدّ عن الاسلام و فارقه و ألحد فى دين اللّه و ادّعى بالكفر معه بالخالق جلّ و تعالى و افترى كذبا و زورا و قال بهتانا و اثما مبينا، كذب العادلون باللّه و ضلّوا ضلالا بعيدا و خسروا خسرانا مبينا، و انّا برئنا إلى اللّه تعالى و إلى رسوله صلوات اللّه عليه و آله منه، و لعنّاه عليه لعائن اللّه تترى فى الظاهر منّا و الباطن فى السّر و الجهر و فى كلّ وقت و على كلّ حال و على من شايعه و بايعه و بلغه هذا القول منّا فأقام على تولاّه بعده و أعلمهم تولاّكم اللّه أنّنا فى التوقى و المحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممّن تقدّمه من نظرائه من الشريعى و النميرى و الهلالى و البلالى و غيرهم، و عادة اللّه جلّ ثناؤه مع ذلک قبله و بعده عندنا جميلة، و به نثق و ايّاه نستعين، و حسبنا اللّه فى كلّ امورنا و نعم الوكيل.

ص:18

بيان

هؤلاء الجماعة المذكورون فى هذا الحديث كلّهم من الّذين ادّعوا البابيّة لصاحب الزّمان عليه السّلام و السّفارة من جانبه عجّل اللّه فرجه، و ليتهم لعنهم اللّه تعالى قنعوا بذلک و لم يظهر منهم الكفر و الالحاد و القول بالحلول و الاتحاد و إباحة المحارم كما هو مذهب الصوفية.

قال الشيخ «قد» فى محكى كلامه فى البحار من كتاب الغيبة: كلّ هؤلاء المدّعين إنما يكون كذبهم أوّلا على الامام عليه السّلام و أنهم و كلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثمّ يترّقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية كما اشتهر من أبى جعفر الشلمغانى و نظرائه عليهم جميعا لعائن اللّه تترى.

و قد ذكر فى كتاب الغيبة على ما حكى عنه فى البحار فصلا مبسوطا فى أحوال هؤلاء و أقوالهم و عقائدهم المتضمنة للكفر و الالحاد، و لا بأس بالاشارة إلى بعض ما ذكره ليعلم أنهم من الصوفية مشاركون معهم فى العقائد و الأعمال فأقول:

قال: أوّل المدّعين للبابية الشريعى، قال هارون و أظنّ اسمه كان الحسن و كان من أصحاب أبى الحسن علىّ بن محمّد و ساق الكلام فيه نحو ما رويناه من الاحتجاج إلى قوله و ما هم منه براء، ثمّ قال: فلعنته الشيعة و تبرّئت منه و خرج توقيع الامام عليه السّلام بلعنه و البراءة منه، ثمّ ظهر منه القول بالكفر و الالحاد.

و منهم محمّد بن نصير النّميرى قال سعد بن عبد اللّه: كان محمّد بن نصير النّميرى يدّعى انّه رسول نبىّ و أنّ علىّ بن محمّد أرسله و كان يقول بالتناسخ و يغلو فى أبى الحسن عليه السّلام و يقول فيه بالرّبوبيّة و يقول بالاباحة للمحارم و تحليل نكاح الرّجال بعضهم بعضا فى ادبارهم، و يزعم أنّ ذلک من التّواضع و الاخبات و التّذلل فى المفعول به، و أنّه من الفاعل إحدى الشّهوات و الطّيبات، و أنّ اللّه عزّ و جلّ لا يحرّم شيئا من ذلک اخبرنى بذلک عن محمّد بن نصير أبو زكريّا يحيى بن عبد الرحمن ابن خاقان أنّه رآه عيانا و غلام له على ظهره، قال: فلقيته فعاتبته على ذلک، فقال إنّ هذا من اللّذات و هو من التواضع للّه و ترک التجبّر.

ص:19

أقول: و رأيت فى بعض مولّفات أصحابنا نقلا من الفاضل عبد الوهّاب بن علىّ الحسينىّ الاستر ابادى فى شرح كتاب الفصول النصير ما هذا لفظه:

قالت النصيريّة و الاسحاقية من غلاة الشيعة ظهور الرّوحانى فى الجسمانى لا ينكر، ففى طرف الشرّ كالشّياطين فانّه كثيرا ما يتصوّر الشيطان بصورة انسان ليعلّمه و يكلّمه بلسانه، و فى طرف الخير كالملائكة فانّ جبرئيل كان يظهر بصورة دحية الكلبى و الأعرابى.

قالوا: فلا يمتنع أن يظهر اللّه تعالى فى صورة بعض الكاملين و اولى الخلق بذلک أشرفهم و أكملهم هو العترة الطّاهرة، و هو من يظهر فيه العلم و القدرة التامّة من الأئمة من تلک العترة.

و لم يتحاشوا عن اطلاق الالهيّة على أئمّتهم و هذه ضلالة بيّنة لا يحتاج بطلانه إلى بيان، و مع ذلک نقول ظهور شىء فى صورة شىء آخر لا يقتضى الحلول و الاتّحاد، فإنّ جبرئيل لم يتّحد بدحية و لا حلّ فيه فلا يلزم مطلوبكم، انتهى.

و أولى من ذلک أن يقال: إنّ المثال غير مطابق للمثل لأنّه تعالى ليس بروح و لا روحانى و لا جسم و لا جسمانى تعالى عن ذلک علوّا كبيرا، فلا يمكن ظهوره بصورة غيره بل يستحيل استحالة عقليّة، هذا.

و قال الشّيخ «قد» فى أحمد الكرخى و محمّد البلالى نحو ما نقلناه فيهما من الاحتجاج و ذكر فى حسين بن منصور الحلاج ما قدّمنا روايته عنه فى المقام السّادس، و قال فى حقّ الشّلمغانى، قال الصّفوانى: سمعت أبا علىّ بن همام يقول سمعت محمّد بن علىّ العزاقرى الشلمغانى يقول: الحقّ واحد و انّما تختلف قمصه فيوم يكون فى أبيض و يوم يكون فى أحمر و يوم يكون فى أزرق فهذا أوّل ما أنكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول و أخبرنا جماعة عن أبى محمّد هارون بن موسى عن أبى علىّ محمّد بن همام أنّ محمّد بن على الشّلمغانى لم يكن قط بابا إلى أبى القاسم(1) و لا طريقا له، و لا نصبه

1- (1) - أى الحسين بن روح النوبختى ره وكيل صاحب الزمان عليه السلام منه،.

أبو القاسم بشـيء من ذلک علی وجه و لا سـبب، و من قال بـذلک فقد أبطل و إنما کان فقیها من فقهائنا فخلط و ظهر عنه ما ظهر، و انتشـر الکفر و الالحاد منه فخرج فیه التوقیع علی ید أبی القاسم بلعنه و البراءة منه و ممّن تابعه و شایعه و قال بقوله، هذا

خاتمة

قد تبیّن و تحقّق لک ممّا أوردناه فی شـرح هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام أنّ مذاهب الصّوفیة بحذافیرها مخالفة لمذهب المتشرّعة الامامیّة الحقّة شـیّد اللّه بنیانه و أحکم قواعده و أرکانه، کما ظهر لک أنّ الایات و الأخبار فی لعنهم و طعنهم و التّعریض و الازراء علیهم لعنهم اللّه تعالی صـریحة متظافرة و أنّ الأخبار التی تمسّکت بها هذه الفئة الضّالّة المضلّة المبتدعة المطرودة الملعونة إمّا موضوعة مجعولة أو متشابهة مؤوّلة أو ضعیفة سخیفة.

فلا ینبغی للفطن الکیس أن یشتبه و ینخدع بما أوردها بعض علماء الشیعة کمحمّد بن علیّ بن أبی جمهور الاحسائی و غیره من الأخبار فی کتبهم، فانّ اکثر هذه الأخبار مأخوذة من کتب متصوّفة العامّة کما یظهر ذلک لمن راجع إلیها.

و بالجملة فالصّوفی شیعیّا أو سنّیا وحدتیا أو اتّحادیّا مخالف للمتشرّع الامامی اصولا و فروعا و اعتقادا و عملا.

فویل لقوم اتّخذوا سـلفهم الّذین مهّدوا لهم البدعات و موّهوا لهم الضّلالات أربابا فرضوا بالشّبلی و الغزالی و ابن العربی و جنید البغدادی أئمّة، و بالقرمطة فلسـفة و بالزّهد خلاعة، و بالمثنوی و سایر منظوماتهم کتابا، و بالشّیاطین اخوانا، و بمرقد أبا یزید البسـطامی و عبد القادر الجیلانی قبلة، و بالهوی إلها، و بالوسواس إلهاما، و بالسّحر و الشّعبدة و السّیمیا کرامة و مقاما.

خـذلهم اللّه تعالی فی الـدّنیا و ضاعف علیهم العـذاب فی العقبی بمحمّد و آله الأمجاد أئمّة المؤمنین و أولیاء المتشـرّعین المتدیّنین فی المبـدأ و المعـاد صـلوات اللّه و سـلامه علیه و علیهم أجمعین و لعنـة اللّه علی مخالفیهم و معانـدیهم من الأوّلین و الاخرین إلی قیام یوم الدّین.

ص:21

استدراک

لا ـ یـذهبنّ علیـک ممّا أوردته فی شـرح هـذا الکلام علی طوله من الطّعن و التّعریض و الازراء علی الصّوفیـة و ابطال مـذاهبهم و اضـلال مشاربهم و اظهار مثالبهم و تسـفیه أحلامهم و تزییف مناقبهم و الاعلان بعداوتهم و الحکم بفسق طائفة و کفر الاخرین منهم، أنّا منکرون لحسن العرفان باللّه و جاحدون لسلوک سبیل المعرفة معاندون للعارفین بالحقّ الّذین سلکوا سبیل الهدی و نهوا النّفس عن الهوی و زهدوا فی الـدّنیا و رغبوا فی الأخری و صـدّقوا بالحسـنی و شـربوا من کأس المحبّة و خاضوا فی تیّار المعرفة فلم یکن لهم همّ إلاّ رضـی المولی و النّیـل إلی مقـام الزّلفی و السّکنی فی حظایر القـدس و التّأنس فی محافل الانس مع النّبیّین و الصـدیقین و الشـهداء و الصالحین و حسـن اولئـک رفیقـا و کیف لا ـ و لم یکن بعث الأنبیـاء و الرّسل مبشـرین و منـذرین من لـدن خلق آدم علیه السّلام أبی البشـر إلی الختم بسـید المرسـلین صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلاّ لذلک المقصود فانهم علی اختلاف شرایعهم و تفاوت مللهم و مذاهبهم لم یکن همّهم الاّ هما واحدا و هو جذب الخلق إلی الحقّ بالهدایة إلی الصـراط المستقیم، و الدّلالة علی النهج القویم، و التنحیة عن الرزائل و التحلیة بالفضایل، و الحثّ علی مکـارم الأخلاـق و الحضّ علی إحیـاء العقول بالمعـارف و الکمالات، و التأکیـد فی اماتـة النفوس بالمجاهـدة و الرّیاضات فالعارف الحقیقی الـذی یحقّ أن یسـمّی بهـذا الاسم هو من اتّصف بهذه الکمالات لا من أخذ بالبدع و الضـلالات، و من تبع فی أقواله و أفعاله بالأئمة لا من قال: إنّا وجدنا آبائنا علی امّة و إنّا علی آثارهم لمهتدون.

و ان شـئت أن تعرف تفصـیل أوصاف هذا الشـخص الذی یلیق بهذا الاسم فاعرف ذلک من تضاعیف خطب أمیر المؤمنین علیه السّلام لا سیّما الخطبة المأة و الثانیة و التسعین الوارد فی شرح حال المتّقین، و الکلام المأتین و الثامن عشر المسوق فی وصف حال العارفین

ص:22

و لئن رجعت اليهما و إلى شرحهما تعرف معنى المعرفة و العرفان، و تعلم أنّ الصوفية فى متاه الجهل و الضلال حيران، نعوذ باللّه من الضلالة بعد الهدى، و من تبدّل البصيرة بالعمى، إنه لا يضلّ من هداه، و الحمد للّه على ما هدانا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا اللّه.

يا ربّ أدخل فى عبادک عبدک الرّاجى بفضلک و اعطف به نظرا

وجد يا الهى لى بجودک و الطف بعبد ذليل عاجز متحيرا

و أدخله فى أرباب علم و حكمة و أصحاب عرفان الذى منک مخبرا

و أشربه كاس الحبّ و الصدق و الصفا و أكرم به فى روضة الخلد منظرا

و فى محفل الانس انسه بمحمد و أولاده الطهر الكرام المطهّرا

الترجمة

از جمله كلام هدايت نظام أمير مؤمنان عليه السّلام است در بصره در حالتى كه داخل شد بر علاء پسر زياد حارثى و او از أصحاب آن حضرت بود عيادت مى فرمود او را پس وقتى كه ديد وسعت خانهٔ او را فرمود:

چه كار مى كنى با وسعت اين خانه در دنيا آگاه باش كه تو بسوى وسعت خانه در آخرت هستى محتاج تر، و بلى اگر بخواهى مى توانى برسى با آن باخرت مهمانداری بكنى در آن مهمانان را و صلهٔ أرحام نمائى، و اخراج حقوق اللّه كنى و در مصارف شرعيه صرف نمائى، پس در اين صورت تو محققا رسيدهٔ با او بسوى آخرت.

پس عرض كرد بان حضرت علاء كه يا أمير المؤمنين شكايت ميكنم بسوى تو از برادرم عاصم بن زياد.

فرمود آن حضرت چه خبر است او را عرض نمود كه عبا پوشيده و از دنيا خلوت گزيده.

فرمود: كه حاضر كنيد او را نزد من، پس وقتى كه آمد فرمود أى دشمنک نفس خود بتحقيق كه سرگردان كرده تو را شيطان خبيث آيا رحم نكردى أهل

خود را و اولاد خود را، آیا همچنین اعتقاد میکنی که خدا حلال کرده از برای تو پاکیزه ها و طیّبات دنیوی را و حال آنکه آن خدا کراهت دارد که تو فراگیری آنها را، تو خوارتری نزد خدا از این.

عرض کرد أی أمیر مؤمنان این تو هستی در خشونت و زبری پوشاک و غلظت و بی مزگی خوراک.

فرمود: وای بر تو بدرستی من نیستم مثل تو، بدرستی خداوند تعالی واجب ساخته بر امامان حقّ عادل که تنگ بگیرند بر نفسهای خود یا قیاس نمایند نفسهای خودشان را بضعفا و فقرای خلق در رفتار و کردار تا این که غالب نشود و مضطرب نسازد فقیر را فقر و پریشانی او. و باللّه التّوفیق و منه الاستعانة و علیه التوکّل و الاعتماد حتّی وفّقنا لما یحبّ و یرضی و هدانا سبیل الرّشد و طریق الوصول إلیه.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و التاسع من المختار فی باب الخطب

اشارة

و رواه غیر واحد من أصحابنا بطرق مختلفة مع بسط و اختلاف کثیر حسبما تطلع علیه فی التکملة الاتیة إنشاء اللّه.

قال السید رحمه اللّه: و قد سأله سائل عن أحادیث البدع و عما فی أیدی النّاس من اختلاف الخبر فقال علیه السّلام:

إنّ فی أیدی النّاس حقّا و باطلا، و صدقا و کذبا، و ناسخا و منسوخا، و عامّا و خاصّا، و محکما و متشابها، و حفظا و وهما، و لقد کذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی عهده حتّی قام خطیبا فقال: من کذب علیّ متعمّدا فلیتبوّأ مقعده من النّار.

ص:24

و إنّما أتاک بالحدیث أربعة رجال لیس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإیمان متصنّع بالإسلام لا یتأثّم و لا یتحرج، یکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم متعمّدا فلو علم النّاس أنّه منافق کاذب لم یقبلوا منه و لم یصدّقوا قوله و لکنّهم قالوا صاحب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم راه و سمع منه و لقف عنه فیأخذون بقوله و قد أخبرک اللّه عن المنافقین بما أخبرک، و وصفهم بما وصفهم به لک، ثمّ بقوا بعده علیه و آله السّلام فتقرّبوا إلی أئمّة الضّلالة و الدّعاة إلی النّار بالزّور و البهتان، فولّوهم الأعمال و جعلوهم حکّاما علی رقاب النّاس، و أکلوا بهم الدّنیا و إنّما النّاس مع الملوک و الدّنیا إلاّ من عصم اللّه فهو أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شیئا لم یحفظه علی وجهه، فوهم فیه، و لم یتعمّد کذبا فهو فی یدیه و یرویه و یعمل به و یقول أنا سمعته من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلو علم المسلمون أنّه وهم فیه لم یقبلوه منه، و لو علم هو أنّه کذلک لرفضه. و رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شیئا یأمر به ثمّ نهی عنه و هو لا یعلم، أو سمعه ینهی عن شیء ثمّ أمر به و هو لا یعلم، فحفظ المنسوخ و لم یحفظ النّاسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، و لو علم

المسلمون إذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه. و آخر رابع لم يكذب على اللّه و لا على رسوله، مبغض للكذب خوفا من اللّه و تعظيما لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و لم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على سمعه لم يزد فيه و لم ينقص منه، فحفظ النّاسخ فعمل به، و حفظ المنسوخ فجنّب عنه، و عرف الخاصّ و العامّ، فوضع كلّ شيء موضعه و عرف المتشابه و محكمه. و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكلام له وجهان: فكلام خاصّ، و كلام عامّ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى اللّه به، و لا ما عنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فيحمله السّامع و يوجّهه على غير معرفة بمعناه و ما قصد به و ما خرج من أجله، و ليس كلّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كان يسئله و يستفهمه، حتّى أن كانوا ليحبّون أن يجيء الأعرابيّ أو الطّارئ فيسئله عليه السّلام حتّى يسمعوا، و كان لا يمرّ بى عن ذلک شيء إلاّ سئلت عنه و حفظته، فهذا وجوه ما عليه النّاس فى اختلافهم و عللهم فى رواياتهم.

اللغة

(الوهم) من خطرات القلب أو مرجوح طرفى المتردّد فيه، و الجمع أوهام و وهم فى الحساب كوجل غلط، و وهمت فى الشيء من باب وعد أى ذهب و همى إليه و وقع فى خلدى و روى و هما بالفتح و السكون كليهما و (بوّأه) منزلا و فى

منزل أنزله فيه، و بوّأته دارا اسكنته إيّاها و تبوّء بيتا اتّخذه مسكنا و (التّصنّع) تكلّف حسن السّمت و التزيّن و (التّأثم) و (التحرّج) مجانبة الاثم و الحرج أى الضّيق يقال تحرج أى فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال تحنث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث، قال ابن الاعرابى: للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها قالوا: تحرّج و تحنّث و تأثّم و تهجّد إذا ترك الهجود.

و (لقفه) لقفا من باب سمع و لقفانا بالتحريک تناوله بسرعة قال تعالى:

تلقف ما يأفكون، و (عصمه اللّه) من المكروه من باب ضرب حفظه و وقاه و (جنبه) و اجتنبه و تجنبه و جانبه و تجانبه بعد عنه، و جنبه إياه أبعده عنه و (طرء) فلان علينا بالهمز يطرأ أى جاء بغتة من بلد آخر فهو طارئ بالهمز.

الاعراب

قوله: خطيبا حال من فاعل قام، و قوله: صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالرفع خبر محذوف المبتدأ أى هو أو هذا صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و جملة رآه تحتمل الحال و الوصف، و جملة و يرويه عطف على جملة هو فى يديه، و فى بعض النسخ بدون الواو فتكون حالا من الضمير فى يديه أو استينافيا بيانيا.

و قوله و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكلام له وجهان: اسم كان ضمير الشأن المستتر و يكون تامة مستغنية عن الخبر، و هى مع اسمها أعنى الكلام خبر كان و له وجهان نعت للكلام، لأنه فى حكم النكرة و يجوز أن يكون حالا منه لأنّه فى معنى الفاعل، و يحتمل أن يجعل يكون ناقصة فهو حينئذ خبر له و ليس بنعت، و قوله: فكلام خاصّ آه، الفاء عاطفة للتفريع على قوله: له وجهان.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام الشّريف حسبما أشار اليه السيّد (قد) تكلّم به حين (سأله سائل) و هو سليم بن قيس الهلالى حسبما تعرفه فى التّكملة الاتية إنشاء اللّه تعالى و له كتاب مشهور بين أصحابنا.

قال المحدّث العلاّمة المجلسىّ ره فى ديباجة البحار: و قد طعن فى كتابه

جماعة و الحقّ أنّه من الاصول المعتبرة.

و قال العلامة فی الخلاصة: سـلیم بن قیس الهلالی بضم السّـ ین روی الکشـی أحادیث یشـهد بشکره و صحّة کتابه إلی أن قال: و قال السیّد علیّ بن أحمد العقیقی کان سـلیم بن قیس من أصـحاب أمیر المؤمنین علیه السّلام طلبه الحجّاج لیقتله فهرب واوی إلی أبان بن أبی عیّاش، فلمّا حضـرته الوفاة قال لأبان: إنّ لک علیّ حقّا و قد حضرنی الموت یا ابن أخی إنّه کان من الأمر بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کیت و کیت، و أعطـاه کتابا فلم یروعن سـلیم بن قیس أحـد سوی أبان و ذکر أبان فی حـدیثه قال: کان شـیخا متعبّـدا له نور یعلوه و قال ابن الغضایری: سـلیم بن قیس الهلالی العامری روی عن أمیر المؤمنین و الحسن و الحسـین و علیّ بن الحسـین علیهم السّلام قال العلامة فی آخر کلامه، و الوجه عندی الحکم بتعدیل المشار الیه و التّوقّف فی الفاسد من کتابه انتهی.

و کیف کان فقـد سأله علیه السّـلام سـلیم بن قیس (عن أحادیث البـدع) أی الأحادیث المبتدعة الموضوعة أو المربوطة بالبدعات و الامور المحدثة الّتی لا أصل لها فی الشریعة کما یشعر به ما رواه جابر بن عبد اللّه أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال فی خطبة:

إنّ أحسن الحدیث کتاب اللّه، و خیر الهدی هدی محمّد، و شرّ الامور محدثاتها و کلّ محدثة بدعة، و کلّ بدعة ضلالة.

و قوله (و عمّا فی أیدی النّاس من اختلاف الخبر) أراد به الأخبار المختلفة المخالفة لما عندهم علیهم السّلام (فقال علیه السّلام) فی جواب السائل:

(انّ فی أیـدی النّاس حقّا و باطلا و صـدقا و کذبا) ذکر الصّدق و الکذب بعد الحقّ و الباطل من قبیل ذکر الخاصّ بعد العامّ، لأنّ الأخیرین من خواصّ الخبر و الأوّلاـن یصـدقان علی الأفعـال أیضا، و قیل: الحقّ و الباطل هنا من خواصّ الرّأی و الاعتقاد و الصّـدق و الکـذب من خواصّ النّقل و الرّوایة (و ناسـخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محکما و متشابها) و قد مضـی بیان معانی هذه السّـتة جمیعا و تحقیق الکلام فیها فی شرح الفصل السّابع عشر من الخطبة الاولی فلیراجع هناک

ص:28

(و حفظا و وهما) أى حـديثا محفوظا من الزّيادة و النّقصان مصونا عن الخلل و الغلط حفظه راويه على ما سـمعه، و حديثا غير محفوظ من ذلک لسهو الرّاوى أو غلطه و عدم حفظه له على وجهه.

(و لقد كذب) اى افترى (على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عهده) أى فى زمانه.

قال الشّارح البحرانى: و ذلک نحو ما روى أنّ رجلا سـرق رداء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و خرج إلى قوم و قال: هذا رداء محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أعطـانيه لتمكّنونى من تلک المرأة، و اسـتنكروا ذلک، فبعثوا من سأل الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم عن ذلک، فقام الرّجل الكاذب فشـرب ماء فلدغته حيّة فمات، و كان النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حين سـمع بتلک الحال قال لعلىّ عليه السّلام: خذ السّيف و انطلق فان وجدته و قد كفيت فأحرقه بالنّار، فجاء عليه السّلام و أمر باحراقه.

(حتّى) لمّا سـمع صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذلک الخبر و غيره ممّا كذبوا عليه (قام خطيبا فقال) أيّها النّاس قد كثرت علىّ الكذّابة ف (من كـذب علىّ متعمّـدا فليتبوّء مقعـده من النّـار) أى لينزل منزله من النّـار، و هو إنشاء فى معنى الخبر كقوله تعالى: «قل من كان فى الضّـلالة فليمدد له الرّحمن مدّا».

و هـذا الحـديث النبوى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ممّا رواه الكلّ و ادّعى تواتره و اسـتدلّ به على وجود الأخبار الكاذبة ردّا على من أنكر وجودهـا أو اسـتبعدها، و قـد حكى أنّ علم الهـدى تنـاظر مع علمـاء العامّـة و بيّن لهم أنّ الأخبـار التى رووها فى فضايل مشايخهم كلّها موضوعـة، فقالوا: من يقدر أن يكذب على رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، فقال لهم: قد ورد فى الرّواية عنه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال فى حياته: سـتكثر علىّ الكذابـة بعـد موتى فمن كـذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب و على التقديرين يحصل المطلوب.

ثمّ شـرع عليه السّـلام فى بيان وجه اختلاف الأخبار فقال (و انما أتاک بالحـديث أربعـة رجال لا خامس لهم) قال الشارح البحرانى: و وجه الحصر فى الأقسام الأربعة أنّ الناقل للحديث عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المتسمّين بالاسلام إمّا منافق أولا، و الثانى إمّا أن

يكون قد وهم فيه أولا، و الثانى إما أن لا يكون قد عرف ما يتعلّق به من شرايط الرّواية أو يكون.

فأشار عليه السّلام إلى القسم الأوّل بقوله (رجل منافق مظهر للايمان) بلسانه منكر له بقلبه (متصنّع بالاسلام) أى متكلّف بادابه و لوازمه و مراسمه ظاهرا من غير أن يعتقد به باطنا يعنى أنه ليس مسلما فى نفس الأمر و إنّما تسمّى بالاسلام لتدليس الناس (لا يتأثم و لا يتحرّج) أى لا يكفّ نفسه عن موجب الاثم و لا يتجنّب عن الوقوع فى الضيق و الحرج، أولا يعدّ نفسه آثما بالكذب بل (يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متعمّدا) لغرضه الدّنيوى و داعية هواه النفسانى (فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه) حديثه كما قبلوه (و لم يصدّقوا قوله) كما صدّقوه (و لكنهم) اشتبهوا و (قالوا) هذا (صاحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رآه و سمع منه و لقف) أى تنال الحديث (عنه فيأخذون بقوله) غفلة عن كذبه لحسن ظنهم به (و قد أخبرك اللّه عن المنافقين) فى كتاب المبين (بما أخبرك و وصفهم بما وصفهم به لك) الظاهر أنه عليه السّلام أراد به قوله تعالى فى سورة المنافقين «وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ » الاية، كما صرّح عليه السلام به فى ساير طرق الرّواية حسبما تعرفه فى التكملة الاتية، و قد أفصح تعالى عن أحوالهم و أوصافهم بهذه الاية و الايات قبلها فى السورة المذكورة قال «وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ اِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ » قال أمين الاسلام الطبرسىّ قد «وَ اللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ » فى قولهم إنّهم يعتقدون أنك رسول اللّه، فكان إكذابهم فى اعتقادهم و أنّهم يشهدون ذلك بقلوبهم، و لم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم، لأنّهم شهدوا بذلك و هم صادقون فيه «اتّخذوا ايمانهم جنّة» أى سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا و لا يسبوا و لا يؤخذ أموالهم «فصدّوا عن سبيل اللّه» فأعرضوا بذلك عن دين الاسلام، و قيل:

منعوا غيرهم عن اتّباع سبيل الحقّ بأن دعوهم إلى الكفر فى الباطن، و هذا من خواصّ المنافقين، يصدّون العوام عن الدّين كما تفعل المبتدعة «انّهم ساء ما كانوا يعملون» أى بئس الّذى يعملونه من اظهار الايمان مع ابطان الكفر و الصدّ عن السّبيل «ذلک بأنّهم آمنوا» بألسنتهم، عند الاقرار بلا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه «ثمّ كفروا» بقلوبهم لمّا كذبوا بهذا «فطبع على قلوبهم» أى ختم عليها بسمة تميّز الملائكة بينهم و بين المؤمنين على الحقيقة «فهم لا يفقهون» أى لا يعلمون من حيث إنّهم لا يتفكرون حتّى يميّزوا بين الحقّ و الباطل «و إذا رأيتهم تعجبک اجسامهم» بحسن منظرهم و تمام خلقتهم و جمال بزّتهم «و إن يقولوا تسمع لقولهم» لحسن منطقهم و فصاحة لسانهم و بلاغة بيانهم «كأنّهم خشب مسنّدة» أى كأنّهم أشباح بلا أرواح، شبّههم اللّه فى خلوّهم من العقل و الافهام بالخشب المسنّدة إلى شىء لا أرواح فيها و فى الصّافى مسنّدة إلى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم و النّظر.

(ثمّ بقوا) أى المنافقون (بعده عليه و آله السلام فتقرّبوا إلى أئمّة الضّلالة) كمعاوية و أضرابه من رؤساء بنى اميّة(و الدّعاة إلى النّار)فيه تلميح إلى قوله تعالى «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ » (بالزّور) أى الكذب (و البهتان فولّوهم الأعمال و جعلوهم حكاما على رقاب النّاس) أى أئمّة الضّلال بسبب وضع الأخبار اعطوا هؤلاء المنافقين الولايات و سلّطوهم على النّاس، و يحتمل العكس أى بسبب مفتريات هؤلاء المنافقين صاروا و الين على النّاس و صنعوا ما شاءوا و ابتدعوا ما أرادوا قال المحدّث العلامة المجلسىّ: و لكنّه بعيد.

أقول: و لعلّ وجه استبعاده أنّ ظاهر كلامه عليه السّلام يفيد كون إمامة أئمّة الضلالة متقدّمة على وضع الأخبار حيث تقرّبوا بها إليهم فلا يكون حينئذ ولايتهم و إمامتهم مستندة إلى وضعها و مسبّبة منها، و لكن يمكن رفع البعد بأن يكون المراد أنّ ثبات حكومتهم و ولايتهم و استحكامها كان بسبب مفتريات المنافقين و إن لم يكن أصل الولاية بسببها و قوله (و أكلوا بهم الدّنيا) أى معهم أو باعانتهم، و الضّمير الأوّل راجع إلى

أئمّة الضلالة، و الثانی إلی المنافقین المفترین، و یحتمل العکس أیضا.

و أشـار إلی علّة تقرّبهم إلی الولاة بمفترياتهم بقوله (و انما الناس) جميعا (مع الملوک و الـدّنيا) لكون هواهم فيها فهم عبيـد لها و لمن فی يـديه شـیء منها حيثما زالت زالوا إليها و حيثما أقبلت أقبلوا عليها (إلاّ من عصم) ه (اللّه) تعالی منها و من أهلها، و هم الدين آمنوا و عملوا الصالحات و قليل ما هم (ف) هـذا (هو أحـد الأربعـة) (و) الثانی منهم (رجل سـمع من رسول اللّه صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم شـيئا لم يحفظه علی وجهه) الـذی صـدر من لسانه الشـريف (فوهم فيه) أی غلط و سـهی (و لم يتعمّد كذبا) كتعمّد الرّجل السابق الذّكر (فهو فی يديه) ينقله (و يرويه) لغيره (و يعمل به) فی نفسه (يقول أنا سمعته من رسول اللّه) يسنده إليه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم بزعم أنه عين ما قاله صلّی اللّه عليه و آله و سـلّم (فلو علم المسـلمون أنه و هم فيه لم يقبلوه منه و لو علم هو أنه كذلک لرفضه) أی نبذه و تركه و لم يروه أقول: و من ذلک اشترط علماء الدّرايـة الضـبط فی الرّاوی يری ضـبطه لما يرويه بمعنی كونه حافظا له متيقظا غير مغفل إن حـدّث من حفظه ضابطا لكتابه حافظا من الغلط و التصـحيف و التحريف ان حدّث منه عارفا بما يختلّ به المعنی ان روی به أی بالمعنی علی القول بجوازه حسـبما تعرفه إنشاء اللّه تفصيلا.

(و رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم شيئا يأمر به ثمّ نهی عنه و هو لا يعلم) بنهيه (أو سمعه ينهی عن شیء ثمّ أمر به و هو لا يعلم) بأمره (فحفظ المنسوخ و لم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لرفضه و لو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه) و لكنه لجهله و غفلته عن الناسخ روی المنسوخ لغيره فقبلوه منه بحسن وثوقهم به روی فی الكافی بسـند موثّق عن محمّد بن مسـلم عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت له: ما بال أقوام يروون عن فلان و فلان عن رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم لا يتّهمون بالكذب، فيجیء منكم خلافه؟ قال عليه السّلام: إنّ الحديث ينسخ كما ينسخ القرآن.

و فيه بسنده عن منصور بن حازم عن أبی عبد اللّه عليه السّلام فی حديث قال: قلت

فأخبرنی عن أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم صدقوا علی محمّد أم کذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت: فما بالهم قد اختلفوا؟ فقال علیه السّلام: أما تعلم أنّ الرّجل کان یأتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیسأله عن المسألة فیجیبه فیها بالجواب، ثمّ یجیئه بعد ذلک بما ینسخ ذلک الجواب فنسخت الأحادیث بعضها بعضا.

قال الشهید الثانی فی درایة الحدیث عند تعداد أقسام الأحادیث: و سادس عشرها الناسخ و المنسوخ، فانّ من الأحادیث ما ینسخ بعضها بعضا کالقرآن.

و الأوّل و هو الناسخ ما أی حدیث دلّ علی رفع حکم شرعیّ سابق، فالحدیث المدلول علیه بما بمنزلة الجنس یشمل الناسخ و غیره و مع ذلک خرج به ناسخ القرآن و الحکم المرفوع شامل للوجودی و العدمی و خرج بالشرعی الذی هو صفة الحکم الشرعیّ المبتدأ بالحدیث، فانه یرفع به الاباحة الأصلیة لکن لا یسمی شرعیا، و خرج بالسابق الاستثناء و الصفة و الشرط و الغایة الواقعة فی الحدیث، فانها قد ترفع حکما شرعیا لکن لیس سابقا.

و الثانی و هو المنسوخ ما رفع حکمه الشرعی بدلیل شرعیّ متأخّر عنه و قیوده یعلم بالمقایسة علی الأوّل، و هذا فنّ صعب مهمّ حتّی أدخل بعض أهل الحدیث فیه ما لیس منه لخفاء معناه، و طریق معرفته النصّ من النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مثل کنت نهیتکم عن زیارة القبور ألا فزوروها، و نقل الصحابی مثل کان آخر الأمرین من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: أنه ترک الوضوء مما مسّته النار، أو التاریخ فانّ المتأخّر منهما یکون ناسخا للمتقدّم لما روی عن الصحابة کنا نعمل بالأحادیث فالأحادیث أو الاجماع کحدیث قتل شارب الخمر فی المرّة الرّابعة نسخه الاجماع علی خلافه حیث لا یتخلّل الحدّ و الاجماع لا ینسخ بنفسه و انما یدلّ علی النسخ، انتهی کلامه رفع مقامه.

و ینبغی أن یعلم أنّ النسخ إنما یکون فی الأحادیث الواردة عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذ لا ینسخ بعده.

(و آخر رابع) له عنایة بأمر الدّین و اهتمام بمدارک الشرع المبین (لم یکذب علی اللّه و لا علی رسوله) صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کالرّجل الأوّل المنافق المتصنّع بالاسلام تحرّجا

من الكـذب و الزّور (مبغض للكـذب خوفـا من اللّه و تعظيمـا لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و لـم يهم) أى لـم يغلـط و لـم يسـه كالرّجـل الثانى الغير الضابط (بل حفظ) و وعى (ما سـمع على وجهه) كما اشـير إليه فى قوله عزّ و جلّ «و تعيها اذن واعيـة» (فجاء به على سمعه) أى نقله على الوجه المسـموع، و فى بعض النسـخ على مـا سـمعه بزيادة ما و هو أقرب (لـم يزد فيه و لـم ينقص منه) أى رواه من غير زيادة و لا نقصان فاستحقّ بذلک البشارة العظيمة من اللّه تعالى فى قوله «فَبَشِّرْ عِبادِ اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ».

فقد روى فى البحار من الاختصاص باسـناده عن أبى بصـير عن أحدهما عليهما السّلام فى هذه الاية قال عليه السّلام: هم المسلمون لال محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا سمعوا الحديث أدّوه كما سمعوه لا يزيدون و لا ينقصون.

و فيه عن الكلينى بسـنده عن أبى بصـير قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام قول اللّه جلّ ثناؤه «اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » قال عليه السّلام: هو الرّجل يستمع الحديث فيحدّث به كما سمعه لا يزيد فيه و لا ينقص.

(فحفظ النّاسـخ فعمل به و حفظ المنسوخ فجنّب عنه) لا كالرّجل الثالث يحفظ المنسوخ و يرويه و لـم يحفظ النّاسـخ و يغيب عنه (و عرف الخاصّ و العامّ فوضع كلّ شـىء موضـعه) أى أبقى العمومات الغير المخصّصة على عمومها و حمل المخصّصات على الخصوص و كذا المطلق و المقيّد و سـاير أدلّة الأحكـام (و عرف المتشـابه) فوكـل علمه إلى اللّه تعـالى و رسوله و الراسـخين فى العلم عليهم السّلام (و محكمه) فأخذ به و اتّبعه ثمّ أكّد كون كلام الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ذا وجوه مختلفة بقوله (و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم الكلاـم له وجهان) ككتاب اللّه العزيز و كلامه عزّ شأنه (ف) بعضه (كلام خاصّ و) بعضه (كلام عامّ فيسـمعه من لا يعرف ما عنى اللّه سبحانه به و لا ما عنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من العموم و الخصوص (فيحمله السّامع) على غير معناه المراد من أجل اشـتباهه و عـدم معرفته (و يوجّهه) أى يؤوّله (على غير معرفـة بمعناه و ما قصـد به و ما خرج من أجله) أى العلّة المقتضـية لصدور الكلام منه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و كذا الحال

و المقام الّذی صدر فیه.

(و لیس کـلّ أصـحاب رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم یسـأله و یسـتفهمه) لمهـابته أو اعظامـا له (حتّی أن کـانوا لیحبّون أن یجیء الاعرابی) من سـکّان البادیة (أو الطّارئ) أی الغریب الّذی أتاه عن قریب من غیر انس به صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بکلامه (فیسأله علیه السّلام حتّی یسـمعوا) و إنّما کانوا یحبّون قدومهما إمّا لاسـتفهامهم و عدم اسـتعظامهم إیاه، أو لأنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان یتکلّم علی وفق عقولهم فیوضحه حتی یفهم غیرهم.

ثمّ أشار علیه الصـلاة و السلام إلی علوّ مقامه و رفعة شأنه و بلوغه ما لم یبلغه غیره بقوله (و کان لا یمرّ بی عن ذلک) أی من کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم (شـیء إلاّ سألت عنه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و حفظته) لمزید اختصاصه علیه الصلاة و السلام به و کونه عیبة علمه و قد کان یجب علیه علیه الصـلاة و السلام و السؤال و الحفظ کما کمان یجب علیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم التعلیم و التفهیم لاقتضاء تکلیف الاستخلاف و وظیفة الخلافة ذلک (فهذا وجوه ما علیه الناس فی اختلافهم) فی الرّوایات (و) ضروب (عللهم) و أمراضهم (فی روایاتهم) المختلفة.

و ینبغی تذییل المقام بامور مهمة

اشارة

-

الاول

قال الشیخ الشهید الثانی فی کتاب درایة الحدیث عند تعداد أصناف الحدیث الضعیف:

الثامن الموضوع و هو المکـذوب المختلق الموضوع بمعنی أنّ واضـعه اختلق وضـعه لا مطلق حدیث الکذوب، فانّ الکذوب قد یصدق، و هو أی الموضوع شـرّ أقسـام الضـعیف، و لاـ تحـلّ روایته للعـالم به إلاّـ مبینا لحاله من کونه موضوعا بخلاف غیره من الضـعیف المحتمل للصدق حیث جوّزوا روایته فی الترغیب و الترهیب و یعرف الموضوع باقرار واضـعه بوضعه فیحکم حینئذ علیه بما یحکم علی الموضوع فی نفس الأـمر لاـ بمعنی القطع بکونه موضوعـا، لجواز کـذبه فی إقراره، و إنما یقطع بحکمه لأنّ الحکم یتبع الظنّ الغالب، و هو هنا کـذلک و لولاه لما ساغ

قتل المقرّ بالقتل و لا رجم المعترف بالزّنا، لاحتمال أن يكونا كاذبين فيما اعترفا به.

و قد يعرف أيضا بركاكة ألفاظه و نحوها، و لأهل العلم بالحديث ملكة قوية يميّزون بها ذلک، و إنما يقوم به منهم من يكون اطلاعه تاما، و ذهنه ثاقبا، و فهمه قويا، و معرفته بالقراين الدّالة على ذلک ممكنة، و بالوقوف على غلطه و وضعه من غير تعمّد، كما وقع لثابت بن موسى الزّاهد فى حديث من كثرت صلاته باللّيل حسن وجهه بالنّهار، فقيل كان شيخ يحدّث فى جماعة فدخل رجل حسن الوجه فقال الشيخ فى أثناء حديثه: من كثرت صلاته باللّيل «إلخ» فوقع لثابت ابن موسى أنّه من الحديث فرواه.

و الواضعون أصناف:

منهم من قصد التقرّب به إلى الملوک و أبناء الدّنيا، مثل غياث بن إبراهيم دخل على المهدى بن المنصور و كان تعجبه الحمام الطيارة الواردة من الأماكن البعيدة، روى حديثا عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: لا سبق إلاّ فى خفّ أو حافر أو نصل أو جناح، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فلما خرج قال المهدى: اشهد أنّ قفاه قفا كذّاب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جناح و لكن هذا أراد أن يتقرّب إلينا، فأمر بذبحها و قال: أنا حملته على ذلک و منهم قوم من السّؤال يضعون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحاديث يرتزقون بها كما اتّفق لأحمد بن حنبل و يحيى بن معين فى مسجد الرّصافة.

و أعظم ضررا من انتسب منهم إلى الزّهد و الصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبة للّه تعالى و تقرّبا إليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى اللّه تعالى بالتّرهيب و التّرغيب، فقبل النّاس موضوعاتهم فنقلوا منهم و ركنوا إليهم بظهور حالهم بالصّلاح و الزّهد.

و يظهر ذلک من أحوال الأخبار الّتى وضعها هؤلاء فى الوعظ و الزّهد و ضمّنوها أخبارا عنهم و نسبوا إليهم أفعالا و أحوالا خارقة للعادة و كرامات لم يتّفق مثلها لأولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعة و إن كانت كرامات الأولياء

ممكنة فى نفسها و من ذلک ما روى عن أبى عصمة نوح بن أبى مريم المروزى أنّه قيل له:

من أين لک عن عكرمة عن ابن عباس فى فضايل القرآن سورة سورة و ليس عند أصحاب عكرمة هذا؟ فقال: إنّ النّاس قد أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بفقه أبى حنيفة و مغازى محمّد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة و كان يقال لأبى عصمة هذا:

الجامع فقال: أبو حاتم بن الحيّان: جمع كلّ شىء إلاّ الصّدق و روى ابن حيّان عن أبى مهدى قال: قلنا لميسرة بن عبد ربّه: من أين جئت بهذه الأحاديث من قرء بكذا فله كذا، فقال: وضعتها أرغّب النّاس فيها و هكذا قيل فى حديث أبى الطّويل فى فضايل سور القرآن سورة سورة، فروى عن المؤمّل بن إسماعيل قال: حدّثنى شيخ به فقلت للشيخ من حدّثک؟ فقال حدّثنى رجل بالمدائن و هو حىّ، فصرت إليه و قلت: من حدّثک؟ فقال: حدّثنى شيخ بواسط و هو حىّ، فصرت إليه و قلت: من حدّثک؟ فقال: حدّثنى شيخ بالبصرة، فصرت إليه فقال: حدّثنى شيخ بعبّادان، فصرت إليه فأخذ بيدى و أدخلنى بيتا فاذا فيه قوم من الصّوفيّة و معهم شيخ فقال: هذا الشيخ حدّثنى، فقلت: يا شيخ من حدّثک؟ فقال: لم يحدّثنى أحد و لكن رأينا النّاس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذه الأحاديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن.

و كلّ من أودع هذه الأحاديث فى تفسيره كالواحدى و الثعلبى و الزّمخشرى فقد أخطأ فى ذلک و لعلّهم لم يطلعوا على وضعه مع أنّ جماعة من العلماء قد نبّهوا عليه، و خطب من ذكره مستندا كالواحدى أسهل.

و وضعت الزّنادقة كعبد الكريم بن أبى العوجاء الّذى أمر بضرب عنقه محمّد بن سليمان بن علىّ العبّاسى، و بيان الّذى قتله خالد القشيرى «القسرى» و أحرقه بالنّار، و الغلاة من فرق الشّيعة كأبى الخطاب و يونس بن ظبيان و يزيد الصّايغ و أضرابهم جملة من الحديث ليفسدوا بها الاسلام و يبصروا به مذهبهم.

روى العقيلى عن حمّاد بن يزيد قال: وضعت الزّنادقة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

أربعة عشر ألف حديث.

و روى عن أبى عبد اللّه «عبد اللّه خ ل» بن يزيد المقرى أنّ رجلا من الخوارج رجع عن مذهبه فجعل يقول: انظروا هذا الحديث عمّن تأخذونه كنّا إذا رأينا رأيا جعلنا له حديثا.

ثمّ نهض جهابذة النقّاد - جمع جهبذ و هو النّاقد البصير - يكشف عوارها - بفتح العين و ضمّها و الفتح أشهر و هو العيب - و محوا عارها، فللّه الحمد حتّى قال بعض العلماء: ما ستر اللّه أحدا يكذب فى الحديث.

و قد ذهب الكراميّة - بكسر الكاف و تخفيف الرّاء و بفتح الكاف و تشديد الرّاء على اختلاف نقل الضّابطين لذلک - و هم الطايفة المنتسبون بمذهبهم إلى محمّد ابن كرام و بعض المبتدعة من المتصوّفة إلى جواز وضع الحديث للترغيب و الترهيب للنّاس و ترغيبا فى الطاعة و زجرا لهم عن المعصية.

و استذلّوا بما روى فى بعض طرق الحديث من كذب علىّ متعمّدا ليضلّ به النّاس فليتبوّء مقعده من النّار، و هذه الزّيادة قد أبطلها نقلة الحديث و حمل بعضهم من كذب علىّ متعمّدا، على من قال: إنّه ساحر أو مجنون، حتّى قال بعض المخذولين إنّما قال من كذب علىّ، و نحن نكذّب له و نقوّى شرعه نسأل اللّه السّلامة من الخذلان.

و حكى القرطبى فى المفهّم عن بعض أهل الرّأى: إنّ ما وافق القياس الجلى جاز أن يعزى إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ثمّ المروىّ تارة يخترعه الواضع، و تارة يأخذ كلام غيره كبعض السلف الصّالح و قدماء الحكماء و الاسرائيليّات، أو يأخذ حديثا ضعيف الاسناد فيركّب له اسنادا صحيحا ليروّج.

و قد صنّف جماعة من العلماء كتبا فى بيان الموضوعات.

و للصّغانى الفاضل الحسين بن محمّد فى ذلک كتاب الدّر الملتقط فى تبيّن الغلط جيّد فى هذا الباب و لغيره كأبى الفرج ابن الجوزى دونه فى الجودة، لأنّ كتاب

ابن الجوزی ذکر فیه کثیر من الأحـادیث الّتی ادّعی وضـعها لاـ دلیل علی کونها موضوعـة و الحاقها بالضـعیف أولی و بعضـها قـد یلتحق بالصحیح و الحسن عند أهل النّقد، بخلاف کتاب الصّغانی فانّه تامّ فی هذا المعنی یشتمل علی انصاف کثیر

الثانی

اعلم أنّ اکثر أخبار الموضوعة قد وضـعت فی زمن بنی امیّة لعنهم اللّه قاطبة کما ظهر لک تفصـیل ذلک فی شرح الکلام السّابع و التّسعین ممّا رویناه من البحار من کتاب سلیم بن قیس الهلالی و نضیف إلیه ما ذکره و نقله الشّارح المعتزلی هنا لاشتماله علی زیادة لم یتقدّم ذکرها مع کونه مؤیّدا لما قدّمنا فأقول:

قال الشّارح بعد ما ذکر أنّه خالط الحدیث کذب کثیر صدر عن قوم غیر صـحیحی العقیدة قصدوا به الاضـلال و تخلیط القلوب و العقائد، و قصد به بعضهم التنویه بذکر قوم کان لهم فی التنویه بذکرهم غرض دنیویّ ما صریح عبارته:

و قد قیل إنّه افتعل فی أیّام معاویة خاصّة حدیث کثیر علی هذا الوجه، و لم یسکت المحدّثون الرّاسخون فی علم الحدیث عن هذا بل ذکروا کثیرا من هـذه الأحادیث الموضوعـة و بیّنوا وضـعها و أنّ رواتها غیر موثق بهم إلاّ أنّ المحـدّثین إنّما یطعنون فیما دون طبقة الصّـحابة و لا یتجاسـرون علی الطّعن فی أحد من الصّـحابة لأنّ علیه لفظ الصـحبة علی أنهم قد طعنوا فی قوم لهم الصـحبة کثیر «کبسـر ظ» بن ارطاة و غیره.

فان قلت: من أئمة الضلال(1) الذین تقرّب إلیهم المنافقون الذین رأوا رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و صحبوه بالزّور و البهتان، و هل هذا إلاّ تصـریح بما تذکره الامامیة و تعتقده؟ قلت: لیس الأمر کما ظننت و ظنّوا، و إنما یعنی معاویة و عمرو بن العاص و من شایعهما علی الضلال.

کالخبر رواه من رواه فی حقّ معاویة: اللّهمّ قه العذاب و الحساب و علّمه الکتاب

1- (1) - أراد بهم ما تقدم ذکرهم فی المتن، منه.

و كروايـة عمر و بن العاص تقرّبا إلى قلب معاويـة: إنّ آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء و إنّما وليّى اللّه و صالـح المؤمنين و كرواية قوم فى أيام معاويـة أخبـارا كثيرة من فضايل عثمان تقرّبا إلى معاويـة بها و لسـنا نجحـد فضل عثمان و سابقته، و لكنا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع كخبر عمرو بن مرّة فيه و هو مشهور و عمرو بن مرّة ممنّ له صحبة و هو شامىّ.

و ليس يجب من قولنـا إنّ بعض الأخبار الواردة فى حقّ شـخص فاضل مفتعلـة أن تكون قادحـة فى فضل ذلک الفاضل، فانّا مع اعتقادنا أنّ عليّا عليه السّلام أفضل النّاس نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة فى فضايله مفتعل و مختلق.

و قد روى أنّ أبا جعفر محمّد بن علىّ الباقر عليهما السّلام قال لبعض أصحابه:

يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايّانا و تظاهرهم علينا و ما لقى شـيعتنا و محبّونا من الناس، إنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبض و قـد أخبر أنّا أولى الناس بالناس، فتمالئت علينا قريش حتى اخرجت الأمر عن معـدنه، و احتجّت على الأنصار بحقّنا و حجّتنا، ثمّ تـداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا و نصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الأمر فى صعود كئود حتّى قتل.

فبويع الحسن عليه السّلام ابنه عوهـد ثمّ غـدر به و اسـلم و وثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر فى جنبه، و انتهب عسـكره و عولجت خلاخيل امهات أولاده فوادع معاوية و حقن دمه و دماء أهل بيته و هم قليل حق قليل.

ثمّ بايع الحسين عليه السّلام من أهل العراق عشرون ألفا ثمّ غدر به و خرجوا عليه و بيعته فى أعناقهم.

ثمّ لم تزل أهـل البيت تسـتذلّ و تسـتضام و نقصـى و نمتحن و نحرم و نقتـل و نخاف و لا نأمن على دمائنا و دماء أوليائنا و وجـد الكاذبون الجاحدون لكذبهم و جحودهم موضعا

يتقرّبون به إلى أوليـائهم، و قضـاة السوء و عمـال السوء فى كـلّ بلـدة، فحـدّثوهم بالأحـاديث الموضوعـة المكذوبـة، و رو واعنا ما لم نقله ليبغضونا إلى الناس.

و كان عظم ذلک و كبره زمن معاويـة بعد موت الحسن عليه السّلام فقتلت شـيعتنا بكلّ بلدة، و قطعت الأيدى و الأرجل على الظنة و كان من يذكر بحبّنا و الانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره.

ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ و يزداد إلى زمان عبيد اللّه بن زياد لعنه اللّه قاتل الحسين عليه السّلام.

ثمّ جاء الحجّاج فقتلهم كلّ قتلـة و أخـذهم بكلّ ظنّـة و تهمة حتّى أنّ الرّجل ليقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال شـيعة علىّ عليه السّلام، و حتّى صار الرّجل الّذى يذكر بالخير و لعلّه ورعا صدوقا يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة و لم يخلق اللّه تعالى شـيئا منها و لا كانت و لا وقعت و هو يحسب أنّها حقّ لكثرة من قد رواها ممّن لم يعرف بكذب و لا بقلّة ورع و روى أبو الحسن علىّ بن محمّد بن أبى سـيف المـداينى فى كتاب الأحداث قال كتب معاوية نسـخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة أن برئت الذّمة ممّن روى شيئا فى فضل أبى تراب و أهل بيته.

فقامت الخطباء فى كلّ كورة و على كلّ منبر يلعنون عليّا عليه السّلام و يبرءون منه و يقعون فيه و فى أهل بيته، و كان أشدّ الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شـيعة علىّ عليه السّلام، فاسـتعمل عليهم زياد بن سـميّة و ضمّ إليه البصرة فكان يتّبع الشيعة و هو بهم عارف لأنّه كـان منهم أيّام علىّ عليه السّلام فقتلهم تحت كلّ حجر و مـدر، و أخافهم و قطع الأيـدى و الأرجل و سـمل العيون و صـلبهم على جذوع النخل و طردهم و شردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

و كتب معاوية لعنه اللّه إلى عمّا له فى جميع الافاق: لا يجيزوا لأحد من شيعة علىّ و أهل بيته شهادة.

و كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبّيه و أهل ولايته و الّذين يروون فضايله و مناقبه فادنوا مجالسهم و قرّبوهم و أكرموهم و اكتبوا إليّ بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم و اسمه و اسم أبيه و عشيرته.

ففعلوا حتّى أكثروا فى فضايل عثمان و مناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلاة و الكساء و الحباء و القطايع و يفيضه فى العرب منهم و الموالى و كثر ذلک فى كلّ مصر و تنافسوا فى المنازل و الدّنيا، فليس يجزى مردود من الناس عاملا من عمّال معاوية فيروى فى عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه و قرّبه و شفّعه فلبثوا بذلک حينا.

ثمّ كتب إلى عمّاله: أنّ الحديث فى عثمان قد كثر و فشا فى كلّ مصر و فى كلّ وجه و ناحية، فاذا جائكم كتابى هذا فادعوا الناس إلى الرّواية فى فضايل الصحابة و الخلفاء الأوّلين و لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلاّ و أتونى بمناقض له فى الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها و جدّ الناس فى رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشاروا يذكروا ذلک على المنابر، و ألقى إلى معلّمى الكتّاب فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلک الكثير الواسع حتّى رووه و تعلّموه كما يتعلّمون القرآن و حتّى علّموه بناتهم و خدمهم و حشمهم فلبثوا بذلک ما شاء اللّه.

ثمّ كتب نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا من أقامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليا و أهل بيته فامحوه من الدّيوان، و اسقطوا عطاءه و رزقه.

و شفّع ذلک بنسخة اخرى: من اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به و اهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشدّ و لا أكثر منه بالعراق و لا سيّما بالكوفة حتّى أنّ الرجل من شيعة علىّ عليه السّلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سرّه و يخاف من خادمه و مملوكه و لا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الايمان الغليظة ليكتمنّ عليه.

فظهر حديث كثير موضوع و بهتان منتشر، و مضى على ذلک الفقهاء و القضاة

و الولاة، و كان أعظم الناس فى ذلک بليّة القرّاء المراءون، و المتصنّعون الّذين يظهرون الخشوع و النّسک، فيفتعلون ذلک ليحظوا بذلک عند ولاتهم و يقرّبوا مجالسهم و يصيبوا به الأموال و الضياع و المنازل.

حتّى انتقلت تلک الأخبار و الأحاديث إلى أيدى الديانين الذين لا يستحلّون الكذب و البهتان، فقبلوها و رووها و هم يظنّون أنّها حقّ، و لو علموا أنها باطلة لما رووها و لا تديّنوا.

فلم يزل الأمر كذلک حتّى مات الحسن بن علىّ عليه السّلام، فازداد البلاء و الفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ و هو خائف على دمه أو طريد فى الأرض.

ثمّ تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه الصلاة و السلام و ولى عبد الملک بن مروان فاشتدّ على الشيعة.

و ولّى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرّب إليه أهل النّسک و الصلاح و الدّين ببغض علىّ عليه السّلام و موالاة أعدائه و موالاة من يدعى قوم من الناس أنّهم أيضا أعداؤه فاكثروا فى الرّواية فى فضلهم و سوابقهم و مناقبهم، و أكثروا من الغضّ من علىّ عليه السّلام و عيبه و الطعن فيه و الشنان له.

حتّى أنّ إنسانا وقف للحجاج و يقال جدّ الأصمعى عبد الملک بن قريب فصاح به أيّها الأمير إنّ أهلى عقّونى فسمّونى عليا، و إنّى فقير بائس و أنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحک له الحجاج و قال: للطف ما توسّلت به قد وليتک موضع كذا.

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدّثين و أعلامهم فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر، و قال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيّام بنى اميّة تقرّبا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنف بنى هاشم.

ثمّ قال الشارح بعد جملة من الكلام:

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضايل كان من جهة الشيعة: فانّهم

وضعوا فی مبدء الأمر أحادیث کذا مختلقة فی صاحبهم حملهم علی وضعها عداوة خصومهم.

نحو حدیث السطل، و حدیث الرّمانة، و حدیث غزوة البئر التی کان فیها الشیاطین و یعرف کما زعموا بذات العلم، و حدیث غسل سلمان الفارسی و طیّ الأرض، و حدیث الجمجمة و نحو ذلک.

فلمّا رأت البکریّة ما صنعت الشیعة وضعت لصاحبها أحادیث فی مقابلة هذه الأحادیث.

نحو لو کنت متّخذا خلیلا، فانّهم وضعوه فی مقابلة حدیث الاخاء.

و نحو سدّ الأبواب فانّه کان لعلیّ علیه السّلام فقلّبته البکریّة إلی أبی بکر.

و نحو ایتونی بدواة و بیاض اکتب فیه لأبی بکر کتابا لا یختلف علیه اثنان ثمّ قال: یأبی اللّه و المسلمون إلاّ أبا بکر.

فانّهم وضعوه فی مقابلة الحدیث المرویّ عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مرضه: ایتونی بدواة و بیاض أکتب لکم ما لا تضلّون بعده أبدا، فاختلفوا عنده و قال قوم منهم: لقد غلبه الوجع حسبنا کتاب اللّه.

و نحو حدیث أنا راض عنک فهل أنت عنّی راض و نحو ذلک.

فلمّا رأت الشیعة ما و قد وضعت البکریّة أوسعوا فی وضع الأحادیث.

فوضعوا حدیث الطوق الحدید الّذی زعموا أنه قتله فی عنق خالد.

و حدیث اللّوح الذی زعموا أنّه کان فی غدائر الحنفیة أمّ محمّد و حدیث: لا یفعل خالد ما امر به.

و حدیث الصحیفة علّقت عام الفتح بالکعبة.

و حدیث الشیخ الّذی صعد المنبر یوم بویع أبو بکر فسبق الناس إلی بیعته و أحادیث مکذوبة کثیرة تقتضی نفاق قوم من أکابر الصحابة و التابعین الأوّلین و کفرهم و علی أدون الطبقات فسقهم.

فقابلتهم البکریّة بمطاعن کثیرة فی علیّ و فی ولدیه، و نسبوه تارة إلی ضعف

العقل، و تارة إلى ضعف السياسة، و تارة إلى حب الدّنيا و الحرص عليها، و لقد كان الفريقان فى غنية عمّا اكتسباه و اجترحاه.

أقول: و لقد أجاد الشارح فيما نقل و أفاد إلاّ أنّ ما قاله أخيرا فى ذيل قوله:

و اعلم أنّ أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل إلى آخر كلامه غير خال من الوهم و الخبط.

و ذلک أنّا لا ننكر صدور بعض المفتريات و الأحاديث الموضوعة من غلاة الشيعة و جهّالهم و ممّا لا مبالاة له فى الدّين كما صدر أكثر كثير من هذه من علماء العامّة و جهّالهم و أكابرهم و أصاغرهم حسبما تعرفه فى التّنبيه الاتى إنشاء اللّه تعالى.

لكن الأحاديث الخاصيّة التى أشار إليها بخصوصها من حديث السطل و الرمانة و غزوة الجنّ و غسل سلمان و الجمجمة و حديث الطوق و اللوح و الصحيفة الملعونة و الشيخ الّذى سبق إلى بيعة أبى بكر لا دليل على وضع شىء منها، بل قد روى بعضها المخالف و الموافق جميعا كحديث السطل.

فقد رواه السيد المحدّث الناقد البصير السيّد هاشم البحرانى فى كتاب غاية المرام فى الباب السابع و التسعين منه بأربعة طرق من طرق العامّة، و فى الباب الثامن و التسعين منه بأربعة طرق من طرق الخاصّة.

و قد روى حديث الرّمانة أيضا فى الباب السابع عشر و مأئة منه بطريق واحد من طرق العامة، و فى الباب الذى يتلوه بطريق واحد أيضا من طرق الخاصة.

و أمّا حديث غزوة الجنّ فقد مضى روايته فى شرح الفصل الثامن من الخطبة المأة و الاحدى و التسعين، و قد رواه الشيخ المفيد «قد» فى الارشاد بنحو آخر.

و لعلّ زعم الشارح وضعه مبنىّ على اصول المعتزلة و لقد أبطله المفيد فى الارشاد فانّه بعد ما قال فى عداد ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و من ذلک ما تظاهر به الخبر من بعثه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى وادى

الجنّ و قد أخبره جبرئيل عليه السّلام أنّ طوايف منهم قد اجتمعوا لكيده فاغنى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كفى اللّه المؤمنين به كيدهم و دفعهم عن المسلمين بقوّته الّتى بان بها عن جماعتهم ثمّ روى الحديث عن محمّد بن أبى السرى التميمى عن أحمد بن الفرج عن الحسن بن موسى النّهدى عن أبيه عن وبرة بن الحرث عن ابن عباس و ساق الحديث إلى آخره قال بعد روايته ما هذا لفظه:

و هذا الحديث قد روته العامّة كما روته الخاصة، و لم يتناكروا شيئا منه و المعتزلة لميلها إلى مذهب البراهمة تدفعه و لبعدها عن معرفة الأخبار تنكره و هى سالكة فى ذلک طريق الزّنادقة فيما طعنت به فى القرآن و ما تضمنه من أخبار الجنّ و ايمانهم باللّه و رسوله و ما قصّ اللّه من نبائهم فى القرآن فى سورة الجنّ و قولهم «إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّا بِهِ » إلى آخر ما تضمّنه الخبر عنهم فى هذه السّورة و إذا بطل اعتراض الزّنادقة فى ذلک بتجويز العقول وجود الجنّ و إمكان تكليفهم و ثبوت ذلک مع إعجاز القرآن و الاعجوبة الباهرة فيه كان مثل ذلک ظهور بطلان طعون المعتزلة فى الخبر الّذى رويناه، لعدم استحالة مضمونه فى العقول و فى مجيئه من طريقين مختلفين و برواية فريقين فى دلالته متباينين برهان صحّته و ليس إنكار من عدل عن الانصاف فى النّظر من المعتزلة و المجبّرة قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه.

كما أنّه ليس فى جحد الملاحدة و أصناف الزنادقة و اليهود و النّصارى و المجوس و الصابئين ما جاء صحّته من الأخبار بمعجزات النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كانشقاق القمر و حنين الجذع و تسبيح الحصى فى كفّه و شكوى البعير و كلام الذّراع و مجيئ الشّجرة و خروج الماء من بين أصابعه فى الميضاة و إطعام الخلق الكثير من الطعام القليل قدح فى صحّتها و صدق رواتها و ثبوت الحجّة بها.

بل الشّبهة لهم فى دفع ذلک و إن ضعفت أقوى من شبهة منكرى معجزات

أمير المؤمنين عليه السّلام و براهينه لما لا خفاء عليها و على أهل الاعتبار به مما لا حاجة إلى شرح وجوهه فى هذا المكان.

ثمّ قال قدّس اللّه روحه بعد جملة من الكلام:

و لا زال أجد الجاهل من الناصبة و المعاند يظهر التعجّب من الخبر بملاقات أمير المؤمنين عليه السّلام الجنّ و كفّه شرّهم عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه و يتضاحک لذلک و ينسب الرّواية له إلى الخرافات الباطلة، و يضع مثل ذلک فى الأخبار الواردة بسوى ذلک من معجزاته عليه السّلام و يقول: إنه من موضوعات الشيعة و تخرّص من افتراه منهم للتكسب بذلک أو التعصّب.

و هذا بعينه مقال الزّنادقة كافّة و أعداء الاسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجنّ و إسلامهم فى قوله تعالى «إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ » و فيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود فى قصّة ليلة الجنّ و مشاهدته لهم كالزّط، و فى غير ذلک من معجزات الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و أنّهم يظهرون التعجّب من جميع ذلک و يتضاحكون عند سماع الخبر به و الاحتجاج بصحّته و يستهزؤن و يلغطون(1) فيما يسرفون به من سبّ الاسلام و أهله و استحماق معتقديه و الناصرين له و نسبتهم إيّاهم إلى العجز و الجهل، و وضع الأباطيل.

فلينظر القوم ما جنوه على الاسلام بعداوتهم لأمير المؤمنين عليه السّلام و اعتمادهم فى دفع فضايله و مناقبه و آياته على ما ضاهوا به أصناف الزّنادقة و الكفّار ممّا يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب و المسافهات، انتهى كلامه رفع مقامه.

و بذلک كلّه ظهر أيضا فساد زعم وضع حديث بيعة الشيّطان لأبى بكر و ظهوره بصورة شيخ و صعوده المنبر و سبقته إلى البيعة حسبما عرفت روايته تفصيلا فى المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقيّة.

إذ الظاهر أنّ زعم وضعه أيضا مبنىّ على استبعاد ظهوره بصورة إنسان، و يدفع ذلک ما اجتمع عليه أهل القبلة من ظهوره لأهل دار النّدوة بصورة شيخ

1- (1) - لغط فى الكلام قال ما لا يفهم معناه، منه.

من أهل نجد و اجتماعه معهم فی الرّأی علی المکر برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ظهوره یوم بدر للمشرکین فی صورة سراقة بن جعثم «جعشم» المدلجی و قوله «لا غالب لکم الیوم من النّاس و إنّی جار لکم» قال اللّه عزّ و جلّ «فلمّا تراءت الفئتان نکص علی عقبیه و قال إنّی بریء منکم إنی أری ما لا ـ ترون إنّی أخاف اللّه و اللّه شدید العقاب» و أما ساير الأحادیث فلا استبعاد بشیء منها حتی یزعم وضعها، و قد أتی آصف ابن برخیا الذی عنده علم من الکتاب بعرش بلقیس بطیّ الأرض من مکان بعید فی طرفة عین فکیف یستبعد فی حقّ أمیر المؤمنین علیه السّلام الذی عنده علم الکتاب کلّه حسبما عرفت فی غیر موضع من تضاعیف الشرح حضوره علیه السّلام بطیّ الأرض عند جنازة سلمان مع اختصاصه الخاصّ به علیه السّلام و فوزه درجة السلمان منّا أهل البیت.

و قد قال علیه السّلام و هو أصدق القائلین فی حال حیاته ما رواه عنه المخالف و المؤالف:

یا حار همدان من یمت یرنی من مؤمن أو منافق قبلا

و بالجملة فالأخبار المذکورة لیس علی وضعها دلیل من جهة العقل، و لا من جهة النقل فدعواه مکابرة محضة، فباللّه التوفیق و علیه التکلان(1).

المجلد السابع من منهاج البراعة فی شرح نهج البلاغة

الثالث

فی جملة من الأخبار الموضوعة فأقول:

أما الأخبار الخاصیة

فقد دسّ فیها بعض الأخبار الموضوعة وضعها الغلاة و المغیریّة و الخطابیّة و الصّوفیة و أمثالهم من أهل الفساد فی العمل و الاعتقاد، و من ذلک اهتمّ علماؤنا الأخیار غایة الاهتمام بحفظ الأخبار و ضبطها و نقدها و تمیز غثّها من سمینها و صحیحها

1- (1) - هنا آخر المجلّد السادس علی ما فی الطبعة الأولی.

من سقيمها، و قسّموها إلى الصحيح و الموثّق و الحسن و الضّعيف، و صنّفوا كتبا فى علم الدّراية و علم الرّجال، و قد أشير إلى ما ذكرنا فى مؤلفات أصحابنا و أخبار أئمّتنا سلام اللّه عليهم.

و ارشدک إلى بعض ما رواه فى البحار من رجال الكشى عن محمّد بن قولويه و الحسين بن الحسن بن بندار معا عن سعد عن اليقطينى عن يونس بن عبد الرّحمن انّ بعض أصحابنا سأله و أنا حاضر فقال له: يا با محمّد ما أشدّک فى الحديث و أكثر إنكارک لما يرويه أصحابنا، فما الّذى يحملک على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدّثنى هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: لا تقبلوا علينا حديثا إلاّ ما وافق القرآن و السنّة أو تجدون معه شاهدا من أحاديثنا المتقدّمة، فانّ المغيرة بن سعيد لعنه اللّه دسّ فى كتب أصحاب أبى أحاديث لم يحدّث بها أبى فاتّقوا اللّه و لا تقبلوا علينا ما خالف قول ربّنا تعالى و سنّة نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فانا إذا حدّثنا قلنا: قال اللّه عزّ و جلّ، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبى جعفر عليه السّلام و وجدت أصحاب أبى عبد اللّه عليه السّلام متوافرين، فسمعت منهم و أخذت كتبهم فعرضتها بعد على أبى الحسن الرّضا عليه السّلام فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبى عبد اللّه عليه السّلام، و قال لى: إنّ أبا الخطاب كذب على أبى عبد اللّه عليه السّلام فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فانّا إن حدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن و موافقة السنّة إنّا عن اللّه تعالى و عن رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نحدّث، و لا نقول قال فلان و فلان فيتناقض كلامنا إنّ كلام آخرنا مثل كلام أوّلنا و كلام أوّلنا مصداق لكلام آخرنا، و إذا أتاكم من يحدّثكم بخلاف ذلک فردّوه عليه و قولوا أنت أعلم و ما جئت به، فانّ مع كلّ قول منّا حقيقة و عليه نور، فما لا حقيقة معه و لا نور عليه فذلک قول الشيّطان.

و فى البحار أيضا عن الكشى بهذا الاسناد عن يونس عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: كان المغيرة بن سعيد يتعمّد الكذب على أبى و يأخذ كتب أصحابه، و كان أصحابه المستترون بأصحاب أبى يأخذون الكتب من أصحاب أبى فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدسّ فيها الكفر و الزّندقة و يسندها إلى أبى

ثمّ يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبثّوها فى الشّيعة، فكلّما كان فى كتب أصحاب أبى من الغلوّ فذاک مما دسّه المغيرة بن سعيد فى كتبهم.

و فيه أيضا عن الكشّى باسناده عن زرارة قال: قال يعنى أبا عبد اللّه عليه السّلام:

إنّ أهل الكوفة نزل فيهم كذّاب، أمّا المغيرة فانّه يكذب على أبى يعنى أبا جعفر قال: حدّثه أنّ نساء آل محمّد إذا حضن قضين الصّلاة، و ان و اللّه عليه لعنة اللّه ما كان من ذلک شىء و لا حدّثه، و أمّا أبو الخطاب فكذب علىّ و قال: إنّى أمرته أن لا يصلّى هو و أصحابه المغرب حتّى يروا كواكب كذا، فقال القندانى: و اللّه إن ذلک لكوكب لا نعرفه.

و أما الاخبار العامية

فالموضوعة فيها أكثر من أن تحصى، و قد تقدّم الاشارة إلى بعضها فى التنبيهات السابقة من الشهيد و الشّارح المعتزلى و سبق بعضها فى شرح الكلام السّابق، و وقعت الاشارة إلى جملة منها فيما رواه فى الاحتجاج.

قال: و روى أنّ المأمون بعد ما زوّج ابنته أمّ الفضل أبا جعفر عليه السّلام كان فى مجلس و عنده أبو جعفر عليه السّلام و يحيى بن اكثم و جماعة كثيرة.

فقال له يحيى بن اكثم: ما تقول يا ابن رسول اللّه فى الخبر الّذى روى أنّه نزل جبرئيل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: يا محمّد إنّ اللّه يقرؤک السلام و يقول لک: سل أبا بكر هل هو عنّى راض فانّى راض عنه.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: إنّى لست بمنكر فضل أبى بكر و لكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذه مثل الخبر الّذى قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حجّة الوداع: قد كثرت علىّ الكذّابة و استكثر فمن كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النار، فاذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب اللّه و سنّتى فما وافق كتاب اللّه و سنّتى فخذوا به، و ما خالف كتاب اللّه و سنّتى فلا تأخذوا به، و ليس يوافق هذا الحديث كتاب اللّه قال اللّه تعالى: «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » فاللّه تعالى خفى عليه رضا أبى بكر من سخطه حتّى سأل عن مكنون

سره هذا مستحيل فى العقول.

ثمّ قال يحيى بن اكثم: و قد روى أنّ مثل أبى بكر و عمر فى الأرض كمثل جبرئيل و ميكائيل فى السماء.

فقال عليه السّلام: و هذا أيضا يجب أن ينظر فيه، لأنّ جبرئيل و ميكائيل ملكان مقرّبان لم يعصيا اللّه قطّ و لم يفارقا طاعته لحظة واحدة، و هما قد أشركا باللّه عزّ و جلّ و إن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيامهما الشرك باللّه فمحال أن يشبها بهما.

قال يحيى: و روى أيضا إنّهما سيّدا كهول أهل الجنة فما تقول فيه؟ فقال عليه السّلام: و هذا الخبر محال أيضا، لأنّ أهل الجنة كلّهم يكونون شابا و لا يكون فيهم كهل، و هذا الخبر وضعه بنو امية لمضادّة الخبر الّذى قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الحسن و الحسين عليهما السّلام: بأنّهما سيّدا شباب أهل الجنة فقال يحيى بن اكثم: و روى أنّ عمر سراج أهل الجنة.

فقال عليه السّلام: و هذا أيضا محال لأنّ فى الجنة ملائكة اللّه المقرّبين و آدم و محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و جميع الأنبياء و المرسلين لا تضىء بأنوار حتى تضىء بنور عمر.

فقال يحيى: و قد روى أنّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عليه السّلام: لست بمنكر فضله و لكن أبا بكر أفضل من عمر و قد قال على رأس المنبر إنّ لى شيطانا يعترينى فاذا ملت فسدّدونى.

فقال يحيى: قد روى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو لم ابعث لبعث عمر.

فقال عليه السّلام: كتاب اللّه أصدق من هذا يقول اللّه فى كتابه «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ » فقد أخذ اللّه ميثاق النّبيّين، فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه، و كلّ الأنبياء لم يشركوا باللّه طرفة عين فكيف يبعث بالنبوّة من أشرك و كان أكثر أيّامه مع الشرك باللّه، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نبئت و آدم بين الرّوح و الجسد.

فقال يحيى بن اكثم: و قد روى أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ما احتبس الوحى عنّى

قطّ إلاّ ظننته قد نزل على آل الخطاب فقال عليه السّلام: و هذا أيضا محال لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نبوّته قال اللّه تعالى «اَللّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ » فكيف يمكن أن تنتقل النبوّة ممّن اصطفاه اللّه إلى من أشرك به قال يحيى: و قد روى انّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو نزل العذاب لما نجى منه إلاّ عمر بن الخطاب.

فقال عليه السّلام: و هذا أيضا محال، لأنّ اللّه يقول «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » فأخبر اللّه تعالى أنه لا يعذّب أحدا ما دام فيهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما داموا يستغفرون اللّه تعالى.

و اشير إلى جملة اخرى أيضا فيما رواه فى البحار من عيون الأخبار عن أبيه و ابن الوليد عن محمّد العطار و احمد بن ادريس معا عن الأشعرى عن صالح بن أبى حماد الرّازى عن إسحاق بن حاتم عن إسحاق بن حماد بن زيد قال سمعنا يحيى بن اكثم القاضى قال:

أمرنى المأمون باحضار جماعة من أهل الحديث و جماعة من أهل الكلام و النظر، فجمعت له من الصنفين زهاء أربعين رجلا، ثمّ مضيت بهم فأمرتهم بالكينونة فى مجلس الحاجب لا علمه بمكانهم، ففعلوا فأعلمته فأمرنى بادخالهم ففعلت فدخلوا و سلّموا فحدّثهم ساعة و آنسهم ثمّ قال: إنّى أريد أن أجعلكم بينى و بين اللّه فى هذا اليوم حجّة فما أحد تقرّب إلى مخلوق بمعصية الخالق إلاّ سلّطه اللّه عليه فناظرونى بجميع عقولكم انّى رجل أزعم أنّ عليّا خير البشر بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فان كنت مصيبا فصوّبوا قولى، و إن كنت مخطئا فردّوا علىّ و هلمّوا فإن شئتم سألتكم و ان شئتم سألتمونى فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسأل فقال: هاتوا و قلّدوا كلامكم رجلا منكم فاذا تكلّم فان كان عند أحدكم زيادة فليزد و إن أتى بخلل فسدّدوه.

فقال قائل منهم: أمّا نحن فنزعم أنّ خير الناس بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أبو بكر

من قبل أنّ الرّواية المجمع عليها جاءت عن الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: اقتدوا باللّذين من بعدى أبى بكر و عمر، فلمّا أمر نبىّ الرّحمة بالاقتداء بهما علمنا أنّه لم يأمر إلاّ بالاقتداء بخير الناس.

فقـال المأمون: الرّوايات كثيرة و لا بـدّ من أن يكون كلّها حقا أو كلّها باطلا أو بعضـها حقّا و بعضـها باطلا، فلو كانت كلّها حقّا كانت كلّها باطلا من قبل أن بعضها ينقض بعضا، و لو كانت كلّها باطلا كان فى بطلانها بطلان الدّين و دروس الشريعة، فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضـطرار و هو أنّ بعضها حقّ و بعضها باطل فاذا كان كذلک فلابدّ من دليل على ما يحقّ منها ليعتقد و ينفى خلافه، فاذا كان دليل الخبر فى نفسه حقّا كان أولى ما أعتقد و آخذ به و روايتک هذه من الأخبار الّتى أدلّتها باطلة فى نفسـها، و ذلک إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أحكم الحكما و أولى الخلق بالصّدق و أبعد الناس من الأمر بالمحال و حمل النّاس على التّدين بالخلاف و ذلک إنّ هذين الرّجلين لا يخلو من أن يكونا متّفقين من كلّ جهة أو مختلفين، فان كانا متّفقين من كلّ جهة كانا واحدا فى العدد و الصفة و الصّورة و الجسم، و هذا معـدوم أن يكون اثنان بمعنى واحـد من كلّ جهة، و إن كانا مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما، و هذا تكليف ما لا يطاق لأنّک إذا اقتديت بواحـد خالفت الاخر، و الـدّليل على اختلافهما إنّ ابا بكر سبى أهل الرّدة و ردّهم عمر أحرارا، و أشار عمر إلى أبى بكر بعزل خالـد و بقتله بمالک بن نويرة فأبى أبو بكر عليه، و حرّم عمر المتعة و لم يفعل ذلک أبو بكر، و وضع عمر ديوان العطية و لم يفعله عمر، و استخلف أبو بكر و لم يفعل ذلک عمر، و لهذا نظاير كثيرة.

«قال الصدوق رضـى اللّه عنه فى هذا فصل لم يذكره المأمون لخصـمه و هو أنّهم لا يرووا أنّ النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: اقتدوا باللّذين من بعدى أبى بكر و عمر، و إنّما رووا أبو بكر و عمر و روى أبا بكر و عمر، فلو كانت الرّواية صـحيحة لكان معنى قوله بالنّصب اقتدوا باللّذين من بعـدى كتاب اللّه و العترة يا ابا بكر و عمر، و معنى قوله بالرّفع اقتـدوا أيّها الناس و أبو بكر و عمر باللّذين من بعدى كتاب اللّه و العترة» رجعنا إلى حديث المأمون

فقال آخر من أصحاب الحديث: فانّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو كنت متّخذا خليلا لاتّخذت أبا بكر خليلا.

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ رواياتكم أنّه عليه السّلام آخا بين أصحابه و أخّر عليّا عليه السّلام فقال له فى ذلک فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما أخّرتک إلاّ لنفسى، فأىّ الرّوايتين تثبت بطلت الأخرى.

قال آخر: إنّ عليّا عليه السّلام قال على المنبر: خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر و عمر.

قال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لو علم أنّهما أفضل ما ولى عليهما مرّة عمرو بن العاص، و مرّة اسامة بن زيد، و مما يكذب هذه الرّواية قول علىّ عليه السّلام: قبض النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا أولى بمجلسه منّى بقميصى و لكنّى أشفقت أن يرجع الناس كفارا. و قوله عليه السّلام أنّى يكونان خيرا منّى و قد عبدت اللّه عزّ و جلّ قبلهما و عبدته بعدهما.

قال آخر: فانّ أبا بكر أغلق بابه فقال هل من مستقيل فاقيله فقال علىّ عليه السّلام:

قدّمک رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فمن ذا يؤخّرک.

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أنّ عليّا عليه السّلام قعد عن بيعة أبى بكر و رويتم أنّه عليه السّلام قعد عنها حتّى قبضت فاطمة عليها السّلام و أنّها أوصت أن تدفن ليلا لئلا يشهدا جنازتها، و وجه آخر و هو أنّه إن كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم استخلفه فكيف كان له أن يستقيل و هو يقول للأنصارى: قد رضيت لكم أحد هذين الرّجلين أبا عبيدة و عمر.

قال آخر: إنّ عمرو بن العاص قال: يا رسول اللّه من أحبّ الناس إليک من النساء؟ فقال: عايشة، فقال: من الرّجال؟ فقال: أبوها.

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أنكم رويتم أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وضع بين يديه طائر مشوىّ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللّهم ائتنى بأحبّ خلقک إليک، فكان علىّ عليه السّلام فأىّ روايتكم تقبل؟! فقال آخر: فانّ عليّا عليه السّلام قال: من فضّلنى على أبى بكر جلّدته حدّ المفترى.

قال المأمون: كيف يجوز أن يقول علىّ عليه السّلام اجلد الحدّ من لا يجب عليه

الحدّ، فيكون متعدّيا لحدود اللّه عزّ و جلّ، عاملا بخلاف أمره، و ليس تفضيل من فضّله عليه السّلام عليهما فرية، و قد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليتكم و لست بخيركم فأىّ الرّجلين أصدق عندكم أبو بكر على نفسه أو علىّ عليه السّلام على أبى بكر مع تناقض الحديث فى نفسه، و لا بدّ له من قوله من أن يكون صادقا أو كاذبا، فان كان صادقا فانّى عرف ذلک بالوحى فالوحى منقطع أو بالنّظر فالنّظر متحيّر منحّت، و إن كان غير صادق فمن المحال أن يلى أمر المسلمين و يقوم بأحكامهم و يقيم حدودهم و هو كذّاب.

قال آخر: فقد جاء أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: إنّ أبا بكر و عمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال لأنّه لا يكون فى الجنّة كهل، و يروى أنّ أشجعيّة كانت عند النّبى فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا يدخل الجنّة عجوز فبكت، فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول «إِنّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً » فان زعمتم أنّ أبا بكر ينشأ شابّا إذا دخل الجنّة فقد رويتم أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال للحسن و الحسين: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين و الاخرين و أبوهما خير منهما.

قال آخر: قد جاء أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: لو لم أبعث فيكم لبعث عمر.

قال المأمون: هذا محال لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول «إِنّا أَوْحَيْنا إِلَيْکَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ » و قال عزّ و جلّ «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْکَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ «منه خ» ميثاقه على النّبوّة مبعوثا و من أخذ ميثاقه على النّبوّة مؤخّرا.

قال آخر: إنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسّم و قال: إنّ اللّه تعالى باهى بعباده عامّة و بعمر خاصّة.

فقال المأمون: فهذا مستحيل من قبل أنّ اللّه تعالى لم يكن ليباهى بعمر و يدع نبيّه عليه السّلام فيكون عمر فى الخاصّة و النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى العامّة، و ليست هذه الرّواية

بأعجب من روايتكم أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: دخلت الجنّة فسمعت خفق نعلين فاذا بلال مولى أبى بكر قد سبقنى إلى الجنّة، و إنّما قالت الشّيعة علىّ عليه السّلام خير من أبى بكر فقلتم عبد أبى بكر خير من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأنّ السابق أفضل من المسبوق، و كما رويتم أنّ الشّيطان يفرّ من حسّ عمر، و ألقى على لسان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّهنّ الغرانيق العلى ففرّ من عمر، و ألقى على لسان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بزعمكم الكفر.

قال آخر: قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لو نزل العذاب ما نجى إلاّ عمر بن الخطّاب.

قال المأمون: هذا خلاف الكتاب أيضا، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول «وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ » فجعلتم عمر مثل الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال آخر: فقد شهد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعمر بالجنّة فى عشرة من الصحابة.

فقال: لو كان هذا كما زعمت كان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتک باللّه امن المنافقين أنا، فان كان قال له: أنت من أهل الجنّة و لم يصدّقه حتّى زكاه حذيفة و صدّق حذيفة و لم يصدّق النّبى فهذا على غير الاسلام، و إن كان قد صدّق النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم سأل حذيفة؟ و هذان الخبران متناقضان فى أنفسهما.

فقال آخر: فقد قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: وضعت امّتى فى كفّة الميزان و وضعت فى اخرى فرجّحت بهم، ثمّ مكانى ابو بكر فرجح بهم، ثمّ عمر فرجح، ثمّ رفع الميزان.

فقال المأمون: هذا محال من قبل أنّه لا يخلو من أن يكون أجسامهما أو أعمالهما، فان كانت الأجسام فلا يخفى على ذى روح أنه محال، لأنّه لا يرجح أجسامها بأجسام الأمة، و إن كانت أفعالهما فلم يكن بعد فكيف يرجّح بما ليس، و خبّرونى بما يتفاضل النّاس؟ فقال بعضهم: بالأعمال الصّالحة قال: فأخبرونى فمن فضل صاحبه على عهد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ إنّ المفضول عمل بعد وفاة النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأكثر من عمل الفاضل على عهد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أ يلحق به؟ فان قلتم: نعم أوجدتكم فى عصرنا هذا من هو أكثر جهادا و حجّا و صوما و صلاة و صدقة من أحدهم.

قالوا: صدقت لا يلحق فاضل دهرنا فاضل عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

قال المأمون: فانظروا فيما رويت عن أئمّتكم الّذين أخذتم عنهم أديانكم فى فضايل علىّ عليه السّلام و قائسوا إليها ما رووا فى فضايل تمام العشرة الّذين شهدوا لهم بالجنّة فان كانت جزء من أجزاء كثيرة فالقول قولكم، و ان كانوا قد رووا فى فضايل علىّ عليه السّلام أكثر فخذوا عن أئمّتكم ما رووا و لا تعدوه.

قال: فأطرق القوم جميعا.

فقال المأمون: ما لكم سكتّم؟ قالوا: استقصينا.

أقول: هذا أنموذج من أحاديثهم الموضوعة الّتى هى خارجة عن حدّ الاحصاء

الرابع

لا ريب فى جواز نقل الحديث بالمعنى، و يدلّ عليه أخبار كثيرة.

و تفصيل القول فى ذلک على ما حقّقه المحدّث العلامة المجلسى ره أنّه إذا لم يكن المحدّث عالما بحقايق الألفاظ و مجازاتها و منطوقها و مفهومها و مقاصدها لم تجز له الرّواية بالمعنى بغير خلاف، بل يتعيّن اللّفظ الّذى سمعه إذا تحقّقه و إلاّ لم تجز له الرّواية.

و أمّا إذا كان عالما بذلک.

فقد قال طايفة من العلماء لا يجوز هى، لأنّ لكلّ تركيب معنى بحسب الوصل و الفصل و التقديم و التأخير و غير ذلک لو لم يراع ذلک لذهبت مقاصدها، بل لكلّ كلمة مع صاحبتها خاصيّة مستقلّة كالتخصيص و الاهتمام و غيرهما، و كذا الألفاظ المشتركة و المترادفة، و لو وضع كلّ موضع الاخر لفات المعنى المقصود، و من ثمّ قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: نضر اللّه عبدا سمع مقالتى و حفظها و وعاها و أدّاها فرّب حامل فقه غير فقيه و ربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه. و كفى هذا الحديث شاهدا

بصدق ذلک.

و اکثر الأصحاب جوّزوا ذلک مطلقا مع حصول الشرائط المذکورة، و قالوا کلّما ذکرتم خارج عن موضوع البحث لأنّها إنّما جوّزنا لمن یفهم الألفاظ و یعرف خواصّها و مقاصدها و یعلم عدم اختلال المراد بها فیما أدّاه.

و قد ذهب جمهور السّلف و الخلف من الطوایف کلّها إلی جواز الرّوایة بالمعنی إذا قطع بأداء المعنی بعینه، لأنّه من المعلوم أنّ الصّحابة و أصحاب الأئمّة علیهم السّلام لم یکونوا یکتبون الأحادیث عند سماعها، و یبعد بل یستحیل عادة حفظهم جمیع الألفاظ علی ما هی علیه، و قد سمعوها مرّة واحدة خصوصا فی الأحادیث الطویلة مع تطاول الأزمنة و لهذا کثیرا ما یروی عنهم المعنی الواحد بألفاظ مختلفة و لم ینکر ذلک علیهم و لا یبقی لمن تتبّع الأخبار فی هذا شبهة و یدل علیه أیضا ما رواه الکلینی عن محمّد بن یحیی عن محمّد بن الحسین عن ابن أبی عمیر عن ابن اذینة عن محمّد بن مسلم قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: أسمع الحدیث منک فازید و أنقص؟ فقال علیه السّلام: إن کنت ترید معانیه فلا بأس.

نعم لا مریة فی أنّ روایته بلفظه أولی علی کلّ حال لا سیّما فی هذه الأزمان لبعد العهد و فوت القراین و تغیّر المصطلحات.

و قد روی الکلینی عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن منصور بن یونس عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: قول اللّه جلّ ثناؤه «اَلَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » قال: هو الرّجل یسمع الحدیث فیحدّث به کما سمعه لا یزید فیه و لا ینقص

تذنیب

قال بعض الأفاضل: نقل المعنی إنّما جوّزوه فی غیر المصنّفات، أمّا المصنّفات فقد قال أکثر الأصحاب: لا یجوز حکایتها و لا نقلها بالمعنی و لا تغییر شیء منها علی ما هو المتعارف

تکملة

هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام مرویّ فی البحار من خصال الصّدوق «قد» عن

أبيه عن عليّ عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليمانى و عمر بن اذينة عن أبان بن أبى عيّاش عن سليم بن قيس الهلالى قال:

قلت لأمير المؤمنين عليه السّلام: يا أمير المؤمنين إنّى سمعت من سلمان و المقداد و أبى ذر شيئا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم غير ما فى أيدى الناس ثمّ سمعت منک تصديق ما سمعت منهم و رأيت فى أيدى الناس شيئا كثيرا من تفسير القرآن و أحاديث عن نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنتم تخالفونهم فيها و تزعمون أنّ ذلک كلّه باطل أفترى النّاس يكذبون على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم معتمدين و يفسّرون القرآن بارائهم؟ قال: فأقبل علىّ عليه السّلام علىّ فقال: قد سألت فافهم الجواب: إنّ فى أيدى النّاس حقا و باطلا و صدقا و كذبا و ناسخا و منسوخا و عامّا و خاصّا و محكما و متشابها و حفظا و وهما، و قد كذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عهده حتّى قام خطيبا فقال:

أيّها النّاس قد كثرت علىّ الكذّابة فمن كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار، ثمّ كذب عليه من بعده.

إنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

رجل منافق يظهر الإيمان متصنّع بالاسلام لا يتأثّم و لا يتحرّج أن يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم متعمّدا، فلو علم النّاس أنّه منافق كذّاب لم يقبلوا منه و لم يصدّقوه، و لكنّهم قالوا هذا قد صحب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رآه و سمع منه، فأخذوا منه و هم لا يعرفون حاله، و قد أخبر اللّه عزّ و جلّ عن المنافقين بما أخبره و وصفهم بما وصفهم فقال عزّ و جلّ «وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ » ثمّ بقوا بعده فتقرّبوا إلى أئمّة الضلالة و الدّعاة إلى النّار بالزور و الكذب و البهتان، فولّوهم الأعمال و ولّوهم على رقاب النّاس و أكلوا بهم الدّنيا و إنّما النّاس مع الملوک و الدّنيا إلاّ من عصم اللّه، فهذا أحد الأربعة.

و رجل سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا لم يحفظه على وجهه و وهم فيه و لم يتعمّد كذبا، فهو فى يده يقول به و يعمل به و يرويه و يقول: أنا سمعته من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلو علم المسلمون أنّه و هم لم يقبلوه، و لو علم هو أنّه و هم لرفضه.

و رجل ثالث سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شيئا أمر به ثمّ نهى عنه و هو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به و هو لا يعلم، فحفظ منسوخه و لم يحفظ النّاسخ، فلو علم أنّه منسوخ لرفضه، و لو علم المسلمون أنّه منسوخ لرفضوه.

و آخر رابع لم يكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مبغض للكذب خوفا من اللّه عزّ و جلّ و تعظيما لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لم يسه بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه و لم ينقص منه، و علم النّاسخ من المنسوخ فعمل بالنّاسخ و رفض المنسوخ.

و إنّ أمر النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مثل القرآن ناسخ و منسوخ و خاصّ و عامّ و محكم و متشابه، و قد كان يكون من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الكلام له وجهان: كلام عامّ و كلام خاصّ، و قال اللّه عزّ و جلّ فى كتابه «ما آتيكم الرّسول فخذوه و ما نهيكم عنه فانتهوا» فيشتبه على من لم يعرف و لم يدر ما عنى اللّه به و رسوله، و ليس كلّ أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسأله عن الشيء فيفهم كان منهم من يسأله و لا يستفهم، حتّى كانوا ليحبّون أن يجيء الاعرابى الطّارئ، فيسأل رسوله اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى يسمعوا و كنت أدخل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّ يوم دخلة فيخلينى فيها أدور معه حيثما دار، و قد علم أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه لم يصنع ذلک بأحد من النّاس غيرى، و ربّما كان ذلک فى شيء يأتينى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أكثر ذلک فى بيتى و كنت إذا دخلت عليه بعض منازله أخلانى و أقام عنّى نساءه فلا يبقى عنده غيرى، و إذا أتانى للخلوة معى فى بيتى لم تقم عنه فاطمة و لا أحد من بنىّ و كنت إذا سألته أجابنى، و إذا سكتّ عنه و فنيت مسائلى ابتدأنى.

فما نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم آية من القرآن إلاّ أقرأنيها و أملاها علىّ فكتبتها بخطّى و علّمنى تأويلها و تفسيرها و ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابهها و خاصّها و عامّها، و دعا اللّه لى أن يعطينى فهمها و حفظها، فما نسيت آية من كتاب اللّه و لا علما أملاه علىّ و كتبته منذ دعا اللّه لى بما دعاه.

و ما ترک شيئا علمه اللّه من حلال و لا حرام أمر و لا نهى كان أو يكون و لا كتاب

منزل على أحـد قبله فى أمر بطاعة أو نهى عن معصـية إلاّ علّمنيه و حفظنيه «حفظته» فلم أنس حرفا واحدا، ثمّ وضع يده على صدرى و دعا اللّه لى أن يملاـء قلبى علمـا و فهمـا و حكما و نورا، فقلت: يا نبىّ اللّه بأبى أنت و أمّى إنّى منـذ دعوت اللّه عزّ و جلّ لى بما دعوت لم أنس شيئا و لم يفتنى شىء لم أكتبه أفتتخوّف علىّ النّسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أخاف عليک النّسيان و لا الجهل.

و رواه فى الكافى أيضا عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسـى عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن أبان بن أبى عيّاش عن سليم بن قيس مثله.

و رواه فى البحـار أيضا من كتاب الغيبـة للنعمانى عن ابن عقـدة و محمّـد بن همام و عبـد العزيز و عبـد الواحـد ابنا عبـد اللّه بن يونس عن رجالهم عن عبد الرّزاق و همام عن معمّر بن راشد عن أبان بن أبى عيّاش عن سليم مثله.

و رواه فى الاحتجاج عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال:

خطب أمير المؤمنين عليه السّـلام فقال: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: كيف أنتم إذا البستم الفتنة ينشؤ فيها الوليد، و يهرم فيها الكبير، و يجرى الناس عليها حتّى يتّخذوها سنّة، فاذا غيّر منها شىء قيل أتى النّاس بمنكر غيّرت السنة، ثمّ تشتدّ البليّة و تنشؤ فيها الذّريّـة و تـدقّهم الفتن كما تـدقّ النّار الحطب و كما تـدقّ الرّحى بثفالها، فيومئـذ يتفقّه النّاس لغير الـدّين و يتعلّمون لغير العمل و يطلبون الدّنيا بعمل الاخرة ثمّ أقبل أمير المؤمنين عليه السّـلام و معه ناس من أهل بيته و خاصّ من شـيعته فصـعد المنبر و حمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

لقـد عملت الولاة قبلى بأمور عظيمـة خالفوا فيها رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم متعمّـدين لذلک و لو حملت النّاس على تركها و حوّلتها إلى مواضـعها الّتى كانت عليها على عهد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لتفرّق عنّى جندى حتّى أبقى وحدى إلاّ قليلا من شيعتى الّذين عرفوا فضـلى و امامتى من كتاب اللّه و سـنّة نبيّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السّلام فرددته إلى المكان الّذى وضعه فيه

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و رددت فدک إلى ورثة فاطمة عليهما السّلام و رددت صاع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و مدّه إلى ما كان، و أمضيت قطايع كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أقطعها للنّاس مسمّين ورددت دار جعفر بن أبى طالب إلى ورثته و هدمتها من المسجد، و رددت الخمس إلى أهله، و رددت قضاء كلّ من قضى بجور، و رددت سبى ذرارى بنى تغلب، و رددت ما قسم من أرض خيبر، و محوت ديوان العطاء و أعطيت كما كان يعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم أجعلها دولة بين الأغنياء.

و اللّه لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا «يجمعوا خ» فى شهر رمضان إلاّ فى فريضة فنادى بعض أهل عسكرى ممّن يقاتل سيفه معى انعى به الاسلام و أهله: غيّرت سنّة عمر و نهى أن يصلّى فى شهر رمضان فى جماعة حتّى خفت أن يثور فى ناحية عسكرى ما لقيت و لقيت هذه الامّة من أئمة الضلالة و الدّعاة إلى النار.

و أعظم من ذلک سهم ذوى القربى قال اللّه «و اعلموا أنّما غنمتم من شىء فأنّ للّه خمسه و للرّسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل - منّا خاصة - إن كنتم آمنتم باللّه و ما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان» نحن و اللّه عنى بذوى القربى الّذين قرنهم اللّه بنفسه و نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لم يجعل لنا فى الصدقة نصيبا أكرم اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أكرمنا أن يطعمنا أوساخ أيدى الناس.

فقال له عليه السّلام رجل: إنى سمعت من سلمان و أبى ذرّ و المقداد شيئا من تفسير القرآن و الرّواية عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سمعت منک تصديق ما سمعت منهم - ثمّ ساق الحديث نحوا مما مرّ إلى قوله - حتى أن كانوا ليحبّون أن يجىء الاعرابى أو الطارئ فيسأله حتى يسمعوا، و كان لا يمرّ بى من ذلک شىء إلاّ سألته و حفظته، فهذه وجوه ما عليه النّاس فى اختلافهم و عللهم فى رواياتهم.

الترجمة

از جملهٔ كلام آن إمام متّقين است در حالتى كه سؤال كرد از او سؤال كنندهٔ از حديثهاى بدعتها و از آن خبرى كه در دست مردمان است از اختلاف أخبار نبويّه پس فرمود:

بتحقیق که در دست مردم حقّ است و باطـل است و راست است و دروغ است و ناسـخ است و منسوخ است و محکم است که معنی آن ظـاهر و متشابه است که معنی آن مشـتبه و محفوظ است از تحریف و زیاده و نقصان و موهوم است که غیر محفوظ از خطا و خلل و غلط بوده، و بتحقیق که دروغ بسـته شد بر رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم در حال حیاة تا این که برخاست در حالتی که خطبه خواند پس فرمود: کسـی که دروغ بنـدد بر من عمدا پس باید منزل دهد جای نشـیمن خود را در آتش جهنّم، و جز این نیست آورد بتو حدیث را چهار کس که نیست پنجمی از برای آنها:

اوّل کسـی است که منافق است که ظاهر ساخته ایمان را و بخود بسـته اسلام را، پرهیز ندارد از گناه و باک نمی کند از تنگی معصیت دروغ می بندد بر رسول خدا صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم از روی عمد، پس اگر بدانند مردمان که او منافق و دروغ گو است قبول نمی کنند از او، و تصدیق نمی کنند قول او را، و لیکن ایشان می گویند که این شـخص مصاحب رسول خدا است دیده است او را و شـنیده است از او و أخذ نموده از او، پس فرا گیرند قول او را، و بتحقیق که خبر داده است تو را خدای تعالی در قرآن از حال منافقان به آن چیز که خبر داده، و وصف فرموده ایشان را بان چیز که وصف کرده است از برای تو، پس باقی ماندند آن منافقان بعد از رحلت حضـرت رسول صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تقرّب جسـتند بسوی امامان ضـلالت و گمراهی و دعوت کنندگان بسوی آتش جهنم بسـبب دروغ و بهتان گفتن بر رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، پس گردانیدنـد ایشان را صاحبان اختیار کارها و حاکمان بر مردان، و خوردنـد با دست یکی بودن ایشان مالها را، و جز این نیست که مردمان مایلند بپادشاهان و راغبند بدنیا مگر کسی که حفظ نماید او را خدا، پس این کس یکی از آن چهار کس است.

دویمی کسـی است که شـنید از حضرت رسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم چیزی را که حفظ نکرد آنرا با وجهی که پیغمبر فرموده بود، پس غلط کرد در آن و عمدا دروغ نگفت پس آن حدیث که شنیده بود در دست او بود و روایت میکرد آنرا و عمل می نمود

بان و می گفت که من شـنیده ام آنرا از رسول خدا صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم، پس اگر می دانستند مسلمانان که او غلط کرده است در آن قبول نمی کردند آن حدیث را از او، و اگر می دانست آن کس که آن حدیث همچنین است هر آینه ترک می نمود آنرا.

و شـخص سـیّمی شـنید از حضـرت رسالتماب صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم چیزی را که أمری نمود بان پس نهی فرمود آن و آن شـخص ندانست نهی آنرا، یا این که شـنید که رسول خدا صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم نهی میکرد از چیزی پس أمر فرمود بان و آن شخص ندانست امر بـه آن را پس حفـظ نمـود منسـوخ را که حکم أولیست و حفـظ نکرد ناسـخ را که حکم ثـانوی بـود، پس اگر می دانست که حکم أولی منسـوخ است هر آینه ترک میکرد آن حکم را، و اگر مسـلمانان می دانسـتند وقـتی که از او شـنیدند آنرا که آن منسوخ است هر آینه ترک می کردند آنرا.

و شـخص دیگر چهارمی است که دروغ نگفته بر خـدای تعالی و نه بر رسول خـدا، دشـمن دارنـده دروغست از جهت ترس خدا و تعظیم رسول خـدا، و توهّم و غلـط نکرده است بلکه حفظ نموده آنچه که شـنیده است بر وجهی که شـنیده است پس آورد آنرا یعنی روایت نمود بهمـان قرار شـنیده شـده بـدون زیاده و نقصان، پس حفظ کرده ناسـخ را و عمل کرده بان، و حفظ کرده منسوخ را و اجتناب نموده از آن، و شناخته است خاص و عام را پس گذاشته هر خبر را در مکان خود، و شناخته متشابه و محکم را و گاهی بود که صادر می شد از رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم کلامیکه از برای او دو وجه بود پس کلامی که مخصوص بود و کلامی که عموم داشت پس می شنید آنرا کسی که نمی شـناخت آنچه را که قصـد کرده بود خـدا بان و نه آنچه را قصد کرده بود بان رسول خدا صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم پس حمل می نمود سـامع آن کلام را و توجیه می نمود آنرا بـدون معرفت بمعنای آن و به آن چه که قصـد شـده بان و به آن چه که صادر شـده آن کلام از برای آن.

و نبودند جمیع صحابهٔ رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم که سؤال کنند از او و طلب فهم

نماینـد از آن تا این که دوست می داشـتند این که بیایـد عرب بادیه نشـینی یا غریب تازه واردی پس سؤال کنـد از او علیه السّلام تا این که بشـنوند جواب را، و بود که نمی گذشت بمن در کلام حضرت رسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خبری مگر این که می پرسیدم رسول خدا را از آن و حفظ می نمودم آنرا.

پس این است وجههای آن چیزی که بودند مردمان بر آن در مختلف شدن ایشان و علّتهای ایشان در اختلاف روایات ایشان.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و العاشرة من المختار فی باب الخطب

اشارة

و کان من اقتـدار جبروته، و بـدیع لطایف صـنعته، أن جعل من ماء البحر الزّاخر المتراکم المتقاصف یبسا جامدا، ثمّ فطر منه أطباقا، ففتقها سبع سـماوات بعد ارتتاقها، فاستمسـکت بأمره، و قامت علی حدّه، یحملها الأخضـر المثعنجر، و القمقام المسـخّر، قد ذلّ لأمره، و أذعن لهیبته، و وقف الجاری منه لخشیته، و جبل جلامیدها، و نشوز متونها و أطوادها، فأرسیها فی مراسیها، و ألزمها قرارتها، فمضت رءوسها فی الهواء، و رست أصولها فی الماء، فأنهـد جبالها عن سـهولها، و أساخ قواعـدها فی متون أقطارها، و مواضع أنصابها، فأشـهق قلالها، و أطال أنشازها، و جعلها للأرض عمادا، و أرزّها فیها أوتادا، فسکنت علی حرکتها من أن تمید بأهلها، أو تسیخ بحملها،

ص:65

أو تزول عن مواضـعها. فسـبحان من أمسـكها بعد موجان مياهها، و أجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهادا، و بسـطها لهم فراشا، فوق بحر لجّى راكد لا يجرى، و قائم لا يسرى، تكركره الرّياح العواصف، و تمخضه الغمام الذّوارف «إنّ فى ذلک لعبرة لمن يخشى».

اللغة

(الجبروت) و زان ملكوت فعلوت من الجبر و هو القهر و الغلبـة، و الجبّار من جملة الأسـماء الحسـنى قال الصدوق: معناه القاهر الّذى لا ينال، و له التّجبر و الجبروت أى التّعظم و العظمـة و يقال للنّخلـة الّتى لا تنال: جبارة و (زخر) البحر كمنع امتدّ أمواجه و ارتفع و (قصف) الرّعد اشتدّ صوته و تقاصف البحر تزاحم أمواجه.

و (اليبس) قـال الشـارح المعتزلى بالتّحريـک المكـان يكون رطبـا ثمّ يبس و منه قوله تعـالى «فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً » و اليبس بالسّكون اليابس خلقة يقال حطب يبس هكذا يقول أهل اللّغة و فيه كلام لأنّ الحطب ليس يابسا خلقة بل كان رطبا من قبل. فالأصوب أن يقال: لا تكون هذه اللّفظة محرّكة إلاّ فى المكان خاصّة، انتهى و قال الفيومى: شىء يبس ساكن الباء بمعنى يابس، و حطب يبس كأنه خلقة و مكان يبس إذا كان فيه ماء فذهب، و قال الفارابى: مكان يبس و يبس و كذلک غير المكان.

و (الأطباق) جمع طبق كأسـباب و سـبب و هو غطاء كلّ شـىء، و الطبق من كلّ شىء ما ساواه و (المثعنجر) بصيغة الفاعل كما فى النسخ السائل من ماء أو دمع

و بفتح الجيم وسط البحر و ليس فى البحر ماء يشبهه، هكذا قال الفيروز آبادى، و قال الجزرى فى حديث علىّ عليه السّلام يحملها الأخضر المثعنجر، هو أكثر موضع فى البحر ماء و الميم و النّون زايدتان و منه حديث ابن عبّاس فاذا علمى بالقرآن فى علم علىّ عليه السّلام كالقرارة فى المثعنجر، و القرارة الغدير الصغير.

و (القمقام) بالفتح كما فى النّسخ و قد يضمّ البحر و (المسخر) فى بعض النسخ بالخاء المعجمة و فى بعضها بالجيم من سجر النّهر ملأه و تسجير الماء تفجيره و (الجلمد) بالفتح الجلمود بالضمّ الحجر العظيم الصّلب و (النّشوز) جمع النشز بالفتح المكان المرتفع و (المتن) ما صلب من الأرض و ارتفع و (الطود) بالفتح الجبل أو العظيم منه و (القرارة) موضع القرار و فى بعض النسخ قراراتها بصيغة الجمع.

و (رست) أى ثبتت و فى بعض النسخ رسبت يقال رسب فى الماء كنصر و كرم رسوبا ذهب سفلا و (نهد) ثدى الجارية كمنع و نصر أى كعب و ارتفع و (السّهل) من الأرض ضدّ الحزن و (الأنصاب) جمع النصب بالفتح و يحرّك و هو العلم المنصوب و بالضمّ و بضمّتين كلّ ما جعل علما و كلّ ما عبد من دون اللّه و (القلال) بالكسر جمع قلّة بالضمّ و هى أعلى الجبل و (العماد) بالكسر الخشبة الّتى يقوم عليها البيت و الأبنية الرّفيعة العالية و (أرز) يأرز بتقديم المهملة كنصر و ضرب و علم أى ثبت، و أرزّ بتشديد المعجمة أى أثبت، و فى أكثر النسخ بالتّخفيف و فتح العين و فى بعضها بالتشديد قال فى النّهاية فى كلام علىّ عليه السّلام أرزّها فيها أوتادا أى أثبتها إن كانت الزّاى مخفّفة، فهى من أرزت الشجرة تأرز إذا أثبت فى الأرض، و إن كانت مشدّدة فهى من أرزّت الجرادة إذا أدخلت ذنبها فى الأرض لتلقى فيها بيضها، و رززت الشىء فى الأرض رزّا أثبتّه فيها و حينئذ تكون الهمزة زايدة، انتهى.

قيل: و روى آرزها بالمدّ من قولهم شجرة آرزة أى ثابتة فى الأرض و (موجان مياهها) صيغة فعلان بالتّحريک فى المصدر تدلّ على الاضطراب كالميدان و النزوان

و الخفقان، و قد قال عليه السّلام فى الخطبة الاولى: و وتّد بالصخور ميدان أرضه و (المهاد) بالكسر الفراش و الموضع يهيّئ للصبىّ و يوطاء، و (الفراش) البساط و (اللجّة) بالضمّ معظم البحر و (الكركرة) تصريف الرّياح السّحاب إذا جمعته بعد تفرّق و أضله تكرّره من التّكرر و كركرته عنّى أى دفعته و رددته و (مخض) اللبن يمخضه من باب نصر و ضرب و منع استخرج زبده بصبّ الماء فيه و تحريكه و (الغمام) جمع الغمامة كالسّحاب و السحابة لفظا و معنا أو خصوص البيضاء منها و (ذرف عينه) أى سال دمعها و ذرفت العين دمعها أى أسال يتعدّى و لا يتعدّى

الاعراب

أطوادها بالنصب عطف على جلاميدها و فى بعض النسخ بالجرّ عطفا على متونها، و أوتادا حال من مفعول أرزّها، و على فى قوله على حركتها، للاستعلاء المجازى و فى بعض النسخ عن حركتها بدل على فهى بمعنى بعد كما فى قوله تعالى «عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ » و الباء فى قوله بأهلها بمعنى مع و كذلک فى قوله بحملها، و قال الشارح المعتزلى هى للتّعدية و الأوّل أشبه

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة مسوقة لاظهار عظمة اللّه تعالى و كمال قدرته و جلاله و جبروته فى خلق السماوات و الأرض و الجبال، و قد مضى فصل و اف فى هذا المعنى منه عليه السّلام فى الفصل الثالث و الثامن من المختار الأوّل، و فى الفصل الرّابع و السادس من المختار التّسعين، و قال عليه السّلام هنا:

(و كان من اقتدار جبروته) أى من قدرة عظمته و تجبره و جبّاريّته أى قهاريّته و غلاّبيّته، و نسبة الاقتدار إلى جبروته تعالى إمّا تعظيما و تفخيما كما يقال إذا صدر أمر من السلطان أمر الباب العالى أو الحضرة الشريفة بكذا، أو تنبيها على أنّه عزّ و جلّ الأعظم المطلق حيث خلق هذه الأجرام القويّة العظيمة السماوية و الأرضية (و) نسبته إلى (بديع لطايف صنعته) ملاحظة لما أودع فيها من عجايب الصنع

و لطـايف التّـدبير الّتى يعجز عن إدراک أقلّ قليلها عقول البشـر، ففيه تنبيه على كمال لطفه و تـدبيره و حكمته و محصل مراده أنّه تعالى كان قـدرته و لطفه منشـئا (أن جعل) أى خلق (من ماء البحر) و فى بعض النسـخ اليمّ بـدله و هو بمعناه (الزاخر) المرتفع الممتلى الممتـدّ جدّا (المتراكم المتقـاصف) أى الّـذى اجتمع بعضه فوق بعض و تزاحمت أمواجه و اشـتدّ صوته الهايـل من كثرة الأـمواج (يبسا جامـدا) أراد به الأرض، فانه سبحانه خلقها من زبد الماء حسبما عرفته تفصيلا فى التّذييل الثانى من شرح الفصل الثامن من الخطبة الاولى.

(ثمّ فطر منه) أى خلق من الماء أى من بخاره و دخانه حسبما عرفته أيضا فى شرح الفصل المذكور (أطباقا) أى طبقا بعد «فوق» طبق(ففتقها سبع سـماوات بعد ارتتاقها)يريد أنّها كانت طبقات منفصـلة فى الحقيقة متّصـلة فى الصورة بعضها فوق بعض ففتقها و فرّقها و باعد بعضها عن بعض فحصل سبع سماوات متميّزات بينها أمكنة الملائكة بعد ما كانت ملتزفة متّصلة.

و فيه تلميح إلى قوله تعالى«أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْ ءٍ حَيٍّ أَ فَلا يُؤْمِنُونَ » قال مجاهد و السّدى فى تفسـير الاية كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلک ففتقناها سبع أرضين و قيل فى تفسيرها وجوه اخر تقدّمت فى شرح الخطبة الأولى و كلامه عليه السّلام مؤيّد لهذا الوجه.

(فاستمسـكت بـأمره) أى احتبست و اعتصـمت و قامت بأمر اللّه سـبحانه و الغرض عـدم تفرّقها كأن بعضـها معتصم ببعض (و قامت على حدّه) أى وقفت على ما حدّ لها من المكان و المقدار و الهيئة و الشكل و الأقطار و النّهايات، و لم تجاوز عن حدودها المعيّنة و الضمير فى حدّه راجع إلى اللّه سبحانه.

(يحملها الأخضـر المثعنجر) أى يحمل الأرض المسـتفادة من اليبس ماء البحر السائل، و وصف الماء بالخضـرة من عادة العرب و التعبير عن البحر بالأخضر لأنّه بصفة لون السّماء فيرى أخضر (و القمقام المسخّر) أى البحر الّذى سخّره اللّه تعالى أى ذلّله

لحملهـا كما أشار إليه بقوله (قـد ذلّ) و انقاد (لأمره) عزّ و جلّ (و أذعن) و خضع (لهيبته) و جلاله (و وقف الجارى منه لخشـيته) أى وقف السائل بالطبع فوقوفه عدم جريانه طبعا بارادته سبحانه أو السائل منه قبل إرادته.

(و جبل جلاميدها) أى خلق سبحانه صخور الأرض الصّلبة العظيمة (و نشوز متونها و أطوادها) أى مرتفعات صلبتها و جبالها (فأرساها فى مراسـيها) أى أثبت هـذه الجلاميـد و الأطواد فى مواضـعها المعيّنة الّتى اقتضت الحكمة الالهيّة إثباتها فيها (و ألزمها قرارتها) أى أمسـكها حيث اسـتقرّت (فمضت رؤوسـها فى الهواء و رست) أى رسـبت و ثبتت (اصولهـا فى المـاء) الّـذى بين أجزاء الأـرض (فانهـد جبالها عن سهولها) أى رفع جبال الأرض و أعلاها عن أراضـيها المطمئنّة (و أساخ قواعدها فى متون أقطارها) أى غيّب قواعد الجبال فى جوانب أقطار الأرض (و) فى (مواضع انصابها) و أعلامها (فاشهق قلالها و أطال انشازها) أى جعل قلالها مرتفعة عالية و اطالة الأنشاز مؤكّدة لها كما قال تعالى «وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ ».

(و جعلهـا) أى الجبـال (للأـرض عمـادا) قيـل المراد جعلها مواضع رفيعـة فى الأرض و الظّاهر أنّ المراد به ما أوضـحه بقوله (و أرزّها فيها أوتادا) أى أثبتها فى الأرض حال كونها بمنزلة الوتد لها تمنعها من الحركة و الاضطراب كالسّفينة إذا القى فيها جسم ثقيل.

(فسـكنت على حركتهـا) الّتى هى من شأنها لكونها محمولـة على سائل متموّج أو على أثر حركتها يتموّج الماء (من أن تميـد) و تضـطرب (بأهلها) كما قال تعالى «وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ » و قال «وَ جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ » أى لئلاّ تميد أو كراهة أن تميـد قيـل: إنّ الأرض كانت تميـد و ترجف رجوف السّـقف بالوطىء فثقّلها بالجبال الرّواسـى ليمنع من رجوفها، و قـد تقـدّم فى شـرح الفصل الثّالث من الخطبة الاولى بيان الاختلاف فى كيفيّة كون الجبال سببا لسكون الأرض فليراجع ثمّة.

و من جملة الوجوه الّتى قيل فى ذلک: إنّ المراد بالأرض قطعاتها و بقاعها

لا مجموع كرة الأرض، و يكون الجبال أوتادا لها أنّها مانعة لها عن الميدان و الاضـطراب بالزّلزلة و نحوها إمّا لحركة البخارات المختنقة فى داخلها بإذن اللّه تعالى أو لغير ذلک من الأسـباب الّتى يعلمها مبدعها و منشـئها، قال المحدّث العلامة المجلسـى قدّس سـرّه: و هذا وجه قريب يؤيّده ما سيأتى فى باب الزّلزلة من حديث ذى القرنين.

و قوله (أو تسيخ بحملها) أى تغوص فى الماء مع ما عليها (أو تزول عن مواضعها) قال الشّارح المعتزلى:

فان قلت: ما الفرق بين الثّلاثة تميد بأهلها أو تسـيخ بحملها أو تزول عن مواضعها؟ قلت: لأنّها لو تحرّكت لكانت إمّا على مركزها أولا على مركزها، و الأوّل هو المراد بقوله تميـد بأهلها، و الثّانى ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت أو لا تنزل إلى تحت، فالنّزول إلى تحت هو المراد بقوله أو تسيخ بحملها، و الثّانى هو المراد بقوله أو تزول عن مواضعها.

و قال المحدّث العلامة المجلسـى: و يحتمل أن يراد بقوله عليه السّلام: تميد بأهلها تحرّكها و اضـطرابها بدون الغوص فى الماء كما يكون عنـد الزلزلـة، و بسوخهـا بحملهـا حركتها على وجه يغوص أهلها فى الماء سواء كانت على المركز أم لا فتكون الباء للتّعديـة، و بزوالها عن مواضـعها خراب قطعاتها بالرّياح و السّيول أو بتفرّق القطعات و انفصال بعضـها عن بعض، فانّ الجبال كالعروق السّارية فيها تضـبطها عن التّفرّق، و يؤيّده ايراد المواضع بلفظ الجمع، هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على كمال اقتداره تعالى و جلاله و عظمته فى خلق الأرض و الجبال مضافا إلى خلق السّماء أردفه بتنزيهه على ذلک و قال:

(فسـبحان من أمسـكها) أى الأرض بقـدرته (بعد موجان مياهها) قال فى البحار: لعلّ المراد بهذا الموجان ما كان غامرا للأرض أو أكثرها و امساكها بخلق الجبال الّتى تقدّم فى الكلام (و أجمدها بعد رطوبة اكنافها) أى جوانبها لميدانها

قبل خلق الجبال و قول الشّارح البحرانى: بأنّه اشارة إلى أنّ أصلها من زبد الماء ليس بشىء.

و قوله عليه السّلام (فجعلها لخلقه مهادا) كقوله تعالى فى سورة النّبأ «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً » أى وطاء و قرارا و مهياء للتّصرّف فيه من غير أذية، و فى سورة طه «اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ سَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً » و فى سورة الزّخرف «اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَ جَعَلَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » أى كالمهد تتمهّدونها و قوله عليه السّلام (و بسطها لهم فراشا) كقوله عزّ و جلّ فى سورة البقرة «اَلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِراشاً وَ السَّماءَ بِناءً » و فى سورة نوح «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً » قال بعض المفسّرين: الفراش اسم لما يفرش كالبساط لما يبسط و ليس من ضرورات الافتراش أن يكون مسطحا مستويا كالفراش على ما ظنّ، فسواء كانت كذلک أو على شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر و لا مدفوع لعظم جرمها و تباعد أطرافها و لكنّه لا يتمّ الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة فى حيزها الطبيعى و هو وسط الأفلاک لأنّ الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أنّ الخفاف بالطبع تميل إلى فوق و الفوق من جميع الجوانب ما يلى السّماء و التحت ما يلى المركز، فكما أنّه يستبعد حركة الأرض فيما يلينا إلى جهة السماء فكذلک يستبعد هبوطها فى مقابل ذلک، لأنّ ذلک الهبوط صعود أيضا إلى السّماء، فاذا لا حاجة فى سكون الأرض و قرارها فى حيّزها إلى علاقة من فوقها، و لا إلى دعامة من تحتها، بل يكفى فى ذلک ما أعطاها خالقها و ركز فيها من الميل الطبيعى إلى الوسط الحقيقى بقدرته و اختياره.

و قوله عليه السّلام (فوق بحر لجّى) كثير الماء (راكد لا يجرى) اى ساكن لا يجرى إلى أحد الجوانب (و قائم) أى ثابت (لا يسرى) عن مكانه و ذلک لملازمة مركزه على حذو ما عرفت آنفا فى بيان فراشيّة الأرض (تكركره) أى تردّده و تكرّره (الرّياح العواصف) الشّديدة (و تمخضه الغمام الذّوارف) أى تحرّكه السّحاب المواطر و ذلک لأنّ الحرّ إذا وقع فيه المطر يرتجّ و يتمخّض و يضطرب كثيرا لتحريک

انصـباب المطر بكثرة و قوّة له و لمّـا ذكر عليه السّـلام عظيم قـدرته عزّ و جـلّ فى خلق السّـماء و الأـرض و الجبال و الماء اتبعه بقوله عليه السّـلام (انّ فى ذلک لعبرة لمن يخشـى) أى فيما قـدّمناه من آثار القدرة و دلائل الجبروت و العظمة اعتبار لمن خشـى ربّه، و إنّما خصّه به لأجل أنّ عـدم الخشـية يوجب عدم المبالات بالعبر و الالتفات إليها، و المراد بمن يخشـى العلماء بمقتضـى الحصـر الوارد فى قوله تعالى «إِنَّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ » و تخصـيص الخشية بهم لأنّ شرطها معرفة المخشى و العلم بصفاته و أفعاله و قدرته و قهره فمن كان أعلم به كان أخشى منه، اللّهم ارزقنا هذه المرتبة.

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن حضرتست در اشاره بعجايب قدرت مى فرمايد:

و هست از قدرت و توانائى سـلطنت آفريدگار و عجايب صنعتهاى لطيفهٔ او اين كه خلق فرمود از آب دريائ بسيار موج زنندهٔ بر هم نشسته پر صـدا زمين خشک بى رطوبت را، پس از آن خلق فرمود از بخار آن آب طبقاتى بر روى هم چيـده، پس جـدا ساخت آن طبقات را هفت آسـمان بعـد از جمع بودن و يكجا بودن آنها، پس بايسـتادند بفرمان او وقايم شدند باندازهٔ مقرّرهٔ او در حالتى كه بر مى دارد آن زمين را آب كبود سـيلان كننده، و دريائ مسخّر شده در تحت قدرت در حالتى كه ذليل بود از براى امر او، و منقاد بود به هيبت و جلال او، و ايستاد و ساكن گشت جارى از آن آب از ترس حكم او، و خلق فرمود سـنگهاى زمين را و بلند پستهاى آنرا، و كوههاى آنرا پس برقرار گردانيد آنها را در قرارگاههاى آنها، و لازم گردانيد آنها را در جاى ثبات آنها پس گذر كرد سرهاى آنها در هوا، و فرو رفت بيخهاى آنها در آب دريا پس بلند گردانيد كوههاى زمين را از همواری زمين، و فرو برد اساس آنها را در پشـتهاى اطراف آن و در مواضع علامتهاى آن، پس بلند كرد سـرهاى كوهها را، و دراز گردانيد بلند

شدن از زمین آنها را، و گردانید آن کوهها را از برای زمین ستون، و فرو گرفت آنها را در زمین در حالتی که میخهای زمین بودند، پس ساکن شد زمین از حرکت خود از این که بلرزاند أهل خود را، یا این که فرو برد حمل خود را، یا این که زایل گردد از مواضع خود.

پس تنزیه میکنم تنزیه کردنی کسی را که نگاه داشت زمین را بعد از موج زدن آبهای آن، و خشک گردانید آنرا بعد از تر بودن اطراف آن، پس گردانید آن را از برای مخلوقات خود آرام گاه و گسترانید آنرا از برای ایشان فرش و بساط بالای دریای بزرگ انبوه ساکن غیر جاری و قائم غیر ساری در حالتی که بر گردانـد و بهم می زنـد آنها دریا را بادهای تنـد وزنـده و حرکت می دهد آنرا ابرهای ریزنده، بتحقیق که در این دلائل قدرت و عظمت عبرتیست از برای کسی که بترسد از خدا.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الحادیة عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

أللّهمّ أیّما عبد من عبادک سمع مقالتنا العادلة غیر الجائرة، و المصلحة غیر المفسدة، فی الدّین و الدّنیا، فأبی بعد سمعه لها إلاّ النّکوص عن نصـرتک، و الإبطاء عن إعزاز دینک، فإنّا نستشـهدک علیه یا أکبر الشّاهدین، و نستشهد علیه جمیع من أسکنته أرضک و سماواتک، ثمّ أنت البعد المغنی عن نصره و الاخذ له بذنبه.

اللغة

(المصلحة) بضمّ المیم اسم فاعل من باب الافعال و کذلک المفسدة و (نکص)

ص:74

عن الأمر نكصا و نكوصا تكاء كأ عنه و جبن و أحجم، و على عقبيه رجع عمّا كان عليه من خير قال الفيروز آبادى خاصّ بالرّجوع عن الخير، و وهم الجوهرى فى اطلاقه أو فى الشرّ نادرا

الاعراب

ما فى أيّما زايدة للتّاكيد، و غير منصوب على الحاليّة أو الوصفيّة، و قوله:

فى الدّين، متعلّق بالمصلحة، و قوله: إلاّ النّكوص، استثناء مفرّغ

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة كما نبّه عليه الشارح البحرانى ملتقطة من خطبة كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام.

قال بعد تقاعد أكثرهم عن صوته مناديا للّه عزّ و جلّ(اللّهم أيّما عبد من عبادک سمع مقالتنا العادلة)أى قولنا المتّصف بالعدل، و فى وصفه به توسّع، و قال الشارح البحرانى العادلة المستقيمة الّتى هى طريق اللّه العايدة للنّاس إلى الرّشاد فى دينهم و دنياهم، و ما قلناه أولى.

و انّما وصفه عليه السّلام بالعدل، لأنّ استنهاضه إلى جهاد أهل الشّام إنّما كان من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر مع فيه من الامتثال لنصّ قوله تعالى «فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا الّتى تبغى حتّى تفىء إلى أمر اللّه» و قد كان عليه السّلام متّصفا بالعدل فى جميع أقواله و أفعاله كما يشهد به قوله تعالى «وَ كَذٰلِکَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً » أى أئمة عدلا على ما ورد فى تفسير أهل البيت عليهم السّلام و قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ ».

روى فى البحار عن العياشى عن حمران عن أبى جعفر عليه السّلام فى هذه الاية قال عليه السّلام: هم الأئمّة عليهم السّلام.

و فيه من الكافى عن الحسين بن محمّد عن المعلّى عن الوشا عن عبد اللّه بن سنان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ » الاية قال: هم الأئمة صلوات اللّه عليهم.

و يشهد به أيضا ما فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم فى قوله «ضرب اللّه

مثلا رجلين أحـدهما أبكم لا يقـدر على شـىء و هو كلّ على مولاه أينما يوجّهه لا يات بخير هل يسـتوى هو و من يأمر بالعـدل و هو على صراط مسـتقيم» قال عليه السّلام كيف يسـتوى هذا و هذا الذى يأمر بالعدل يعنى أمير المؤمنين و الأئمة عليه و عليهم السّلام، هذا و انّما عقّب بقوله(غير الجائرة)إما تاكيـدا أو من باب الاحتراس الّذى تقدّم فى ديباجة الشـرح فى ضـمن المحاسن البديعيّة، فانّه لمّا وصف مقالته بالعـدل و كان هنا مظنّة أن يتوهّم أنّ عـدالتها إنّما يتصوّر فى حقّ أهل الكوفـة و أمّا فى حقّ أهل الشّام فلا، لأنّ الاسـتنهاض إلى حربهم و سفک دمائهم جور فى حقهم و ظلم عليهم فكيف يكون عدلا، فدفع ذلک التوّهم بقوله:غير الجائرة،تنبيها على أنّ محاربتهم من باب النهى عـن المنكر و الرّدع لهـم عن متابعـة معاويـة و منعهم عن الايتمـام بالامـام الباطـل و ردعه عن ظلمه و طغيـانه و دعـويه الخلافـة من غير استحقاق، و هذا فرض شرعا فلا يكون جورا بل عين العدل و اللّطف، هذا.

مضافـا إلى مـا فيـه من التعريض على معاويـة حيث إنّ حضّه لأهـل الشّام على حرب أهـل الكوفـة و حربه عليه السّلام محض الجـور و العدوان، لأنّه من باب الأمر بالمنكر و النهى عن المعروف، و أىّ جور أعظم من ذلک.

أمّا فى حقّ أهل الشام فلأنه يدعوهم بذلک التحضيض إلى النار.

و أما فى حقّ أهل الكوفـة فلردعهم عن الايتمام بالامام الحقّ و إرادة دفعه عن مقامه الذى يسـتحقّه و ايهام أنّ الحقّ معه لمطالبته بدم عثمان المظلوم كما قال تعالى «وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ ».

روى فى البحار من كتاب الغيبة للنغمانى عن الكلينى باسـناده عن محمّد بن منصور قال: سألته يعنى أبا عبد اللّه عليه السّلام عن هذه الاية قـال عليه السّلام فهل رأيت أحـدا زعم أنّ اللّه أمر بالزّنا و شـرب الخمر أو شـىء من هـذه المحارم؟ قلت: لا، قال عليه السّلام: فما هـذه الفاحشة التى يدّعون ان اللّه أمرهم بها؟ قلت: اللّه أعلم و وليه، قال عليه السّلام: فان هذا فى أولياء أئمة الجور ادّعوا أنّ اللّه أمرهم بالايتمام بهم فردّ اللّه ذلک عليهم

و أخبرهم أنهم قالوا عليه الكذب و سمّى ذلک منهم فاحشة و فيه من تفسير علىّ بن إبراهيم بسنده عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن أبيه قال: الأئمة فى كتاب اللّه إمامان قال اللّه «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا » لا بأمر الناس يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، قال: «و جعلناهم أئمّة يدعون إلى النار» يقدّمون أمرهم قبل أمر اللّه و حكمهم قبل حكم اللّه، و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه.

و الحاصل انه عليه السّلام بمقتضى ملكة العصمة التى فيه إنما يأمر بالعدل و الاحسان و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى تبعا لأمر اللّه، لأنه و الأئمة من صلبه عليهم السّلام محالّ مشيّة اللّه و ما يشاءون إلاّ أن يشاء اللّه و هم بأمره يعملون.

و قوله عليه السّلام (و المصلحة غير المفسدة فى الدّين و الدّنيا) أى فيها صلاح حال السامعين فى الدارين و انتظام امورهم فى النشأتين.

أما فى الاخرة فلأنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه اللّه لخاصّة أوليائه و هو لباس التقوى و درع اللّه الحصينة و جنّته الوثيقة، حسبما عرفته فى الخطبة السابعة و العشرين، ففى نهوضهم إلى قتال القاسطين عقيب استنهاضه عليه السّلام امتثال لأمر اللّه، إعزاز الدين اللّه، تحصيل لرضوان اللّه تعالى شأنه، و فى تقاعدهم عنه سخط عظيم و عذاب أليم.

و أما فى الدّنيا فلأنّ مبارزة الأقران من عادة الأبطال و الشجعان و المنع من الذمار من آثار الفتوّة و شعار المروّة و المجاهد فى سبيل اللّه ينتظر من اللّه إحدى الحسنيين إمّا الظفر و الغنيمة أو الشهادة الموجبة للذكر الجميل و الثناء الباقى، و النكوص عن الجهاد محصّل للخذلان معقّب للهوان و عار فى الأعقاب و نار يوم الحساب، فمن تركه رغبة عنه ألبسه اللّه ثوب الذلّ و شمله البلاء و ديّث بالصغار و القماء هذا و تعقيب المصلحة بغير المفسدة إما من باب التأكيد أيضا أو تعريضا على الطرف المقابل أعنى معاوية اللّعين الذى كان يستنهضهم إلى حربه، فانّ نظر ذلک اللّعين فى جميع مقالاته و كلماته لم يكن إلاّ إلى شقّ عصا الاسلام و إفساد حال المسلمين و هدم

أركان الدين، و لذلک قال: عليه الصلاة و السلام فى الخطبة الثانية و التسعين: ألا إنّ أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى امية فانها فتنة عمياء مظلمة، إلى آخر ما مرّ هناک.

و قوله عليه الصلاة و السلام (فأبى بعد سمعه لها إلاّ النكوص عن نصرتک و الابطاء عن اعزاز دينک) لا يخفى ما فى هذا الكلام من بديع البيان و حسن التقرير و عجيب التعبير، حيث لم يقل فأبى بعد سمعه لها عن قبولها أو اجابتها، بل عدل عنه إلى قوله: إلاّ النكوص آه للطافة معناه و بعد غوره و غزارة فحواه.

و ذلک لأنّ فى التعبير بهذه من التنبيه على عظيم خطاء الممتنعين المتقاعدين عن قبول أمره عليه السّلام و مزيد تقصيرهم و كبير ذنبهم ما لا يخفى على الفطن الخبير بمحسنات البيان.

أمّا أوّلا فلما مرّ من أنّ النكوص مخصوص بالرّجوع عن الخير أو نادر الاستعمال فى الرّجوع عن الشرّ و على التقديرين ففيه دلالة على أنّهم بتقاعدهم قد فوّتوا على أنفسهم الخير الكثير الّذى كان لهم عاجلا و آجلا.

و أمّا ثانيا فإنّ فى قوله: عن نصرتک دلالة على أنّهم بقتال القاسطين ناصرون للّه سبحانه كما أنّهم بترک القتال ناكصون عن نصرته، و اللّه سبحانه يقول «إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ » و قال «وَ لَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » فلم يكن استنصاره من ضعف و ذلّ بل استنصرهم و له جنود السّماوات و الأرض ليبلوهم أيّهم أحسن عملا و ليعلم اللّه من ينصره و رسله بالغيب فيستوجب بالقتال ثواب الامتثال.

ثمّ فى اضافة النّصرة إلى كاف الخطاب إشارة إلى أنّ نصرته عليه السّلام هو نصرة اللّه، لأنّ إطاعة الرّسول و إطاعة وليّ الأمر هو إطاعة اللّه، لكونهم مبلّغين عن اللّه و الامر و النّاهى فى الحقيقة هو اللّه، و لذلک قرن اللّه طاعتهم بطاعته فى قوله: «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » بل جعل طاعتهم عين طاعته فى قوله «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ وَ مَنْ تَوَلّى فَما أَرْسَلْناکَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ».

روى فى الصّافى عن العياشى عن الباقر عليه السّلام قال: ذروة الأمر و سنامه و مفتاحه

و باب الأشياء و رضى الرّحمن الطّاعة للامام بعد معرفته، ثمّ قال: إنّ اللّه تبارک و تعالى يقول «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللّهَ ».

فانّ استشهاد الامام عليه السّلام لوجوب طاعة الامام بالاية مفيد لكون طاعته طاعة الرّسول كما أنّ طاعته طاعة اللّه.

و أمّا ثالثا فانّ قوله: و الابطاء عن إعزاز دينک تقريع شديد على المتقاعدين لافادته انّهم بتقاعدهم مذلّون للدين مضيّعون لمسالک الشّرع المبين، فقد ظهر بما ذكرنا كلّه أنّ فى قوله عليه الصّلاة و السلام تحذيرا عظيما للمتقاعدين.

و اكّد ذلک الغرض بقوله عليه السّلام (فانّا نستشهدک عليه) حيث خالف أمرک و ترک نصرتک و أهان دينک (يا أكبر الشاهدين) الّذى لا يعزب عنه شىء فى السّماء و الأرض و هو على كلّ شىء شهيد.

(و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضک و سماواتک) من الملائكة و الانس و الجنّ ليشهدوا يوم الدّين بأنّى ما قصرت و لا فرطت فى تبليغ أمرک إلى المتخاذلين و لكنّهم تولّوا عنه معرضين (ثمّ أنت البعد) أى بعد تلک الشّهادة (المغنى) لنا (عن نصره) إذ بيدک جنود السماوات و الأرض و أنت لما تشاء قدير و فى هذه الفقرة تعظيم لرّب العالمين و استحقار للمتخاذلين (و الاخذ له بذنبه) و فيه تحذير عظيم لهم و تهديد شديد من سخطه و عقابه لكونه عزّ و جلّ شديد العقاب و أشدّ بأسا و أشدّ تنكيلا، لا يعجزه من طلب، و لا يفوته من هرب، نعوذ باللّه من سخطه و غضبه.

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن امام أنام عليه السّلام است كه گفته.

بار الها هر كدام بندهٔ از بندگان تو كه شنيد گفتار با عدالت ما را كه ظلم كننده نيست و گفتار اصلاح كنندهٔ ما را كه افساد كننده نيست در دين و دنيا، پس امتناع كرد بعد از شنيدن او مر آنرا مگر از برگشتن از يارى تو، و تأخير نمودن از اعزاز دين تو، پس بدرستى كه ما شاهد مى گيريم تو را بر آن شخص أى بزرگترين شاهدها و شاهد مى گيريم تو را و جميع كسانى را كه ساكن فرمودهٔ ايشان را در زمين خود

و آسمانهای خود، پس تو بعد از آن شهادت غنی کنندهٔ از یاری او، و مؤاخذه کنندهٔ او را بگناه و معصیت او، و اللّه الهادی.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الثانیة عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

الحمد للّه العلیّ عن شبه المخلوقین، الغالب لمقال الواصفین، الظّاهر بعجایب تدبیره للنّاظرین، و الباطن بجلال عزّته عن فکر المتوهّمین، العالم بلا اکتساب و لا ازدیاد، و لا علم مستفاد، المقدّر لجمیع الأمور بلا رویّة و لا ضمیر، الذی لا تغشاه الظّلم، و لا یستضیء بالأنوار، و لا ـ یرهقه لیل و لا ـ یجری علیه نهار، لیس إدراکه بالأبصار، و لا ـ علمه بالأخبار. منها فی ذکر النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. أرسله بالضّیاء، و قدّمه فی الاصطفاء، فرتق به المفاتق، و ساور به المغالب، و ذلّل به الصّعوبة، و سهّل به الحزونة، حتی سرّح الضّلال عن یمین و شمال.

اللغة

(الشّبه) بالتحریک کالشّبه و الشّبیه بمعنی المثل و المشابه و شبّهت الشیء بالشیء أقمته مقامه بصفة جامعة بینهما و أشبه الولد أباه و شابهه إذا شارکه فی صفة

من الصّفات و (رهق) الدّين رهقا من باب تعب غشيه و رهقت الشيء أدركته و (الاخبار) فى أكثر النسخ بالكسر مصدر اخبر و فى بعضها بالفتح جمع الخبر و كذلک الابصار.

و (رتقت) الفتن رتقا من باب قال سددته فارتتق و (فتق) الثّوب شقّه فانفتق و تفتق و الفنق أيضا شقّ عصا الجماعة و وقوع الحرب بينهم و مفتق الثّوب محلّ شقّه و يجمع على مفاتق كمقعد و مقاعد و (ساور) فلانا و اثبه سوارا و مساورة و ساوره اخذه براسه و الوثوب الظفر و (غلبه) غلبا و غلبا و غلبة و مغلبا قهره و المغلب وزان معظم المغلوب مرارا و المحكوم له بالغلبة ضدّ، و المغلنبى وزان مسلنقى الذى يغلبک و يعلوک و (الحزونة) ضدّ السّهولة و الحزن ما غلظ من الأرض و السّهل ما لان منها و (سرحت) المرأة تسريحا طلّقتها قال تعالى «فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ » أى تطليق.

الاعراب

الباء فى قوله بالضياء للمصاحبة كما فى دخلت عليه بثياب السّفر، و فى قوله: به للسّببيّة، و قوله: عن يمين و شمال، ظرف لغو متعلّق بسرّح على تضمين معنى الطّرد و الابعاد.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة كما ذكره بعض الشراح و أشار إليه السيّد «ره» مشتملة على فصلين:

الفصل الاول

فى تمجيد اللّه عزّ و جلّ و ثنائه بنعوت جلاله و جماله و أثنى عليه تعالى باعتبارات:

أولها قوله (الحمد للّه العلىّ عن شبه المخلوقين) أى المتعالى عن مشابهة مخلوقاته فلا يشابه شيئا منها، و لا يشابهه شيء، فليس له شبه و شبيه و نظير.

و ذلک لما عرفت مرارا فی تضاعیف الشّرح لا سیما شرح الخطبة المأة و الخامسة و الثمانین و شرح الکلام المأتین و الثّامن أنّ المخلوقات کلّها محدودة بالحدود الاصطلاحیّة المرکّبة من الجنس و الفصل، و بالحدود اللّغویّة أی النّهایة و اللّه سبحانه منزّه عن الحدّ اصطلاحیّا کان أو لغویّا لاستلزام الأوّل للتّرکیب و الثانی للافتقار إلی محدّد، و کلّ مرکب و مفتقر ممکن، فالواجب تعالی لا یمکن أن یکون له مشابه و مشارک فی ذاته و صفاته و أفعاله.

و الحاصل أنّ الواجب تعالی أجلّ و أعلی من أن یتّصف بالصّفات الامکانیة، فیشابه المحدثات و یشارکهم فی جهة من الجهات.

الثانی انه (الغالب لمقال الواصفین) یعنی أنه تعالی شأنه أجلّ من أن یقدر الواصفون علی وصفه و بیان محامده، لعدم وقوف صفاته الکمالیة و أوصافه الجمالیة و الجلالیة إلی حدّ معین حتی یحیط بها العقول و یصفه الألسنة کیف و قد اعترف سید البشر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالعجز عن ذلک، و قال: لا احصی ثناء علیک أنت کما أثنیت علی نفسک، فأنّی لغیره بذلک.

و هذه الفقرة مساوقة لقوله علیه السّلام فی الخطبة الاولی: الحمد للّه الذی لا یبلغ مدحته القائلون، فانّ المدح و الثناء و الوصف کلها بمعنی

لا یدرک الواصف المطری محامدهو إن یکن سابقا فی کلّ ما وصفا

فحیث قصرت ألسنة الواصفین و کلّت عن تعداد صفاته الحمیدة فهو کالغالب علی أقوالهم لعجزها عن البلوغ إلی مدی صفاته.

الثالث أنه (الظاهر بعجایب تدبیره للناظرین) یعنی أنه تعالی ظاهر للناظرین و لیس ظهوره بذاته کما توهمه المجسمة و غیرهم من المجوّزین للرّؤیة، بل باثار قدرته و اعلام عظمته و بدایع صنعه و عجایب تدبیره و حکمته حسبما عرفته تفصیلا فی شرح الخطبة التّاسعة و الأربعین و الخطبة الرّابعة و السّتین و غیرهما.

(و) الرابع أنّه (الباطن بجلال عزّته عن فکر المتوهّمین) یعنی أنّه محتجب عن الأوهام و العقول، و لیس احتجابه و اختفاؤه بصغر جسمه و حقارته أو

لطافة قوامه كالهواء و الرّوح و نحوهما، بل باعتبار جلاله و عزّته و جبروته و عظمته حسبما عرفت فى شرح الخطبتين المذكورتين و الحاصل أنّه ظاهر باياته باطن بذاته.

قال الشّارح البحرانى: و إنما قال: فكر المتوهّمين، لأنّ النفس الانسانية حال التفاتها إلى استلاحة الامور العلوية المجرّدة لا بدّ أن يستعين بالقوّة المتخيلة بباعث الوهم فى أن تصوّر تلك الامور بصور خيالية مناسبة لتشبيهها بها و تحطها إلى الخيال، و قد علمت أنّ الوهم إنما يدرک ما كان متعلّقا بمحسوس أو متخيل من المحسوسات، فكل أمر يتصوّره الانسان و هو فى هذا العالم سواء كان ذات اللّه سبحانه أو غير ذلک فلا بدّ أن يكون مشوبا بصورة خيالية و معلقا بها، و هو تعالى منزّه بجلال عزّته عن تكيف تلک الفكر له و باطن عنها، انتهى.

و قد تقدّم ما يوضح ذلک فى شرح الفصل الثانى من الخطبة الاولى و شرح الخطبة المأة و الخامسة و الثمانين فليراجع هناک.

الخامس انه (العالم بلا اكتساب و لا ازدياد و لا علم مستفاد) يعنى أنه عزّ و جلّ عالم بذاته و العلم ذاته و ليس علمه باكتساب له بعد الجهل، و لا بازدياد منه بعد النقص، و لا باستفادة و أخذ له عن غيره كما هو شأن علم المخلوقين، إذ لو كان كذلک لكان سبحانه متغيّرا و ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره و هو باطل.

السادس انه (المقدّر لجميع الامور بلا رويّة و لا ضمير) أى الموجد لمخلوقاته على وفق حكمته و قضائه كلاّ منها بقدر معلوم و مقدار معيّن من دون أن يكون ايجادها مستندا إلى الرّوية و الفكر، و لا إلى ما يضمر فى القلب من الصور كما يحتاج إليها ساير الصناع، لأنه سبحانه منزّه من الضمير و القلب، و الرّوايات لا تليق إلاّ بذوى الضمائر حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الفصل الأوّل من الخطبة المأة و السابعة.

السابع أنه (الذى لا تغشاه الظلم و لا يستضىء بالأنوار) أى لا يغطيه ظلام كما يغطى ساير الأجسام لكونه منزّها عن الجسمية، و لا يستضىء بالأنوار كما يستضىء بها ذوات الابصار لكونه منزّها من حاسّة البصر و ساير الحواسّ، مضافا إلى أنه تعالى

نور السماوات و الأرض، و الجميع به يستضىء فكيف يستضىء بغيره و الاّ لزم أن يكون مفتقرا إلى غيره مستكملا به و هو باطل.

(و) الثـامن انه (لا يرهقه ليل و لا يجرى عليه نهار) يعنى لا يتعور عليه ليل و نهار لكونه منزّها عن الزّمان و الحركـة فلو تعاورا عليه لتفاوتت ذاته و تغيّرت صفاته و امتنع من الأزل معناه.

(و) التاسع انه (ليس إدراكه بالابصار) لتنزّهه من الاحتياج فى الادراک إلى الالات و المشاعر و الأدوات.

و العاشـر ما أشار إليه بقوله (و لا علمه بالأخبار) أى بأن يخبره غيره بشـىء فيحصل له العلم بذلک الشـىء بسبب هذا الخبر، لاستلزام ذلک للجهل أوّلا و الافتقار إلى حاسة السمع ثانيا، و النقص بالذات، و الاستكمال بالغير ثالثا، و هذا كلّه مناف لوجوب الوجود.

الفصل الثانى

(منها فى ذكر النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) قال عليه السّلام (أرسله بالضياء) السّاطع و النور اللاّمع.

و المراد به إمّا نور الايمان، و به فسـر قوله تعالى «اَللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » أى ظلمات الكفر إلى نور الايمان «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ » و إمّا نور العلم يعنى النبوة الذى كان فى قلبه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و به فسّر المصباح فى قوله تعالى «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ ».

روى فى الصافى من التوحيد عن الصادق عليه السّلام فى هذه الاية «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » قال: كذلک عزّ و جلّ «مَثَلُ نُورِهِ » قال محمّد صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم «كَمِشْكاةٍ » قال صدر محمّد صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم «فِيها مِصْباحٌ » قال فيه نور العلم يعنى النبوّة الحديث.

و إمّا القرآن كما فى قوله تعالى «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » فهو نور عقلى يهتدى به فى سلوک سبيل الجنان و يستضاء به فى الوصول إلى مقام الزلفى و الرضوان (و قدّمه فى الاصطفاء) أى قدّمه على جميع خلقه فى أن اختاره منهم و فضّله عليهم كما قال الشاعر:

و إمّا القرآن كما فى قوله تعالى «قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » فهو نور عقلى يهتدى به فى سلوك سبيل الجنان و يستضاء به فى الوصول إلى مقام الزلفى و الرضوان (و قدّمه فى الاصطفاء) أى قدّمه على جميع خلقه فى أن اختاره منهم و فضّله عليهم كما قال الشاعر:

للّه فى عالمه صفوة و صفوة الخلق بنو هاشم

و صفوة الصفوة من هاشم محمّد الطهر أبو القاسم

و قد مضى أخبار لطيفة فى هذا المعنى فى شرح الخطبة الثالثة و التسعين فليراجع هناك.

و قوله (فرتق به المفاتق) أى أصلح به المفاسد، و هو إشارة إلى ما كانت عليه أهل الجاهلية حين بعثه من سفك الدّماء و قطع الأرحام و عبادة الأصنام و اجتراح الاثام قد استهوتهم الأهواء، و استزلّتهم الكبرياء، و استخفّتهم الجاهلية الجهلاء، تائهين حائرين فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل، فبالغ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى نصحهم و موعظتهم و دعائهم بالحكمة و الموعظة الحسنة إلى سبيل ربّهم، و جادلهم بالتى هى أحسن، فأصلح اللّه بوجوده الشريف ما فسد من امور دنياهم و آخرتهم، و رفع به ضغائن صدورهم، و هداهم به من الضلالة، و أنقذهم بمكانه من الجهالة (و ساور به المغالب)فى إسناد المساورة إلى اللّه سبحانه توسّع، و المراد تسليطه على المشركين و الكفّار و المنافقين الذين كان لهم الغلبة على غيرهم كما قال عزّ من قائل«إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ فِى الْأَذَلِّينَ كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى إِنَّ اللّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ »و قال«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ».

قال فى مجمع البيان فى تفسير الاية الأولى: روى أنّ المسلمين قالوا لمّا رأوا ما يفتح اللّه عليهم من القرى ليفتحنّ اللّه علينا الرّوم و فارس فقال المنافقون أ تظنون أنّ فارس و الرّوم كبعض القرى الّتى غلبتم عليها، فأنزل اللّه هذه الاية.

و قال فى الاية الثانية فى تفسير قوله «ليظهره على الدّين كلّه» معناه

ص:

ليغلب دين الاسلام على جميع الأديان بالحجّة و الغلبة و القهر لها حتّى لا يبقى على وجه الأرض دين إلاّ مغلوب.

(و ذلل به الصعوبة) صعوبة الجاهلية الّتى أشرنا إليها فى شرح قوله: فرتق به المفاتق (و سهل به الحزونة) أى حزونة طريق الحقّ و تسهيلها بالارشاد إلى معالمه و الهداية إليه.

(حتّى سرّح الضّلال عن يمين و شمال) غاية للجملات السابقة جميعا أو لخصوص الجملة الأخيرة أى إلى أن طرد و ابعد ظلمات الجهل و الضلال بميامين بعثته و أنوار هدايته عن يمين النّفوس و شمالها.

قال الشارح البحرانى: و هو إشارة إلى القائه رذيلتى التّفريط و الافراط عن ظهور النّفوس كتسريح جنبى الحمل عن ظهر الدّابة، و هو من ألطف الاستعارات و أبلغها

الترجمة

حمد و ثنا خدائى راست كه برتر است از مشابهت مخلوقات، و غلبه كننده است مر گفتار وصف كنندگان كنه ذات و صفات - يعنى او غالب است بتوصيف هر واصفى و هيچكس قدرت وصف او ندارد - ظاهر است و هويدا با عجايب و غرايب تدبير خود از براى متفكران، و پنهانست بجهت جلال عظمت و شدّت نور خود از فكر صاحبان و هم و عقل دانا و عالم است بدون حاجت بكسب علم از ديگرى و بدون احتياج بأفزون كردن علم و بدون علمى كه استفاده شود از خارج، مقدّر است جميع امورات را بدون فكر و خطور خاطرى، چنان خدائى كه احاطه نمى كند او را ظلمتها، و طلب روشنى نمى كند بنورها، و درک نمى كند او را شب، و جارى نمى شود بر او روز، نيست ديدن او با ديدن بصر، و نه دانستن او بخبر دادن كسى ديگر.

از جمله فقرات اين خطبه در ذكر أوصاف پيغمبر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم است مى فرمايد:

فرستاد خداى تعالى او را با نور پر ظهور، و مقدم فرمود او را بجميع مخلوقات

در پسند کردن او، پس بست بوجود او گشادگیها را، و سد کرد شکافتگیها را، و شکست داد با قوت او اشخاصی را که همیشه غلبه داشتند، و ذلیـل کرد بسـبب او سرکشـی را، و هموار گردانیـد با او ناهموار را تا این که بر طرف ساخت و دور نمود ضـلالت را از راست و چپ طریق حق.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الثالثة عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

و أشـهد أنّه عدل عدل، و حکم فصل، و أشـهد أنّ محمّدا عبده و سـیّد عباده، کلّما نسخ اللّه الخلق فرقتین جعله فی خیرهما، لم یسـهم فیه عاهر، و لا ضـرب فیه فاجر. ألا و إنّ اللّه قـد جعل للخیر أهلا، و للحقّ دعائم، و للطّاعة عصـما، و إنّ لکم عند کلّ طاعة عونا من اللّه یقول علی الألسـنة، و یثبّت الأفئـدة، فیه کفـاء لمکتف، و شـفاء لمشـتف. و اعلموا أنّ عباد اللّه المسـتحفظین علمه، یصونون مصونه، و یفجّرون عیونه، یتواصلون بالولایة، و یتلاقون بالمحبّة، و یتساقون بکأس رویّة، و یصدرون بریة، لا تشوبهم الرّیبة، و لا تسرع فیهم

الغيبة، على ذلک عقد خلقهم و أخلاقهم، فعليه يتحابّون، و به يتواصلون، فكانوا كتفاضل البذر ينتقى، فيؤخذ منه و يلقى، قد ميّزه التّلخيص، و هذّبه التّمحيص، فليقبل امرء كرامة بقبولها، و ليحذر قارعة قبل حلولها، و لينظر امرء فى قصير أيّامه، و قليل مقامه، فى منزل حتّى يستبدل به منزلا فليصنع لمتحوّله، و معارف منتقله، فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه، و تجنّب من يرديه، و أصاب سبيل السّلامة بنصر من بصّره، و طاعة هاد أمره، و بادر الهدى قبل أن تغلق أبوابه، و تقطع أسبابه، و استفتح التّوبة، و أماط الحوبة، فقد أقيم على الطّريق، و هدى نهج السّبيل.

اللغة

(نسخت) الكتاب نسخا من باب منع نقلته و انتسخته كذلک، و نسخت الشّمس الظل أى أزالته قال ابن فارس: و كلّ شىء خلف شيئا فقد انتسخه فيقال انتسخت الشمس الظلّ و الشّيب الشّباب أى أزاله و كتاب منسوخ و منتسخ منقول، و النّسخة الكتاب المنقول و تناسخ الأزمنة و القرون تتابعها و تداولها، لأنّ كلّ واحد ينسخ حكم ما قبله و يثبت الحكم لنفسه، و منه تناسخ المواريث لأنّ الارث لا يقسّم على حكم الميّت الأوّل بل على حكم الثانى و كذلک ما بعده.

و (يسهم) بالبناء على المفعول من اسهمت له أعطيته سهما أى نصيبا و (عهر) عهرا من باب تعب زنا و فجر فهو عاهر و عهر عهورا من باب قعد لغة و فى الحديث:

الولد للفراش و للعاهر الحجر، أى إنّما يثبت الولد لصاحب الفراش و هو الزّوج

و للعاهر الجنبة «الخيبة» و لا يثبت له نسب و هو كما يقال له التّراب أى الخيبة لأنّ بعض العرب كان يثبت النّسب من الزّنا فأبطله الشرع.

و(الدّعامة)بالكسر ما يستند به الحائط إذا مال يمنعه من السّقوط و الجمع دعائم كعمائم، و يستعار بسيّد القوم فيقال هود عامة القوم كما يقال: هو عمادهم، و (عصمه) اللّه من المكروه من باب ضرب حفظه و وقاه، و الاسم العصمة بالكسر و يجمع على عصم وزان عنب و جمع الجمع أعصم و عصمة و جمع جمع الجمع أعصام.

و (كفى) الشىء يكفى كفاية فهو كاف إذا حصل به الاستغناء عن غيرهقال الشّارح المعتزلى:فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف،الوجه فيه كفاية فانّ الهمز لا وجه له ههنا لأنّه من باب آخر و لكنّه أتى بالهمزة للازدواج بين كفاء و شفاء كما قالوا: الغدايا و العشايا، و كما قال عليه السّلام، مأزورات غير مأجورات، تأتى بالهمزة و الوجه الواو للازدواج.

و (الولاية) بفتح الواو المحبّة و النّصرة و (الكأس) بهمزة ساكنة و يجوز تخفيفها القدح المملوّ من الشّراب و لا تسمّى كأسا إلاّ و فيها شراب و هى مؤنثة سماعيّة و (ريى) من الماء و اللّبن كرضى ريّا و ريّا و تروّى و ارتوى و الاسم الرى بالكسر، و ماء روىّ كغنّى و رواء كسماء كثير مرو و (القارعة) الدّاهية لأنّها تقرع الناس بشدّتها و منه سمّى الموت قارعة و كذلك القيامة لمزيد هو لها و (معارف) الدّار ما يعرفها المتوسّم بها واحدها معرف مثل معاهد الدّار و معالم الدار و (طوبى) مصدر من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمّة ما قبلها أو اسم شجرة فى الجنّة.

الاعراب

قوله: كلّما نسخ اللّه بنسخ كلّ على الظرف، و الفاء فى قوله فليقبل فصيحة، و قوله: حتّى يستبدل، متعلّق بقوله و لينظر، و قوله: فطوبى لذى قلب سليم الفاء فصيحة، و طوبى مرفوع على الابتداء خبره لذى قلب و لهج السّبيل بالنّصب

على نزع الخافض.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هـذه الخطبة مسوقة لوصف حال عباد اللّه الصّالحين و أوليائه الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و ختمها بالذّكرى و الموعظة و افتتحها بالشّهادة بعدل اللّه عزّ و جلّ و فصله ثمّ بنعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تزكية نسبه و أصله فقال:

(و أشـهد أنّه عدل عدل) قال الشّارح المعتزلى: الضـمير فى أنّه راجع إلى القضاء و القدر المذكور فى صدر هذه الخطبة و لم يذكره الرّضى رحمه اللّه، قال:

و نسبة العدل إلى القضاء على طريق المجاز، و هو بالحقيقة منسوب إلى ذى القضاء و القاضى به هو اللّه تعالى اه، و محصّله أنّه تعالى عدل مبالغة أو عادل حقيقة فى جميع أفعاله و أحكامه لكون الظلم قبيحا عقلا و نقلا فيستحيل فى حقّه.

قال الشّارح البحرانى: و البارى تعالى عادل بالنظر إلى حكمه و قضائه أى لا يقضى فى ملكه بأمر إلاّ و هو على وفق النّظام الكلىّ و الحكمة البالغة، و يدخل فى ذلك جميع أفعاله و أقواله، فانّه لا يصدر منها شـىء إلاّ و هو كذلك و أما الجزئيات المعدودة شـرورا و صورة جور فى هـذا العالم، فانّها إذا اعتبرت شـرورا نسـبة و مع ذلك فهى من لوازم الخير و العـدل لابدّ منها، و لا يمكن أن يكون الخير و العدل من دونها كمـا لاـ يمكن أن يكون الانسـان إنسانـا إلاّ و هو ذو غضب و شـهوة يلزمهما الفساد و الشـرّ الجزئى، و لمّا كان الخير أكثر و كان ترك خير الكثير لأجل الشـرّ القليل شـرّا كثيرا فى الجود و الحكمة وجب تلك الشّرور الجزئية لوجود ملزوماتها، و أشار بقوله عدل إلى ايجاد العدل بالفعل، انتهى.

(و حكم فصـل) أى حـاكم بـالحقّ فصل بين الحقّ و الباطل بما بعث به رسوله من كتابه العزيز، و إنّه لقول فصل و ما هو بالهزل، و يفصـل أيضا بين عباده يوم القيامـة فيما هم فيه يختلفون كما قال عزّ من قائل «إنّ يوم الفصل كان ميقاتا» و قال «إنّ ربّک هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» أى يقضى فيميّز الحقّ من الباطل تمييز المحقّ من المبطل و الطيّب من الخبيث فيما كانوا يختلفون فيه

من أمر الـدّين، و فى آيـة أخرى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هـادُوا وَ الصّـابِئِينَ وَ النَّصـارى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ » أى بالحكومة بينهم و اظهار الحقّ من المبطل و جزاء كلّ بما يليق به.

(و أشهد أن محمّدا) صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (عبده و سيّد عباده).

أما أنه عبـده فقـد شـهد به الكتاب العزيز فى مواضع عديدة مقدما على شـهادته عليه السّلام قال سـبحانه «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً » و قال «تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً » و قال «فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى » و قال «هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلى عَبْدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » إلى غير ذلک مما لا حاجـة إلى ذكره و قـد تقـدّم بيان حقيقة العبوديّة فى شـرح الخطبة الحادية و السبعين تفصيلا فليراجع ثمة، و اجمال ما قدّمناه هنا أنّ العبد لا يكون عبدا حقيقة إلاّ أن لا يرى لنفسه مالا و لا له فى أموره تدبيرا، و يكون أوقاته مسـتغرقة بخدمة مولاه، و هكذا كان حال سـيّدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الطيّبين من آله سـلام اللّه عليهم فانهم رأوا جميع ما فى أيـديهم مال اللّه فصـرفوه فى عيال اللّه و هم الفقراء و المساكين، و وكلوا جميع امورهم الى اللّه رضاء بقضائه فشكروا على نعمائه و صبروا على بلائه و كانت أوقاتهم مصروفة إلى عبادته و قيام أوامره و نواهيه و طاعته.

و أمـا أنه سـيّد عبـاده فلاـ ريب فيه، و الظـاهر أنّ المراد به جميع البشـر لا خصوص عباد اللّه الصالحين الكمّلين من الأنبياء و الرّسل و من دونهم، لدلالة الأدلّة على العموم حسبما عرفت تفصيلا فى تضاعيف الشرح و أقول هنا مضافا إلى ما قدّمنا:

روى فى البحار من الكافى باسـناده عن صالح بن سـهل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام انّ بعض قريش قال: سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم بأىّ شـىء سـبقت ولد آدم؟ قال: إننى أوّل من أقرّ بربّى إنّ اللّه أخذ ميثاق النبيّين و أشهدهم على أنفسهم أ لست بربّكم قالوا بلى فكنت أوّل من أجاب.

و فيه من الخصال فى وصيّة النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعلىّ عليه السّلام يا على إنّ اللّه عزّ و جلّ

أشرف على الدّنيا فاختارنى منها على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانية فاختارک على رجال العالمين بعدى، ثمّ اطلع الثالثة فاختار الأئمّة من ولدک على رجال العالمين بعدک، ثمّ اطلع الرّابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين.

و فيه من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا اسرى بى إلى السماء قال لى العزيز الجبّار: يا محمّد انّى اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتک منها و اشتققت لک اسما من أسمائى لا اذكر فى مكان إلاّ و أنت معى، فأنا محمود و أنت محمّد الحديث و فيه من العيون عن الهروى عن الرّضا عليه السّلام فى حديث طويل قال: إنّ آدم على نبيّنا و آله و عليه السّلام لمّا أكرم اللّه تعالى باسجاد ملائكته و بادخال الجنّة قال فى نفسه: هل خلق اللّه بشرا أفضل منّى، فعلم اللّه عزّ و جلّ ما وقع فى نفسه فناداه ارفع رأسک يا آدم فانظر إلى ساق عرشى، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، فقال آدم:

يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ: هؤلاء من ذريّتک و هم خير منک و من جميع خلقى و لولاهم ما خلقتک و لا خلقت الجنّة و النّار و لا السّماء و الأرض إلى آخر ما تقدّم روايته فى التّذنيب الثّانى من شرح الفصل الثانى عشر من الخطبة الاولى.

و فيه أيضا من اكمال الدين عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن موسى عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنا سيّد من خلق اللّه و أنا خير من جبرئيل و ميكائيل و حملة العرش و جميع الملائكة المقرّبين و أنبياء اللّه المرسلين، و أنا صاحب الشفّاعة و الحوض الشريف و أنا و علىّ أبوا هذه الائمّة، «الامة» من عرفنا فقد عرف اللّه، و من أنكرنا فقد أنكر اللّه عزّ و جلّ الحديث.

و فى شرح المعتزلى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أنا سيّد ولد آدم و لا فخر.

و عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيضا: ادعوا لى سيّد العرب عليا، فقالت عايشة: أ لست سيّد العرب؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أنّا سيّد البشر و علىّ سيّد العرب.

و الأخبار فی هذا المعنی فوق حدّ الاحصاء و لا حاجة إلی الاطالة بروایتها.

قال الصـدوق فی الهدایـة: یجب أن یعتقـد أنّ النّبوة حقّ کما اعتقـدنا أنّ التوحید حقّ، و أنّ الأنبیاء الّذین بعثهم اللّه مأئة ألف نبیّ و أربعة و عشـرون ألف نبیّ، جاءوا بالحقّ من عند الحقّ، و أنّ قولهم قول اللّه و أمرهم أمر اللّه و طاعتهم طاعة اللّه و معصیتهم معصیة اللّه، و أنهم لم ینطقوا إلاّ من اللّه عزّ و جلّ و عن وجهه و أنّ سادة الأنبیاء خمسة الذین علیهم دارة الرّحی و هم أصحاب الشرائع و هم أولو العزم:

نوح، و إبراهیم، و موسـی، و عیسی، و محمّد صلوات اللّه علیهم و أنّ محمّدا صلوات اللّه علیه سیّدهم و أفضلهم، و أنه جاء بالحقّ و صدّق المرسلین، و أنّ الذین آمنوا به و عزّروه و نصروه و اتبعوا النور الذی انزل معه اولئک هم المفلحون، و یجب أن یعتقد أنّ اللّه تبارک و تعالی لم یخلق خلقا أفضل من محمّد صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و من بعده الأئمة صلوات اللّه علیهم، و أنهم أحبّ الخلق إلی اللّه عزّ و جلّ و أکرمهم علیه و أولهم اقرارا به لما أخذ اللّه میثاق النبیین فی الذّر إلی آخر ما قال:

(کلّما نسخ اللّه الخلق فرقتین) أی خلّفهم حیث نقلهم من البطن الأول إلی البطن الثانی و قسمهم إلی فرقتین فرقة خیر و فرقة شرّ (جعله فی خیرهما) حسبما عرفت تفصیلا فی شرح الخطبة الثالثة و التسعین قال الشارح المعتزلی: و هذا المعنی قد ورد مرفوعا فی عدّة أحادیث نحو قوله صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم: ما افترقت فرقتان منذ نسل آدم ولده إلاّ کنت فی خیرهما، و نحو قوله صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ اللّه اصطفی من ولد إبراهیم إسماعیل و اصطفی من ولد إسماعیل مضر و اصطفی من مضر کنانة و اصطفی من کنانة قریش و اصطفی من قریش هاشما و اصطفانی من بنی هاشم.

(لم یسـهم فیه عاهر) أی لم یجعل فی نسـبه الشـریف ذا سهم و نصیب (و لا ضرب فیه فاجر) أی لم یکن لفاجر فیه شرک، یقال: ضرب فی کـذا بنصـیب إذا کان شـریکا فیه و المراد طهارة نسـبه الشامخ من شوب دنس الجاهلیة و نجس السـفاح أی تناسـخته کرایم الأصـلاب إلی مطهّرات الأرحام و کان نورا فی الأصلاب الشامخة

و الأرحام المطهرة، لم تدنس نسبه الجاهلية بأنجاسها و لم تلبسه من مدلهمات ثيابها و قد عرفت تفصيله أيضا فى شرح الخطبة الثالثة و التسعين، هذا.

و لما فرغ عليه السّلام من وصف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رغّب المخاطبين فى دخولهم فى زمرة أهل الخير و الحق و الطاعة بقوله:

(ألا ـ و انّ اللّه قد جعل للخير أهلا) و هم الأبرار المتّقون و أهل الزّهد و الصلاح من المؤمنين قال سبحانه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » أى تحروا ما هو خير و أصلح فيما تأتون و تذرون كنوا فل الطاعات و صلة الأرحام و مكارم الأخلاق.

و قال الصادق عليه السّلام جعل الخير كلّه فى بيت و مفتاحه الزّهد فى الدّنيا، و خير الخير هو رضوان اللّه تعالى، و شرّ الشرّ سخطه و النار.

و الخيرات الاخروية إنما تكسب بالخيرات الدّنيوية و لذلک أمر اللّه سبحانه بها فى الاية السابقة بقوله «و افعلوا الخير» و فى قوله «فاستبقوا الخيرات» أى الأعمال الصالحة و الطاعات المفروضة و المندوبة و رئيس أهل الخير هم الأئمة عليهم الصلاة و السلام كما أشير اليه فى زيارتهم الجامعة بقوله: إن ذكر الخير كنتم أوّله و أصله و فرعه و معدنه و مأواه و منتهاه.

(و للحقّ دعائم) الظاهر أنّ المراد بالحقّ ضدّ الباطل و بدعائمه الأئمّة عليهم السّلام لأنهم أئمة الحقّ بهم قوامه و دوامه و ثباته و غيرهم أئمة الباطل كما اشير إلى ذلک فى قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ » و قوله «أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي » و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الحديث المتفق عليه بين الفريقين: الحقّ مع علىّ و هو مع الحقّ أينما دار و من طرق الخاصة مستفيضا بل متواترا كما قيل عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الأئمة عليهم السّلام عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: الحقّ مع الأئمة الاثنى عشر، و فى زيارتهم الجامعة: الحقّ معكم و فيكم و منكم و اليكم و أنتم أهله و معدنه.

و فى رواية الكافى عن محمّد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ليس عند

أحـد من النّاس حقّ و لا صواب و لا أحـد من الناس يقضـى بقضاء حقّ إلاّ ما خرج منا أهل البيت، و إذا تشـعّبت بهم الأمور كان الخطاء منهم و الصواب من علىّ عليه السّلام و قوله (و للطاعة عصـما) يحتمل أن يكون المراد بالعصمة ما يعتصم به كما فسّر به قوله تعالى «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ » أى بما يعتصم به الكافرات من عقد و سبب أى لا تمسكوا بنكاح الكوافر، و سمّى النّكاح عصمة لأنّها لغة المنع و المرأة بالنّكاح ممنوعة من غير زوجها.

و على ذلـک فـالمراد بعصم الطاعـة هم الأئمـة عليهم السّلام و القرآن إذ بهمـا يعتصم و يتمسّک فى الطاعات أمّا الأئمّة عليهم السّلام فلاسـتناد الطّاعـة و العبادة إليهم لأنّهم عليهم السّلام نشـروا شـرايع الأحكام و بموالاتهم علّمنا اللّه معالم ديننا، و بموالاتهم تقبل الطّاعة المفترضـة كما ورد فى فقرات الزّيارة الجامعـة و فى رواية الكافى المتقدّمة فى شـرح الفصل الخامس من الخطبة الثانية عن مروان بن مياح عن الصّادق عليه السّلام قال: و بعبادتنا عبـد اللّه و لولا نحن ما عبد اللّه، و فى غير واحد من أخبارهم: بنا عرف اللّه و بنا عبد اللّه و سـبّحنا فسبّحت الملائكة و هلّلنا فهلّلت الملائكة، و الحاصل أنّهم أساس الدّين و عماد اليقين و أمّا القرآن فلكونه مدرک التكاليف و الطاعات كما قال تعالى «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ » أى طريق الشّريعة و الطّاعة و لذلک أمر اللّه بالاعتصام به فى قوله: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ » أى بالقرآن استعير له الحبل لأنّ الاعتصام و التّمسک به سبب النّجاة من الرّدى كما أنّ التّمسک بالحبل سبب النّجاة من الرّدى.

و يحتمل أن يكون المراد بها أى بالعصـمة الحفظ و الوقاية كما فى قولهم عصمه اللّه من المكروه أى حفظه و وقاه، و عصمة اللّه للعبد منعه و حفظه له من المعصـية و على ذلـک فالمراد بعصم الطّاعـة الخواص الكامنـة لها المانعـة له من هلكات الـدّنيا و عقوبات الاخرة كما قال تعـالى: «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحـاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كانُوا يَعْمَلُونَ » و الاتيان بصـيغة الجمع أعنى عصما إمّا باعتبار تعدّد أنواع الطّاعة أو تعدّد

خواصـها أو كثرة ما يعصم بها منها من أنواع العقوبات، فانّ كلّ طاعـة فله عصـمة من نوع مخصوص أو أنواع من العذاب، و بقبالها الذّنب و المعصـية، فانّ لكلّ ذنب أثرا خاصّا فى جلب نوع مخصوص أو أنواع من السّخط كما اشير إلى ذلک فى الدعاء اللّهمّ اغفر لى الذّنوب الّتى تهتک العصم اللّهمّ اغفر لى الـذّنوب الّتى تنزل النّقم اللّهمّ اغفر لى الـذّنوب الّتى تغيّر النعم، اللهمّ اغفر لى الـذّنوب الّتى تحبس الـدّعاء، اللّهم اغفر لى الذنوب الّتى تنزل البلاء، اللّهمّ اغفر لى الذنوب الّتى تقطع الرّجاء، هذا.

و أنت بعد الخبرة بما حقّقناه فى شرح هذه الفقرة و سابقتيه تعرف أنّ ما قلناه أولى:

ممّا قاله الشارح البحرانى فى شـرح تلک الفقرات حيث قال: قوله عليه السّلام ألا و انّ اللّه - إلى قوله عصـما - ترغيب للسّامعين أن يكونوا من أهل الجنّة و دعائم الحقّ و عصم الطاعة.

و ممّا قاله الشارح المعتزلى من أنّ دعائم الحقّ الأدلّة الموصـلة إليه المثبت له فى القلوب و عصم الطاعة هى الادمان على فعلها و التّمرن على الاتيان بها، لأنّ المروّن على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضى سهولته عليه.

و ممّا قـاله بعض الشّراح من أنّ المراد بعصم الطاعـة العبـادات الّتى توجب التوفيق من اللّه سـبحانه و ترک المعاصـى الموجبـة لسـلبه أو الملائكة العاصمة للعباد عن اتباع الشياطين انتهى، فافهم جيّدا.

قوله عليه السّلام (و انّ لكم عنـد كـلّ طاعـة عونـا من اللّه) الظـاهر أنّ المراد بـالعون توفيق اللّه و لطفه المخصوص فى حقّ المطيعين، فانّ الاتيان بالطاعات إنّما هو بعونه و توفيقه كما أنّ المعاصـى بخـذلانه و سـلب توفيقه كما اشـير إلى ذلک فى قوله تعالى «وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا » و اشير إليه أيضا فى أخبارهم عليهم السّلام.

روى فى البحار من توحيد الصّدوق باسناده عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السّلام

قـال: سألته عن معنى لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه، فقال عليه السّلام: لا حول لنا عن معصـية اللّه إلاّ بعون اللّه، و لا قوّة لنا على طاعـة اللّه إلاّ بتوفيق اللّه عزّ و جلّ.

و فيه من كنز الكراجكى قال الصادق عليه السّلام: ما كلّ من نوى شيئا قدر عليه، و لا كلّ من قدر على شىء وفق له، و لا كلّ من وفق لشىء أصاب به فاذا اجتمعت النيّة و القدرة و التوفيق و الاصابة فهنا لک تمّت السعادة.

و فيه أيضـا من التّوحيـد عن الهاشـمى قـال: سألت أبا عبـد اللّه جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن قوله «و ما توفيقى إلاّ باللّه» و قوله «إن ينصـركم اللّه فلا غالب لكم و إن يخـذلكم فمن ذا الـذى ينصـركم من بعـده» فقال عليه السّلام: إذا فعل العبد ما أمره اللّه عزّ و جلّ به من الطاعة كان فعله وفقا لأمر اللّه عزّ و جلّ و سمّى العبد به موفّقا، و إذا أراد العبد أن يدخل فى شىء من معاصى اللّه فحال اللّه تبارک و تعالى بينه و بين المعصـية كان تركه لها بتوفيق اللّه تعالى، و متى خلّى بينه و بين المعصية فلم يحل بينه و بينها حتّى يرتكبها فقد خذله و لم ينصره و لم يوفّقه.

فقـد ظهر بما ذكرنا أنّ طاعة اللّه عزّ و جلّ لا يتمكّن منها إلاّ بعونه و توفيقه لأنّ التوفيق عبارة عن أن يجمع بين جميع الأسـباب الّتى يحتاج إليها فى حصول الفعل، و لهـذا لا يقال فيمن أعان غيره وفّقه لأنّه لا يقدر أن يجمع بين جميع الأسـباب المحتاجة إليها فى حصول الفعل و لانحصار التوفيق فيه تعالى جىء بكلمة الحصـر فى قوله إيّاک نستعين أى نستوفق و نطلب المعونة على عبادتک و على امور ما كلّها منک و انّ غيرک «كـذا» إذا لا يقـدر عليه أحـد سواک، و إذا حصل التوفيق و شـمله اللّطف و علم أنّ له فى فعل العبادة الثواب العظيم زاد ذلک فى نشاطه و رغبته، فيسهل للعبد حينئذ القيام بوظايف الطاعات لأنّه يعين عليها و يقوى الأعضاء و الجوارح على الاتيان بها.

و لتقويته لها قال عليه السّلام(يقول على الألسـنة)فاسـند إليه القول توسّعا لكونه ممدّا له و لكونه سـببا لتثبيت القلوب و اطمينانها قال عليه السّلام(و يثبت الأفئدة)فأسند

التثبيت إليه مجـازا لأنّه فى الحقيقـة فعل اللّه سـبحانه كما قال تعالى«يُثَبِّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ فِى الْحَياةِ الـدُّنْيا »و قال«لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ ».

و إلى هذا التثبيت و توضـيحه اشير فى قوله تعالى «فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِى السَّماءِ كَذلِکَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ».

روى فى البحار من محاسن البرقى عن أبيه عن فضالة عن أبى بصـير عن خثيمة بن عبد الرحمن الجعفى قال: سـمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ القلب ينقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحقّ فاذا أصاب الحقّ قرّ ثمّ ضمّ أصابعه و قرء هذه الاية: فمن يرد اللّه أن يهديه، الاية.

و فى البحار أيضا من التّوحيـد و العيون عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن حمدان بن سـليمان قال: سألت أبا الحسن علىّ بن موسـى الرّضـا عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ «فَمَنْ يُرِدِ اللّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ » قال عليه السّلام: من يرد اللّه أن يهديه بايمانه فى الدّنيا إلى جنّته و دار كرامته فى الاخرة يشـرح صدره للتّسـليم باللّه و الثّقة به و السّكون إلى ما وعده من ثوابه حتّى يطمئنّ، و من يرد أن يضلّه عن جنّته و دار كرامته فى الاخرة لكفره به و عصـيانه له فى الدّنيا يجعل صدره ضـيّقا حرجا حتّى يشكّ فى كفره و يضطرب من اعتقاده قلبه حتّى يصـير كأنّمـا يصّعّد فى السّماء، كـذلک يجعـل اللّه الرّجس على الّذين لا يؤمنون فقـد علم بما ذكرنا كلّه أنّ للّه سـبحانه فى حقّ عباده المطيعين المقرّبين الّذين لا يشاءون الاّ أن يشاء اللّه و لا يريدون إلاّ ما أراد اللّه ألطافا خاصّة و عناية مخصوصة يستولى على قلوبهم بلطفه، و يتصـرّف فى جوارحهم بأمره ففى كلّ آن يحصل منه التوفيق و الافاضات على أرواحهم و التّصرف فى أبدانهم فيطمئنّ به قلوبهم و ينظرون بنور اللّه و يبطشون بقوّة اللّه كما قال تعالى فيهم: فبى يسـمع و بى يبصر و بى ينطق و بى يمشى و بى يبطش، و قال عزّ و جلّ: كنت سمعه و بصره و يده و رجله و لسانه.

(فيه كفاء لمكتف و شفاء لمشتف) يعنى فى عون اللّه عزّ و جلّ غناء لمن استغنى،

إذ مع عونه لا يبقى افتقار إلى غيره، و شفاء لمن استشفى لأنّه تعالى الكافى الشّافى لا كافى سواه كما قال «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » و لا شافى غيره كما قال «وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ » و لا يحصل الغنى و الشفاء إلاّ بعونه و حوله و قوّته و لذلک أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باكثار الحوقلة عند الفقر و المرض.

كما رواه فى الرّوضة من الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من ألحّ عليه الفقر فليكثر من قول لا حول و لا قوة الاّ باللّه العلىّ العظيم.

و قال عليه السّلام فقد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجلا من الأنصار، فقال: ما غيّبک عنّا؟، فقال:

الفقر يا رسول اللّه و طول السقم فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألا أعلّمک كلاما إذا قلته ذهب عنک الفقر و السقم؟ فقال: بلى يا رسول اللّه فقال: إذا أصبحت و أمسيت فقل لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه توكّلت على الحىّ الّذى لا يموت و الحمد للّه الّذى لم يتّخذ صاحبة و لا ولدا و لم يكن له شريک فى الملک و لم يكن له ولىّ من الذّل و كبره تكبيرا، فقال الرّجل: فو اللّه ما قلته إلاّ ثلاثة أيام حتّى ذهب عنّى الفقر و السّقم.

ثمّ شرع فى وصف عباد اللّه الكمّلين ترغيبا للمخاطبين إلى اقتفاء آثارهم و اقتباس أنوارهم و سلوک مسالكهم فقال عليه السّلام:

(و اعلموا أنّ عباد اللّه المستحفظين علمه) المستحفظين فى أكثر النّسخ بصيغة المفعول أى الّذين طلب منهم الحفظ، و فى بعضها بصيغة الفاعل أى الطالبين للحفظ.

و المراد بهم إمّا الأئمّة عليهم السّلام خصوصا أو هم مع خيار شيعتهم لاتّصافهم جميعا بالاستحفاظ و بغيره من الأوصاف الاتية و إن كان اتّصافهم بها آكد و أقوى لكونهم عليهم السّلام حفظة لسرّه و خزنة لعلمه كما ورد فى فقرات الزّيارة الجامعة، و فيها أيضا و ائتمنكم على سرّه، و قد وصفهم عليه السّلام بذلک فى الفصل الرّابع من الخطبة الثانية حيث قال: هم موضع سرّه و لجاء أمره و عيبة علمه، و قدّمنا هنا لک مطالب نفيسة، و إلى ذلک الحفظ اشير فى قوله تعالى «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ » أى

تحفظها أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكّرة و اشاعته و التفكر فيه و العمل بمقتضاه.

روى فى الصافى من مجمع البيان عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال لعلىّ عليه السّلام: يا على إنّ اللّه تعالى أمرنى أن ادنيک و لا اقصيک و أن اعلّمک و تعى و حقّ على اللّه أن تعى فنزل: «وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ ».

و فيه منه و من العيون و الجوامع عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه لمّا نزلت هذه الاية قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

سألت اللّه عزّ و جلّ أن يجعلها اذنک يا على.

و فى رواية لمّا نزلت قال: اللهمّ اجعلها اذن علىّ، قال علىّ عليه السّلام: فما سمعت شيئا من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فنسيته، و زاد فى اخرى: و ما كان لى ان انسى و فى الكافى عن الصادق عليه السّلام لمّا نزلت هذه الاية قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: هى أذنک يا على.

و بالجملة فالأئمة سلام اللّه عليهم خزنة علم اللّه أمرهم اللّه بحفظه كما أنّ خيار شيعتهم أوعية علومهم المتلقاة من اللّه عزّ و جلّ، و هم أيضا طلبوا منهم حفظها عن الضّياع و النّسيان.

(يصونون مصونه و يفجرون عيونه) أى يحفظون ما يجب حفظه لكونه من الأسرار الّتى لا يجوز اظهارها أصلا، فانّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله ملک مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان على ما عرفت تحقيقه فى شرح الفصل الرّابع من الخطبة الثانية.

أو لا يجوز اظهارها إلاّ للأوحدى من شيعتهم الحافظين لها و إليه أشار علىّ ابن الحسين عليهما السّلام بقوله: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله.

و يفجرون ينابيعه و يظهرون ما ليس من قبيل الأسرار بل من قبيل التكاليف و الأحكام و نحوها و يعلّمونها غيرهم.

و تشبيه العلم بالعين استعارة بالكناية و ذكر العيون تخييل و التفجير ترشيح الجامع أنّ فى العلم حياة الأرواح كما أنّ فى الماء حياة الأبدان، و إنّما شبّه

بماء العين بخصوصه لكونه زلالا صافيا و فيه من العذوبة و الصّفاء ما ليس فى ساير المياه، فكان أبلغ فى التشبيه و قد وقع نظير ذلک التشبيه فى قوله تعالى «إِنْ أَصْبَحَ ماؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِماءٍ مَعِينٍ » يعنى إن غاب إمامكم فمن يأتيكم بعلم الامام كما فسّر به فى عدّة روايات و لما أشار عليه السّلام إلى كمال المستحفظين فى الحكمة النظرية عقّبه بالتنبيه على كمالهم فى الحكمة العمليّة فقال:

(يتواصلون بالولاية) أى بالمحبّة و النصرة أو القرب و الصداقة يعنى أنّ مواصلتهم عن وجه الصدق و الصفا و الودّ و الوفا، لا عن وجه النفاق كما هو الغالب فى وصل أبناء الزّمان، و يحتمل أن يكون المراد بالولاية القرابة فيكون المراد بالجملة التواصل بالأرحام و صلة الرّحم و الأوّل أظهر.

(و يتلاقون بالمحبّة) هذه الجملة كالتفسير للجملة السابقة أى يكون ملاقاتهم عن حبّ كلّ منهم لصاحبه.

فقد قال أبو عبد اللّه فى رواية الكافى عن صفوان الجمال عنه عليه السّلام: ما التقى مؤمنان قط إلاّ كان أفضلهما أشدّ حبّا لأخيه.

و فيه أيضا عن شعيب العقرقوفى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول لأصحابه:

اتّقوا اللّه و كونوا اخوة بررة متحابّين فى اللّه متواصلين متراحمين تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا أمرنا و أحيوه.

(و يتساقون بكأس روية) أى يسقى كلّ منهم للاخر بكأس العلم و المعرفة الّتى بها رواء كلّ غليل.

أمّا الأئمّة فلأنّ كلاّ منهم أخذ علمه عن الاخر حتّى انتهى إلى أمير المؤمنين و أخذه عليه السّلام عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أخذه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن اللّه بوحى أو إلهام.

و يشهد بذلک ما رواه فى الكافى عن الحكم بن عتيبة قال لقى رجل الحسين بن علىّ عليهما السّلام بالثعلبيّة و هو يريد كربلا فدخل عليه فسلّم فقال له الحسين عليه السّلام:

من أيّ البلاد أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال عليه السّلام: أما و اللّه يا أخا أهل الكوفة لو لقيتک بالمدينة لأريتک أثر جبرئيل من دارنا و نزله بالوحى على جدّى، يا أخا أهل الكوفة أ فمستقى الناس العلم من عندنا فعلموا و جهلنا؟ هذا ما لا يكون.

و فيه عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: نزل جبرئيل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم برّمانتين من الجنّة فلقيه علىّ عليه السّلام فقال: ما هاتان الرّمانتان اللّتان فى يدک؟ فقال: أمّا هذه فالنّبوّة ليس لک فيها نصيب، و أمّا هذه فالعلم، ثمّ فلقها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنصفين فأعطاه نصفها و أخذ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نصفها ثمّ قال: أنت شريكى فيه و أنا شريکک فيه قال: فلم يعلم و اللّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حرفا ممّا علّمه اللّه عزّ و جلّ إلاّ و قد علّمه عليّا، ثمّ انتهى العلم إلينا، ثمّ وضع يده على صدره.

و فيه عن هشام بن سالم و حمّاد بن عثمان و غيره قالوا سمعنا أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: حديثى حديث أبى، و حديث أبى حديث جدّى، و حديث جدّى حديث الحسين عليه السّلام، و حديث الحسين عليه السّلام حديث الحسن عليه السّلام، و حديث الحسن عليه السّلام حديث أمير المؤمنين صلوات اللّه و سلامه عليه، و حديث أمير المؤمنين عليه السّلام حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قول اللّه عزّ و جلّ.

و أمّا أصحاب الأئمة عليهم السّلام فلأنّهم قد استقوا من منهل علومهم عليهم السّلام و تعلّموها منهم و علّموها غيرهم بأمرهم عليهم السّلام.

كما يشير إليه ما رواه فى الكافى عن يزيد بن عبد الملک عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: تزاوروا فان فى زيارتكم إحياء لقلوبكم و ذكرا لأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فان أخذتم بها رشدتم و نجوتم، و إن تركتموها ظللتم و هلكتم فخذوا بها و أنا بنجاتكم زعيم.

و فى الوسائل عن الكافى عن محمّد بن حكيم قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّلام: فقّهنا فى الدّين و أغنانا اللّه بكم من الناس حتّى أنّ الجماعة منّا ليكون فى المجلس ما يسأل رجل صاحبه إلاّ يحضره المسألة و يحضره جوابها فيما من اللّه علينا بكم.

فقد ظهر بذلک أنّ المستحفظين علم اللّه عزّ و جلّ من الأئمة عليهم السّلام و أصحابهم

يأخذون العلوم الحقّة و المعارف اليقينية من عين صافية و يستقون بكأس مروية (و يصدرون) عنها (بريّة) لا ظمأ بعدها.

و أما غيرهم فقد استقوا من سراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتّى إذا جاءه لم يجده شيئا و وجد اللّه عنده فوفّاه حسابه و اللّه سريع الحساب.

(لا تشوبهم الرّيبة) يحتمل أن يكون المراد نفى الشكّ عنهم لشدّة يقينهم و مزيد تقواهم و رسوخهم فى الايمان.

قال الرّضا عليه السّلام فيما رواه فى الكافى عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر عنه عليه السّلام:

الايمان فوق الاسلام بدرجة، و التّقوى فوق الايمان بدرجة، و اليقين فوق التّقوى بدرجة، و لم يقسم بين العباد شىء أقلّ من اليقين.

و يحتمل أن يكون المراد نفى التّهمة و سوء الظنّ أى لا يتّهم بعضهم بعضا لأنّه اذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح فى الماء، رواه فى الكافى عن إبراهيم بن عمر اليمانى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

(و لا تسرع فيهم الغيبة) أى إذا أراد أحد غيبتهم فلا يتسرّع غيبته إليهم كما يتسرّع إلى غيرهم بطهارة نفوسهم من القبايح و المساوى الموجبة لسرعتها بما لهم من ملكة العصمة و العدالة (على ذلك) أى على ما ذكر من الأوصاف الكماليّة (عقد) اللّه (خلقهم و أخلاقهم) يعنى أنّ اتّصافهم بتلك الكمالات ليس بتكلّف، بل هى مقتضى سجيتهم و هم مجبولون عليها لأنّ طينتهم عليهم السّلام من أعلا عليّين و شيعتهم مخلوقة من فاضل طينتهم عجينة بنور ولايتهم.

كما قال الصادق عليه السّلام: شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا و عجنوا بنور ولايتنا.

و فى الكافى باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول إنّ اللّه عزّ و جلّ خلقنا من أعلا عليّين و خلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و خلق أبدانهم من دون ذلك و قلوبهم تهوى إلينا لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلى هذه الاية «كَلاّ إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ ما أَدْراكَ ما عِلِّيُّونَ كِتابٌ »

«مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ».

(فعليه) أى على ذلک العقد (يتحابّون و به يتواصلون) لأنّ الأرواح جنود مجندّة ما تعارف منها ائتلف و ما تخالف منها اختلف كما فى النّبوى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فقد قيل: إنّ المراد به انّ الأرواح خلقت مجتمعة على قسمين مؤتلفة و مختلفة كالجنود الّتى يقابل بعضها بعضا ثمّ فرّقت فى الأجساد، فإذا كان الايتلاف و المواخات أوّلا كان التعارف و التوالف بعد الاستقرار فى البدن و إذا كان التناكر و التخالف هناک كان التنافر و التناكر هناک.

و لعله إلى ذلک ينظر ما رواه فى الكافى عن حمزة بن محمّد الطيار عن أبيه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر إنّما تعارفتم عليه.

و مثله عن ابن مسكان و سماعة جميعا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لم تتواخوا على هذا الأمر و إنما تعارفتم عليه.

يعنى أنّ المواخاة على الولاية و الاخوّة فى الايمان كانت ثابتة بينكم فى عالم الأرواح و لم تقع هذا اليوم و فى هذه النشأة و إنّما الواقع فى هذه النّشأة هو التعارف الكاشف عن مواخاة عالم الأرواح الناشى منه.

(فكانوا) فى تفاضلهم على ساير الناس(كتفاضل البذر)و هو أوّل ما يعزل من البذر للزراعة من الحبوب(ينتقى)و يزكى(فيؤخذ منه)الرّدى(و يلقى)فلا يبقى منه إلاّ الجيّد الخالص(قد ميّزه)الانتقاء و(التّخليص و هذّبه التّمحيص)و التّميز.

و محصّله أنّ تفاضلهم كتفاضل البذر المنتقى جيّده و الملقى ردّيه، و هو من تشبيه المعقول بالمعقول، و تعقيبه بالانتقاء و الالقاء ترشيح لأنّهما من خواصّ المسند به و بالتّخليص و التّمحيص تجريد لكونهما من ملايمات المشبّه، فهو من قبيل التّشبيه المرشّح المجرّد، و قد مرّ توضيحه فى ديباجة الشرح عند ذكر أقسام الاستعارات.

و قد وقع نظير هذا التّشبيه فى حديث أبى عبد اللّه عليه السّلام المروىّ فى البحار

عن العياشی عن الوشا باسناد له یرسله إلیه علیه السّلام قال: و اللّه لتمحّصنّ و اللّه لتمیّزنّ و اللّه لتغربلنّ حتی لا یبقی منکم إلاّ الأندر، قلت: و ما الأندر؟ قال: البیدر، و هو أن یدخل الرّجل قبّة الطعام یطین(1) علیه ثمّ یخرجه و قد تأکل بعضه و لا یزال ینقیه ثمّ یکن علیه ثمّ یخرجه حتّی یفعل ذلک ثلاث مرّات حتّی یبقی ما لا یضرّه شیء.

ثمّ أصل التمحیص التخلیص و کثیرا ما یستعمل فی التّخلیص الحاصل بالاختبار و الامتحان، قال تعالی «وَ لِیَبْتَلِیَ اللّهُ ما فِی صُدُورِکُمْ وَ لِیُمَحِّصَ ما فِی قُلُوبِکُمْ » أی لیمتحن اللّه ما فی صدورکم و یظهر سرایرها من الاخلاص و النّفاق فیجازی المخلص باخلاصه و المنافق بنفاقه لأنّ المجازات إنّما هی بعد ظهور السّرایر و إلاّ فهو سبحانه عالم بالسّرائر و الضّمایر قبل ظهورها کما هو عالم بها بعد ظهورها، و لیمحّص أی و لیکشف و یمیّز ما فی قلوبکم من الطیب و الخبیث.

و قال أیضا «وَ لِیَعْلَمَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ یَتَّخِذَ مِنْکُمْ شُهَداءَ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ الظّالِمِینَ وَ لِیُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَ یَمْحَقَ الْکافِرِینَ » أی و لیبتلی اللّه الّذین آمنوا و لیخلصهم من الذّنوب أو ینجیهم من الذّنوب بالابتلاء و یهلک الکافرین بالذّنوب عند الابتلاء.

و فی الکافی عن ابن أبی یعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: ویل لطغاة العرب من أمر قد اقترب، قلت: جعلت فداک کم مع القائم علیه السّلام من العرب؟ قال: نفر یسیر، قلت: و اللّه إنّ من یصف هذا الأمر منهم لکثیر، قال علیه السّلام لا بدّ للنّاس من أن یمحّصوا و یمیّزوا و یغربلوا و یستخرج فی الغربال خلق کثیر.

و حاصل المرام أنّ المستحفظین علم اللّه قد امتازوا عن ساير الناس و تفاضلوا علیهم و خرجوا تامّ العیار من قالب الامتحان لکونهم المخلصین فی توحید اللّه

1- (1) - هکذا فی النسخة و لعله تصحیف و الصحیح تبین علیه او بطین علیه بالباء الجارة و اللّه العالم منه.

و التّامين فى محبة اللّه، و إخلاصهم العمل للّه، هذا.

و لمّا فرغ من شرح حال المستحفظين فرّع عليه قوله (فليقبل امرء كرامة بقبولها) أى ليقبل كرامة اللّه و إفضاله و عوائد موائده بقبول هذه المكارم و الصفات الجميلة، يعنى إذا كان المستحفظون متخلّقين بهذه المكارم و الأخلاق الحسنة فليتقبلها المؤمن بقبول حسن و ليحتذى حذوهم حتّى يدخل فى زمرتهم و يفوز بالكرامة العظيمة و النّعمة الدّائمة المعدّة فى حقّ المخلصين المكرّمين على ما بشّر به فى الكتاب الكريم فى قوله «إِنَّكُمْ لَذائِقُوا الْعَذابِ الْأَلِيمِ وَ ما تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلاّ عِبادَ اللّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَواكِهُ وَ هُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنّاتِ النَّعِيمِ عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضاءَ لَذَّةٍ » الايات هذا و لمّا لم يمكن تحصيل المكارم و نيل هذه الكرامات إلاّ بالتّجافى عن دار الغرور و الانابة إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل حلول الفوت، عقّبه بقوله:

(و ليحذر قارعة) أى داهية الموت (قبل حلولها و لينظر امرء فى قصير أيّامه و قليل مقامه فى منزل) أى ليتفكّر فى أيّامه القصيرة و إقامته القليلة فى دار الدّنيا (حتّى) يتنبّه من نوم الغفلة و (يستبدل به منزلا) غيره، و هى دار الخلود الّتى ليس لأيّامه نفاد و لا لاقامته انقطاع (فليصنع لمتحوّله) أى ليصنع المعروف و يعمل بالصّالحات لمحلّ انقلابه (و معارف منتقله) أى معالم موضع انتقاله.

ثمّ رغّب عليه السّلام إلى متابعته و متابعة الطيّبين من أولاده الأئمة الهداة عليه و عليهم السلام بقوله:

(فطوبى لذى قلب سليم) من حبّ الدّنيا و شوب الشرك و الرّيا و كدر المعاصى و هو الّذى اشير إليه فى قوله تعالى «يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلاّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » (أطاع من يهديه) من أئمة الهدى (و تجنّب من) يهلكه و (يرديه) من أئمة الضّلال و الرّدى (و أصاب سبيل السّلامة) و هى الجادّة الوسطى المحفوظة من رذيلتى الافراط و التّفريط و الصّراط المستقيم المؤدّى إلى جنّته و المبلّغ إلى رضوانه

و رحمته (بنصـر من بصـره) أى بعون امامه الحقّ الذى جعله بارشاده صاحب بصـر و بصـيرة فى سـلوك سبيل السّلامة (و طاعة هاد أمره) بالمعروف و نهاه عن المنكر فاهتدى بأمره إلى الجادّة المستقيمة.

(و بـادر الهـدى قبل أن تغلق أبوابه) عليه (و تقطع أسـبابه) عنه بموته، فانّ الموت إذا حلّ ارتفع التكاليف المحصّلة للسـعادة و انسـدّ أبواب الهداية.

(و اسـتفتح) باب (التّوبـة و أماط الحوبـة) أى أزال الاثم و الخطيّة و نحّاها عن لوح نفسه بممحاة اسـتغفاره و توبته (فقد اقيم على الطريق و هـدى نهج السّبيل) الواضح أى أقامكم اللّه على ذلک و هداكم اللّه بما نزّل فى كتابه على نبيّه من محكمات آياته كما أفصح عنه بقوله «قالُوا يا قَوْمَنا إِنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ » و قال «إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ » فلم يبق بعد تلک الاقامة و الهداية معذرة للمذنب و لا عتبى للمستعتب.

تذييل

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله عليه السّلام: لم يسهم فيه عاهر و لا ضرب فيه فاجر:

فى هـذا الكلام رمز إلى جماعة من الصـحابة فى أنسابهم طعن كما يقال إنّ آل سـعد بن أبى وقاص ليسوا من بنى زهرة بن كلاب و أنهم من بنى عـذرة من قحطان، و كما قالوا: إنّ آل الزّبير بن العوام من أرض مصـر من القبط و ليسوا من بنى اسـد بن عبد العزى، و كما يقال فى قوم آخرين نرفع هذا الكتاب عن ذكر ما يطعن فى أنسابهم كى لا يظنّ بنا أنّا نحبّ القالة فى الناس إلى أن قال:

قال أبو عثمان يعنى الجاحظ: و بلغ عمر بن الخطاب أنّ اناسا من رواة الأشـعار و حملـة الاثار يعيبون الناس و يثلبونهم فى أسـلافهم، فقام على المنبر و قـال: إيّـاكم و ذكر العيوب و البحث عن الاـصول فلو قلت لا يخرج اليوم من هـذه الأبواب من لا وصـمة فيه، لم يخرج منكم أحد، فقام رجل من قريش نكره أن نذكره فقال:

إذا كنت أنا و أنت يا أمير المؤمنين نخرج، فقال: كذبت بل كان يقال لک: ياقين

ابن قين اقعد.

قال الشارح: قلت: الرّجل الّذى قام هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى كان عمر يبغضه لبغضه أباه خالدا، و لأنّ المهاجر كان علويّ الرّأى جدّا و كان أخوه عبد الرّحمن بخلافه شهد المهاجر صفّين مع علىّ عليه السّلام و شهدها عبد الرحمن مع معاوية و كان مهاجر مع علىّ عليه السّلام يوم الجمل و فقئت ذلک اليوم عينه، و لا الكلام الّذى بلغ عمر بلغه عن مهاجر، و كان الوليد بن المغيرة مع جلالته فى قريش حدّادا يصنع الدّروع و غيرها بيده.

قال: و روى أبو الحسن المداينى هذا الخبر فى كتاب امّهات الخلفاء، و قال:

إنّه روى عند جعفر بن محمّد عليه السّلام بالمدينة، فقال عليه السّلام: لا تلمه يا ابن أخى إنّه أشفق أن يحدج بقضيّة نفيل بن عبد العزّى و صهّاک امة الزّبير بن عبد المطلب، ثمّ قال عليه السّلام: رحم اللّه عمر فانّه لم يعد السّنة و تلا «إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم» انتهى كلام الشارح.

اقول قول الصادق عليه السّلام: إنّه أشفق أن يحدج بقضيّة نفيل آه إشارة إلى ما قدّمنا فى شرح الفصل الثانى من الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة من نسب عمر تفصيلا و عرفت هناک أنّ نسبه الكثيف أنجس من جميع أنساب أولاد البغايا المدنسة بأنجاس الجاهليّة لم يسبقه فى ذلک سابق و لم يلحقه لاحق، و أقول هنا مضافا إلى ما سبق:

روى الشيخ الكلينى فى كتاب الرّوضة من الكافى عن الحسين عن أحمد بن هلال عن زرعة عن سماعة قال:

تعرّض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلى فقالت له: إنّ هذا العمرى قد أذانى، فقال لها: عديه و ادخليه الدّهليز، فأدخلته فشدّ عليه فقتله و ألقاه فى الطريق فاجتمع البكريّون و العمريّون و العثمانيّون و قالوا: ما لصاحبنا كفو أن يقتل به إلاّ جعفر بن محمّد، و ما قتل صاحبنا غيره، و كان أبو عبد اللّه عليه السّلام قد مضى نحو قبا، فلقيته بما اجتمع القوم عليه، فقال عليه السّلام: دعهم، فلمّا جاء و رأوه

وثبوا عليه، و قالوا: ما قتل صاحبنا أحد غيرک و ما يقتل به أحد غيرک، فقال عليه السّلام:

ليكلمنى منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم و أدخلهم المسجد، فخرجوا و هم يقولون: شيخنا أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد معاذ اللّه أن يكون مثله يفعل هذا و لا يأمر به انصرفوا.

قال: فمضيت معه فقلت: جعلت فداک ما كان أقرب رضاهم من سخطهم قال عليه السّلام: نعم دعوتهم فقلت: أمسكوا و إلاّ أخرجت الصحيفة.

فقلت: و ما هذه الصحيفة جعلنى اللّه فداک؟ فقال عليه السّلام: إنّ امّ الخطّاب كانت أمة للزّبير بن عبد المطّلب، فسطر بها نفيل فأحبلها، فطلبه الزّبير فخرج هاربا إلى الطايف، فخرج الزّبير خلفه، فبصرت به ثقيف فقالوا: يا با عبد اللّه ما تعمل ههنا؟ قال: جاريتى سطر بها نفيلكم، فهرب منه إلى الشّام، و خرج الزّبير فى تجارة له إلى الشّام، فدخل على ملک الدّومة فقال له: يا با عبد اللّه لى اليک حاجة، قال: و ما حاجتک أيّها الملک؟ فقال:

رجل من أهلک قد أخذت ولده فاحبّ أن يردّه عليه، قال: ليظهر لى حتّى أعرفه، فلمّا أن كان من الغد دخل إلى الملک، فلمّا رآه الملک ضحک فقال: ما يضحکک أيّها الملک؟ قال: ما أظنّ هذا الرّجل ولدته عربيّة لما رآک قد دخلت لم يملک استه أن جعل يضرط، فقال أيّها الملک إذا صرت إلى مكّة قضيت حاجتک، فلمّا قدم الزّبير تحمّل(1) عليه ببطون قريش كلّها أن يدفع اليه ابنه فأبى، ثمّ تحمّل عليه بعبد المطّلب فقال: ما بينى و بينه(2) عمل أما علمتم ما فعل فى ابنى فلان، و لكن امضوا أنتم اليه فكلّموه، فقصدوه و كلّموه فقال: لهم: إنّ الشّيطان له دولة و إنّ ابن هذا ابن الشّيطان و لست آمن أن يترأس علينا، و لكن ادخلوه من باب المسجد علىّ على أن أحمى له حديدة و أخطّ فى وجهه خطوطا و أكتب عليه و على ابنه أن لا يتصدّر فى مجلس و لا يتأمّر على أولادنا و لا يضرب معنا بسهم، قال: ففعلوا و خطّ

1- (1) - أى استشفع.

2- (2) - أى الزبير.

وجهه بالحديدة و كتب عليه الكتاب عندنا، فقلت لهم: إن أمسكتم و إلاّ أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم، فأمسكوا.

بيان

قول عبد المطلب: أما علمتم ما فعل فى ابنى فلان أراد به العبّاس و كنى عنه الامام عليه السّلام تقيّة من خلفاء العبّاسيّة.

و هو إشارة إلى ما رواه فى الرّوضة أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث قال:

إنّ نثيلة كانت أمة لأمّ الزّبير و أبى طالب و عبد اللّه فأخذها عبد المطّلب فأولدها فلانا فقال له الزّبير هذه الجارية ورثناها من امّنا و ابنک هذا عبد لنا، فتحمل عليه ببطون قريش، قال: فقال: قد أجبتک على خلّة على أن لا يتصدّر ابنک هذا معنا فى مجلس و لا يضرب معنا بسهم، فكتب عليه كتابا و أشهد عليه.

الترجمة

از جمله خطبهای بلاغت نظام آن امام عليه السّلام است می فرمايد:

شهادت می دهم بر اين كه بتحقيق خداوند تعالى عادلى است كه عدالت كرده در احكام و أفعال خود، و حاكمى است كه فصل فرموده ميان حق و باطل، و شهادت می دهم بر اين كه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بندهٔ او و فرستادهٔ اوست و آقای بندگان اوست، هر وقتى كه نقل كرد خلق را از أصلاب بأرحام و قسمت كرد ايشان را بدو فرقه، گردانيد آن بزرگوار را در بهترين آن دو فرقه، صاحب سهم نشد در نسب شريف آن زناكارى، و شريک و صاحب نصيب نگرديد در اصل آن فاسق فاجرى.

آگاه باشيد كه بتحقيق خدای تعالى قرار داده است از برای عمل خير كه طاعات و قرباتست اهل معيّنى، و از برای عقايد و أعمال حقّه ستونها و پايهائى، و از برای عبادت و اطاعت حافظان و نگاه دارندگانى يا حفظهائى از مهالک دنيا و آخرت و بتحقيق كه شما راست نزد هر طاعتى معينى و ناصرى از جانب خدا كه می گويد بزبانها و برقرار می گرداند دلها را و در آن معين كفايت است از برای اكتفا كننده و شفاست از برای طالب شفا.

ص:110

و بدانیـد که بتحقیق بنـدگان خـدا که از ایشان طلب حفظ علم او شـده حفظ میکننـد آن علمی را که لازم الحفظ و از قبیل اسـرار است، و جاری میکننـد چشـمهای آن علمی را که بایـد بمردم اظهار نمود از قبیل تکالیف و احکام، وصـلت می کنند ایشان با یکدیگر با نصـرت و یاری، و ملاقات میکننـد با آشتی و محبّت، و سـیراب می کننـد یکدیگر را با کاسهٔ سـیراب کنندهٔ علم و معرفت، و باز می گردند با سـیرابی مخلوط نمی شود باعتقادات ایشان شک و شـبهه، و نشتابد بسوی ایشان غیبت کنندگان بجهت طهارت نفوس ایشان، بر این أوصاف بسته و عقد کرده است خدای تعالی خلقت و اخلاق ایشان را پس بالای این عقد خلقی و خلقتی با همدیگر در مقام محابه می باشـند و بسبب آن در مقام وصالند، پس هستند ایشان در زیادتی مرتبه و تفاوت درجه نسبت بسایرین مثل زیادتی تخم نسبت ببقیّهٔ آن در حالتی که امتیاز داده است او را خالص گردانیدن و پاکیزه کرده او را تمیز کردن.

پس بایـد قبول نمایـد مرد کرامت را بسـبب قبول این صـفات، و بایـد بپرهیزد از مرگ با شـدّت پیش از حلول آن، پس بایـد نگاه کند مرد در کوتاهی روزگارش و کمی درنگش در منزلی تا آنکه بدل کند بان منزل منزل دیگر را، پس باید کاری کند از برای مکان رجوع خود، و از برای علامات محلّ انتقال خود.

پس خوشحالی از برای صاحب قلب با سلامتی است که اطاعت کرد کسی را که هدایت کند او را، و بیگانگی کرد از کسی که هلاک نماید او را، و رسـیده راه سـلامت را بسبب نصرت و یاری کسی که صاحب بصیرت کرد او را، و اطاعت هدایت کنندهٔ که امر کرد او را و مبادرت نمود بهدایت پیش از آنی که بسته شود درهای آن، و بریده شود اسباب آن، و طلب نمود گشودن در توبه را، و ازاله نمود گناه را پس بتحقیق که اقامه شد براه حق و هدایت شد بر راه راست.

ص:111

و من دعاء كان يدعو به عليه السّلام كثيرا و هو المأتان و الرابع عشر من المختار فى باب الخطب

اشارة

الحمـد للّه الّذى لم يصـبح بى ميّتا، و لا سـقيما، و لا مضـروبا على عروقى بسوء، و لا مأخوذا بأسوء عملى، و لا مقطوعا دابرى، و لا مرتدّا عن دينى، و لا منكرا لربّى، و لا مسـتوحشا من إيمانى، و لا ملتبسا عقلى، و لا معـذّبا بعـذاب الأمم من قبلى، أصـبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسـى، لک الحجّة علىّ، و لا حجّة لى، لا أستطيع أن آخذ إلاّ ما أعطيتنى، و لا أتّقى إلاّ ما وقيتنى، أللّهمّ إنّى أعوذ بک أن أفتقر فى غناک، أو أضلّ فى هداک، أو أضام فى سـلطانک، أو أضطهد و الأمر لک، اللّهمّ اجعل نفسى أوّل كريمة تنتزعها من كرائمى، و أوّل وديعة ترتجعها من ودايع نعمک عندى، أللّهمّ إنّا نعوذ بک أن نذهب عن قولک، أو نفتتن عن دينک، أو تتابع بنا أهوائنا دون الهدى الّذى جاء من عندک.

اللغة

(الـدّابر) الاـخر من دبر إذا أدبر قـال تعالى «أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » يعنى آخرهم أى يستأصـلون عن آخرهم، و قال «و يقطع دابر الكافرين» أى باستيصالهم

ص:112

و قتلهم و اسرهم، و قال «فقطع دابر القوم الذين ظلموا» أى آخر من بقى منهم و (الضّيم) الذّلّ و (ضهده) كمنعه قهره (نفتتن) بصيغة المتكلّم المجهول، و فى بعض النسخ بالبناء على الفاعل و قوله (أو تتايع) بالياء المثنّاة من تحت التهافت و الاسراع فى الشّر و اللّجاج و الاقتحام فيه من غير رويّة و ركوب الأمر على خلاف النّاس و فى بعض النّسخ تابع بحذف إحدى التّائين، و فى بعضها تتابع بالباء الموحّدة يقال: تتابعوا على الأمر أى توالوا و تبع بعضهم بعضا.

الاعراب

كثيرا فى كلام الرّضى صفة إمّا لظرف محذوف أو لمصدر محذوف أى حينا كثيرا أو دعاء كثيرا و الأوّل أظهر، و قوله: ميّتا قال الشارح المعتزلى: منصوب على الحال أى لم يفلق الصّباح علىّ ميّتا و لا يجوز أن يكون يصبح ناقصة و يكون ميّتا خبرها كما يقول الرّاوندى، لأنّ خبر كان و اخواتها يجب أن يكون هو الاسم، ألا ترى أنّهما مبتدأ و خبر فى الحال، و اسم يصبح ضمير اللّه تعالى و ميّتا ليس هو اللّه سبحانه، انتهى.

أقول: و لقائل أن يقول: إنّ مراد الرّاوندى بكون ميّتا خبر أصبح أنّه فى الأصل خبرها و المخبر به ياء المتكلّم فانّ أصبح على كونها ناقصة بمعنى صار، فلمّا عدّيت بالباء صارت بمعنى صيّر و تكون من أفعال التّصيير فيكون المعنى لم يصيّرنى ميّتا كما يقال: صيّرنى اللّه فداك، و هذا ممّا لا غبار عليه، و قوله عليه السّلام إلاّ ما أعطيتنى استثناء مفرّغ.

و قوله: أفتقر فى غناك قال الشّارح المعتزلى: موضع الجارّ و المجرور نصب على الحال و فى متعلّقة بمحذوف و المعنى افتقر و أنت الموصوف بالغنى الفايض على الخلق، و قوله: دون الهدى، ظرف متعلّق بقوله: تتايع، و هو إمّا بمعنى عند أو بمعنى أمام

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام حمد اللّه عزّ و جلّ و أثنى عليه بما أنعم عليه من نعمه العظيمة

و قال (الحمد للّه الذى لم يصبح بى ميّتا) أى لم يدخلنى فى الصّباح و الحال أنّى ميّت أو لم يصيّرنى ميّتا.

فان قلت: كيف يجتمع حمده عليه السّلام على عدم موته مع قوله الّذى ما زال عليه السّلام يقوله من كونه آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه، فانّ الأوّل مشعر بحبّه عليه السّلام للبقاء و الثانى مفيد للّقاء.

قلت: لا تنافى بين الكلامين لانتفاء المنافاة فى المقامين.

فانّ الأوّل أعنى الحمد على الحياة إنما هو فى مقام الرّضاء بالقضاء و الشكر على النعماء، فانّ وظيفة أهل اليقين لا سيّما أئمة الدّين الذين لا يشاءون إلاّ أن يشاء اللّه هو أن يرضى بجميع ما قدره اللّه فى حقه و قضاه من الحياة و المماة و الصحة و السقم و الغنى و الفقر، فقد قال تعالى فى الحديث القدسى: من لم يرض بقضائى و لم يصبر على بلائى و لم يشكر على نعمائى و لم يقنع بعطائى فيطلب ربا سوائى و يخرج من تحت أرضى و سمائى، فهم ما لم يقدر فى حقهم الموت لا بدّ أن يكونوا راضين بالحياة محبّين لها شاكرين عليها لكونها المقدّرة فى حقّهم، حتّى إذا بلغ الكتاب أجله و تمّ مقاديره يكون الموت أحبّ إليهم و قرّة عينهم فيه.

و يشير إلى ذلک ما رواه المحدّث الجزائرى عن الشهيد الثانى أنّ جابر بن عبد اللّه الأنصارى ابتلى فى آخره عمره بضعف الهرم و العجز فرآه محمّد بن علىّ الباقر عليه الصلاة و السلام فسأله عن حاله فقال: أنا فى حالة أحبّ فيها الشيخوخة على الشباب و إن جعلنى اللّه شابا أحبّ الشبوبة و إن أمرضنى أحبّ المرض و إن شفانى أحبّ الشفاء و الصّحة و إن أماتنى أحبّ الموت و إن أبقانى أحبّ البقاء، الحديث و أما الثانى و هو إظهار فرط انسه بالموت فانما هو فى مقام الزهد و النفرة عن الدنيا و زخارفها و لذاتها و شهواتها الفانية و امنياتها الباطلة.

و أيضا فانّ الدّنيا من حيث انها معبد أحبّاء اللّه و مسجد أولياء اللّه و متجر عباد اللّه و الوصلة إلى الرّحمة و الوسيلة إلى الرضوان و الجنة فحياتها مطلوبة و بقاؤها نعمة عظيمة يجب الشكر عليها بل لا نعمة فوقها لكونها المحصّلة لجميع النعم.

و قد روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: بقية عمر المؤمن لا ثمن لها يدرک بها ما فات و يحيى بها ما مات.

و قال بعضـهم: الدّنيا أحبّ إليّ من الجنة لأنّى فيها مشـغول بعبادة ربّى و فى الجنة مشغول بلذة نفسى، و بين الأمرين بون بائن، و من حيث إنها حلوة خضـرة حفت بالشـهوات و تجلّبت بالامنيات ضـرّارة غرّارة تزينت بغرورها و غرّت بزينتها مهانـة على ربها مبغوضـة إليه تعالى، و لـذلک لم يصـفها لأوليائه و لم يضن بها على أعـدائه فهى أهون عنـد أهل المعرفة و أخسّ و أحقر من عراق خنزير فى يد مجذوم، و الموت أحبّ إليهم من هذه الجهة لايصاله إلى الدار الاخرة و بما حققنا علم سـرّ ثنائه على سـلامته كما أشار إليه بقوله (و لا سقيما) مضافا إلى أنّ فى حالـة المرض احتمال فوات بعض العبادات أو فوات كمالاتها و ان كان المريض معذورا فيها، و أما حالة الصـحّة ففيها تكميل العبادة و العبودية فهى نعمة عظيمة حريّة بأن يحمد عليها.

(و لا مضروبا على عروقى بسوء) أى على أعضائى بافة توجب سوء المنظر و قبحه كالجذام و البرص و نحوهما و قال الشّارح المعتزلى أى و لا ـ أبرص و العرب تكنّى عن البرص بـالسّوء، و فى أمثالهم: ما انكرک من سوء، أى ليس انكارى لک عن برص حـدث بک فغيّر صورتک، و أراد بعروقه أعضاءه، و يجوز أن يريد و لا مطعونا فى نسبى و الأوّل أظهر انتهى.

(و لا ـ مأخوذا بأسوء عملى) أى معاقبا بأقبـح ذنوبى(و لا مقطوعا دابرى)أى عقبى و آخرى و هو كنايـة عن انقراض نسـله بالاستيصال و محو اسـمه و اندراس أثره و رسمه (و لا مرتدّا عن دينى و لا منكرا لربّى) عطف الثّانى على الأوّل من قبيل ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام و أنّ الارتـداد قد يكون بانكار الضّـروريّات من دون الجحود (و لا مسـتوحشا من ايمانى) أى غير مسـتأنس به و متنفّرا عنه، أو شاكّا فى كونه مستقرّا أو مستودعا لأنّ الشكّ فى العقيدة يوجب الوحشة،

و الأوّل أظهر (و لا ملتبسا عقلی) أی مختلطا بالجنون (و لا معذّبا بعذاب الامم من قبلی) أی بالمسخ و الخسف و الصّاعقة و الظلّة و نحوها.

و لمّا حمد اللّه تعالی علی ما أنعم به علیه من ضروب نعمه الّتی عددها أردفه بالاعتراف بالذّل و التقصیر و الاستکانة و قال:

(أصبحت عبدا مملوکا) أی صرت داخرا ذلیلا فی قید العبودیّة (ظالما لنفسی) لأجل التّقصیر فی طاعته و عدم التّمکّن من القیام بوظایف عبادته علی ما یلیق بحضرته عزّ و جلّ و إن کان ما أتی به فوق عبادة جمیع البشر ما خلا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیما رواه فی الوسائل من الکافی باسناده عن أبی عبیدة الحذاء عن أبی جعفر علیه السّلام عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال اللّه عزّ و جلّ: لا یتّکل العاملون لی علی أعمالهم الّتی یعملونها لثوابی فانّهم لو اجتهدوا و أتعبوا أنفسهم فی عبادتی کانوا مقصّرین غیر بالغین فی عبادتهم کنه عبادتی فیما یطلبون عندی من کرامتی و النعیم فی جنّاتی و رفیع الدّرجات العلی فی جواری، و لکن برحمتی فلیثقوا، و فضلی فلیرجوا، و إلی حسن الظنّ بی فلیطمئنّوا، الحدیث.

و فی البحار من کتاب فتح الأبواب عن الزّهری قال: دخلت مع علیّ بن الحسین علیهما السّلام علی عبد الملک بن مروان قال: فاستعظم عبد الملک ما رأی من أثر السّجود بین عینی علیّ بن الحسین علیهما السّلام فقال: یا با محمّد لقد بیّن علیک الاجتهاد و لقد سبق لک من اللّه الحسنی و أنت بضعة من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قریب النّسب و کید السّبب و انّک لذو فضل عظیم علی أهل بیتک و ذوی عصرک و لقد اوتیت من العلم و الفضل و الدّین و الورع ما لم یؤته أحد مثلک و لا قبلک إلاّ من مضی من سلفک – و اقبل یثنی علیه یطریه – قال فقال علیّ بن الحسین علیهما السّلام: کلّما ذکرته و وصفته من فضل اللّه سبحانه و تأییده و توفیقه فأین شکره علی ما أنعم یا أمیر المؤمنین کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقف فی الصلاة حتی ترم قدماه و یظمأ فی الصیام حتی یصعب فوه، فقیل له: یا رسول اللّه ألم یغفر لک اللّه ما تقدّم من ذنبک و ما تأخّر، فیقول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

أ فلا أكون عبـدا شـكورا، الحمـد للّه على ما أولى، و أبلى، و له الحمـد فى الاخرة و الاولى و اللّه لو تقطعت أعضائى و سالت مقلتاى على صدرى لن أقوم للّه جلّ جلاله بشـكر عشـر العشـير من نعمة واحدة من جميع نعمه التى لا يحصـيها العادّون و لا يبلغ حدّ نعمة منها علىّ جميع حمد الحامدين، لا و اللّه أو يرانى اللّه لا يشـغلنى شىء عن شكره و ذكره فى ليل و لا نهار و لا سرّ و لا علانية، و لولا أن لأهلى علىّ حقـا و لساير الناس من خاصّـ هم و عامهم علىّ حقوقا لا يسـعنى إلاّ القيام بها حسب الوسع و الطاقـة حتى اؤدّيها إليهم لرميت بطرفى إلى السماء و بقلبى إلى اللّه ثمّ لم أرددهما حتّى يقضى اللّه على نفسى و هو خير الحاكمين، هذا.

و فى ادعية الصـحيفة السجادية من اتهام النفس و الاعتراف بالتقصير ما لا يحصى و قد مضى فى شرح الخطبة المأة و الثانية و التسعين عند شرح قوله عليه السّـلام: فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون، أخبار نفيسة، و كذلک فى التنبيه الثالث من الفصل الثالث عشر من فصول الخطبة الاولى تحقيقات عميقة كثيرة الفائدة فى هذا المقام.

(لـک الحجـة علىّ) حيث إنک ما كلّفتنى إلاّ ما آتيتنى و لا حتمتنى إلاّ ما أعلمتنى و لا فرضت علىّ إلاّ ما أقـدرتنى عليه و مكّنتنى منه كما هو حكمه تعالى فى حقّ جميع المكلّفين، فقـد قال: «لا يكلّف اللّه نفسا إلاّ ما آتيها» و قال «لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْـعَها » و فى الدّعاء: أزاح العلل فى التكليف و سوّى التوفيق بين الضعيف و الشريف.

(و لاـ حجـة لى) عليـک أو لم يبق لى عـذر فى ترک تكاليفک كما لساير المكلّفين لأنه عزّ و جلّ إنما كلّف بعـد البيان و بعـد ما مكن أداء المأمور و سـهّل سبيل اجتناب المحظور و لم يكلّف الطاعة إلاّ دون الوسع و الطاقة لئلاّ يكون للناس على اللّه حجّة بعد الرسل و لا يقولوا يوم القيامة إنا كنّا عن هذا غافلين، فلم تبق عاذرة للمعذرين.

و (لا أستطيع أن آخذ) من نعمتک (إلاّ ما أعطيتنى و لا) أقدر أن (أتّقى) من نقمتک (إلاّ ما وقيتنى) لكونى عبدا داخرا ذليلا مسكينا مستكينا لا يملک

لنفسه موتا و لا حياتا و لا نشورا.

(اللهم إنّى أعوذ بک أن أفتقر فى غناک) أى أن أكون محتاجا و الحال أنک الغنىّ المطلق الباسط بالجود و الكرم يده على العالمين.

(أو أضلّ فى هداک) أى أكون ضالاّ و الحال أنک نور السماوات و الأرضين هادى أهلها إلى نهج اليقين.

(أو أضام فى سلطانک) أى أكون ذليلا مظلوما و الحال أنّ السلطنة لک و أنت ذو القوّة المتين.

(أو اضطهدوا لأمر لک) أى أكون مغلوبا مقهورا و أنت صاحب الاختيار و القدرة القاصم لظهور الجبابرة و الظّالمين.

(اللّهم اجعل نفسى أوّل كريمة تنتزعها من كرائمى) أى أوّل كلّ كريم و عزيز تنزعه من قوائى و أعضائى و إنّما كنّى عنها بالكرايم لكرامتها و عزّتها عنده و المراد بالدّعاء طلب عافية الأعضاء النّفسانية و البدنيّة و بقائها إلى حين الممات و أن لا تكون ذهابها سابقا على الموت.

كما قال زين العابدين عليه السّلام: اللهمّ احفظ علىّ سمعى و بصرى إلى انتهاء أجلى و من دعائه عليه السّلام إذا سأل العافية: و امنن علىّ بالصحّة و الأمن و السّلامة فى دينى و بدنى و البصيرة فى قلبى و النفاق فى امورى و الخشية لک و الخوف منک و القوّة على ما أمرتنى به من طاعتک و الاجتناب لما نهيتنى عنه من معصيتک.

و من هذا الدّعاء يستفاد سرّ طلب أمير المؤمنين عليه السّلام كون نفسه أوّل الكريم المنتزعة، لأنّ سبق انتزاعها على نفسه يوجب العجز عن إقامة وظايف الطاعات المربوطة بها و عدم القدرة على تحصيل الضّروريات من المعاش و عدم النّفاذ فى الامور و قوله(و أوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمک عندى)التعبير عن المشاعر و القوى بالنعمة لعظم الانتفاع بها و لذلک منّ بها على الانسان فى قوله تعالى«أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ وَ هَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ».

و تشبيهها بالوديعة لكونها فى معرض الاسترجاع و الاسترداد كالوديعة و إليه

یومی قوله سبحانه«یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِی إِلی رَبِّکِ راضِیَةً مَرْضِیَّةً ».

(اللهمّ انا نعوذ بک أن نذهب عن قولک) أی أوامرک و نواهیک الّتی نطق بها کتابک الکریم و نفرّ منها، و الاستعاذة منه من أجل أنه کما قال تعالی «ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ فَأَیْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ » قال أمین الاسلام الطبرسی فان تعدلون عن القرآن و هو الشفاء و الهدی ما هو إلاّ تذکرة وعظة للخلق یمکنهم أن یتوصّلوا به إلی الحقّ.

(أو نفتتن عن دینک) أی نضلّ أو نضلّ عن دینک علی اختلاف النسخ فی روایة نفتتن علی ما قدّمنا، و المراد علی الأول الوقوع فی الضلال باضلال الغیر، و علی الثانی الوقوع فیه من تلقاء النفس (أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدی الّذی جاء من عندک) أراد به ایقاع الأهواء له فی مهاوی الهلکات و صرفها إیّاه عن الهدی النازل فی محکمات الایات کما قال عزّ من قائل «ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ » و قال «قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ »

الترجمة

از جمله دعای آن حضرتست که أکثر أوقات دعا می کرد باین دعا:

حمد و ثنا معبود بحقی را سزاست که داخل نکرد مرا در صباح در حالتی که مرده باشم و نه در حالتی که مریض باشم، و نه در حالتی که مؤاخذه شده باشم بقبیح تر عمل خودم، و نه در حالتی که مقطوع النسل و بی عقب باشم، و نه در حالتی که مرتد باشم از دینم، و نه در حالتی که منکر باشم پروردگار مرا، و نه در حالتی که وحشت کننده باشم از ایمان خودم، و نه در حالتی که مخلوط باشد عقل من بجنون، و نه در حالتی که معذب باشم بعذاب امّتان که پیش از من بودند.

صباح کردم من در حالتی که بنده مملوکی هستم ظلم کننده مر نفس خود را، از برای تو است حجت بر من و نیست حجتی از برای من استطاعت و قدرت ندارم که دریافت نمایم مگر چیزی را که تو عطا کردهٔ مرا، و نه پرهیز نمایم مگر

از چیزی که تو نگه داشتهٔ مرا بار الها بتحقیق که من پناه می برم بتو از این که فقیر باشم با وجود غنی بودن تو، یا این که گمراه شوم با وجود هادی بودن تو، یا مظلوم شوم با وجود سلطنت تو، یا مقهور و مغلوب باشم و حال آنکه اختیار تو راست.

پروردگارا بگردان روح مرا اول نعمت عزیزی که انتزاع میکنی تو آن را از نعمتهای عزیز بدن من، و اول أمانتی که پس می گیری تو آنرا در امانت های نعمتهای تو که در نزد من است، پروردگارا بتحقیق که پناه می برم بتو از این که بدر رویم از امر و فرمایش تو، یا این که فریفته شویم از دین تو تا این که بشتاباند ما را خواهشات نفسانیه ما در ضلالت، و برگرداند از هدایتی که آمده است از جانب تو.

و من خطبة له علیه السّلام خطبها بصفین و هی المأتان و الخامسة عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

و هی مرویّة فی کتاب الرّوضة من الکافی باختلاف کثیر و زیادة و نقصان حسبما تعرفه إنشاء اللّه تعالی بعد الفراغ من شرح تمام الخطبة فی التکملة الاتیة، و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشارة

أمّا بعد فقد جعل اللّه لی علیکم حقّا بولایة أمرکم، و لکم علیّ من الحقّ مثل الّذی لی علیکم، فالحقّ أوسع الأشیاء فی التّواصف، و أضیّقها فی التّناصف، لا یجری لأحد إلاّ جری علیه، و لا یجری علیه

ص:120

إلاّ جرى له، و لو كان لأحـد أن يجرى له و لا يجرى عليه لكان ذلک خالصا للّه سـبحانه دون خلقه، لقـدرته على عباده، و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صـروف قضائه، و لكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، و جعل جزائهم عليه مضاعفة الثّواب تفضّـلا منه، و توسّـعا بما هو من المزيد أهله. ثمّ جعل سـبحانه من حقوقه حقوقا افترضـها لبعض النّاس على بعض، فجعلها تتكافوء فى وجوهها، و يوجب بعضها بعضا، و لا يسـتوجب بعضـها إلاّ ببعض. و أعظم ما افترض سبحانه من تلک الحقوق حقّ الوالى على الرّعيّة و حقّ الرّعيّة على الوالى، فريضة فرضها اللّه سـبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاما لالفتهم، و عزّا لدينهم، فليست تصـلح الرّعيّة إلاّ بصـلاح الولاة، و لا تصـلح الولاة إلاّ باسـتقامة الرّعيّـة. فإذا أدّت الرّعيّـة إلى الوالى حقّه، و أدّى الوالى إليها حقّها، عزّ الحقّ بينهم، و قامت مناهج الدّين، و اعتدلت معالم العدل، و جرت على أذلالها السّنن، فصلح بذلک الزّمان، و طمع فى بقاء الدّولة، و يئست مطامع الأعداء.

ص:121

و إذا غلبت الرّعيّة واليها و أجحف الوالى برعيّته، اختلفت هنالک الکلمة، و ظهرت معالم الجور، و کثر الإدغال فی الدّین، و ترکت محاجّ السّنن، فعمل بالهوی، و عطّلت الأحکام، و کثرت علل النّفوس، فلا یستوحش لعظیم حقّ عطّل، و لا لعظیم باطل فعل، فهنالک تذلّ الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تعظم تبعات اللّه سبحانه عند العباد. فعلیکم بالتّناصح فی ذلک، و حسن التّعاون علیه، فلیس أحد و إن اشتدّ علی رضاء اللّه حرصه، و طال فی العمل اجتهاده، ببالغ حقیقة ما اللّه سبحانه أهله من الطّاعة له، و لکن من واجب حقوق اللّه سبحانه علی عباده النّصیحة بمبلغ جهدهم، و التّعاون علی إقامة الحقّ بینهم، و لیس امرء و إن عظمت فی الحقّ منزلته، و تقدّمت فی الدّین فضیلته، بفوق أن یعان علی ما حمّله اللّه من حقّه، و لا امرء و إن صغّرته النّفوس و اقتحمته العیون بدون أن یعین علی ذلک أو یعان علیه.

اللغة

(تواصفوا) الشیء أی وصفه بعضهم علی بعض و (تناصف) النّاس أنصف بعضهم لبعض و (صروف) الدّهر تغیّراته و انقلاباته جمع الصّرف و (التّکافؤ) التّساوی و الاستواء و (یستوجب) بالبناء علی المفعول و (المنهج) واضح الطریق و (ذلّ) الطریق بالکسر محجّتها و الجمع أذلال کحبر و أخبار و (الادغال)

ص:122

بالكسر أن يدخل فى الشىء ما ليس منه و بالفتح جمع الدّغل محرّكة كأسباب و سبب هو الفساد و (المحاجّ) بتشديد الجيم جمع المحجّة بفتح الميم و هى الجادّة.

و (تذلّ) و (تعزّ) بالبناء على الفاعل من باب ضرب و فى بعض النّسخ بالبناء على المفعول و (التّبعة) و زان كلمة ما تطلبه من ظلامة و الجمع تبعات و (نصحت) له نصحا و نصيحة و فى لغة يتعدّى بنفسه فيقال نصحته و هو الاخلاص و الصّدق و المشورة و العمل.

و قال الجزرى النّصيحة فى اللّغة الخلوص يقال: نصحته و نصحت له و معنى نصيحة اللّه صحّة الاعتقاد فى وحدانيّته و اخلاص النّية فى عبادته، و النّصيحة لكتاب اللّه هو التّصديق به و العمل بما فيه، و نصيحة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم التّصديق بنبوّته و رسالته و الانقياد لما امر به و نهى عنه، و نصيحة الأئمة أن يطيعهم فى الحقّ، و نصيحة عامّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم.

الاعراب

قوله: لكان ذلک خالصا للّه سبحانه دون خلقه، خالصا خال من ذلک و العامل فيه كان، و على قول بعض النّحويّين من أنّ جميع العوامل اللّفظيّة تعمل فى الحال إلاّ كان و اخواتها، فلابدّ من جعل كان تامّة و دون خلقه فى محلّ النصب أيضا على الحال، و هى حال مؤكّدة.

و قوله: و توسّعا بما هو من المزيد أهله، توسّعا منصوب على المفعول لأجله، و ما موصولة و جملة هو أهله مبتدأ و خبر صلة ما و من المزيد بيان لما.

و قوله: فريضة فرضها اللّه فى بعض النّسخ بالنّصب على الاشتغال أو على الحال كما قاله بعض الشّراح، و فى بعضها بالرّفع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف.

و قوله: ببالغ خبر ليس اعترضت بينهما جملة و ان اشتدّ آه و الباء فيه زايدة، و قوله: أو يعان عليه فى بعض النّسخ بالواو بدل أو.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هـذه الخطبة الشّـريفة حسـبما أشار اليه الرّضـى و يأتى فى رواية الكافى أيضا فى آخر الفصل الثانى من جملة الخطب الّتى خطبها بصـفّين، و عمدة غرضه عليه السّلام فى هذا الفصل منها نصيحة المخاطبين و ارشادهم إلى ما هو صلاحهم فى الدّنيا و الاخرة من اتّباعهم لأمره و اطاعتهم له و إسـراعهم فيما يأمر و ينهى و اتّفاقهم على التّعاون و التّناصف و غير ذلک من وجوه مصالـح محاربة القاسـطين لعنهم اللّه أجمعين قال عليه السّـلام (أمّا بعد) حمد اللّه عزّ و جلّ و الصـلاة على رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فقد جعل اللّه) عزّ شأنه (لى عليكم حقّـا بولايـة أمركم) أى لى عليكم حقّ الطاعـة لأـنّ اللّه جعلنى واليا عليكم متولّيا لامورکم و أنزلنى منكم منزلـة عظيمـة هى منزلة الامامة و الولاية و السّلطنة و وجوب الطّاعة كما قال عزّ من قائل «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ».

(و لكم علىّ من الحقّ مثل الّذى لى عليكم) أراد بالحقّ الّذى لهم عليه ما هو حقّ الرّعيّة على الوالى، و الحقّان متماثلان فى الوجوب، و قد صرّح بهما فى الخطبة الرّابعة و الثلاثين بقوله:

أيّها النّاس إنّ لى عليكم حقّا و لكم علىّ حقّ، فأمّا حقّكم علىّ فالنّصـيحة لكم و توفير فيئكم عليكم و تعليمكم كيلا تجهلوا و تأديبكم كما تعلموا، و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعة و النصيحة فى المشهد و المغيب و الاجابة حين أدعوكم و الطّاعة حين آمركم.

(فالحقّ أوسع الأشياء فى التواصف) يعنى إذا أخذ النّاس فى بيان الحقّ و وصفه بعضهم لبعض كان لهم فى ذلک مجال واسع لسهولته على الألسنة (و أضيقها فى التناصف) يعنى إذا حضر التناصف بينهم أى انصاف بعضهم لبعض فطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدّة العمل و صعوبة الانصاف.

و محصّله سعة الحقّ فى مقام الوصف و القول و ضيقه فى مقام الانصاف و العمل.

(لا يجرى لأحد إلاّ جرى عليه و لا يجرى عليه إلاّ جرى له) لمّا ذكر حقّه

عليهم و حقّهم عليه اتبعه بهـذه الجملة تأكيدا و ايذانا بأنّ جريان حقّه عليهم إنّما هو بجريان حقّهم عليه و بالعكس، و فيه توطين لأنفسـهم على ما عليهم و تشويق لهم إلى ما لهم.

و انّما ساق الكلام مساق العموم تنبيها على أنّ اللاّزم على كلّ أحد أن يقوم فى الحقوق بماله و ما عليه بمقتضى العدل و الانصاف، فإنّ حقّ الوالى على الرّعيّة و الرّعيّة على الوالى و الوالـد على الولـد و الولـد على الوالـد و الزّوج على الزّوجـة و الزّوجة على الزّوج و المعلّم على المتعلّم و المتعلّم على المعلّم و الجار على الجار و غيرهم من ذوى الحقوق حسبما نشير اليهم تفصيلا إنّما هو بالتّناصف بين الطرفين.

و يوضـحه ما فى البحار من الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حقّ على المسلم إذا أراد سفرا أن يعلم إخوانه، و حقّ على إخوانه إذا قدم أن يأتوه.

قال العلامة المجلسى فيه ايماء إلى أنّه إذا لم يعلمهم عند الذّهاب لا يلزم عليهم اتيانه بعد الاياب.

(و لو كـان لأحـد أن يجرى له) حقّ على غيره (و لا ـ يجرى) لغيره (عليه لكـان ذلـك) الحقّ الجـارى (خالصـا للّه سـبحانه دون خلقه) أى متجـاوزا عن حقّه و ذلـك (لقـدرته على عبـاده) و عجز غيره، فيجوز له أن يجرى حقّه عليهم و يطلب منهم الطّاعـة و ينفـذ أمره فيهم الزاما فيطيعوه قهرا بـدون امكان تمرّد أحد منهم عن طاعته لكونه قاهرا فوق عباده فعّالا لما يشاء، لا رادّ لحكمه و لا دافع لقضائه كما قال تعالى «وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ لآمَنَ مَنْ فِی الْأَرْضِ کُلُّهُمْ جَمِیعاً ».

و لمّا كان هنا مظنّة أن يتوهّم و يقال إنه إذا جرى حقّه عليهم و خرجوا من عهدته و قاموا بوظايف عبوديّته و طاعته طوعا أو كرها يكون حينئذ لهم حقّ عليه و هو جزاء ما أتوا به فلو لم يجزهم لكان ذلك منافيا للعدل دفع ذلك التّوهم بقوله:

(و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صـروف قضائه) و أنواعه المتغيّرة المتبدّلة، يعنى أنّ الجزاء ليس مقتضـى العدل حتّى يكون عدمه منافيا له بل هو العادل فى

جميع مقضـيّاته و مقدّراته لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون، نعم هو مقتضـى التّفضّل، و التّفضّل ليس بلازم عليه فلا يثبت لعباده باطاعتهم له حقّ لهم عليه، هكذا ينبغى أن يفهم المقام.

و قد تاه فيه أفهام الشرّاح فمنهم من طوى عن تحقيقه كشحا و منهم من خبط فيه خبطة عشواء، فانظر ما ذا ترى.

و قريب ممّا حققناه ما قاله العلاّمة المجلسـى فى البحار حيث قال فى شـرح ذلک: و الحاصل أنه لو كان لأحد أن يجعل الحقّ على غيره و لم يجعل له على نفسه لكان هو سبحانه أولى بذلک، و استدلّ على الأولويّة بوجهين:

الأوّل القـدرة، فانّ غيره تعالى لو فعل ذلک لم يطعه أحـد و اللّه قادر على جبرهم و قهرهم و الثانى أنه لو لم يجزهم على أعمالهم و كلّفهم بها لكان عادلا لأنّ له من النعم على العباد ما لو عبـدوه أبـدا الـدّهر لم يوفوا حقّ نعمـة واحدة هنها، انتهى فقد علم بذلک كلّه أنه عزّ و جلّ ليس بمقتضى عدله لأحد عليه حقّ.

(و لكنه) عزّ شأنه مع ذلک قـد (جعل) له على عباده حقا و لهم عليه كذلک بمقتضـى انعامه و فضـله فجعل (حقه على العباد أن يطيعوه) و يوحّـدوه (و جعل جزاءهم) لم يقل حقّهم رعايـة للأدب و دفعا لتوهّم الاسـتحقاق أى جعل جزاء طاعتهم (عليه مضاعفة الثواب) كما قال تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيـدُهُمْ مِنْ فَضْـلِهِ » و قال «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ ».

(تفضّلا منه و توسعا بما هو من المزيد أهله) فيه تنبيه على أنّ الحقّ الذى جعل لهم عليه أعظم مما أتوا به مع عدم كونه من جهة الاستحقاق بل لمحض التفضل و الانعام بما هو أهله من الزّيادة و التوسعة.

و لما بيّن حقّ اللّه على عباده و هو الحقّ الذى له لنفسه عقّبه ببيان حقوق الناس بعضهم على بعض فقال:

(ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض) و جعلها من حقوقه لافتراضها من قبله تعالى و فى القيام بها إطاعة له و امتثال لأمره، فتكون بهذا الاعتبار من حقوقه الواجبة على عباده، و هذه الجملة توطئة و تمهيد لما يريد أن ينبّه عليه من كون حقه عليه السّلام واجبا عليهم من قبله تعالى و كون القيام به اطاعة له عزّ و علا فيكون ذلک أدعى لهم على أدائه.

(فجعلها) أى تلک الحقوق التى بين الناس (تتكافؤ) و تتقابل (فى وجوهها) أى جعل كلّ وجه من تلک الحقوق مقابلا بمثله، فحقّ الوالى على الرعيّة مثلا و هو الطاعة مقابل بمثله فهو العدل و حسن السيرة الذى هو حقّ الرّعية على الوالى (و يوجب بعضها بعضا و لا يستوجب) أى لا يستحقّ (بعضها إلاّ ببعض) كما أنّ الوالى إذا لم يعدل لا يستحقّ الطاعة و الزّوجة إذا كانت ناشزة لا يستحقّ النّفقة.

و لمّا مهّد ما مهّد تخلّص إلى غرضه الأصلى فقال (و أعظم ما افترض سبحانه من تلک الحقوق) المتكافئة (حقّ الوالى على الرّعيّة و حقّ الرّعيّة على الوالى) و إنّما كان من أعظم الحقوق لكون مصلحته عامّة لجميع المسلمين و باعثا على انتظام أمر الدين.

و لذلک أكّده بقوله (فريضة فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ) و أشار إلى وجوه المصلحة فيها بقوله (فجعلها نظاما لألفتهم و عزّا لدينهم) لأنّها سبب اجتماعهم و بها يقهرون أعداءهم و يعزون أديانهم (فليست تصلح الرّعيّة إلاّ بصلاح الولاة) كما هو المشاهد بالعيان و التجربة و شهدت عليه العقول السّليمة (و لا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة) فى الطاعة إذ بمخالفتهم و عصيانهم يؤل جمعهم إلى الشّتات و حبل نظامهم إلى التّبات.

(فاذا أدّت الرّعيّة إلى الوالى حقّه) و أطاعوه (و أدّى الوالى إليها حقّها) و عدل (عزّ الحقّ بينهم) أى يكون عزيزا (و قامت مناهج الدّين) و سبله (و اعتدلت معالم العدل) أى مظانّه أو العلامات الّتى نصبت فى طريق العدل لسلوكه (و جرت على أذلالها السّنن) أى جرت على محاجّها و مسالكها بحيث لا تكون فيها اعوجاج

ص:127

و تحريف.

(فصلح بذلک الزّمان) نسبة الصّلاح إلى الزّمان من باب التوسّع و المراد صلاح حال أهله بانتظام امورهم الدّنيويّة و الاخرويّة (و طمع فى بقاء الدّولة) و السّلطنة (و يئست مطامع الاعداء) أى أطماعها باتّفاق أهل المملكة و قوّتهم.

(و) أمّا (إذا) كان الأمر بخلاف ذلک بأن (غلبت الرّعية واليها و أجحف الوالى برعيّته) أى تعدّى عليهم و ظلمهم ف (اختلفت هنا لک الكلمة) باختلاف الاراء (و ظهرت معالم الجور) أى علاماته، إذ بغلبة الرّعيّة على الوالى و إجحاف الوالى يحصل الهرج و المرج و يختلط النّاس بعضهم ببعض و يتسلّط الأشرار على الأبرار و يظلم الأقوياء للضّعفاء (و كثر الادغال) أى الابداع و التلبيس أو المفاسد (فى الدّين) لاختلاف الأهواء و أخذ كلّ بما يشتهيه نفسه ممّا هو مخالف للدّين و مفسد له (و تركت محاجّ السّنن) أى طرقها الواضحة لاعراض النّاس عنها (فعمل بالهوى و عطّلت الأحكام) الشرعيّة و التكاليف الدّينية (و كثرت علل النفوس) أى أمراضها بما حصلت لها من الملكات الرّديّة كالحقد و الحسد و العداوة و نحوها و قيل عللها وجوه ارتكاباتها للمنكرات فيأتى كلّ منكر بوجه و علة و رأى فاسد (فلا يستوحش لعظيم حقّ عطّل) لكثرة تعطيل الحقوق و كونه متداولا متعارفا بينهم (و لا لعظيم باطل فعل) لشيوع الباطل و اعتيادهم عليه مع كونه موافقا لهواهم (فهنا لک تذلّ الأبرار) لذلّة الحقّ الّذى هم أهله (و تعزّ الاشرار) لعزّة الباطل الّذى هم أهله (و تعظم تبعات اللّه عند العباد) إضافة التّبعات و هى المظالم إليه تعالى باعتبار أنّه المطالب بها و المؤاخذ عليها و إلاّ فالتّبعات فى الحقيقة لبعض النّاس عند بعض.

و لمّا ذكر مصالح قيام كلّ من الوالى و الرّعيّة بما عليها من الحقوق و مفاسد تركها أمرهم بالمواظبة على الحقّ و قال:

ص:128

(فعليكم بالتناصح فى ذلک و حسن التعاون) عليه أى بنصيحة بعضكم لبعض و إعانة كلّ منكم لاخر فى سلوک نهج الحقّ و إقامة أعلامه.

و أكّد الزامهم بالتّناصح و التعاون بقوله:(فليس أحد و إن اشتدّ على رضاء اللّه حرصه و طال فى العمل اجتهاده) و سعيه (ببالغ حقيقة ما اللّه أهله من الطاعة له) أى لا يمكن لأحد أن يبلغ مدى عبادة اللّه و حقيقة طاعته و إن أتعب فيها نفسه و بذل جهده و بلغ كلّ مبلغ.

(و لكن من واجب حقوق اللّه على العباد «عباده» النصيحة) أى نصيحة بعضهم لبعضهم (بمبلغ جهدهم و التعاون على إقامة الحقّ بينهم) بقدر ما يمكنهم لا بقدر ما هو أهله و يستحقّه، فانّ ذلک غير ممكن.

و لمّا حثّ على التعاون و التناصح أردفه بقوله:(و ليس امرء و ان عظمت فى الحقّ منزلته و تقدّمت فى الدّين فضيلته بفوق أن يعان على ما حمّله اللّه من حقّه) و دفع بذلک ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام من أنّ البالغ إلى مرتبة الكمال فى الطّاعة و الحايز قصب سبق الفضيلة كمثله عليه السّلام و ساير ولاة العدل أىّ حاجة له إلى المعين.

وجه الدّفع أنّ البالغ إلى مرتبة الكمال أىّ مرتبة كانت و المتقدّم فى الفضيلة أىّ فضيلة تكون لا استغناء له عن المعين و لا مقامه أرفع من أن يعان على ما حمله اللّه تعالى و كلّفه به من طاعته الذى هو حقه.

و ذلک لأنّ من جملة التكاليف ما هو من عظائم الامور كالجهاد فى سبيل اللّه و اقامة الحدود و نشر الشرائع و الأحكام و جباية الصدقات و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و نحو ذلک مما هو وظيفة الامام و نايبه، و معلوم أنه محتاج فى هذه التكاليف و ما ضاهاها إلى إعانة الغير البتّة.

ثمّ أردفه بقوله (و لا امرؤ و إن صغّرته النفوس و اقتحمته) أى احتقرته (العيون بدون أن يعين على ذلک أو يعان عليه).

و دفع بذلک ما ربما يسبق إلى بعض الأوهام أيضا من أنّ بعض الناس من

السوقـة و السـفلة أىّ حاجـة إلى إعانتهم و أىّ فايـدة فى معاونتهم وجه الـدّفع أنّ ذلک البعض و ان كان بالغا ما بلغ فى الحقارة و الدّناءة و انحطـاط الشـأن لكنه ليس بـأدون و أحقر من أن يكون معينـا على الحقّ و لو فى صـغاير الاـمور و محقّراتهـا مثـل أن يكون راعيـا لـدواب المجاهدين أو سقاء لهم أو حطابا أو خياطا و لا أقلّ من أن يكون خاصفا لنعلهم، فانّ فى ذلک كلّه إعانة الحقّ و أهله أو معانا عليه و لو بأداء الأخماس و دفع الصّدقات إليهم و لا أقلّ من تعليمه معالم دينه و أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر.

و محصّل المراد بالجملتين المتعاطفتين من قوله عليه الصـلاة و السلام - و ليس امرء - إلى قوله عليه السّلام - يعان عليه - دفع توهّم عدم الحاجة إلى الاعانة فى العظماء لرفعة شأنهم و عدم الاحتياج إلى الضعفاء لحقارتهم و انحطاط درجتهم

تذييلان

:

الاول

لمّا كان هـذا الفصل من كلامه عليه السّـلام مسوقا لبيان حقوق الولاة على الرّعيّـة و الرّعية على الولاة. أحببت أن أذكر جملة من الأخبار و الاثار الواردة فى هذا المعنى فأقول:

قال: المحدّث الجزائرى فى الأنوار النعمانيّة: فى بعض الأخبار انّ عدل الحاكم يوما يعادل عبادة العابد خمسين.

و فى الحديث من ولى من امور المسلمين شيئا ثمّ لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوء مقعده من النّار و روى أيضا أنّه إذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقذف على جسـر جهنّم فيأمر اللّه سـبحانه الجسر فينتقض به انتقاضة فيزول كلّ عظم منه عن مكانه ثمّ يأمر اللّه تعالى العظام فترجع إلى أماكنها ثمّ يسايله فان كان للّه مطيعا أخـذ بيـده و أعطاه كفلين من رحمته، و إن كان للّه عاصـيا أخرق به الجسـر فغرق و هوى به فى جهنّم مقدار سبعين خريفا.

و فى الرواية انّه كان فى زمن بنى إسرائيل سلطان ظالم فأوحى اللّه تعالى

إلى نبيّ من أنبيائه أن قل لهذا الظالم: ما جعلتک سلطانا إلاّ لتکفّ أصوات المظلومين عن بابی، فو عزّتی و جلالی لاطعمنّ لحمک الکلاب، فسلّط عليه سلطانا آخر حتّی قتله فأطعم لحمه الکلاب.

و فی کتاب أمير المؤمنين عليه السّلام إلی حبيب بن المنتجب و الی اليمن: اوصيک بالعدل فی رعيّتک و الاحسان إلی أهل مملکتک و اعلم أنّ من ولی علی رقاب عشرة من المسلمين و لم يعدل بينهم حشره اللّه يوم القيامة و يداه مغلولتان إلی عنقه لا يفکّها إلاّ عدله فی دار الدّنيا و فی الأثر بعث قيصر ملک الرّوم إلی کسری ملک الفرس بماذا أنتم أطول أعمارا و أدوم ملکا؟ فأجابه کسری: أمّا بعد أيّها السيّد الکريم و الملک الجسيم أمّا سبب الملک و اعزازه فی معززه و رسوخه فی مرکزه فلامور أنتم عنها غافلون و لستم لأمثالها فاعلون منها أن ليس لنا نوّاب يرشی و يمنع و لا بوّاب يروع و يدفع، لم تزل أبوابنا مشرعة و نوّابنا لقضاء الحوائج مسرعة، لا أقصينا صغيرا و لا أدنينا أميرا، و لا احتقرنا بذوی الاصول، و لا قدّمنا الشبّان علی الکهول، و لا کذبنا فی وعد، و لا صدقنا فی ايعاد، و لا تکلّمنا بهزل، و لا سمنا وزيرا إلی عزل، موائدنا مبسوطة، و عقولنا مضبوطة، لا نقطع فی امل، و لا لجليسنا نمل، خيرنا مضمون، و شرّنا مأمون، و عطاؤنا غير ممنون، و لا نحوج أحدا إلی باب، بل نقضی بمجرّد الکتاب، و نرقّ للباکی، و نستقصی قول الحاکی، ما جعلنا همّنا بطوننا و لا فروجنا، أمّا البطون فلقمة، و أمّا الفروج فأمة، و لا نؤاخذ علی قدر غيظنا، بل نؤاخذ علی قدر الجناية، و لا نکلّف الضعيف المعدم ما يتحمّله الشريف المنعم، و لا نؤاخذ البرىء بالسقيم، و لا الکريم باللّئيم، النّمام عندنا مفقود، و العدل فی جانبنا موجود، الظّلم لا نتعاطاه، و الجور انفسنا طاباه، و لا نطمع فی الباطل، و لا نأخذ العشر قبل الحاصل، و لا ننکث العهود، و لا نحنث فی الموعود، الفقير عندنا مدعوّ، و المفتقر لدينا مقصوّ، جارنا لا يضام، و عزيزنا لا يرام، رعيّتنا مرعيّة، و حوائجهم لدينا

مقضـيّة، صـغيرهم عنـدنا خطير، و ذرّيهم لدينا كبير، الفقير بيننا لا يوجد، و الغنىّ بما لديه يسـعد، العالم عندنا معظّم مكرّم، و التّقىّ لدينا موقّر مقدّم، لا يسدّ بمملكتنا باب، و لا يوجد عندنا سارق و لا مرتاب، سـماؤنا ممطرة، و أشـجارنا لم تزل مثمرة، لا نعامل بالشـهوات، و لا نجازى بالهفوات، الطّير إلينا شاكى، و البعير أتانا متظلّم باكى عدلنا قد عمّ القاصـى و الدّانى، وجودنا قد عمّ الطائع و العاصى، عقولنا باهرة، و كنوزنا ظاهرة، و فروجنا عفائف، و زبولنا نظائف، أفهامنا سـليمة، و حلومنا جسـيمة، كفوفنا سوافـح، بحورنا طوافح، نفوسـنا أبيّة، و طوالعنا المعيّـة، إن سـئلنا أعطينا، و إن قـدرنا عفونا، و إن وعدنا أوفينا، و إن اغضـبنا أغضـينا فلمّا وصل الكتاب إلى قيصـر قال: يحقّ لمن كان هذه سياسته أن تدوم رياسته قال انوشيروان: حصن البلاد بالعدل فهو سور لا يغرقه ماء و لا يحرقه نار و لا يهدمه منجنيق.

كان كسـرى إذا جلس فى مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه و شـماله و كان يقول لهما: إذا زغت فحرّكونى و نبّهونى، فقالا له يوما و الرّعيّة تسـمع: أيّها الملک انتبه فانّک مخلوق لا خالق و عبد لا مولى و ليس بينک و بين اللّه قرابة أنصف النّاس و انظر لنفسک و كان يقال: صنفان متباغضان متنافيان السّـلطان و الرّعيّـة و هما مع ذلک متلازمان إن صـلح أحدهما صـلح الاخر و ان فسد أحدهما فسد الاخر و كان يقال: محلّ الملک من الرّعيّة محلّ الرّوح من الجسد و محلّ الرّعيّة منه محلّ الجسد من الرّوح، فالرّوح تألم بألم كلّ عضو من البدن و ليس كلّ واحد من الأعضاء يألم بألم غيره، و فساد الرّوح فساد جميع البدن، و قد يفسد بعض البدن و غيره من ساير البدن صحيح.

و كان يقال: ظلم الرّعيّة استجلاب البليّة.

و كان يقال: العجب ممّن استفسد رعيّته و هو يعلم أنّ عزّه بطاعتهم.

و كان يقال: أيدى الرّعية تبع ألسنتها حتّى يملک جسومها، و لن يملک

جسومها حتّى يملک قلوبها فتحبّه، و لن تحبّه حتّى يعـدل عليها فى أحكامه عدلا يتساوى فيه الخاصّة و العامّة و حتّى يخفّف عنها المؤن و الكلف، و حتّى يعفيها من رفع أوضاعها و أراذلها عليها، و هذه الثّالثة تحقد على الملک العلية من الرّعيّة و تطمع السّفلة فى الرّتب السنّية.

و كان يقال: الرّعية ثلاثة أصـناف: صـنف فضلاء مرتاضون بحكم الرّياسة و السّياسة يعلمون فضيلة الملک و عظيم غنائه و يرثون له من ثقل أعبائه فهؤلاء يحصل الملک موادّتهم بالبشـر عند اللّقاء و يلقى أحاديثهم بحسن الاصـغاء، و صنف فيهم خير و شرّ فصلاحهم يكتسب من معاملتهم بالتّرغيب و التّرهيب، و صـنف من السّفلة الرّعاع أتباع لكلّ راع لا يمتحنون فى أقوالهم و أفعالهم بنقـد و لا يرجعون فى الموالاة إلى عقد.

و كان يقال: ترک المعاقبة للسّفلة على صـغاير الجرائم تدعوهم إلى ارتكاب الكباير العظائم ألا ترى أوّل نشوز المرأة كلمة سومحت بها، و أوّل حران الدّابة حيدة سوعدت عليها.

و كان يقال: إذا لم يعمر الملک ملكه بانصاف الرّعيّة خرب ملكه بعصيان الرّعيّة.

قيل لأنوشيروان: أىّ الجنن أوقى؟ قال: الدّين، قيل: فأىّ العدوّ أقوى؟ قال: العدل.

و فى شـرح المعتزلى جاء رجل من مصـر إلى عمر بن الخطاب متظلّما فقال يا أمير المؤمنين هـذا مكان العائذ بک قال: لو عذت بمكان ما شانک؟ قال: سابقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه و يقول: أنا ابن الأمير.

و بلغ أباه ذلک فحبسنى خشية أن اقدم عليک، فكتب إلى عمرو: إذا أتاک كتابى هذا فاشهد الموسم أنت و ابنک، فلمّا قدم و عمرو و ابنه دفع الـدرّة إلى المصـرى و قال: اضـربه كما ضـربک، فجعل يضـربه و عمر يقول: اضـرب ابن الأمير اضـرب ابن الامير يردّدها حتّى قال يا أمير المؤمنين قد استقدت منه فقال و أشار إلى عمرو:

ضعها على صلعته فقال المصرى يا أمير المؤمنين انّما أضرب من ضربنى فقال:

إنّما ضـربک بقوّة أبيه و سـلطانه فاضـربه إن شئت فو اللّه لو فعلت لما منعک احد منه حتّى تكون أنت الّذى يتبرّع بالكف عنه، ثمّ قال: يا ابن العاص متى تعبّدتم النّاس و قد ولدتهم امّهاتهم أحرارا.

كتب عـدىّ بن ارطاة إلى عمر بن عبـد العزيز: أمّا بعـد فانّ قبلنا قوما لا يؤدّون الخراج إلاّ أن يمسّ هم نصب من العذاب، فاكتب إلىّ يا أمير المؤمنين برأيک، فكتب: أمّا بعد فالعجب كلّ العجب تكتب إلىّ تستأذننى فى عذاب البشر كانّ إذنى لک جنّة من عذاب اللّه أو كانّ رضاى ينجيک من سـخط اللّه فمن أعطاک ما عليه عفوا فخذ منه، و من أبى فاستحلفه وكله إلى اللّه، فلأن يلقوا اللّه بجرائمهم أحبّ إلىّ من أن ألقاه بعذابهم.

التذييل الثانى

لمّا اسـتطرد عليه السّلام فى هذا الفصل ذكر حقّ اللّه تعالى على عباده و ذكر حقوق بعضهم على بعض ينبغى أن نذكر طرفا منها من طريق الأخبار و هى كثيرة جـدّا لا تستقصـى، و نقنع منها بأجمعها لتلک الحقوق، و هى رسالة علىّ بن الحسـين عليهما السّلام المعروفة برسالة الحقوق فأقول و باللّه التوفيق:

روى فى البحـار من كتاب تحف العقول تأليف الشّيخ أبى محمّد الحسن بن علىّ بن شـعبة قال: رسالـة علىّ بن الحسـين عليهما السّلام المعروفة برسالة الحقوق.

اعلم رحمک اللّه أنّ للّه عليک حقوقا محيطة بک فى كلّ حركة حركتها أو سـكنة سـكنتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها و آلة تصـرفت بها بعضـها أكبر من بعض و أكبر حقوق اللّه عليک ما أوجبه لنفسه تبارک و تعالى من حقّه الّذى هو أصل الحقوق و منه تفرّع، ثمّ أوجبه عليک لنفسـک من قرنک إلى قـدمک على اختلاف جوارحک فجعل لبصـرک عليک حقا و لسـمعک عليک حقا، و للسانک عليک حقّا، و ليـدک عليک حقّا، و لرجلک عليک حقّا، و لبطنک عليک حقّا، و لفرجک عليک حقّا، فهذه الجوارح السبع الّتى بها تكون الأفعال، ثمّ جعل عزّ و جلّ لأفعالک عليک حقوقا فجعل لصلاتک عليک حقّا، و لصومک عليک حقّا، و لصدقتک

علیـک حقّـا، و لهـدیک علیـک حقّا، و لأفعالک علیک حقا، ثمّ تخرج الحقوق منک إلی غیرک من ذوی الحقوق الواجبـة علیک، و أوجبها علیک حقّا أئمّتک، ثمّ حقوق رعیّتک، ثمّ حقوق رحمک، فهذه حقوق یتشعّب منها حقوق، فحقوق أئمّتک ثلاثة أوجبها علیک حقّ سائسک بالسّـلطان، ثمّ سائسک بالعلم ثمّ حق سائسک بالملک و کلّ سائس امام، و حقوق رعیتک ثلاثـة أوجبها علیک حقّ رعیّتک بالسـلطان، ثمّ حقّ رعیتک بالعلم فانّ الجاهل رعیّة العالم و حقّ رعیتک بالملک من الأزواج و ما ملکت من الأیمان، و حقوق رحمک کثیرة متّصـلة بقدر اتّصال الرّحم فی القرابـة، فأوجبها علیک حقّ امّک، ثمّ حقّ أبیک، ثمّ حقّ ولـدک، ثمّ حقّ أخیک، ثمّ الأقرب فالأقرب، و الأوّل فالأوّل، ثمّ حقّ مولاک المنعم علیک ثمّ حقّ مولاک الجاری نعمتک علیه، ثمّ حقّ ذی المعروف لدیک، ثمّ حقّ مؤذنک بالصـلاة، ثمّ حقّ امامک فی صلاتـک، ثمّ حقّ جلیسـک، ثمّ حقّ جـارک، ثمّ حقّ صاحبـک، ثمّ حقّ شـریکک، ثمّ حقّ مالک، ثمّ حقّ غریمک الـذی تطالبه، ثمّ حقّ غریمک الذی یطالبک، ثمّ حقّ خلیطک، ثمّ حقّ خصـمک المدعی علیک، ثمّ حقّ خصمک الذی تدعی علیه، ثمّ حقّ مستشیرک، ثمّ حقّ المشـیر علیک، ثمّ حقّ مستنصـحک، ثمّ حقّ الناصح لک، ثمّ حقّ من هو أکبر منک، ثمّ حقّ من هو أصغر منک، ثمّ حقّ سائلک، ثمّ حقّ من سألته، ثمّ حقّ من جری لک علی یدیه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بذلک بقول أو فعل عن تعمّد منه أو عیر تعمّد منه، ثمّ حقّ أهل ملتک عامـة، ثمّ حقّ أهل الذمّـة، ثمّ الحقوق الحادثة بقدر علل الأحوال و تصـرّف الأسـباب، فطوبی لمن أعانه اللّه علی قضاء ما أوجب علیه من حقوقه و وفّقه و سدّده 1 - فأما حقّ اللّه الأکبر فانک تعبده لا تشـرک به شـیئا فاذا فعلت ذلک باخلاص جعل لک علی نفسه أن یکفیک أمر الدّنیا و الاخرة و یحفظ لک ما تحبّ منها.

2 - و أما حقّ نفسک علیک فأن تستوفیها فی طاعة اللّه فتؤدّی إلی لسانک حقّه، و إلی سمعک حقّه، و إلی بصرک حقّه، و إلی یدک حقّها، و إلی رجلک حقّها، و إلی بطنک حقّه، و إلی فرجک حقّه، و تستعین باللّه علی ذلک 3 - و أما حقّ اللّسان فإکرامه عن الخنا، و تعویده الخیر، و حمله علی

الأدب و اجمامه إلاّ لموضع الحاجة و المنفعة للدّين و الدّنيا، و إعفاؤه عن الفضول الشنعة القليلة الفائدة التى لا يؤمن ضررها مع قلّة عائدتها، و بعد شاهد العقل و الدليل عليه و تزين العاقل بعقله حسن سيرته فى لسانه، و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم.

4 - و أمّا حقّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبک إلاّ لفوهة كريمة تحدث فى قلبک خيرا أو تكسب خلقا كريما، فانّه باب الكلام إلى القلب يؤدّى إليه ضروب المعانى على ما فيها من خير أو شرّ، و لا قوّة إلاّ باللّه.

5 - و أمّا حقّ بصرک فغضّه عما لا يحلّ و ترک ابتذاله إلاّ لموضع عبرة تستقبل بها بصرا أو يستفيد بها علما، فانّ البصر باب الاعتبار..

6 - و أمّا حقّ رجليک فان لا تمشى بهما إلى ما لا يحلّ لک، و لا تجعلهما مطيّتک فى الطّريق المستخفة بأهلها فيها فانّها حاملتک و سالكة بک مسلک الدّين و السّبق لک، و لا قوّة إلاّ باللّه.

7 - و أمّا حقّ يدک فأن لا تبسطها إلى ما لا يحلّ لک فتنال بما تبسطها إليه من اللّه العقوبة فى الاجل و من النّاس بلسان اللاّئمة فى العاجل، و لا تقبضها ممّا افترض اللّه عليها، و لكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحلّ لها و بسطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فاذا هى قد عقلت و شرفت فى العاجل وجب لها حسن الثّواب من اللّه فى الاجل.

8 - و أمّا حقّ بطنک فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام و لا لكثير، و أن تقتصد له فى الحلال و لا تخرجه من حدّ التّقوية إلى حدّ التّهوين و ذهاب المروّة و ضبطه إذا همّ بالجوع و الظّماء فانّ الشّبع المنتهى بصاحبه إلى التّخم مكسلة و مثبطة و مقطعة عن كلّ برّ و كرم و إنّ الرّىّ المنتهى بصاحبه إلى السّكر مسخفة و مجهلة و مذهبة للمروّة.

9 - و أمّا حقّ فرجک فحفظه ممّا لا يحلّ لک، و الاستعانة عليه بغضّ البصر فانّه من أعون الأعوان و كثرة ذكر الموت و التّهدد لنفسک باللّه و التّخويف لها به و باللّه العصمة و التّأييد، و لا حول و لا قوّة إلاّ به.

ص:136

ثم حقوق الافعال

10 – فأمّا حقّ الصّلاة فأن تعلم أنّها وفادة إلى اللّه و أنّک قائم بها بين يدى اللّه فاذا علمت ذلک كنت خليقا أن تقوم فيها مقام الذّليل الرّاغب الرّاهب الخائف الرّاجى المستكين المتضرّع المعظم من قام بين يديه بالسّكون و الاطراق و خشوع الأطراف و لين الجناح و حسن المناجاة له فى نفسه و الطلب إليه فى فكاک رقبتک التى أحاطت به خطيئتک و استهلكتها ذنوبک، و لا قوّة إلاّ باللّه.

11 – و أمّا حقّ الصّوم فأن تعلم أنّه حجاب ضرب اللّه على لسانک و سمعک و بصرک و فرجک و بطنک ليسترک به من النّار و هكذا جاء فى الحديث: الصّوم جنّة من النّار، فان سكنت أطرافک فى حجبتها رجوت أن تكون محجوبا، و إن أنت تركتها تضطرب فى حجابها و ترفع جنبات الحجاب فتطلع إلى ما ليس لها بالنّظرة الدّاعية للشّهوة و القوّة الخارجة عن حدّ التّقيّة للّه لم تأمن أن تخرق الحجاب و تخرج منه، و لا قوّة إلاّ باللّه.

12 – و أمّا حق الصّدقة فأن تعلم أنّها ذخرک عند ربّک و وديعتک التى لا تحتاج إلى الاشهاد فاذا علمت ذلک كنت بما استودعته سرّا أوثق بما استودعته علانية، و كنت جديرا أن تكون أسررت إليه أمرا أعلنته و كان الأمر بينک و بينه فيها سرّا على كلّ حال و لم تستظهر عليه فيما استودعته منها اشهاد الاسماع و الابصار عليه بها كأنّها أوثق فى نفسک لا كأنّک لا تثق به فى تأدية وديعتک إليک، ثمّ لم تمتن بها على أحد لأنّها لک فاذا امتننت بها لم تأمن أن تكون بها مثل تهجين حالک منها إلى من مننت بها عليه لأنّ فى ذلک دليلا على أنّک لم ترد نفسک بها و لو أردت نفسک بها لم تمتنّ على أحد، و لا قوّة إلاّ باللّه.

13 – و أمّا حقّ الهدى فأن تخلص بها الارادة إلى ربّک و التّعرّض لرحمته و قبوله و لا ترید عيون النّاظرين دونه فاذا كنت كذلک لم تكن متكلّفا و لا متصنّعا و كنت انّما تقصد إلى اللّه و اعلم أنّ اللّه يراد باليسير و لا يراد بالعسير كما أراد

بخلقه التيسير و لم يرد بهم التعسير و كذلک التذلّل أولى بک من التّدهقن لأنّ الكلفة و المئونة فى المدهقنين فأمّا التّذلل و التّمسكن فلا كلفة فيهما و لا مئونة عليهما لأنّهما الخلقة و هما موجودان فى الطبيعة و لا قوّة إلاّ باللّه.

ثم حقوق الائمة

14 - فأمّا حقّ سائسک بالسلطان فأن تعلم أنک جعلت له فتنة و أنّه مبتلى فيک بما جعله اللّه له عليک من السلطان و أن تخلص له فى النصيحة و أن لا تماحكه و قد بسطت يده عليک فتكون سبب هلاک نفسک و هلاكه و تذلّل و تلطّف لاعطائه من الرّضا ما يكفّه عنک و لا يضرّ بدينک و تستعين عليه فى ذلک باللّه و لا تعازّه و لا تعانده فانّک إن فعلت ذلک عققته و عققت نفسک فعرّضتها لمكروهه و عرّضته للهلكة فيک و كنت خليقا أن تكون معينا له على نفسک و شريكا له فيما أتى إليک و لا قوّة إلاّ باللّه 15 - و أمّا حقّ سائسک بالعلم فالتعظيم له و التوقير لمجلسه و حسن الاستماع إليه و الاقبال عليه و المعونة له على نفسک فيما لا غنى بک عنه من العلم بأن تفرغ له عقلک و تحضره فهمک و تذكى له و تجلى له بصرک بترک اللذّات و نقص الشّهوات و أن تعلم أنّک فيما القى رسوله إلى من لقاک من أهل الجهل فلزمک حسن التأدية عنه إليهم فلا تخنه فى تأدية رسالته و القيام بها عنه إذا تقلّدتها و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

16 - و أمّا حقّ سائسک بالملک فنحو من سائسک بالسّلطان إلاّ أنّ هذا يملک ما لا يملكه ذاک تلزمک طاعته فيما دقّ و جلّ منک إلاّ أن تخرجک من وجوب حقّ اللّه تعالى و يحول بينک و بين حقّه و حقوق الخلق فاذا قضيته رجعت إلى حقّه فتشاغلت به و لا قوّة إلاّ باللّه.

ثم حقوق الرعية

17 - فأمّا حقوق رعيّتک بالسلطان فأن تعلم أنّک استرعيتهم بفضل قوّتک عليهم فانّه إنّما أحلّهم محلّ الرّعيّة منک ضعفهم و ذلّهم فما أولى من كفاكه ضعفه و ذلّه حتّى صيّره لک رعيّة و صيّر حكمک عليه نافذا لا يمتنع منک بعزّة و لا قوّة و لا يستنصر فيما تعاظمه منک إلاّ باللّه بالرّحمة و الحياطة و الاناة و ما أولاک

إذا عرفت ما أعطاک اللّه من فضل هذه العزّة و القوّة الّتی قهرت بها أن تکون للّه شاکرا و من شکر اللّه أعطاه فیما أنعم علیه و لا قوّة إلاّ باللّه

18 - و أمّا حقّ رعیّتک بالعلم فأن تعلم أنّ اللّه قد جعلک لهم فیما آتاک من العلم و ولاّک من خزانة الحکمة فان أحسنت فیما ولاّک اللّه من ذلک و قمت به لهم مقام الخازن الشفیق النّاصح لمولاه فی عبیده الصّابر المحتسب الّذی إذا رأی ذا حاجة اخرج له من الأموال الّتی فی یدیه کنت راشدا و کنت لذلک أهلا «آملا» معتقدا و إلاّ کنت له خائنا و لخلقه ظالما و لسلبه و عزه متعرّضا.

19 - و أمّا حقّ رعیّتک بملک النکاح فأن تعلم أنّ اللّه جعلها سکنا و مستراحا و انسا و واقیة و کذلک کلّ واحد منکما یجب أن یحمد اللّه علی صاحبه و یعلم أنّ ذلک نعمة منه علیه و وجب أن یحسن صحبة نعمة اللّه و یکرمها و یرفق بها و إن کان حقک علیها أغلظ و طاعتک لها ألزم فیما أحببت و کرهت ما لم تکن معصیة فانّ لها حقّ الرّحمة و المؤانسة و موضع السکون إلیها قضاء للّذة الّتی لا بدّ من قضائها و ذلک عظیم و لا قوّة إلاّ باللّه.

20 - و أمّا حقّ رعیّتک بملک الیمین فأن تعلم أنه خلق ربّک و لحمک و دمک و أنک تملکه لا أنک صنعته دون اللّه و لا خلقت له سمعا و لا بصرا و لا أجریت له رزقا و لکن اللّه کفاک ذلک بمن سخّره لک و ائتمنک علیه و استودعک إیاه لتحفظه فیه و تسیر فیه بسیرته فتطعمه مما تأکل و تلبسه مما تلبس و لا تکلّفه ما لا یطیق فان کرهت خرجت إلی اللّه منه و استبدلت به و لم تعذب خلق اللّه و لا قوّة إلاّ باللّه.

و أما حق الرحم

21 - فحقّ أمک أن تعلم أنها حملتک حیث لا یحمل أحد أحدا و أطعمتک من ثمرة قلبها ما لا یطعم أحد أحدا و أنها وقتک بسمعها و بصرها و یدها و رجلها و شعرها و بشرها و جمیع جوارحها مستبشرة بذلک فرحة موبلة محتملة لما فیه مکروهها و ألمها و ثقلها و غمها حتّی دفعتها عنک ید القدرة و أخرجتک إلی الأرض فرضیت أن تشبع و تجوع هی و تکسوک و تعری و ترویک و تظمأ و تظلّک و تضحی و تنعمک ببؤسها

و تلذّذک بالنوم بأرقها و کان بطنها لک وعاء و حجرها لک حواء و ثدیها لک سقاء و نفسها لک وقاء تباشر حرّ الدّنیا و بردها لک و دونک فتشکرها علی قدر ذلک و لا تقدر علیه إلاّ بعون اللّه و توفیقه.

22 - و أمّا حقّ أبیک فتعلم أنّه أصلک و أنّک فرعه و أنّک لولاه لم تکن فمهما رأیت فی نفسک ممّا تعجبک فاعلم أنّ أباک أصل النعمة علیک فیه و احمد اللّه و اشکره علی قدر ذلک 23 - و أمّا حقّ ولدک فتعلم أنّه منک و مضاف إلیک فی عاجل الدّنیا بخیره و شرّه و أنّک مسئول عمّا ولّیته من حسن الأدب و الدّلالة علی ربّه و المعونة له علی طاعته فیک و فی نفسه فمثاب علی ذلک و معاقب فاعمل فی أمره عمل المتزیّن بحسن أثره علیه فی عاجل الدّنیا المعذر إلی ربّه فیما بینک و بینه بحسن القیام علیه و الأخذ له منه و لا قوّة إلاّ باللّه.

24 - و أمّا حقّ أخیک فتعلم أنّه یدک الّتی تبسطها و ظهرک الّذی تلتجئ إلیه و عزّک الّذی تعتمد علیه و قوّتک الّتی تصول بها فلا تتّخذه سلاحا علی معصیة اللّه و لا عدة للظّلم بخلق اللّه و لا تدع نصرته علی نفسه و معونته علی عدوّه و الحول بینه و بین شیاطینه و تأدیة النصیحة إلیه و الاقبال علیه فی اللّه فان انقاد لربّه و أحسن الاجابة له و إلاّ فلیکن اللّه آثر عندک و أکرم علیک منه 25 - و أمّا حقّ المنعم علیک بالولاء فأن تعلم أنّه أنفق فیک ماله و أخرجک من ذلّ الرّق و وحشته إلی عزّ الحرّیة و أنسها و أطلقک من اسر الملکة وفکّ عنک حلق العبودیة و أوجدک رایحة العزّ و أخرجک من سجن القهر و دفع عنک العسر و بسط لک لسان الانصاف و أباحک الدّنیا کلّها فملّکک نفسک و حلّ اسرک و فرّغک لعبادة ربک و احتمل بذلک التقصیر فیما له فتعلم أنه أولی الخلق بک بعد اولی رحمک فی حیاتک و موتک و أحقّ الخلق بنصرک و معونتک و مکانفتک فی ذات اللّه فلا تؤثر علیه نفسک ما احتاج إلیک أحدا أبدا 26 - و أمّا حقّ مولاک الجاریة علیه نعمتک فأن تعلم أنّ اللّه جعلک حامیة

علیه و واقیـة و ناصـرا و معقلا و جعله لک وسـیلة و سـببا بینک و بینه فبالحریّ أن یحجبک عن النار فیکون فی ذلک ثوابک منه فی الاجل و یحکم له بمیراثه فی العاجـل إذا لم یکن له رحم مکافـاة لمـا أنفقته من مالـک علیه و قمت به من حقّه بعـد إنفاق مالک فان لم تخفه خیف علیک أن لا یطیب لک میراثه و لا قوّة إلاّ باللّه.

27 - و أمّا حقّ ذی المعروف علیک فأن تشکره و تذکر معروفه و أن تنشر له المقالة الحسنة و تخلص له الدّعاء فیما بینک و بین اللّه سبحانه فانک إذا فعلت ذلک کنت قد شکرته سرّا و علانیة ثمّ إن أمکنک مکافاته بالفعل کافأته و إلاّ کنت مرصدا له موطّنا نفسک علیها.

28 - و أمّـا حقّ المؤذّن فـأن تعلم أنه مـذکّرک بربـک و داعیـک إلی حظّک و أفضل أعوانک علی قضاء الفریضـة التی افترضـها اللّه علیک فتشـکره علی ذلک شـکرک للمحسن الیک و إن کنت فی بیتک متّهما لـذلک لم تکن للّه فی أمره متّهما و علمت أنه نعمة من اللّه علیک لا شکّ فیها فأحسن صحبة نعمة اللّه بحمد اللّه علیها علی کلّ حال و لا قوّة إلاّ باللّه.

29 - و أمّا حقّ إمامک فی صلاتک فأن تعلم أنه قد تقلّد السفارة فیما بینک و بین اللّه و الوفادة إلی ربّک و تکلّم عنک و لم تتکلّم عنه و دعا لک و لم تدع له و طلب فیک و لم تطلب فیه و کفاک همّ المقام بین یدی اللّه و المسائلة له فیک و لم تکفه ذلک فان کان فی شیء من ذلک تقصـیر کان به دونک و إن کان آثما لم تکن شـریکه فیه و لم یکن لک علیه فضل فوقی نفسک بنفسه و وقی صـلاتک بصلاته فتشکر له علی ذلک و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

30 - و أمّا حقّ الجلیس فأن تلین له کنفک و تطیب له جانبک و تنصـفه فی مجاراة اللّفظ و لا تغرق فی نزع اللّحظ إذا الحظت و تقصد فی اللّفظ إلی إفهامه إذا لفظت و ان کنت الجلیس الیه کنت فی القیام عنه بالخیار و إن کان الجالس إلیک کان بالخیار و لا تقوم إلاّ باذنه و لا قوّة إلاّ باللّه.

31 - و أمّا حقّ الجار فحفظه غائبا و کرامته شاهدا و نصرته و معونته فی

الحـالين جميعـا، لاـ تتّبع له عورة، و لاـ تبحث له عن سوءة لتعرفها، فان عرفتها منه عن غير إرادة منک و لا تكلّف كنت لما علمت حصـنا حصـينا، و سترا ستيرا لو بحثت الأسنّة عنه ضميرا لم تتصل إليه لا نطوائه عليه، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلّمه عند شديدة، و لا تحسده عند نعمة، تقيل عثرته و تغفر زلّته و لا تدّخر حلمک عنه إذا جهل عليک، و لا تخرج أن تكون سلما له، تردّ عنه الشتيمة، و تبطل فيه كيد حامل النصيحة، و تعاشره معاشرة كريمة، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

32 - و أمّـا حقّ الصـاحب فـأن تصـحبه بالفضـل مـا وجـدت إليه سبيلا و إلاّ فلا أقلّ من الانصاف و أن تكرمه كما يكرمک و تحفظه كما يحفظک، و لا يسـبقک فيما بينک و بينه إلى مكرمة فان سـبقک كافأته و لا تقصد به عمّا يستحقّ من المودّة تلزم نفسک نصيحته و حياطته و معاضدته على طاعة ربّه و معاونته على نفسه فيما يهمّ به من معصية ربّه ثمّ تكون رحمة و لا تكون عليه عذابا، و لا قوّة إلاّ باللّه.

33 - و أمّا حقّ الشريک فإن غاب كفيته و إن حضر ساويته و لا تعزم على حكمک دون حكمه و لا تعمل برأيک دون مناظرته و تحفظ عليه ماله و تنفى عنه خيانته فيما عزّ أوهان، فانه بلغنا أنّ يد اللّه على الشريكين ما لم يتخاونا، و لا قوّة إلاّ باللّه.

34 - و أمّا حقّ المال فأن لا تأخذه إلاّ من حلّه و لا تنفقه إلاّ فى حلّه و لا تحرّفه عن مواضـعه و لا تصرفه عن حقايقه و لا تجعله إذا كان من اللّه إلاّ إليه و سـببا إلى اللّه و لاـ تؤثر به على نفسـک من لعلّه لا يحمـدک و بالحرىّ أن لا يحسن خلافتک فى تركتک و لا يعمل فيه بطاعة ربک فتكون معينا له على ذلک و بما أحدث فيما لک احسن نظرا لنفسک فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة و تبوء بالاثم و الحسرة و الندامة مع التبعة و لا قوّة إلاّ باللّه.

35 - و أمّـا حقّ الغريم الطالب لک فإن كنت موسـرا أوفيته و كفيته و أغنيته و لم تردده و تمطله فإنّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: مطل الغنىّ ظلم، و إن كنت معسـرا أرضيته بحسن القول و طلبت إليه طلبا جميلا و رددته عن نفسک ردّا لطيفا و لم تجمع عليه ذهاب ماله و سوء معاملته فانّ ذلک لؤم، و لا قوّة إلاّ باللّه.

36 - و أمّا حقّ الخليط فان لا تغرّه و لا تغشّه و لا تكذبه و لا تغفله و لا تخدعه و لا تعمل فى انتقاضه عمل العدوّ الذى لا يبقى على صاحبه و إن اطمأنّ إليک استقصيت له على نفسک و علمت أنّ غبن المسترسل ربا، و لا قوّة إلاّ باللّه.

37 - و أمّا حقّ الخصم المدعى عليک فان كان ما يدّعى عليک حقا لم تنفسخ فى حجّته و لم تعمل فى إبطال دعوته و كنت خصم نفسک له و الحاكم عليها و الشاهد له بحقه دون شهادة الشهود، فانّ ذلک حقّ اللّه عليک و إن كان ما يدّعيه باطلا رفقت به و روعته و ناشدته بدينه و كسرت حدته عنک بذكر اللّه و ألقيت حشو الكلام و لغطه الذى لا يردّ عنک عادية عدوّک بل تبوء باثمه و به يشحذ عليک سيف عداوته لأنّ لفظة السوء تبعث الشر و الخير مقمعة للشرّ، و لا قوّة إلاّ باللّه.

38 - و أمّا حقّ الخصم المدّعى عليه فان كان ما تدّعيه حقا أجملت فى مقاولته بمخرج الدّعوى، فانّ للدّعوى غلظة فى سمع المدّعى عليه و قصدت قصد حجتک بالرّفق و امهل المهلة و أبين البيان و ألطف اللّطف و لم تتشاغل عن حجتک بمنازعته بالقيل و القال فتذهب عنک حجّتک و لا يكون لک فى ذلک درک، و لا قوّة إلاّ باللّه.

39 - و أمّا حقّ المستشير فإن حضرک له وجه رأى جهدت له فى النصيحة و أشرت إليه بما تعلم أنک لو كنت مكانه عملت به، و ذلک ليكن منک فى رحمة و لين فانّ اللين يونس الوحشة و إنّ الغلظ يوحش موضع الانس، و إن لم يحضرک له رأى و عرفت له من تثق برأيه و ترضى به لنفسک دللته عليه و أرشدته إليه فكنت لم تأله خيرا و لم تدّخره نصحا، و لا قوّة إلاّ باللّه 40 - و أمّا حقّ المشير عليک فلا تتّهمه فيما يوافقک عليه من رأيه إذا أشار عليک فانما هى الاراء و تصرّف النّاس فيها و اختلافهم فكن عليه فى رأيه بالخيار إذا اتّهمت رأيه فأمّا تهمته فلا تجوز لک إذا كان عندک ممّن يستحقّ المشاورة و لا تدع شكره على ما بدا لک من إشخاص رأيه و حسن وجه مشورته فاذا وافقک حمدت اللّه و قبلت ذلک من أخيک بالشكر و الارصاد بالمكافاة فى مثلها إن فزع إليک و لا قوّة إلاّ باللّه.

41 - و أمّا حقّ المستنصح فانّ حقه أن تؤدّى إليه النصيحة على الحقّ الذى ترى له أنه يحمل و يخرج المخرج الذى يلين على مسامعه، و تكلّمه من الكلام بما يطيقه عقله، فان لكلّ عقل طبقة من الكلام يعرفه و يجتنبه، و ليكن مذهبک الرّحمة، و لا قوّة إلاّ باللّه.

42 - و أمّا حقّ النّاصح فأن تلين له جناحک ثمّ تشرئب له قلبک و تفتح له سمعک حتّى تفهم عنه نصيحته ثمّ تنظر فيها فان كان وفّق فيها للصّواب حمدت اللّه على ذلک و قبلت منه و عرفت له نصيحته، و إن لم يكن وفّق لها فيها رحمته و لم تتّهمه و علمت أنّه لم يألک نصحا إلاّ أنّه أخطأ إلاّ أن يكون عندک مستحقا للتّهمة فلا تعبأ بشىء من أمره على كلّ حال، و لا قوّة إلاّ باللّه.

43 - و أمّا حقّ الكبير فإن حقّه توقير سنّه و إجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل فى الاسلام بتقديمه فيه و ترک مقابلته عند الخصام و لا تسبقه إلى طريق و لا تؤمه فى طريق و لا تستجهله و إن جهل عليک تحملت و أكرمته بحقّ إسلامه مع سنّه فانّما حقّ السنّ بقدر الاسلام و لا قوّة إلاّ باللّه.

44 - و أمّا حقّ الصغير فرحمته و تثقيفه و تعليمه و العفو عنه و الستر عليه و الرّفق به و المعونة له و السّتر على جرائر حداثته فانه سبب للتوبة و المداراة له و ترک مماحكته فانّ ذلک أولى «أدنى» لرشده.

45 - و أمّا حقّ السائل فإعطاؤه إذا تهيأت صدقة و قدرت على سدّ حاجته و الدّعاء له فيما نزل به و المعاونة له على طلبته، فان شككت فى صدقه و سبقت إليه التّهمة له و لم تعزم على ذلک لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدّک عن حظک و يحول بينک و بين التقرّب إلى ربک و تركته بستره و رددته ردا جميلا، و إن غلبت نفسک فى أمره و أعطيته على ما عرض فى نفسک منه فانّ ذلک من عزم الامور 46 - و أمّا حقّ المسئول فحقّه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له و المعرفة لفضله و طلب وجه العذر فى منعه و أحسن به الظنّ و اعلم أنه إن منع ماله منع و ان

ليس التثريب فى ماله و إن كان ظالما فانّ الانسان لظلوم كفّار.

47 - و أمّا حقّ من سرّک اللّه به و على يديه فان كان تعمّد هالک حمدت اللّه أوّلا ثمّ شكرته على ذلک بقدره فى موضع الجزاء و كافأته على فضل الابتداء و أرصدت له المكافاة، فان لم يكن تعمّدها حمدت اللّه و شكرت له و علمت أنّه منه توحّدک بها و أحببت هذا إذا كان سببا من أسباب نعم اللّه عليک و ترجو له بعد ذلک خيرا فانّ أسباب النّعم بركة حيث ما كانت و إن كان لم يتعمّد، و لا قوّة إلاّ باللّه.

48 - و أمّا حقّ من ساءک القضاء على يديه بقول أو فعل فان كان تعمّدها كان العفو أولى بک لما فيه له من القمع و حسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق فانّ اللّه يقول «و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئک ما عليهم من سبيل» إلى قوله «من عزم الأمور» و قال عزّ و جلّ «و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصّابرين» هذا فى العمد فإن لم يكن عمدا لم تظلمه بتعمّد الانتصار منه فتكون قد كافأته فى تعمّد على خطاء و رفقت به و رددته بألطف ما تقدر عليه، و لا قوّة إلاّ باللّه.

49 - و أمّا حقّ أهل ملّتک عامّة فاضمار السّلامة و نشر جناح الرّحمة و الرّفق بمسيئهم و تألّفهم و استصلاحهم و شكر محسنهم إلى نفسه و إليک فانّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليک إذا كف عنک أذاه و كفاک مئونته و حبس عنک نفسه فعمّهم جميعا بدعوتک، و انصرهم جميعا بنصرتک، و أنزلهم جميعا منک منازلهم كبيرهم بمنزلة الوالد و صغيرهم بمنزلة الولد و أوسطهم بمنزلة الأخ، فمن أتاک تعاهدته بلطف و رحمة وصل أخاک بما يجب للأخ «يحبّ الأخ» على أخيه.

50 - و أمّا حقّ أهل الذّمة فالحكم فيهم أن تقبل منهم ما قبل اللّه و كفى بما جعل اللّه لهم من ذمّته و عهده و تكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم و اجبروا عليه و تحكم فيهم بما حكم اللّه به على نفسک فيما جرى بينک من معاملة و ليكن بينک و بين ظلمهم من رعاية ذمّة اللّه و الوفاء بعهده و عهد رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حايل، فانّه بلغنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من ظلم معاهدا كنت خصمه، فاتّق اللّه و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

فهذه خمسون حقّا محيطا بک لا تخرج منها فی حال من الأحوال يجب عليک رعايتها و العمل فی تأديتها و الاستعانة باللّه جلّ ثناؤه على ذلک، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه و الحمد للّه ربّ العالمين.

قال الشّارح عفى اللّه عنه و وفّقه لأداء حقوقه: و انّما أوردت الرّواية بتمامها مع كون صدرها خارجا عن الغرض لكثرة فوايدها و مزيد عوائدها فضننت بها عن الاسقاط و الاقتصار.

ثمّ أقول: النّسخة الّتی رويت منها كانت غير خالية عن السّقم فرويت كما رأيت، فلعلّ اللّه يوفّقنی على إصلاحها و مقابلتها(1) فيما بعد بتحصيل نسخة صحيحة، و هو الموفّق و المعين و به اعتمادی

الترجمة

از جملهٔ خطبهای شريفهٔ آن امام مبين و سيّد الوصيّين است كه خطبه خواند آن را در صفّين می فرمايد أمّا بعد از حمد خدا و نعت رسول خدا پس بتحقيق گردانيده است خدا از برای من بر شما حقّ بزرگی را بسبب صاحب اختيار بودن من بر امر شما، و از برای شماست بر من از حق مثل آن حقی كه مراست بر شما، پس حق فراترين خيرهاست در مقام وصف كردن بعضی با بعضی أوصاف آن را، و تنگ ترين چيزهاست

1- (1) - قلت: إن لم يوفّق الشارح المصنّف «قد» للاصلاح و المقابلة فقد وفّقنی اللّه تعالى و له الحمد لذلک و قابلت النسخة بنفس المصدر كتاب تحف العقول على النسخة المصحّحة التی نشرها أخيرا الأخ الأعزّ و الفاضل الفذّ على أكبر الغفاری عامله اللّه بلطفه الخفی و الجلی، فظهر بعد المقابلة أنّ نسخة المصنف كانت كثيرة السقم كثيرة الخطاء مع ما فيها من الاسقاط، فانّ الواحد و الثلاثين من الحقوق و هو حقّ الجار إلى آخره، و كذا الواحد و الأربعين و هو حقّ المستنصح إلى آخره كانا ساقطين ظاهرا عن نسخة المصنف بتمامهما و لذا لم يذكرا فی الطبعة الأولى، فان كنت فی ريب مما ذكرنا فعليک بتطبيق هذه النسخة مع المطبوعة أوّلا يظهر لک صحّة ما ادّعيناه، و صدق ما قلناه و اللّه الموفّق للسداد «المصحّح»

در مقام انصاف کردن بعضی مر بعضی را، جاری نمی شود آن حق از برای منفعت أحدی مگر این که جاری شود بر ضرر او، و جاری نمی شود بر ضـرر او مگر این که جـاری شود از برای منفعت او و اگر باشـد از برای کسـی که جـاری شود حقّ او بر غیر و حق غیر بر او جاری نشود هر آینه باشد و مختص بخداوند سبحانه بدون خلق او از جهت قدرت او بر بندگان خود و از جهت عدالت او در هر چیزی که جاری شـد بر آن چیز اقسام قضا و حکم او، و لیکن گردانیـد خـدای تعالی حقّ خود را بر بندگان این که اطاعت او نمایند، و گردانید جزای طاعت ایشان را بر خود این که ثواب ایشان را بالمضاعف کنـد از حیثیّت تفضّل و احسان و از روی وسـعت دادن با چیزی که خود اهل اوست از زیاده کردن جزا پس گردانید حق سـبحانه و تعالی از جملهٔ حقوق خود حقوقی را که واجب گردانیده است آنها را از برای بعضـی از مردمان بر بعضـی، پس گردانید آنها را متساوی و متقابل در جهات آنها و باعث می شود بعضی از آنها به بعضی و مستحق نمی شود بعضی را مگر بعوض بعضی و بزرگترین چیزی که واجب گردانید حق سبحانه و تعالی از این حقوق حق والی و پادشاهست بر رعیّت، و حقّ رعیّت است بر والی و پادشاه فریضه ایست که فرض کرده خدای سـبحانه و تعالی آنرا از برای هر یکی از والی و رعیّت بر دیگری، پس گردانید آن حقّ را سبب نظم از برای الفت ایشان و مایهٔ عزّت از برای دین ایشان، پس صـلاح نمی یابد حال رعیّت مگر بصـلاح حال پادشاهان و صلاح نمی یابد حال پادشاهان مگر بانتظام أمر رعیّت.

پس وقتی که ادا کند رعیّت بوالی حقّ او را که اطاعت و فرمان برداریست و ادا کند والی برعیّت حقّ او را که عدالت و دادرسـی است عزیز می شود حقّ در میانـهٔ ایشـان، و مسـتقیم می شود راههای دین، و معتـدل می شود علامتهای عـدالت، و جاری می شود سـنن شـرعیّه بر راههای خود پس صلاح می یابد بسبب این روزگار، و امیدواری می شود در دوام و بقاء سلطنت، و مأیوس می گردد جایگاه طمع دشمنان.

ص:147

و وقتی که غالب گردد و تمرّد نماید رعیّت بر پادشاه خود، یا ظلم و تعدّی کند پادشاه بر رعیّت خود مختلف می شود در آن وقت سخنان، و آشکار گردد علامتهای ظلم و ستم، و بسیار گردد دغل و مفاسد در دین، و ترک شود جادّهٔ سنن شرعیّه، پس عمل کرده می شود بخواهشات نفسانیّه، و معطّل گردد احکام شرعیّهٔ نبویّه، و بسیار شود ناخوشیهای نفسها، پس استیحاش نمی شود یعنی مردم وحشت نمی کنند از بزرگ حقّی که تعطیل افتد، و نه از بزرگ باطلی که آورده شود، پس در آن وقت ذلیل و خار گردند نیکوکاران، و عزیز گردد بدکرداران، و بزرگ می شود مظالم خدا بر ذمّهٔ بندگان.

پس بر شما باد نصیحت کردن یکدیگر را در آن حقّ واجب و معاونت خوب همدیگر بالای آن پس نیست احدی و اگر چه شدید باشد در تحصیل رضای خدا عرض او، و دراز باشد در عمل سعی و تلاش او که برسد حقیقت آن چیزی را که خدای تعالی أهل و سزاوار اوست از اطاعت و عبادت، و لیکن از حقوق واجبهٔ خدا بر بندگان نصیحت کردنست بمقدار طاقت ایشان و اعانت کردن یکدیگر است برپا داشتن حق و عدل در میان خودشان.

و نیست مردی و اگر چه بزرگ شود در حق گذاری مرتبهٔ او و مقدّم باشد در دین داری فضیلت او بالاتر از این که اعانت کرده شود بر چیزی که بار کرده است خدا بر او از حقّ خود، یعنی البته محتاج است بمعین.

و نیست مردی اگر چه کوچک شمرده باشد او را نفسها و حقیر دیده باشد او را چشمها پست تر از این که اعانت کند بر آن حقّ یا اعانت کرده شود بر آن

الفصل الثانی

اشارة

قال السیّد رضی اللّه عنه: فأجابه علیه السّلام رجل من أصحابه بکلام طویل یکثر فیه الثّناء علیه و یذکر سمعه و طاعته له علیه السّلام.

ص:148

فقال علیه السّلام:

إنّ من حقّ من عظم جلال اللّه فی نفسه، و جلّ موضعه من قلبه، أن یصغر عنده لعظم ذلک کلّ ما سواه، و إنّ أحقّ من کان کذلک لمن عظمت نعمة اللّه علیه، و لطف إحسانه إلیه، فإنّه لم تعظم نعمة اللّه علی أحد الاّ ازداد حقّ اللّه علیه عظما. و إنّ من أسخف حالات الولاة عند صالح النّاس أن یظنّ بهم حبّ الفخر، و یوضع أمرهم علی الکبر، و قد کرهت أن یکون جال فی ظنّکم أنّی أحبّ الإطراء، و استماع الثّناء، و لست بحمد اللّه کذلک، و لو کنت أحبّ أن یقال ذلک لترکته انحطاطا للّه سبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة و الکبریاء، و ربّما استحلی النّاس الثّناء بعد البلاء، فلا تثنوا علیّ بجمیل ثناء لإخراجی نفسی إلی اللّه و إلیکم من البقیّة فی حقوق لم أفرغ من أدائها، و فرائض لا بدّ من إمضائها. فلا تکلّمونی بما تکلّم به الجبابرة، و لا تتحفّظوا منّی بما یتحفّظ به عند أهل البادرة، و لا تخالطونی بالمصانعة، و لا تظنّوا بی [به] استثقالا فی حقّ قیل لی، و لا التماس إعظام لنفسی، فإنّه من استثقل الحقّ أن یقال له، أو العدل أن یعرض علیه، کان العمل بهما أثقل علیه، فلا تکفّوا عن مقالة بحقّ، أو مشورة بعدل، فإنّی لست فی نفسی

بفوق أن أخطئ، و لا ـ آمن ذلک من فعلی إلاّ أن یکفی اللّه من نفسی ما هو أملک به منّی، فإنّما أنا و أنتم عبید مملوکون لرّب لا ربّ غیره، یملک منّا ما لا نملک من أنفسنا، و أخرجنا ممّا کنّا فیه إلی ما صلحنا علیه، فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدی، و أعطانا البصیرة بعد العمی.

اللغة

(صغر) الشیء یصغر من باب شرف صغرا و زان عنب إذا صار صغیرا و صغر صغرا من باب تعب إذا ذلّ و هان قال تعالی: و هم صاغرون، أی داخرون ذلیلون و (عظم) الشّیء بالضّم أیضا عظما کعنب إذ اصار عظیما و (سخف) سخفا و سخافة و زان قرب قربا فهو سخیف و فلان فی عقله سخف أی نقص، و قال الخلیل: السّخف فی العقل خاصّة و السخافة فی کلّ شیء.

و (اطریت) فلانا مدحته بأحسن ما فیه و قیل: بالغت فی مدحه و جاوزت الحدّ و قال السّرقسطی فی باب الهمز و الیاء أطرأته مدحته و أطریته أثنیت علیه.

و قوله:(من البقیّة) بالباء الموحّدة کما فی نسخة الشّارح المعتزلی و غیرها من بقی الدّین کذا فضل و تأخّر، و البقیّة اسم منه و الجمع بقایا و بقیّات مثل عطیة و عطایا و عطیات، و المنقول من خطّ الرّضی من التقیة بالتاء المثناة و (البادرة) الحدّة و الکلام الذی یسبق من الانسان فی حالة الغضب و (المصانعة) الرّشوة و المداراة و (کفه) عن المکروه أی صرفه فکفّ هو أی انصرف یستعمل متعدّیا و لازما.

الاعراب

قوله: من حقّ خبر انّ قدّم علی اسمها و هو قوله ان یصغر، و هو مؤوّل بالمصدر و الواو فی و انّ أحق آه حرف قسم حذف المقسم به و جواب القسم قوله: لمن عظمت، و یحتمل أن تکون للعطف فتکون اللام فی لمن تأکیدا.

و قوله: و قد کرهت أن یکون جال فی ظنّکم انّی احبّ، یکون زایدة بعد

أن النّاصبة جيء بها لمحض اصلاح اللّفظ و تصحيح دخول أن النّاصبة و إلاّ فلا حاجة اليها من حيث المعنى، و الدّليل على زيادتها أنّها لم تعمل شيئا أصلا و مثلها فى الزّيادة قول أم عقيل ابن أبى طالب و هى ترقصه:

أنت تكون ماجد بليل إذا تهبّ شمال بليل

و جملة أن يكون حال فى محلّ النّصب مفعول كرهت، و جملة انّى احبّ فاعل جال و قوله: و لست بحمد اللّه كذلک، الباء فى بحمد اللّه إما للمصاحبة و الجار و المجرور فى موضع الحال أى لست كذلک مصاحبا بحمده أى حامدا له تعالى على حدّ قوله تعالى «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ » أى سبّحه حامدا له أى نزّهه عمّا لا يليق به و اثبت له ما يليق و إمّا للاستعانة على أنّه من اقامة المسبّب مقام السّبب كما قاله بعض علماء الأدبيّة فى سبحانک اللّهم و بحمدک، إنّ المعنى و بمعونتک الّتى هى نعمة توجب على حمدک سبّحتک لا بحولى و قوّتى، و على هذا فيكون المعنى لست كذلک باعانته الّتى توجب حمده تعالى.

و قوله: انحطاطا للّه، مفعول لأجله لتركته، و عن تناول متعلّق بانحطاطا و اضافة تناول إلى ما من اضافة المصدر إلى مفعوله، و قوله: لاخراجى علّة للمنفى، لا للنفى و قوله: فى حقوق، متعلّق بالبقيّة و الفاء فى قوله فلا تكلّمونى، فصيحة.

و قوله فانّه من استثقل الحقّ أن يقال له، الضمير فى أنّه للشأن و أن يقال له بدل من الحقّ بدل اشتمال و كذلک ان يعرض عليه بدل من العدل، و الباء فى قوله:

بفوق، زايدة للتأكيد و زيادتها فى خبر ليس مطردة، و الفاء فى قوله: فابدلنا آه، عاطفة للتفصيل على الإجمال.

المعنى

اشارة

اعلم أنّه عليه السّلام لمّا خطب بما تقدّم فى الفصل الأوّل (فأجابه عليه السّلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه و يذكر سمعه و طاعته له) و ستطلع على كلام هذا الرّجل فى التكملة الاتية انشاء اللّه تعالى.

قال المحدّث العلامة المجلسىّ فى البحار عند رواية هذه الخطبة من الكافى:

الظاهر أنّ هذا الرّجل كان الخضـر عليه السّلام و قد جاء فى مواطن كثيرة و كلّمه عليه السّلام لاتمام الحجّة على الحاضرين، و قد أتى بعد وفاته عليه السّلام و قام على باب داره و بكى و أبكى و خاطب عليه السّلام بأمثال تلك الكلمات و خرج و غاب عن النّاس.

أقول: و يؤيّده ما يأتى فى روايـة الكافى من أنّه لم يكن رأى فى عسـكره عليه السّلام قبل هـذا اليوم و لا بعده، و كيف كان فلمّا سـمع عليه السّلام كلامه (فقال عليه السّلام) مجيبا له:

(إنّ من حقّ من عظم جلال اللّه فى نفسه و جلّ موضـعه من قلبه أن يصغر عنده لعظم ذلک كلّ ما سواه) فانّ من كمل معرفته باللّه و شاهد عظمته و جلالـه و كبرياءه لا يبقى لغيره وقع فى نظره، لما ظهر من جلاله تعالى كما قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى ما رواه عنه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى احياء العلوم: لا يبلغ عبـد حقيقـة الايمان حتّى ينظر النّاس كالأباعر فى جنب اللّه ثمّ يرجع إلى نفسـه فيجدها أحقر حقير.

(و انّ أحقّ من كان كـذلک لمن عظمت نعمة اللّه عليه و لطف احسانه اليه) يعنى أحقّ النّاس بتعظيم جلال اللّه و تصـغير ما سواهم الأئمّة عليهم السّلام لعظم نعمـة اللّه عليهم و كمـال معرفتهم بجلالـ ربّهم، فحقّ اللّه تعـالى عليهم أعظم من غيرهم فينبغى أن يصـغر عنـدهم أنفسهم فلا يحبّوا الثناء و الاطراء.

أو أنّ من عظمت نعمه و لطفه و احسانه إليه فهو أحقّ و أجـدر بأن يعظم جلال اللّه و يجلّ محلّه فى قلبه، و من كان كـذلک فيضـمحلّ عند ملاحظة جلاله و مشاهدة عظمة غيره، فلا يكون له التفات و توجّه إلى الخلق فى أعماله حتّى يطلب رضاءهم و مدحهم و ثناءهم.

و من هنا لما قال الحواريّون لعيسى عليه السّلام ما الخالص من الأعمال؟ فقال: الّذى يعمل للّه تعالى لا يحبّ أن يحمده عليه أحد.

و قال بعضهم: الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط، و قال آخر: هو اخراج الخلق عن معاملة الرّب.

و يؤيّد الثّانى تعليله بقوله (فانّه لم تعظم نعمـة اللّه على أحـد إلاّ ازداد حقّ اللّه عليه عظما) و أعظم حقّه هو الاخلاص كما قال «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ »

«لَهُ الدِّينَ » «فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَ لا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ».

(و انّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظنّ بهم حبّ الفخر).

لظهور مخائل حبّه عليهم، و ذلک لضعف عقولهم و حبّهم للجاه و المنزلة عند الناس و للثناء و المحمدة منهم.

و النكتة فى محبتهم لذلک هو ارتياح النفس و التذاذ القلب به و ميل الطبع اليه بسبب استشعار الكمال من قول المادح، و ذلک لأنّ الكمال محبوب، و كلّ محبوب فادراكه لذيذ، فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت و تلذّذت فالمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها.

فانّ الوصف الذى يمدح به إما أن يكون جليا ظاهرا كوصفه بأنه طويل القامة و حسن الوجه، أو خفيا مشكوكا كوصفه بالقدرة و الشجاعة و السخاوة، و الالتذاذ بالأوّل أقلّ و بالثانى أعظم، لأنّ الانسان ربما يكون شاكا فى كمال قدرته و شجاعته و سخاوته، و بمدح غيره له بذلک يرتفع شكه و يحصل له الطمأنينة باستشعار ذلک الكمال، فتعظم لذّته لا سيما إذا كان المادح من أهل الخبرة فهذا هو النكتة فى حبّ الجاه و الفخر و الثناء.

و أيضا فانّ المدح يدلّ على حشمة الممدوح و اضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بحمده، و مدحه إما عن طوع أو عن قهر و الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر و القدرة و السلطنة، و هذه اللّذة تحصل و إن كان المادح فى الباطن غير معتقد بما مدح به لأنّ اضطراره إلى مدحه و وصفه نوع قهر و استيلاء عليه، فيورث ذلک حبّ الولاة للمحمدة و الثناء.

و إنما جعله من أسخف الحالات، لأنّ من غلب على قلبه حبّ الجاه و المنزلة و الفخر صار همته مقصورا على ملاحظة الخلق و مراعاتهم فى أقواله و أفعاله ملتفتا إلى ما يوجب وقعه فى نظرهم و منزلته عندهم و رضائهم منه رجاء لمدحهم و خوفا من ذمّهم و هذا من محض ضعف العقل و قصوره.

لأنّ هـذه الصـفة التى يحبّ المـدح بها إما أن يكون متّصـفا بها واقعا أم لا فان كان متّصـفا بها فهى إما من الكمالات النفسانيـة كالقدرة و الشجاعة و العدالة، أو ليست من الكمالات النفسانية بل من الأعراض الدّنيوية كالثروة و الجلال و الشوكة و نحوها.

أما الأعراض الدنيويّة فالفرح بها كالفرح بما أنبتت الأرض من النبات الذى يصـير عن قريب هشيما تذروه الرياح، و هذا من قلّة عقل العاقل فلا ينبغى أن يفرح بما هو فى معرض الزوال و الفناء، و ان فرح فلا ينبغى أن يفرح بمدح المادح بل بوجوده و المدح ليس سبب وجوده.

و أمـا الكمالاـت النفسانيـة فينبغى أن يكون فرحه فيهـا بفضل اللّه تعالى أيضا لا بمـدح المادح، فانّ اللـذة فى استشـعار الكمال و الكمال موجود بفضل اللّه لا بمـدح المادح و المـدح تابع له و ان لـم يكن متّصـفا بها واقعا فحبّ المدح بها غاية الجنون، و مثله كمثل من يهزء به إنسان و يقول له: سبحان اللّه ما اكثر العطر الذى فى أحشائك و ما أطيب الرّوائح التى تفوح منك إذا قضيت حاجتك، و هو يعلم ما تشتمل عليه أمعـاؤه من الأقـذار و الأنتان و مع ذلك فيفرح بمـدحه فاذا المادح إن كان صادقا فليكن فرحه بصـفته الّتى هى من فضل اللّه و إن كان كاذبا فينبغى أن يغمّه مدحه حيث إنه يستهزء به و يستسخر منه فكيف يفرح به.

و أمّا الحشمة الّتى اضطرت المادح إلى المدح فمرجعها أيضا إلى قدرة عارضة لا ثبات لها، فعلم بذلك أنّ حبّ الفخر من أسخف حالات الولاة.

(و) من أسـخف حالاتهم أيضا أن (يوضع أمرهم على الكبر) أى يتّهموا بالكبر لاستعظامهم لنفسهم و استحقارهم لغيرهم و ترفعهم عليه و انفهم من عبـاداتهم و هو ايضـا من ضـعف العقل لأنّ الكبر و العزّ و العظمـة و الجلال لا يليق إلاّ بالقادر القاهر مالك الملك و الملكوت فأين يليق به العبد الضعيف المسكين المستكين الذى لا يملك لنفسه موتا و لا حياتا و لا نشورا.

ص:154

فالوالى المتكبّر منازع للّه تعالى فى صفة لا يليق إلاّ بجلاله مثل الغلام الّذى أخذ قلنسوة الملک فوضعها على رأسه و جلس على سريره فما أعظم استحقاقه للمقت و الخزى و ما أقبح ما تعاطاه و أشدّ جرأته على مولاه و أفحش سفهه عند أهل البصيرة هذا.

و لمّا ذكر اجمالا أنّ المشاهد لجمال الربوبيّة يصغر فى نظره ما سواه و أنّ أحقّ النّاس بمشاهدة جلاله و استصغار غيره هو من فاز لعظيم نعمة المعرفة و عقّبه بذكر حالة الولاة من حبّهم للفخر و الكبر و اتّهامهم بذلک.

أردف ذلک بالتصريح على براءة نفسه القدسية من هذه الحالات و نزاهته عن حبّ الاطراء و الثناء بمقتضى مشاهدته لجلال الربّ تعالى فقال:

(و قد كرهت أن يكون جال فى ظنّكم أنى أحبّ الاطراء) أى المجاوزة عن الحدّ فى المدح و المبالغة فيه (و استماع الثناء) قال بعض الشارحين: جولان الظنّ حصول المعنى فى النفس من غير إذعان كامل، و كراهته عليه السّلام له يدلّ على كراهته للاذعان التامّ بطريق أولى.

(و لست بحمد اللّه كذلک) أى محبا لها (و لو كنت احبّ أن يقال ذلک) أى لو أحببت الاطراء و الثناء و التعظيم و التّبجيل بما فيه من التذاذ النفس (لتركته) قطعا (انحطاطا للّه) و تذلّلا لأجله و تصاغرا (عن تناول ما هو أحقّ به) منّى و من كلّ أحد (من العظمة و الكبرياء) و يحتمل أن يكون أحقّ بمعنى حقيق غير مراد به التفضيل كما فى قولهم العسل أحلى من الخلّ و هو الأظهر بل أولى لأنّ العظمة و الكبرياء لا يليق إلاّ به تعالى كما قال فى الحديث القدسى: الكبرياء ردائى و العظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما ألقيته فى جهنّم و لا ابالى.

و فى كلامه عليه السّلام إشارة إلى أنّ الاطراء و الثناء يجران إلى الكبر و ذلک أنّ المادح إذا بالغ فى المدح و ذكر مناقب الممدوح و محاسنه و اثنى عليه بها يورث ذلک فى الممدوح الارتياح و الاهتزاز و استعظامه لنفسه بما فيها من المناقب و المحاسن و استحقاره بغيره لخلوّه منها، و ليس الكبر إلاّ عبارة عن ذلک.

(و ربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء) أى استحلى من أبلى بلاء حسنا من الولاة و غيرهم أن يمدح و يثنى عليه بعد ابتلائه بالشدائد و مكايدته المشاق.

قال الشارح البحرانى: هذا يجرى مجرى تمهيد العذر لمن أثنى عليه فكأنه عليه السّلام يقول: و أنت معذور حيث رأيتنى أجاهد فى سبيل اللّه و أحثّ الناس على ذلک و من عادة النّاس أن يستحلوا الثناء عند أن يبلوا بلاء حسنا فى جهاد أو غيره من الطاعات.

ثمّ أجاب عليه السّلام عن هذا العذر بقوله (فلا تثنوا علىّ بجميل ثناء لاخراجى نفسى إلى اللّه و إليكم من البقيّة فى حقوق لم أفرغ من أدائها و فرائض لا بدّ من امضائها) أى لا تثنوا علىّ لأجل ما ترونه منّى من طاعة اللّه فانّ ذلک انّما هو لاخراج نفسى إلى اللّه من حقوقه الباقية علىّ لم افرغ بعد من أدائها، و هى حقوق نعمه و فرائضه الّتى لا بدّ من المضىّ فيها و كذلک إليكم من الحقوق التى أوجبها اللّه من النصيحة فى الدّين و الارشاد إلى الطريق الأفضل و التعظيم لكيفيّة سلوكه.

و فى المنقول من خط الرّضى من التقيّة بالتاء و المعنى فانّ الّذى أفعل من طاعة اللّه إنما هو لاخراج نفسى إلى اللّه و إليكم من تقيّة الخلق فيما يجب علىّ من الحقوق إذ كان عليه السّلام إنّما يعبد اللّه للّه غير ملتفت فى شىء من عبادته و أداء واجب حقّه إلى أحد سواه خوفا منه أو رغبة إليه أو المراد بها التقيّة الّتى كان يعملها فى زمن الخلفاء الثلاثة و تركها فى أيام خلافته، و كأنه قال: لم أفعل شيئا إلاّ و هو أداء حقّ واجب علىّ و إذا كان كذلک فكيف أستحقّ أن يثنى علىّ لأجل إتيان الواجب بثناء جميل، و اقابل بهذا التعظيم، و هو من باب التواضع للّه و تعظيم كيفية أداء حقّه، و كسر للنفس عن محبّة الباطل و الميل اليه.

و لمّا نهاهم عن الثناء عليه أردف بتعليمهم كيفية سلوكهم معه عليه السّلام قولا و فعلا فقال عليه السّلام.

ص:156

(فلا تكلّمونى بما تكلّم به الجبابرة) و الظلمة أى لا تكلّمونى بكلام متضـمن للتملق لى و التودّد الىّ كما يتكلّم به عند أهل الغرور و النخوة من المتجبّرين العتـاة (و لا ـ تتحفّظوا منّى بمـا يتحفّظ به عنـد أهـل البادرة) أى لا تحرّزوا منّى بما يتحرّز به عنـد أهل الهـدة من الملوك و السـلاطين و الا ـمراء، فـانّ النّـاس إنّمـا يتحفظون عنهم و يتكلّمون عنـدهم حقّا أو بأطلا بما يعجبهم و يوافق مـذاقهم من الثناء و الاطراء و الملق، و يحتشمون منهم و يقومون بين أيديهم و يخضعون لهم، كلّ ذلک خوفا من سطوتهم و توقّيا من سورتهم.

(و لا تخالطونى) و عن بعض النّسخ لا تخاطبونى بدله (بالمصانعة) أى بالرّشوة و المداراة، و قال بعض الشارحين: المصانعة أن تصنع لأحد شيئا ليصنع لک شيئا آخر و الغرض النّهى عن المخالطة أو المخاطبة بحسب ما يرونه صلاحا فى حصول أغراضهم أو ما يعجبه عليه السّلام على زعمهم.

(و لا تظنوا بى استثقالا فى حقّ لى و لا التماس إعظام لنفسى) أى لا يذهب ظنّكم إلى أنّ فىّ توانيا من الحقّ الذى قيل لى، و انى أعدّه ثقيلا علىّ، و لا إلى أنّى أطلب من الخلق التعظيم لنفسى، و ذلک لأنّه مع الحقّ و الحقّ معه يدور معه كيف دار و لمعرفته بمن هو أهل للاعزاز و أحقّ به لاختصـاصه بالعظمـة و الكبرياء فقط جلّ جلاله دون غيره حسـبما صـرّح به سابقا، و من هـذا شأنه فكيف يسـتثقل الحقّ و يلتمس الاعظام.

(فانّه من اسـتثقل الحقّ أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه) يعنى من كان اسـتماع الحقّ و العدل ثقيلا عليه عند إظهارهما عليه كان عمله بهما أثقل و أشق، لكن شـيئا منهما ليس ثقيلا عليه فضلا عن إصغائه إليه، بل المعلوم من حاله عليه السّلام مضافا إلى شـهادة قوله تعالى «وَ مِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعْدِلُونَ » النّازل فيه و فى الأئمـة من ذريّته عليه و عليهم السّلام مواظبته على الحقّ و العدل فى جميع حالاته.

و لمّا نهاهم عن التحفّظ منه و نبّههم على عدم ثقل استماع القول الحقّ

و العـدل عليه كعـدم ثقل عمله بهما فرّع عليه قوله (فلا تكفّوا عن مقالـة بحقّ) أى لا تمسـكوا عنها و فيه تلطف لهم (أو مشورة بعدل) و فيه تطييب لقلوبهم و لهـذه النّكتـة أيضا أمر اللّه نبيّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى قوله «و شاورهم فى الأمر» بالتشاور من دون حاجة لأحد منهما إلى استخراج الوجه بالمشاورة لعلمهما بوجوه المصالح جميعا فى الحرب و غيرها.

و أمّا التعليل بقوله (فانّى لست فى نفسـى بفوق ان اخطى و لا آمن ذلک من فعلى إلاّ أن يكفى اللّه من نفسـى ما هو أملک به منّى) فانّما هو من الانقطاع إلى اللّه و التّواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحقّ و عدّ نفسه من المقصّـرين فى مقام العبوديّة و الاقرار بأنّ عصمته عليه السّلام من نعمه تعالى.

و ليس اعترافا بعدم العصـمة كما يتوهّم بل ليست العصمة إلاّ ذلک فانّها عبارة عن أن يعصم اللّه العبد من ارتكاب الخطاء و المعصية و قد أشار إليه بقوله: إلاّ أن يكفى اللّه، على حدّ قول يوسف الصدّيق عليه السّلام «و ما أبرّء نفسى إنّ النفس لأمارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّى» و أراد بقوله ما هو أملک به العصـمة من الخطاء فانّه تعالى أقـدر على ذلک للعبـد من العبد نفسه ثمّ اتبعه بمزيد الهضم و سوّى بينهم و بينه و قال (فانّما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره يملک منّا ما لا نملک من أنفسـنا) و يعصـمنا ممّا لا نقدر أن نعتصم منه بأنفسـنا من مكاره الدّنيا و الاخرة (و أخرجنا ممّا كنّا فيه) من الجهالة و عدم العلم و المعرفة (إلى ما صـلحنا عليه) من الكمالات الّتى يسّـرها لنا ببعثة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم (فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدى و أعطانا البصيرة بعد العمى).

قال الشّارح المعتزلى: ليس هذا إشارة إلى خاصّ نفسه لأنّه لم يكن كافرا فأسـلم، و لكنّه كلام يقوله و يشير به إلى القوم الذين يخاطبهم من إفناء الناس فيأتى بصـيغة الجمع الدّاخلة فيها نفسه توسّعا، و يجوز أن يكون معناها لولا ألطاف اللّه تعالى ببعثة محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لكنت أنا و غيرى على مذهب الأسلاف.

ص:158

تكملة

هذه الخطبة رواها ثقة الاسلام الكلينى فى كتاب الرّوضة من الكافى و السند علىّ بن الحسن المؤدّب عن أحمد بن محمّد بن خالد و أحمد بن محمّد عن علىّ بن الحسن التّميمى «التيمى» جميعا عن إسماعيل بن مهران قال: حدّثنى عبد اللّه بن الحرث عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السّلام الناس بصفّين فحمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على محمّد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ قال عليه السّلام:

أمّا بعد فقد جعل اللّه لى عليكم حقّا بولاية أمركم و منزلتى الّتى أنزلنى اللّه عزّ ذكره بها منكم و لكم علىّ من الحقّ مثل الّذى لى عليكم، و الحقّ أجمل الأشياء فى التراصف «التواصف» و أوسعها فى التناصف لا يجرى لأحد إلاّ جرى عليه، و لا يجرى عليه إلاّ جرى له، و لو كان لأحد أن يجرى ذلك له و لا يجرى عليه لكان ذلك للّه عزّ و جلّ خالصا دون خلقه، لقدرته على عباده، و لعدله فى كلّ ما جرت عليه ضروب قضائه، و لكن جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، و جعل كفارتهم عليه حسن الثواب تفضّلا منه و تطوّلا بكرمه و توسّعا بما هو من المزيد له أهل، ثمّ جعل من حقوقه حقوقا فرضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافا فى وجوهها و يوجب بعضها بعضا، و لا يستوجب بعضها إلاّ ببعض فأعظم ما افترض اللّه تبارك و تعالى من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرّعيّة و حقّ الرّعيّة على الوالى فريضة فرضها اللّه عزّ و جلّ لكلّ على كلّ فجعلها نظام الفتهم و عزّا لدينهم و قواما لسنن الحقّ فيهم، فليست تصلح الرعية إلاّ بصلاح الولاة، و لا تصلح الولاة إلاّ باستقامة الرّعيّة.

فاذا أدّت الرّعية إلى الوالى حقّه و أدّى إليها الوالى كذلك عزّ الحقّ بينهم، فقامت مناهج الدين و اعتدلت معالم العدل، و جرت على اذلالها السّنن، و صلح بذلك الزّمان و طاب به العيش و طمع فى بقاء الدولة و يئست مطامع الأعداء.

و إذا غلبت الرّعية و اليهم و علا الوالى الرّعية اختلفت هنا لک الكلمة

و ظهرت مطامع الجور و كثر الادغال فى الـدّين و تركت معالم السـنن، فعمل بالهوى و عطلت الاثار و كثرت علل النفوس و لا يسـتوحش لجسيم حدّ عطل و لا لعظيم باطل اثل، فهنا لک تذلّ الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تخرب البلاد، و تعظم تبعات اللّه عزّ و جلّ عند العباد.

فهلمّ أيّها الناس إلى التعاون على طاعة اللّه عزّ و جلّ و القيام بعد له و الوفاء بعهده و الانصاف له فى جميع حقّه، فانه ليس العباد إلى شـىء أحوج منهم إلى التناصـح فى ذلـک و حسن التعـاون عليه، و ليس أحـد و إن اشـتدّ على رضـاء اللّه حرصه و طـال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقـة مـا أعطى اللّه من الحقّ أهله، و لكن من واجب حقوق اللّه عزّ و جـلّ على العباد النصـيحة له بمبلغ جهـدهم، و التعاون على اقامة الحقّ بينهم.

و ليس امرء و إن عظمت فى الحقّ منزلته و جسـمت فى الخلق فضـيلته بمسـتغن عن أن يعـان على مـا حمله اللّه عزّ و جـلّ من حقّه، و لا لامرؤ مع ذلک خسأت به الأمور و اقتحمته العيون بـدون ما أن يعين على ذلک أو يعان عليه و أهل الفضـيلة فى الحال و أهل النعم العظام أكثر من ذلک حاجة و كلّ فى الحاجة إلى اللّه عزّ و جلّ شـرع سواء «فأجابه عليه السّلام رجل من عسكره لا يدرى من هو و يقال: إنّه لم ير فى عسـكره قبـل ذلک اليوم و لا بعـده، فقام و أحسن الثناء على اللّه عزّ و جلّ بما أبلاهم و أعطاهم من واجب حقّه عليهم و الاقرار بما ذكر من تصرّف الحالات به و بهم ثمّ قال:

أنت أميرنـا و نحن رعيتـک بـک أخرجنـا اللّه عزّ و جلّ من الـذلّ و باعزازک اطلق على عباده من الغل، فاختر علينا فامض اختيارک و ائتمر فامض ائتمارک فانّک القائل المصدّق و الحاكم الموفق و الملک المخول لا نسـتحلّ فى شىء من معصيتک و لا نقيس علما بعلمک يعظم عندنا فى ذلک خطرک و يجلّ عنه فى أنفسنا فضلک».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ من حقّ من عظمّ جلال اللّه فى نفسه و عظم موضعه

من قلبه أن يصـغر عنده لعظم ذلک کلّ ما سواه، و إنّ أحقّ من کان کذلک لمن عظمت نعم اللّه علیه و لطف إحسانه إلیه فانّه لم تعظم نعم اللّه تعالی علی أحد إلاّ ازداد حق اللّه علیه عظما.

و إنّ من أسـخف حالات الولاة عنـد صالح النّاس أن یظنّ بهم حبّ الفخر و یوضع أمرهم علی الکبر، و قد کرهت أن یکون جال فی ظنّکم أنّی أحبّ الاطراء، و اسـتماع الثناء، و لست بحمـد اللّه کـذلک، و لو کنت احبّ أن یقال ذلک لترکته انحطاطا للّه سـبحانه عن تناول ما هو أحقّ به من العظمة و الکبریاء، و ربّما اسـتحلی الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا علیّ بجمیل ثناء لاخراجی نفسی إلی اللّه و إلیکم من البقیّة فی حقوق لم افرغ من أدائها و فرائض لا بدّ من إمضائها.

فلا تکلّمونی بما تکلّم به الجبابرة و لا تتحفظوا منّی بما یتحفّظ به عند أهل البادرة و لا تخالطونی بالمصانعة، و لا تظنوا بی اسـتثقالا فی حقّ قیل لی و لا التماس إعظام لنفسی لما لا یصلح لی فانّه من استثقل الحقّ أن یقال له أو العدل أن یعرض علیه کان العمل بهما أثقل علیه، فلا تکفّوا عن مقالة بحقّ أو مشورة بعدل فانّی لست فی نفسی بفوق أن اخطی و لا آمن ذلک من فعلی إلاّ أن یکفی اللّه من نفسی ما هو أملک به منی، فانّما أنا و أنتم عبید مملوکون لربّ لا ربّ غیره، یملک منّا ما لا نملک من أنفسـنا و أخرجنا ممّا کنا فیه إلی ما صـلحنا علیه فأبدلنا بعد الضّلالة بالهدی و أعطانا البصیرة بعد العمی.

«فأجابه الرّجل الّذی أجابه من قبل فقال: أنت أهل ما قلت و اللّه فوق ما قلته فبلاؤه عندنا ما لا یکفر، و قد حملک اللّه تعالی رعایتنا و ولاک سیاسة أمورنا فأصبحت علمنا الّذی نهتدی به، و إما منا الذی نقتدی به، و أمرک کلّه رشد، و قولک کلّه أدب، قد قرّت لک فی الحیاة أعیننا، و امتلأت بک من سـرور قلوبنا، و تحیّرت من صفة ما فیک من بارع الفضل عقولنا، و لسنا نقول لک أیّها الامام الصّالح تزکیة لک، و لا نجاوز القصـد فی الثناء علیک، و لم «لن» یکن فی أنفسـنا طعن علی یقینک أو غشّ فی دینک فنتخوّف أن یکون أحـدثت بنعم اللّه تبارک و تعالی تجبّرا، أو دخلک

كبر، و لكنّا نقول ما قلنا تقرّبا إلى اللّه عزّ و جلّ بتوقيرک، و توسّعا بتفضيلک و شكرا باعظام أمرک، فانظر لنفسک و لنا و آثر لأمر اللّه على نفسک و علينا فنحن طوع فيما أمرتنا ننقاد من الامور مع ذلک فيما ينفعنا».

فأجابه أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: و أنا استشهدكم عند اللّه على نفسى، لعلمكم فيما و ليت به من اموركم و عمّا قليل يجمعنى و ايّاكم الموقف بين يديه و السؤال عمّا كنّا فيه، ثمّ يشهد بعضنا على بعض، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما أنتم شاهدون غدا، فانّ اللّه عزّ و جلّ لا تخفى عليه خافية، و لا يجوز عنده إلاّ مناصحة الصدور فى جميع الأمور «فأجابه الرّجل و يقال: لم ير الرّجل بعد كلامه هذا الأمير المؤمنين عليه السّلام فأجابه و قد عال الذى فى صدره و البكاء تقطع منطقه، و غصص الشّجى تكسر صوته إعظاما لخطر مرزأته و وحشة من كون فجيعته، فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ شكى إليه هول ما أشفى عليه من الخطر العظيم و الذّل الطويل فى فساد زمانه و انقلاب جده و انقطاع ما كان من دولته، ثمّ نصب المسألة إلى اللّه عزّ و جلّ بالامتنان عليه و المدافعة عنه بالتّفجع و حسن الثناء فقال:

يا ربانى العباد و يا ساكن البلاد أين يقع قولنا من فضلک، و أين يبلغ وصفنا من فعلک، و أنّى نبلغ حقيقة حسن ثنائک أو نحصى جميل بلائک، كيف و بک جرت نعم اللّه علينا، و على يدک اتّصلت أسباب الخير إلينا، ألم تكن لذلّ الذليل ملاذا، و للعصاة الكفار إخوانا، فبمن إلاّ بأهل بيتک و بک أخرجنا اللّه عزّ و جلّ من فظاعة تلک الخطرات، أو بمن فرّج عنّا غمرات الكربات، و بمن إلاّ بكم أظهر اللّه معالم ديننا و استصلح ما كان فسد من دنيانا، حتّى استبان بعد الجور ذكرنا، و قرّت من رخاء العيش أعيننا لما ولّيتنا بالاحسان جهدک و وفيت لنا بجميع وعدک، و قمت لنا على جميع عهدک، فكنت شاهد من غاب منّا، و خلف أهل البيت لنا، و كنت عزّ ضعفائنا، و ثمال فقرائنا، و عماد عظمائنا، يجمعنا فى الامور عدلک، و يتّسع لنا فى الحقّ تأنيک فكنت لنا أنسا إذا رأيناک، و سكنا إذا ذكرناک، فأىّ الخيرات لم تفعل، و أىّ

الصّالحات لم تعمل، و لو أنّ الأمر الّذی نخاف علیک منه یبلغ تحریکه جهدنا، و تقوی لمدافعته طاقتنا أو یجوز الفداء عنک منه بأنفسنا و بمن نفدیه بالنّفوس من أبنائنا لقدمنا أنفسنا و أبناءنا قبلک، و لأخطرناها و قل خطرها دونک، و لقمنا بجهدنا فی محاولة من حاولک، و مدافعة من ناواک، و لکنّه سلطان لا یحاول و عزّ لا یزاول، و ربّ لا یغالب، فان یمنن علینا بعافیتک، و یترحّم علینا ببقائک و یتحنّن علینا بتفریج هذا من حالک إلی سلامة منک لنا و بقاء منک بین أظهرنا نحدث اللّه عزّ و جلّ بذلک شکرا نعظمه، و ذکرا ندیمه، و نقسّم انصاف أموالنا صدقات، و أنصاف رقیقنا عتقاء، و نحدث له تواضعا فی أنفسنا، و نخشع فی جمیع امورنا، و إن یمض بک إلی الجنان و یجری علیک حتم سبیله، فغیر متّهم فیک قضاؤه، و لا مدفوع عنک بلاؤه، و لا مختلفة مع ذلک قلوبنا بان اختیاره لک ما عنده علی ما کنت فیه، و لکنّا نبکی من غیر اثم لعزّ هذا السلطان أن یعود ذلیلا، و للدّین و الدّنیا أکیلا، فلا نری لک خلقا نشکو إلیه، و لا نظیرا نأمله و لا نقیمه».

بیان

لما یحتاج إلی البیان من موارد الاختلاف الّتی لم یتقدّم شرحها عند شرح المتن:

قوله علیه السّلام «و الحق أجمل الأشیاء فی التّراصف» أصل التّراصف تنضید الحجارة بعضها ببعض، و المراد أنّ الحقّ أحسن الأشیاء فی إنفاق الامور و أحکامها.

قوله «و أوسعها فی التّناصف» أی إذا أنصف الناس بعضهم لبعض فالحقّ یسعه و یحتمله و لا یقع الناس فی العمل بالحقّ ضیق.

قوله «و جعل کفارتهم علیه حسن الثّواب» قال فی البحار: لعلّ المراد بالکفارة الجزاء العظیم لستره عملهم حیث لم یکن له فی جنبه قدر، فکأنّه قد محاه و ستره، و فی أکثر النسخ بحسن الثواب فیحتمل أیضا أن یکون المراد بها ما یقع منهم لتدارک سیئاتهم کالتوبة و سایر الکفارات، أی أوجب قبول کفارتهم و توبتهم علی نفسه مع حسن الثواب بأن یثیبهم علی ذلک أیضا قوله «قواما یسرّ الحقّ فیهم» أی بها یقوم جریان الحقّ فیهم و بینهم.

قوله «اثّل» بالثّاء المثلّثة و البناء على المفعول من باب التّفعيل يقال: أثل ماله تأثيلا زكّاه و أصّله و أثّل ملكه عظمه و أثّل أهله كساهم أفضل كسوة و الاثال وزان سحاب و غراب المجد و الشّرف قوله «فهلمّ ايّها الناس» اسم فعل بمعنى تعال يستوى فيه الواحد و الجمع و التذكير و التّأنيث على لغة أهل الحجاز.

قوله «حقيقة ما أعطى اللّه من الحقّ أهله» أى جزاء ما أعطى اللّه أهل الحقّ من الدّين المبين و سائر ما هداهم اللّه إليه، بأن يكون المراد بالحقيقة الجزاء مجازا أو يكون فى الكلام تقدير مضاف أى حقيقة جزاء ما أعطى من الحقّ، و قيل:

المراد بحقيقة ما أعطى اللّه شكر نعمة هدايته تعالى إلى دين الحقّ.

قوله «و لا لامرؤ مع ذلک» قال فى البحار كأنّه راجع إلى ما حمّل اللّه على الوالى أو إلى الوالى الّذى اشير إليه سابقا أى لا يجوز أو لا بدّ لا مرؤ أو لا استغناء لامرء على الوالى أو مع كون و اليه مكلّفا بالجهاد و غيره من امور الدّين و إن كان ذلک المرء محقّرا ضعيفا بدون أن يعين على إقامة الدّين أو يعينه النّاس أو الوالى عليه قوله «خسأت به الامور» يقال خسأت الكلب خسئا طردته و خسا الكلب يتعدّى و لا يتعدّى و يجوز أن يكون استعمل هنا غير متعدّ بنفسه، فعدّى بالباء أى طردته الامور، و المراد أنّه ليس بحيث يتمشّى امر من اموره و لا ينفع سعيه فى تحصيل شىء من الامور قوله «بدون ما» لفظة ما زايدة.

قوله «و أهل الفضيلة فى الحال» المراد بهم الأئمة عليهم السّلام و الولاة و الامراء و العلماء و كذا «أهل النّعم العظام».

قوله «و الافرار» عطف على الثناء أى أقرّ إقرارا حسنا بأشياء ذكرها ذلک الرّجل و لم يذكره عليه السّلام اختصارا أو تقيّة من تغيّر حالاته من استيلاء أئمّة الجور و مظلوميّته و تغيّر أحوال رعيّته من تقصيرهم فى حقّه و عدم قيامهم بما يحقّ من طاعته و القيام بخدمته

قوله «من الغلّ» أی أغلال الشرک و المعاصی.

قوله «و ائتمر» أی أقبل ما أمر اللّه به فامضه علینا.

قوله «و الملک المخوّل» أی الملک الّذی أعطاک اللّه الامرة علینا و جعلنا خدمک و تبعک قوله «لا نستحلّ فی شیء من معصیتک» لعلّ التّعدیة بفی لتضمین معنی الدخول أو المعنی لا نستحلّ معصیتک فی شیء من الأشیاء علی أن یکون من زایدة قوله «فی ذلک» أی فی العلم بأن تکون کلمة فی تعلیلیّة، و یحتمل أن یکون اشارة إلی ما دلّ علیه الکلام من اطاعته علیه الصّلاة و السلام.

قوله «خطرک» أی قدرک و منزلتک.

قوله «و یجلّ عنه» أی عمّا قلته فی وصفک.

قوله «فبلاؤه عندنا ما لا یکفر» أی نعمته عندنا وافرة بحیث لا نستطیع کفرها و سترها، أو لا یجوز کفرانها و ترک شکرها.

قوله «و لم یکن» فی بعض النسخ لن یکون و فی بعضها لن یکنّ بالبناء علی المفعول من کنت الشیء سترته أو بفتح الیاء و کسر الکاف من کنّ الطائر بیضه حضنه قوله «و توسّعا» أی فی الفضل و الثواب.

قوله «مع ذلک» أی مع طوعنا فیما امرت، و فی البحار أی مع طاعتنا لک، فانّ نفس الطاعة أمر مرغوب فیه و مع ذلک موجب لحصول ما ینفعنا و ما هو خیر لنا فی دنیانا و آخرتنا.

قوله «الاّ مناصحة الصّدور» أی خلوصها من غشّ النّفاق بأن یضمر فیها خلاف ما یظهر أو نصح الاخوان نصحا یکون فی الصّدور لا بمحض اللّسان.

قوله «و قد عال الّذی فی صدره» یقال: عالنی الشیء أی غلبنی و عال أمرهم اشتدّ قوله «و غصص الشّجی» جمع غصّه بالضّم و هو ما یعترض فی الحلق،

و الشّجى الحزن.

قوله «لخطر مرزأته» الخطر القدر و الاشراف على الهلاک و المرزأة المصيبة و كذا الفجيعة و الضّمير راجع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و القائل كان عالما بقرب أو ان شهادته عليه السّلام فلذا كان يندب و يتفجّع و إرجاعهما إلى القائل بعيد قوله «ثمّ شكى إليه» أى إلى اللّه تعالى.

قوله «أشفى عليه» أى أشرف عليه.

قوله «و انقلاب جدّه» أى بخته.

قوله «بالتفجع» متعلّق بقوله نصيب، و التفجع التّوجّع فى المصيبة أى سأل اللّه دفع هذا البلاء الّذى قد ظنّ وقوعه عنه عليه السّلام مع التّفجع و التّضرّع.

قوله «يا ربّانى العباد» قال الجزرى الربّانى منسوب إلى الربّ بزيادة الالف و النّون، و قيل: هو من الربّ بمعنى التّربية لتربيتهم المتعلّمين بصغار العلوم و كبارها، و الربّانى العالم الرّاسخ فى العلم و الدّين يطلب بعلمه وجه اللّه، و قيل:

العالم العاقل المعلّم.

قوله «و يا ساكن البلاد» فى بعض النسخ سكن البلاد محرّكة و هو كلما يسكن إليه.

قوله «و بک جرت نعم اللّه» أى بمجاهداتک و مساعيک الجميلة فى ترويج الدّين و تشييد أركان الاسلام فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعده.

قوله «و للعصاة الكفّار اخوانا» أى كنت تعاشر من يعصيک و يكفر نعمتک بالشّفقه و الرّأفة معاشرة الاخوان، أو المراد الشّفقة على الكفّار و العصاة و الاهتمام فى هدايتهم، و يحتمل أن يراد بهم المنافقون الّذين كانوا فى عسكره و كان يلزمه رعايتهم بظاهر الشّرع.

قوله «من فظاعة تلک الخطرات» أى قباحتها و شدّتها.

قوله «ثمال فقرائنا» أى غياثهم و لجاءهم و قيل: الثمال المطعم فى الشّدة.

قوله «يجمعنا من الأمور عدلک» أى هو سبب اجتماعنا فى جميع الامور أو من

بين ساير الامور أو هو سبب لانتظام جميع امورنا و عدلک محيط بجميعنا فى جميع الامور.

قوله «و يتّسع لنا فى الحقّ تأنّيک» أى صار مـداراتک و عـدم تعجيلک فى الحكم علينا بما نسـتحقّه سـببا لوسـعة الحقّ علينا و عدم تضـيّق الامور بنا.

قوله «ليبلغ تحريكه» أى تغييره و صرفه و فى النسخة القديمة تحويله.

قوله «و لا خطرناها» لا نجعل لها خطرا أى قدرا و منزلة كما فى حديث وصف الأئمة عليهم السّلام: ما أجلّ خطركم أى قدركم و منزلتكم عند اللّه أو لا نعدّها خطيرا أى رفيعا.

قوله «و قلّ خطرها دونک» أى شرفها أو هلاكها و الخطر أيضا السّبق يتراهن عليه و لا يقال إلاّ فى الشىء الّذى له قدر و مزيّة.

قوله «حاولک» أى قصدک.

قوله «من ناواک» أى عاداک.

قوله «و لكنّه سلطان» أى الربّ تعالى.

قوله «و عزّ» ذو عزّ و غلبة.

قوله «لا يزاول» أى لا يحاول و لا يطالب، و هـذا إشارة إلى أن هـذه الامور بقضاء اللّه و قـدره و المبالغة فى دفعها فى حكم مغالبة اللّه فى تقديراته.

قوله «بان اختياره لک ما عنـده» ما عنـده خبران أو خبره محذوف أى خير لک و المعنى أنّه لا يختلف قلوبنا بل هى متّفقة على أنّ اللّه اختار لک بامضائک النعيم و الرّاحة الدّائمة على ما كنت فيه من المشقّة و الجهد و العناء.

قوله «نبكى من غير اثم» أى لا نأثم على البكاء عليک فانّه من أفضل الطاعات.

قوله «و للـدّين و الدّنيا اكيلا» أى آكلا فالفعيل بمعنى الفاعل لا بمعنى المفعول أى نبكى لتبدّل هذا السّـلطان الحقّ بسـلطنة الجور فيكون آكلا للدّين و الدّنيا.

قوله «و لا نرى لک خلفا» أى من بين السّلاطين لخروج السّلطنة من أهل البيت عليهم السّلام.

قال الشارح: أكثر ما أوردته هنا التقطته من كلام المحدّث العلامة المجلسى

قدّس سرّه فی البحار.

الترجمة

فصل دوّیم از آن خطبه است سـید رضی گفته: پس جواب داد آن حضرت را مردی از أصحاب او بسخن درازی که در آن بسیار ستایش می کرد او را و ذکر می نمود در آن شنیدن و اطاعت کردن خود را بان بزرگوار پس فرمود آن حضرت که:

بتحقیق از حق کسـی که بزرگ است جلال و عظمت خـدا در نفس او و أجلّ است مرتبهٔ او در قلب او اینست که کوچک و حقیر باشد در نزد او بجهت بزرگی آن جلال و عظمت هر چیزی که غیر خدای تعالی است، و بتحقیق سزاوارتر کسی که باشد بر این حال کسی است که بزرگ شـده نعمت خـدا بر او و لطیف شـده احسان و انعام او بسوی او از جهت این که بزرگ نمی گردد نعمت خدا بر احدی مگر این که زاید گردد بزرگ بودن حقّ خدا بر او.

و بـدرستی که از سـخیف و خفیف ترین حالات پادشاهان در نزد مردمان صالح سالم العقل این است که گمان برده شود بایشان دوسـت داشتن افتخار بر مردمان را و حمل شود بناء امر ایشان بتکبّر بخلقان.

و بتحقیق که ناخوش داشـتم این را که جولان کنـد در ظنّ شـما این که من دوست دارم زیادت تعریف و اسـتماع سـتایش را، و نیسـتم من بحمد اللّه همچنین و اگر بودم که دوست می داشـتم این که گفته شود مدح و ثنا در بارهٔ من البتّه ترک می کردم آنرا از جهت پستی و تواضع از برای خدا و فروتنی از اخذ کردن چیزی که خدا سزاوارتر است بان از عظمت و کبریا، و بسا هست که شیرین می دانند مردمان مدح و ثنا را بعد از زحمت بلا، پس ستایش نکنید بر من باثناء جمیل بسبب خارج کردن من نفس خودم را بسوی خدا و بسوی شما از بقیّهٔ حقوقی که فارغ نگشته ام از أداء آنها، و از واجباتی که لابد و ناچارم از إمضا و إجراء آنها.

پس تکلّم نکنید با من بسخنانی که تکلّم کرده شود با آن ستمکاران و جبّاران،

و تحفّظ نکنید از من با چیزی که تحفّظ کرده می شود با آن در نزد پادشاهان با حدّت و سطوت، و آمیزش نکنید با من به تملّق و چاپلوسی، و گمـان نبریـد در من این که گرانی دارم در حقّی که گفته شـده بمن، و این که خـواهش دارم بزرگ شـمردن نفس خودم را از جهت این که کسـی که گر دارد حق را از این که گفته شود مر او را یـا عـدالت را از این که اظهـار شود بر او باشـد عمل کردن بحقّ و عـدل گرانتر باو پس خودداری نکنید از گفتگوی بحقّ و از مشورت بعدل.

پس بتحقیق که من نیسـتم در پیش نفس خود برتر از این که خطا بکنم، و أیمن نیسـتم خطا را از کار خودم مگر این که کافی باشـد خـدا از نفس مـن چیزی را کـه قـادرتر اسـت بـان چیز از من، پس جز این نیست که من و شـما بنـدگان مملـوکیم از برای پروردگـاری که غیر از او پروردگـاری نیست، مالـک است از مـا چیزی را که مـا مالک آن نیستیم از نفسـهای خود ما، و بیرون آورده است ما را از جهالتی که در آن بودیم بسوی علم و معرفتی که صـلاح ما بر آن حاصل شـد، پس بـدل کرد ما را بعـد از گمراهی بهـدایت، و عطا فرمود بما بعـد از نابینائی بصیرت را.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السادس عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

و هو ملتقط من کلام طویل قدّمنا روایته فی شرح الفصل الثّالث من الخطبة السّادسة و العشرین: اللّهمّ إنّی أستعدیک علی قریش فإنّهم قد قطعوا رحمی، و اکفئوا إنائی، و أجمعوا علی منازعتی حقّا کنت أولی به من غیری، و قالوا: ألا إنّ فی الحقّ أن تأخذه و فی الحقّ أن تمنعه،

فـاصبر مغموما، أو مت متأسّـفا، فنظرت فإذا ليس لى رافـد، و لا ذابّ، و لا مساعـد إلاّ أهل بيتى، فضـننت بهم عن المنيّـة، فأغضـيت على القذى، و جرعت ريقى على الشّجى، و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، و الم للقلب من حزّ الشّفار، و قد مضى هذا الكلام فى أثناء خطبة متقدّمة إلاّ أنّى كرّرته هاهنا لاختلاف الرّوايتين.

و منه فى ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلام فقدموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الّذى فى يدىّ، و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى، و على بيعتى، فشـتّتوا كلمتهم، و أفسدوا علىّ جماعتهم، و وثبوا على شـيعتى فقتلوا طائفة منهم غدرا، و طائفة منهم عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتّى لقوا اللّه صادقين.

اللغة

(الاسـتعداء) الاسـتعانة و الاسـتنصار، و قال الشّارح المعتزلى: العـدوى طلبک إلى وال أن يعديک على من ظلمک أى ينتقم لک منه يقال اسـتعديت الأمير على فلان فأعـدانى أى اسـتعنت به عليه فأعاننى و (كفاء) الاناء من باب منع قلبته و كبته و (تأخذه) و (تمنعه) بالتّاء المثنّاة فيهما و الأوّل بصيغة المعلوم و الثانى بصيغة المجهول و فى بعض النسخ بالنّون بصيغة المتكلّم و المروىّ عن خطّ الرّضىّ هو الأوّل.

و (رفده) رفدا من باب ضرب أعانه و أعطاه فهو رافد و (ضنّ) بالشّىء يضنّ من باب تعب و ضرب بخل به و (أغضيت) على كذا أى صبرت و سكت و (القـذى) مـا يقع فى العين من تراب و غيره و (الشـجى) مـا اعترض فى الحلق من عظم و نحوه و (العلقم) شـجر شديـد المرارة و (الحزّ) القطع و فى بعض النسخ ذخر الشفار و هو الطّعن الخفيف

ص:170

بالرّمح و غيره و (الشّفار) جمع الشّفرة و هو السّكين العظيم و ما عرّض و حدّ من الحديد و جانب النصل و حدّ السّيف.

الاعراب

قوله حقّا منصوب بنزع الخافض أى لحقّ أو فى حقّ و على الأوّل فمتعلّق بأجمعوا و على الثّانى بعلى منازعتى، و على فى قوله على القذى و على الشّجى و على أمرّ جميعا للاستعلاء المجازى قوله: و طائفة منهم عضّوا برفع طائفة على الابتداء، و جملة عضّوا خبره، و فى نسخة الشّارح المعتزلى و طائفة عضّوا بالنّصب على العطف فتكون جملة عضّوا صفة.

المعنى

اشارة

اعلم أنّک قد عرفت فى شرح الفصل الثالث من الخطبة السّادسة و العشرين أنّ هذا الكلام من جملة فصول كلام طويل له عليه السّلام قدّمنا روايته هناک، و ظهر لک ثمة أنّ هذا الفصل منه وارد فى اقتصاص مجلس الشّورى و التّظلّم من ازواء الخلافة عنه عليه السّلام إلى عثمان و التشكّى إلى اللّه عزّ و جلّ فى ذلک.

إذا عرفت ذلک فأقول: قوله (اللهمّ إنّى أستعديک على قريش) أى أطلب منک الاعانة و النّصرة عليهم و الانتقام منهم (فانّهم قد قطعوا رحمى) أى قرابتى قال الشّارح المعتزلى أى أجرونى مجرى الأجانب و يجوز أن يريد أنّهم عدّونى كالأجنبىّ من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و يجوز أن يريد أنّهم جعلونى كالأجنبىّ منهم لا ينصرونى و لا يقومون بأمرى.

(و اكفئوا إنائى) و هو استعارة لابطال حقّه فانّ قلب الاناء بما فيه يوجب إضاعته و كذلک إبطال الحقّ مستلزم لاضاعته.

(و أجمعوا على منازعتى حقّا كنت أولى به من غيرى) أى اتّفقوا على النزاع معى فى حقّ أنا أولى به و هو حقّ الخلافة و الولاية، و المراد بأولويّته استحقاقه لها بالنّص الجلى من اللّه و رسوله حسبما عرفت فى تضاعيف الشّرح لا سيّما فى مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقية لا الاستحقاق بمجرّد الأفضليّة فقط كما توهّمه الشّارح المعتزلى وفاقا لساير المعتزلة.

ص:171

(و قالوا الا أنّ فی الحقّ أن تأخـذه و فی الحقّ أن تمنعه) قال القطب الرّاونـدی فی خطّ الرضـیّ بالتاء و معنی ذلک أنّک إن ولّیت أنت کانت ولایتک حقا و إن ولّی غیرک کانت حقّا علی مذهب أهل الاجتهاد و من رواها بالنّون فالمعنی ظاهر.

(فاصبر مغموما أو مت متأسـفا) یحتمل أن یکون هذا القول منهم بلسان القال و أن یکون بلسان الحال یعنی إذا کان ممنوعیتک حقّا أیضا و لم تکن راضیا به فلیس لک إلاّ الصّبر أو الموت متلهفا متحسّرا (فنظرت) لما رأیت منازعتهم و سمعت مقالتهم (فاذا لیس لی رافد) أی ناصر و معین (و لا ذابّ و لا مساعد) أی دافع و معاون (إلاّ أهل بیتی فضننت بهم عن المنیّة) أی بخلت بهم عنها.

و هو صـریح فی أنّ ترکه لحقّه لم یکن عن طوع کما زعمه المعتزلـة و انما ترکه لما شاهد من أنه إذا نهض بطلب حقه لجعل نفسه و أهل بیته أغراضا للمنایا و یؤکد ذلک قوله (فأغضیت علی القذی) لدلالته علی شدّة تحمله و کذلک قوله (و جرعت) أی ابتلعت (ریقی علی الشّجی) لدلالته علی مزید غصّته.

و هکـذا قوله (و صبرت من کظم الغیـظ علی أمرّ من العلقم) لافادته غایـة غیظه و قوله (و آلم للقلب من حزّ الشـفار) لـدلالته علی منتهی تألمه و من هـذا حاله فکیف یکون سـکوته عن قیام غیره بالأمر دلیلا علی رضاه، و قـد تقـدّم فی شـرح الفصل الثانی من الخطبة السادسة و العشرین فصل واف فی هذا المعنی.

قال الرضـیّ «ره» (و قد مضـی هذا الکلام فی أثناء خطبة متقدّمة) و هی الخطبة المأة و الحادیة و السـبعون بل هذا الکلام و تلک الخطبة و الخطبة السادسة و العشـرون جمیعا ملتقطة من کلام طویل له علیه السّلام رویته فی شرح الفصل الثالث من الخطبة السادسة و العشرین، و الـدّاعی علی تکراره ما أشار إلیه بقوله (إلاّ أنی کرّرته ههنا لاختلاف الروایتین) أقول: و مع هـذا التکرار ففیه أیضا بعض الاختلاف لما قـدّمنا روایته کما هو ظاهر لمن راجع هناک، هذا.

ص:172

و منه أى بعض هذا الكلام، و فى نسخة الشارح المعتزلى و البحرانى العنوان: و من كلام له عليه السّلام، و الظاهر أنه اشتباه من الناسخ لأنه مع ما قبله كلاهما من فقرات الكلام الذى تقدّم روايته و ليس كلّ منهما كلاما مستقلاً أو ملتقطا من كلامين متغايرين.

و كيف كان فهو (فى ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السّلام) من طلحة و الزبير و عايشة و جنودهم.

(فقدموا على عمالى) و هو عثمان بن حنيف الأنصارى و من تبعه كان عاملا له عليه السّلام على البصرة (و خزان بيت مال المسلمين الّذى فى يدى) و كانوا أربعمائة رجل (و على أهل مصر) يريد به البصرة (كلّهم فى طاعتى و على بيعتى فشتّتوا كلمتهم) أى ألقوا الاختلاف بينهم (و أفسدوا علىّ جماعتهم).

و ذلک لأنّ عايشة بعد دخول البصرة و التقاء الفئتين أقبلت على جملها و نادت بصوت مرتفع: أيها الناس أقلّوا الكلام و اسكتوا، فاسكت الناس لها فقالت فى جملة كلام تحرّضهم فيه على القتال و الاجلاب على قتلة عثمان:

ألا- إنّ عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثمّ اجعلوا الأمر شورى بين الرّهط الّذين اختارهم عمر بن الخطّاب و لا يدخل فيهم من شرک فى دم عثمان.

قال الرّاوى فماج النّاس و اختلطوا فمن قائل يقول: القول ما قالت، و من قائل يقول: و ما هى و هذا الأمر انما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها، و ارتفعت الأصوات و كثر اللّغط حتّى تضاربوا بالنّعال و تراموا بالحصى، ثمّ إنّ النّاس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف و فريق مع عايشة و أصحابها.

و الى هذا أشار عليه السّلام بقوله: فشتّتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم (و وثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدرا) و هم السّيابحة حرّاس بيت المال (و طائفة منهم عضّوا على أسيافهم) و هم حكيم بن جبلة العبدى و أتباعه.

ص:173

قال الشارح المعتزلى: عضّ هم على أسيافهم كناية عن الصّبر فى الحرب و ترک الاستسلام، و هى كناية فصيحة شبّه قبضهم على السّيوف بالعضّ، انتهى.

يعنى أنّهم جدّوا فى الحرب و لزموا سيوفهم (فضاربوا بها حتّى لقوا اللّه صادقين) فى ولائهم لأمير المؤمنين عليه السّلام و فى تمسّكهم بحبل بيعته المتين أو صادقين فيما عاهدوا اللّه عليه كما قال تعالى «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » و اعلم أنّ هذا الكلام الذى نقله الرضىّ عنه عليه السّلام فى السّايرين إلى البصرة مختلف جدّا لما قدّمنا روايته عنه فى شرح الخطبة السادسة و العشرين، فانّ الموجود فيه هكذا:

فقدما - يعنى طلحة و الزّبير - على عاملى و خزّان بيت مالى و على أهل مصر فى الذين كلّهم على بيعتى و فى طاعتى فشتّتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم ثمّ وثبوا «دئبوا خ» على شيعتى من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا و طائفة صبرا و طائفة منهم غضبوا للّه فشهروا سيوفهم و ضربوا بها حتّى لقوا اللّه صادقين.

ثمّ اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الخطبة المأة و الاحدى و السّبعين تفصيل قصّة السّائرين إلى البصرة و ما فعلوا فيها من قتل طائفة صبرا و طائفة غدرا و غيره من الفضائح التى لا يحصى من أراد الاطّلاع عليها فليراجع هناک.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى بعد شرح الفقرات الاول من هذا الكلام أعنى قوله اللّهمّ إنّى أستعديک على قريش إلى قوله من حزّ الشفار ما عبارته:

و اعلم أنّ هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام ما يناسبه و يجرى مجراه و لم يورّخ الوقت الذى قاله فيه و لا الحال الّتى عناها به، و أصحابنا يحملون ذلک على أنّه عليه السّلام قاله عقيب الشورى و بيعة عثمان، فانه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلّم و تألّم حينئذ، و يكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذا الكلام على التألّم من يوم السّقيفة.

و لقائل أن يقول لهم: أ تقولون إنّ بيعة عثمان لم تكن صحيحة؟ فيقولون: لا.

فيقال لهم: فعلى ما ذا تحملون كلامه عليه السّلام مع تعظيمكم له و تصديقكم لأقواله؟ فيقولون: نحمل ذلک على تألّمه و تظلّمه منهم إذ تركوا الأولى و الأفضل، فانكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل و الأحقّ بالأمر بل تعترفون بذلک و تقولون ساغت إمامة غيره و صحّت لمانع كان فيه و هو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لا تطيعه فانه تخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولى الخلافة لأسباب يذكرونها و يعدّونها، و قد روى كثير من المحدّثين أنه عليه السّلام عقيب يوم السقيفة تألّم و تظلّم و استنجد و استصرخ حيث ساموه الحضور و البيعة و أنه قال و هو يشير إلى القبر: إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلوننى، و أنه قال: وا جعفراه و لا جعفر لى اليوم وا حمزتاه و لا حمزة لى اليوم، و قد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدّم و كلّ ذلک محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل و القرابة و ليس بدالّ عندنا على وجود النصّ، لأنه لو كان هناک نصّ لكان أقلّ كلفة و أسهل طريقا و أيسر لما يريد تناولا أن يقول: يا هؤلاء إنّ العهد لم يطل و إنّ رسول اللّه أمركم بطاعتى و استخلفنى عليكم بعده، و لم يقع منه بعد ما علمتموه نصّ ينسخ ذلک و لا يرفعه فما الموجب لتركى و العدول عنّى.

فان قالت الامامية: كان خاف القتل لو ذكر ذلک.

قيل لهم: فهلاّ خاف القتل و هو يقتل و يدفع ليبايع و هو يستصرخ تارة بقبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تارة بعمّه جعفر و أخيه حمزة و هما ميّتان، و تارة بالأنصار، و تارة ببنى عبد مناف و يجمع الجموع فى داره و يبثّ الرّسل ليلا و نهارا إلى النّاس يذكرهم فضله و قرابته و يقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أنا اخصمكم بما خصمتم به الأنصار، لأنّ القرابة إن كانت هى المعتبرة فأنا أقرب منكم و هلاّ خاف من الامتناع و من هذا الاحتجاج و من الخلوة فى داره بأصحابه و من تنفير النّاس عن البيعة الّتى عقدت حينئذ لمن عقدت له.

و كلّ هذا إذا تأمّله المنصف علم أنّ الشيعة أصابت فى أمرو أخطأت فى أمر.

أمّا الأمر الّذى أصابت فيه فقولها إنّه امتنع و تلكا و أراد الأمر لنفسه و أما الأمر الذى أخطأت فيه فقولها إنّه كان منصوصا عليه نصّا جليا بالخلافة تعلمها الصّحابة كلّها أو أكثرها و إنّ ذلک خولف طلبا للرياسة الدّنيويّة و ايثارا للعاجلة، و إنّ حال المخالفين للنصّ لا تعدو أحد الأمرين إمّا الكفر أو الفسق فانّ قرائن الأحوال و أماراتها لا تدلّ على ذلک و إنّما تدلّ و تشهد بخلافه.

و هذا يقتضى أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان فى مبدء الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان من غير نظر فى المصلحة، و أنّه لم يقصد به إلاّ صرف الأمر عنه و الاستيثار عليه فظهر منه ما ظهر من الامتناع و القعود فى بيته إلى أن صحّ عنده و ثبت فى نفسه أنّهم أصابوا فيما فعلوه و أنّهم لم يميلوا إلى الهوى و لا أرادوا الدّنيا، و إنّما فعلوا الأصلح فى ظنونهم، لأنّه رأى من بغض النّاس له و انحرافهم عنه و ميلهم عليه و ثوران الأحقاد الّتى كانت فى أنفسهم و احتدام النّيران الّتى كانت فى قلوبهم، و التّرات الّتى و ترهم فيما قبل بها، و الدّماء الّتى سفكها منهم و أراقها، و تعلّل طائفة اخرى منهم للعدول عنه عليه السّلام بصغر سنّه و استهجانهم تقديم الشّاب على الشيوخ و الكهول، و تعلّل طائفة اخرى منهم بكراهيّة الجمع بين النّبوة و الخلافة فى بيت واحد فيجفخون(1) على النّاس كما قاله من قاله، و استصعاب قوم شكيمته و خوفهم شدّته و علمهم بأنّه لا يداجى(2) و لا يحابى و لا يراقب و لا يجامل(3) فى الدّين، و انّ الخلافة تحتاج إلى من يجتهد برأيه و يعمل بموجب استصلاحه، و انحراف قوم آخرين عنه كان للحسد الّذى كان له عندهم فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لشدّة اختصاصه له و تعظيمه ايّاه و ما قال فيه فأكثر من النّصوص الدّالة على رفعة شأنه و علوّ مكانه، و ما اختصّ به من مصاهرته و اخوّته و نحو ذلک من أحواله معه

1- (1) - أى يتكبّرون.

2- (2) - أى لا يدارى

3- (3) - جامله عامله بالجميل أو أحسن العشرة

و تنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العجب و التّيه كما زعموا و احتقاره العرب و استصغاره النّاس كما عدّدوه عليه و إن كانوا عندنا كاذبين، و لكنّه قول قيل، و أمر ذكر، و حال نسبت إليه. و أعانهم عليها ما كان يصدر عنه من أقوال توهم مثل هذا نحو قوله: فانّا صنائع ربّنا و الخلق بعد صنائع لنا ما صحّ به عنده أنّ الأمر لم يكن ليستتمّ له يوما واحدا و لا ينتظم و لا يستمرّ، و أنّه لو ولى الأمر لفتقت العرب عليه فتقا يكون فيه استيصال شافة الاسلام و هدم أركانه، فأذعن بالبيعة و سمح إلى الطّاعة و أمسک عن طلب الامرة و إن كان على مضض و رمض، و هذا المذهب هو أقصد المذاهب و أصحّها، و إليه يذهب أصحابنا المتأخّرون من البغداديّين و به نقول.

قال: و اعلم أنّ حال علىّ عليه السّلام فى هذا المعنى أشهر من أن تحتاج فى الدّلالة عليها إلى الاسهاب و الاطناب، فقد رأيت انتقاض العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بخمس و عشرين سنة، و فى دون هذه المدّة تنسى الأحقاد و تموت التّرات و تبرد الأكباد الحامية و تسلوا القلوب الواجدة و يعدم قرن من النّاس و يوجد قرن و لا يبقى من أرباب تلک الشحناء و البغضاء إلاّ الأقلّ فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنّها حالة لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابن عمّه من إظهار ما فى النّفوس و هيجان ما فى القلوب حتّى أنّ الأخلاف من قريش و الأحداث و الفتيان الّذين لم يشهدوا وقايعه و فتكاته فى أسلافهم و آبائهم فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياء لقصرت عن فعله و تقاعست عن بلوغ شأوه، فكيف كانت تكون حاله لو جلس على منبر الخلافة و سيفه بعد يقطر دما من مهج العرب لا سيّما من قريش الّذين بهم كان ينبغى لو دهمه خطب أن يعتضد، و عليهم كان وجب أن يعتمد إذا كانت تدرس أعلام الملّة و تتعفّى رسوم الشريعة و تعود الجاهليّة الجهلاء إلى حالها و يفسد ما أصلحه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ثلاث و عشرين فى شهر واحد، فكان من عناية اللّه تعالى بهذا الدّين أن ألهم الصّحابة ما فعلوه، و اللّه متمّ نوره و لو كره المشركون، انتهى كلامه جزاه اللّه ما يستحقّه أقول: و يتوجّه عليه:

أولا أنّ قوله: إنّ هذا الكلام قد نقل عن أمير المؤمنين عليه السّلام ما يناسبه و يجرى مجراه و لم يورّخ الوقت الّذى قاله فيه و لا الحالة الّتى عناها.

فيه إنّ تاريخ هذا الكلام بخصوصه هو أواخر خلافته بعد فتح مصر و شهادة محمّد بن أبى بكر، و نظره فيه إلى مجلس الشّورى و عدولهم عنه إلى عثمان حسبما ظهر لک ذلک فى شرح الخطبة السّادسة و العشرين عند ما روينا عنه عليه السّلام تمام الخطبة الّتى هذا الكلام ملتقط منها.

و العجب أنّ الشّارح المعتزلى رواها أيضا فى شرح الكلام السّابع و الستين من كتاب الغارات كما روينا منه لكنّه أسقط صدرها اختصارا أو اقتصارا فلعلّه نسى ما قدّمه فجهل التّاريخ.

و أعجب من ذلک أنّ الشّارح البحرانى لقصور باعه و قلّه اطّلاعه على الأخبار و السيّر توهّم أنّه عليه السّلام عنى به السّايرين إلى البصرة حيث قال: و يشبه أن يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة و الزّبير إلى البصرة تظلّما عليهما فيكون المفهوم من قوله عليه السّلام: و أجمعوا على منازعتى حقّا إنكار إجماعهم منازعة ذلک الحقّ، هذا.

و أمّا ما يجرى مجرى هذا الكلام و يناسبه فتاريخه بعد يوم السّقيفة إلى آخر عمره كما يقف عليه المتتبّع الخبير بالأخبار و النّاقد البصير بما قدّمناه فى تضاعيف الشرح فى غير موضع.

و ثانيا أنّ ما حكاه من أكثر أصحابه المعتزلة من كراهتهم حمل أمثال هذا الكلام على التّألم من يوم السقيفة و عدم استنكافهم لحملها على التّظلم من يوم الشورى.

ففيه أنّ التفرقة بين اليومين شطط من الكلام كما اعترف به الشّارح نفسه أيضا و اعترض به على أصحابه، و ذلک لأنّ كلماته المتضمّنة للتّظلم و الشكاية من جميع الثلاثة فوق حدّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء، و ليس كلّها مجملا قابلا للحمل على يوم الشورى على زعمهم، بل أكثرها نصّ فى التظلّم من الشيخين

و كثير منها عام لجميع الثلاثة، و قليل منها ناظر إلى الشّورى، و المجمل منها إن كان فهو أقلّ القليل بل لا وجود له أصلا.

و ثالثا أنّ ما حكاه من أصحابه و هو مذهبه و معتقده أيضا و فاقا لهم من قولهم:

بأنّه ساغت إمامة غيره عليه السّلام و صحّت لمانع كان فيه و هو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أن العرب لا تطيعه.

ففيه أنّه بعد اعترافهم و اتّفاقهم على أنّه عليه السّلام الأولى و الأفضل المقتضى لأحقيّته بها بحكم العقل و النقل فيكف يجوز العدول إلى غيره بمجرّد الظنّ.

و قد نهى اللّه صريحا عن اتّباع هذا الظنّ بخصوصه فى قوله «أ فمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتبع أمّن لا يهدّى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون.

و ما يتّبع أكثرهم إلاّ ظنا إنّ الظنّ لا يغنى من الحقّ شيئا إنّ اللّه عليهم بما يفعلون» و عموما فى ساير الايات الناهية عن العمل بالظنّ مثل قوله «و إن تطع أكثر من فى الأرض يضلّوک عن سبيل اللّه إن يتّبعون إلاّ الظنّ و إن هم إلاّ يخرصون» و قوله «قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتّبعون إلاّ الظنّ و إنّ الظنّ لا يغنى من الحقّ شيئا فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا و لم يرد إلاّ الحيوة الدّنيا. ذلک مبلغهم من العلم إنّ ربک أعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو أعلم بمن اهتدى» إلى غير هذه ممّا لا نطيل بذكرها.

و رابعا أنّ قوله: و كلّ ذلک محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل و القرابة و ليس بدالّ عندنا على وجود النصّ لأنه لو كان هناک نصّ لكان أقلّ كلفة و أسهل طريقا و أسهل لما يريد تناولا.

فيه أنّ إنكار النصّ كإنكار الأعمى للشمس فى رابعة النهار، و نعم ما قيل:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

و قد قدّمنا فى مقدّمات الخطبة الشقشقية من النصوص المتواترة و الأدلّة العقلية و النقلية كتابا و سنة ما فيه كفاية لمن له إنصاف و دراية، و قد احتجّ عليه السّلام و احتجّ

أصـحابه أيضا بها على المتخلّفين يوم السـقيفة و الشورى حسبما مرّ تفصيلا فى مقدّمات الخطبة المذكورة و غيرها من المواقع المناسبة فى تضاعيف الشرح فانظر ما ذا ترى لكنّهم خذلهم اللّه تعالى لم ينفعهم الذّكرى لما غلب عليهم من حبّ الرياسة و اتّباع الهوى.

و خامسا أنّ خوفه عليه السّلام من القتل مما لا غبار عليه كما يشهد به ما رواه الشارح نفسه هنا عن كثير من المحدّثين أنه عقيب يوم السقيفه تألّم و تظلّم و اسـتنجد و استصـرخ حيث ساموه الحضور و البيعة و قال مشـيرا إلى قبر رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم: يا ابن امّ إنّ القوم استضعفونى و كادوا أن يقتلوننى.

و يشهد به أيضا قوله عليه السلام هذا الكلام الذى نحن فى شرحه: فنظرت فاذا ليس لى رافد و لا ذابّ و لا مساعد إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن المنيّة و نظير ذلک فى كلماته عليه السّلام لكثير كما هو غير خفّى على الناقد البصير.

و سادسا قوله إنّ أمير المؤمنين كان فى مبتدأ الأمر يظنّ أن العقد لغيره كان من غير نظر فى المصلحة إلى قوله و به نقول.

محصـله على طوله إنّ أمير المؤمنين لم يكن فى بـدء الأمر عالما بما علم به أبو بكر و عمر من مصـلحة الاسـلام و ظنّ أنّ قيامهما بالخلافة لمحض حبّ الرياسـة و الاستيثار عليه، و لـذلک تظلّم و تألّم و أراد الأمر لنفسه، فلمّا اسـتبان خلاف ظنّه و صحّ عنده أنّهم راعوا مصـلحة الاسـلام و أنّه لو قام به لم يكن ليتمّ له و لا ينقاد العرب للسّخائم الّتى فى صدورهم أو غيرها من علل النّفوس بل يسـتأصل شافة الاسلام و ينهدم أركانه و يذهب عن أصله سكت و أمسک عن الطلب و بايع طوعا و طاب به نفسا.

و فيه أوّلا ـ أنّ لازم ذلک أن يكون الأعرابيان الجاهلان الجلفان أعلم بمصالـح الاسـلام من باب مدينـة العلم و الحكمـة، و كيف يمكن أن يخفى عليه عليه السّلام ما لم يخف على الأعرابى البوّال على عقبيه، و قد اعترفت المعتزلة أيضا بكونه أكثر

علما منهم كما هو قول الاماميّة.

و ثانيا أنّه لو كان الأمر على ما زعموا من أنّه انكشف له خلاف ظنّه و صحّ حقّية غيره فأذعن بالبيعة و انقاد للطاعة لوجب له عليه السّلام أن يستعتب و يعتذر و يستحلّ منهم حيث أساء الظنّ فى حقّهم و لوجب أن يترك التظلّم و الشّكاية و التّوجد مع أنّه ما زال متظلّما إلى آخر عمره الشّريف.

ألا ترى إلى الخطبة الشّقشقيّة المتضمّنة للتظلّم و الشّكوى من أوّلها إلى آخرها و قد خطبها بعد وقعة الخوارج فى أواخر عمره كما يشهد به مضمونها.

و إلى ما قاله فى سادس المختار من باب الخطب حين عزمه على المسير إلى البصرة لحرب الجمل من قوله: فو اللّه ما زلت مدفوعا عن حقّى مستأثرا علىّ منذ قبض اللّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى يوم الناس هذا.

و ما قاله فى الخطبة السّادسة و العشرين الّتى خطبها بعد شهادة محمّد بن أبى بكر و فتح مصر: فنظرت فاذا ليس لى معين إلاّ أهل بيتى فضننت بهم عن الموت إلى آخر ما مرّ.

و ما قاله فى المختار المأة و الواحد و الستّين حين سأله بعض أصحابه كيف دفعكم القوم عن مقامكم و أنتم أحقّ به فقال: و أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام و نحن الأعلون نسبا و الأشدّون بالرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نوطا فانّها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرين و الحكم اللّه و المعود إليه القيامة إلى غير هذا ممّا تقدّم فى تضاعيف المتن و الشرح.

و الحاصل أنّ المعلوم من حاله عليه السّلام عند المؤالف و المخالف أنّه لم يكن طلبه للخلافة من حبّ الرّياسة و السلطنة بل لاحكام أساس الدّين و انتظام حال الاسلام و المسلمين فاذا حصل هذا الغرض بقيام غيره فضلا عن كونه أصلح به منه عليه السّلام كما زعمه المعتزلة فوجب عليه أن يرضى منهم أشدّ الرّضا و يشكر لهم و يقبل المنّة منهم حيث رفعوا عن عاتقه ثقل ما حملوه لا أن يتظلّم منهم و يتشكّى عنهم و يزرى عليهم دائما ليله و نهاره إلى آخر عمره.

و سابعا أنّ قوله: و اعلم أنّ حال علىّ عليه السّلام فى هذا المعنى أشهر من أن تحتاج

فى الدّلالة عليها إلى الاسهاب و الاطناب إلى آخر قوله: و اللّه متمّ نوره و لو كره المشركون.

فيه أنّه من تسويلات نفوس المعتزلة و تمويهاتهم و تلبيساتهم و مزخرفاتهم الّتى أوحى بها إليهم أخوهم الشيطان كما قال عزّ و جلّ «وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً» و سبقهم إلى تلك المزخرفات اللّعين بن اللّعين ابن آكلة الأكباد معاوية بن أبى سفيان فى كتابه الّذى كتبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فانّه كتب فيه:

و من قبل ذلک ما عيّبت خليفتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أيّام حياتهما فقعدت عنهما و ألبت عليهما و امتنعت من بيعتهما و رمت أمرا لم يرک اللّه تعالى له أهلا و رقيت سلّما و عرا و حاولت مقاما دحصا و ادّعيت ما لم تجد عليه ناصرا، و لعمرى لو ولّيتها حينئذ لما ازددت إلاّ فسادا و اضطرابا، و لا أعقبت و لا يتكها إلاّ انتشارا و ارتدادا، لأنّک الشامخ بأنفه الذّاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه و يده.

فانّ قوله لعنه اللّه تعالى: لو ولّيتها حينئذ لما ازددت إلاّ فسادا و اضطرابا و لا أعقبت و لا يتكها إلاّ انتشارا و ارتدادا عين ما يقوله المعتزلة و يدين به و محصّل ما زخرفه الشّارح ببياناته الطويلة المموّهة.

و يبطل جميع ما قاله و قالوه ما أبطل به الشارح نفسه قول معاوية، فانّه عند شرح الثانى و السّتين من المختار فى باب الكتب و الرّسائل الّذى يأتى عنوانه من السّيد بقوله: و من كتاب له عليه السّلام إلى معاوية جوابا أمّا بعد فانّا كنّا نحن و أنتم على ما ذكرت من الالفة و المحبة و الجماعة آه أورد هناک الكتاب الّذى كتبه معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السّلام المتضمّن لما قدّمنا ذكره ثمّ أجاب عن جميع ما أدرجه ذلک الملعون فى كتابه بجواب مفصل إلى أن بلغ إلى قوله المتقدّم ذكره فقال فيه ما لفظه:

فأمّا قوله: لو ولّيتها حينئذ لفسد الأمر و اضطرب الاسلام فهذا علم غيب لا يعلمه إلاّ اللّه و لعلّه عليه السّلام لو ولّيها حينئذ لاستقام الأمر و صلح الاسلام و تمهّد

فانّه ما وقع الاضـطراب عنـد ولايته بعـد عثمان إلاّ لأنّ أمره عليه السّلام هان عنـدهم بتأخّره عن الخلافة و تقدّم غيره عليه، فصـغر شأنه فی النّفوس و قرّر من تقـدّمه فی قلوب النّاس أنّه لا يصـلح لها كلّ الصّلاحيّة، و الناس على ما يحصل فی نفوسـهم و لو كان وليّها ابتـدءا و هو على تلک الجلالـة الّتی كان عليها أيّام حياة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و تلک المنزلة الرّفيعة و الاختصاص الّذی كان له لكان الأمر غير الّذی رأيناه عند ولايته بعد عثمان، انتهى كلامه.

أقول: فوا عجبا عجبا و مالی لا أعجب من الشارح فانّه مع هذا الكلام الّذی يبطل مذهب المعتزلة من أصله و يزعزع أركانه و يهدم أساسه و بنيانه كيف لا يرفع يـده عن ذيل مـذهب الاعتزال أ فيرضـی العاقل أن يتديّن بدين بناؤه على الظنّ و التخريص و الحسـبان و يذعن بمحض الوهم و الاستحسان بصحّة ولاية الجبت و الطاغوت إن مثلهم إلاّ كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت بل كمن أسّس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فی نار جهنّم، هذا.

و قد مضى تحقيقات لطيفة فی ما يتعلّق بهذا المعنى فی مقدّمات الخطبة الشّقشقيّة.

الترجمة

از جمله كلام بلاغت نظام آن حضرتست در تظلم و شكايت از أهل شورى و غاصبان خلافت كه گفته:

بـار إلها بـدرستى كه من طلب اعانت و انتقام ميكنم از تو بر منافقان قريش، پس بـدرستى كه ايشان بريدنـد ريسـمان قرابت مرا و پشت رو كردند ظرف خلافت مرا، و اتفاق كردند بر منازعت من در حقى كه من سـزاوارتر بودم بان از غير من و گفتند كه آگاه باش كه در حق اسـت كه أخذ كنى تو خلافت را و در حق است كه ممنوع بشوى تو از آن، پس صبر كن در حالت اندوه و غم يا بمير در حالت تأسف و حسرت، پس نگاه كردم بكار خود پس آن زمان نبود مرا معينى و نه دفع كننـده و نه ناصـرى مگر أهل بيت خودم، پس بخل ورزيدم بايشان از اين كه هدف تير مرگ نمايم ايشان را، پس پوشانيدم چشم خود را بالاى چيزى كه اذيت

رساننده بود، و بلعیدم آب دهان خود را بالای غم و غصه که گلوگیر بود، و صبر کردم از نگاه داشتن غیظ خود بر چیزی که تلخ تر بود از طعم درخت علقم و دردناک تر بود مر قلب را از بریدن کارد بزرگ بر آن.

گفته است سید رضی رحمة اللّه علیه که گذشت این کلام در اثنای خطبهٔ که سابقا گذشته بود لیکن من مکرر نمودم ذکر آن را در اینجا بجهت اختلاف دو روایت.

و از جملهٔ این کلام است در بیان سیر کنندگان بسوی شهر بصره از برای جنگ با آن حضرت که طلحه و زبیر و عایشه و متابعان ایشان بودند می فرماید:

پس آمدند ایشان بر حاکمان من که در بصره بود و بر خزینه داران بیت المال مسلمانان که در دست تصرف من بود و بر اهل شهری که همه ایشان در طاعت و بر بیعت من بودند، پس مختلف ساختند کلمهٔ ایشان را، و فاسد نمودند جمعیت آنها را، و برجستند بر شیعیان من، پس کشتند طایفهٔ از ایشان را از راه مکر و حیله، و طایفهٔ دیگر از ایشان سخت گرفتند شمشیران خودشان را، پس محاربه کردند با آنها تا این که ملاقات نمودند پروردگار را و بدرجهٔ شهادت رسیدند در حالتی که صادق الاعتقاد بودند.

و من کلام له علیه السّلام و هو الماتان و السابع عشر من المختار فی باب الخطب

اشارة

لمّا مرّ بطلحة و عبد الرّحمن بن عتاب بن اسید و هما قتیلان یوم الجمل:

لقد أصبح أبو محمّد بهذا المکان غریبا، أما و اللّه لقد کنت أکره أن تکون قریش قتلی تحت بطون الکواکب، أدرکت وتری من بنی عبد مناف، و أفلتتنی أعیان بنی جمح، لقد أتلعوا أعناقهم إلی

أمر لم يكونوا أهله، فوقصوا دونه.

اللغة

(قريش) قبيلة و أبوهم النّضر بن كنانة و من لم يلده فليس بقرشيّ، و قيل:

قريش هو فهد بن مالك و من لم يلده فليس بقرشيّ، و أصل القرش الجمع و تقرشوا إذا تجمّعوا و بذلك سمّيت قريش لاجتماعها بعد تفرّقها فى البلاد، و قيل قريش دابة تسكن البحر و به سمّى الرجل قال الشّاعر:

و قريش هى التى تسكن البحر بها سمّيت قريش قريشا

قالوا: إنّ النّضر بن كنانة ركب فى البحر الهند فقالوا قريش كسرت مركبنا فرماها النّضر بالحراب فقتلها و حزّ رأسها و كان لها اذان كالشّراع تأكل و لا تؤكل و تعلو و لا تعلى فقدم به مكّة فنصبه على أبى قبيس فكان الناس يتعجّبون من عظمه فيقولون: قتل النّضر قريشا فكسر الاستعمال حتّى سمّوا النضر قريش و قيل فى وجه التّسمية وجوه اخر لا حاجة إلى ذكرها.

و (القتلى) جمع قتيل كالجرحى و جريح و (الوتر) بكسر الواو الجناية الّتى يجبيها الرّجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى و (أفلت) الطائر و غيره افلاتا تخلّص و أفلتّه أنا إذا أطلقته و خلّصته يستعمل لازما و متعدّيا و اتفلت و تفلت خرج بسرعة و (الأعيان) بالنّون الرّؤساء و الأشراف، و فى بعض النّسخ بالرّاء المهملة جمع العير بفتح العين و جمع الجمع عيارات و العير الحمار و غلب على الوحشى و يقال أيضا للسيّد و الملك.

و (بنى جمح) فى نسخة الشّارح المعتزلى بضمّ الجيم و فتح الميم، و فى بعض النّسخ بسكون الميم و ما ظفرت بعد على ضبطه فيما عندى من كتب اللّغة و (التّلع) محرّكة طول العنق و تلع الرّجل من باب كرم و فرح طال عنقه فهو اتلع و تليع و تلع الرّجل من باب منع أخرج رأسه من كلّشىء كان فيه و اتلع مدّ عنقه متطاولا و (وقص) عنقه كوعد كسرها فوقصت يستعمل لازما و متعديّا و وقص الرّجل بالبناء على المفعول فهو موقوص.

الاعراب

الباء فی قوله علیه السّلام بهذا المکان بمعنی فی، و فی قوله أفلتتنی علی الحذف و الایصال أی أفلتت منّی، و قوله أهله بالنّصب علی أنّه خبر کان و یحتمل الانتصاب بحذف الجار فیکون الجار و المجرور خبرا لها أی لم یکونوا من أهله.

المعنی

اشارة

اعلم أنّ هذا الکلام حسبما أشار إلیه الرّضی تکلّم به عند تطوافه علی القتلی بعد انقضاء الحرب فانّه (لمّا مرّ بطلحة) بن عبید اللّه بن عثمان بن عمرو بن کعب ابن سعد بن تیم بن مرّة (و عبد الرحمن بن عتاب بن اسید) بن أبی العیص بن امیّة ابن عبد شمس (و هما قتیلان یوم الجمل) وقف علی جسد طلحة و قال:

(لقد أصبح أبو محمّد) و هو کنیة طلحة (بهذا المکان غریبا) و وقف علی جسد عبد الرّحمن بن عتاب و قال: لهفی علیک یعسوب قریش هذا فتی الفتیان هذا اللّباب المحض من بنی عبد مناف شفیت نفسی و قتلت معشری إلی اللّه عجری و یجری، فقال له قائل: لشدّ ما أطریت الفتی یا أمیر المؤمنین منذ الیوم قال علیه السّلام إنّه قام عنّی و عنه نسوة لم یقمن عنک، هکذا نقله الشارح المعتزلی، و قال أیضا: و عبد الرحمن هذا هو الّذی احتملت العقاب کفّه یوم الجمل و فیها خاتمه فألقتها بالیمامة فعرفت بخاتمه و عرف أهل الیمامة بالوقعة، و قال أیضا: إنّه لیس بصحابیّ و لکنّه من التّابعین و أبوه عتاب بن اسید من مسلمة الفتح، و لمّا خرج رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من مکّة إلی حنین استعمله علیها فلم یزل أمیرها حتّی قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثمّ أقسم بالقسم البار فقال (أما و اللّه لقد کنت أکره أن تکون قریش قتلی تحت بطون الکواکب) أی مقتولین فی معارک القتال مصر و عین تحت السّماء فی الأودیة و الفلوات بحالة الذلّ و الایتذال لا یکنّهم کنّ و لا یواری أجسادهم سقف و لا ظلال.

و إنّما استکره علیه السّلام قتلهم لأنّ المطلوب الذاتی للأنبیاء و الأولیاء علیهم السّلام

جذب الخلق إلى الحقّ و هدايتهم إلى الصراط المستقيم و استقامة امورهم فى المعاش و الماب و حصول هذا المطلوب إنّما هو بوجودهم و حياتهم، فاهتداؤهم بنور هدايته يكون أحبّ إليه من موتهم على الضّلال.

و لذلک انّه عليه السّلام لمّا استبطأ أصحابه اذنه لهم فى القتال بصفّين أجاب لهم بقوله المتقدّم فى الكلام الرّابع و الخمسين: و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشّام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما إلاّ و أنا أطمع أن تلحق بى طائفة فتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلک أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء باثامها.

و تخصيص قريش بالذّكر لاقتضاء المقام و لمزيد حبّه لاهتدائهم بملاحظة الرّحم و القرابة.

و قوله (ادركت وترى من بنى عبد مناف) قال الرّاوندى فى محكىّ كلامه:

يعنى طلحة و الزّبير كانا من بنى عبد مناف و اعترض عليه الشارح المعتزلى بأنّ طلحة من تيم بن مرّة و الزّبير من أسد بن عبد العزّى بن قصىّ، و ليس منهما أحد من بنى عبد مناف و ولد عبد مناف أربعة: هاشم، و عبد شمس، و نوفل، و المطلب، فكلّ من لم يكن من ولد عبد هؤلاء الأربعة، فليس من ولد عبد مناف، و ردّ بأنّهما من بنى عبد مناف من قبل الأمّ لا من قبل الأب.

و كيف كان فالمراد بقوله عليه السّلام ادركت وترى أدركت جنايتى الّتى جناها علىّ بنو عبد مناف، و المراد بتلک الجناية ما فعلوها بالبصرة من قتل النّفوس، و نهب بيت المال و غيرها ممّا كان راجعا إليه عليه السّلام فانّ الجناية على شيعته و بيت ماله جناية عليه.

و قوله(و أفلتتنى أعيان بنى جمح)أى ساداتهم و أوتادهم و على كون أعيار جمع عير بمعنى الحمار فهى استعارة بالكناية حيث شبّهوا بحمر مستنفرة فرّت من قسورة.

قال الشارح المعتزلى: بنو جمح من بنى حصيص بن كعب بن لوى بن غالب و اسم جمح تيم بن عمرو بن حصيص، و قد كان مع عايشة منهم يوم الجمل جماعة

هربوا و لم يقتل منهم إلاّ اثنان فمن هرب و نجا بنفسه منهم عبد اللّه الطويل ابن صفوان بن اميّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، و منهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن اميّة بن خلف، و منهم عامر بن مسعود بن اميّة بن خلف كان يسمّى دحروجة الجعل لقصره و سواده، و منهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة الأعور ابن اهيب بن حذافة بن جمح، و قتل من بنى جمح مع عايشة عبد الرّحمن بن وهب بن اسيد بن خلف بن وهب بن حذافة و عبد اللّه بن ربيعة بن دراج بن العنبس بن دهيان ابن وهب بن حذافة لا أعرف من بنى جمح انّه قتل ذلک اليوم منهم غيرهما.

(لقد اتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله)أى مدّت قريش بالتطاول أعناقهم إلى الخلافة مع عدم استحقاقهم و أهليتهم لها(فوقصوا دونه)أى كسرت أعناقهم و اندقّت عند ذلک الأمر و هو كناية عن عدم نيلهم إلى المقصود و قتلهم قبل وصوله، خسروا الدّنيا و الاخرة ذلک هو الخسران المبين.

تذييل

روى فى البحار من الكافية فى إبطال توبة الخاطئة قال: روى خالد بن مخلّد عن زياد بن المنذر عن أبى جعفر عليه السّلام عن آبائه عليهم السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام على طلحة و هو صريع فقال: أجلسوه، فاجلس، فقال: أم و اللّه لقد كانت لک صحبة و لقد شهدت و سمعت و رأيت و لكن الشيطان أزاغک و أما لک فأوردک جهنّم.

و قد قدّمنا هذه الرّواية فى شرح الكلام الثانى عشر و كرّرنا هنا باقتضاء المقام و تقدّمت أيضا هناک مطالب نفيسة من أراد الاطلاع فليراجع ثمّة هذا.

و فى الارشاد و من كلامه عليه السّلام عند تطوافه على القتلى: هذه قريش جدعت أنفى و شفيت نفسى لقد تقدّمت إليكم احذّركم عضّ السّيف و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكنّه الحين و سوء المصرع و أعوذ باللّه من سوء المصرع ثمّ مرّ على معيد بن المقداد فقال: رحم اللّه أبا هذا لو كان حيّا لكان رأيه أحسن من رأى هذا، فقال عمار بن ياسر: الحمد للّه الّذى أوقعه و جعل خدّه الأسفل

أما و اللّه يا أمير المؤمنين لا نبالى من عند عن الحقّ من والد و ولد، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: رحمک اللّه و جزاک عن الحقّ خيرا.

و مرّ بعبـد اللّه بن ربيعة بن درّاج فى القتلى فقال: هذا البائس ما كان أخرجه أدين أخرجه أم نصـر لعثمان؟ و اللّه ما كان رأى عثمان فيه و لا فى أبيه بحسن.

ثمّ مرّ بمعبد بن زهير بن أبى اميّة فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريّا لتناولها هذا الغلام و اللّه ما كان فيها بذى نخيرة و لقد أخبرنى من أدركه و أنّه ليولول فرة من السّيف.

ثمّ مرّ بمسلم بن قرظة فقال: البرّ أخرج هذا و اللّه لقد كلّمنى أن أكلّم عثمان فى شىء كان يدّعيه قبله بمكّة فأعطاه عثمان و قال: لولا أنت ما اعطيته ان هذا ما علمت بئس أخو العشيرة ثمّ جاء المشوم للحين ينصر عثمان.

ثمّ مرّ بعبـد اللّه بن حميـد بن زهير فقال: هذا أيضا ممّن أوضع فى قتالنا زعم يطلب اللّه بذلک و لقد كتب إلىّ كتبا يؤذى عثمان فيها فأعطاه شيئا فرضى عنه.

ثمّ مرّ بعبـد اللّه بن حكيم بن حزام فقال، هذا خالف أباه فى الخروج و أبوه حين لم ينصـرنا قد أحسن فى بيعته لنا و إن كان قد كفّ و جلس حين شـكّ فى القتال ما ألوم اليوم من كفّ عنّا و عن غيرنا، و لكن المليم الّـذى يقاتلنا ثمّ مرّ عليه السّـلام بعبـد اللّه بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان فى الدّار فخرج مغضبا لقتل أبيه و هو غلام حدث جبن لقتله.

ثمّ مرّ عليه السّـلام بعبـد اللّه بن أبى عثمان بن الأخنس بن شـريق فقال: امّا هـذا فكأنى أنظر إليه و قـد أخـذ القوم السّـيوف هاربا يعد و من الصّف فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهت حتى قتله و كانّ هذا مما خفى على فتيان قريش اغمار لا علم لهم بالحرب خدعوا و استزلوا فلما وقفوا لججوا فقتلوا ثمّ مشـى قليلا فمرّ بكعب بن سور فقال: هذا الذى خرج علينا فى عنقه المصـحف يزعم أنه ناصر امة يدعو الناس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثمّ استفتح فخاب كلّ جبار عنيد اما أنه دعا اللّه أن يقتلنى فقتله اللّه، اجلسوا كعب بن سور

فاجلس فقال له أمير المؤمنين: يا كعب لقد وجدت ما وعدنى ربّى حقا فهل وجدت ما وعدک ربّک حقا؟ ثمّ قال عليه السّلام: اضجعوا كعبا.

و مرّ على طلحة بن عبيد اللّه فقال: هذا الناكث بيعتى و المنشىء الفتنة فى الأمّة و المجلب علىّ و الدّاعى إلى قتلى و قتل عترتى اجلسوا طلحة بن عبيد اللّه، فأجلس، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: يا طلحة قد وجدت ما وعدنى ربّى حقا فهل وجدت ما وعدک ربّک حقّا؟ ثمّ قال عليه السّلام: اضجعوا طلحة.

و سار فقال له عليه السّلام بعض من كان معه: أتكلّم كعبا و طلحة بعد قتلهما؟ فقال عليه الصلاة و السلام: و اللّه لقد سمعوا كلامى كما سمع أهل القليب كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم بدر.

ايضاح

قوله «جدعت أنفى» أى قطعت و الفاعل راجع إلى قريش و هو كناية عن جنايتهم التى جنوها عليه عليه السّلام حسبما عرفت فى شرح المتن، و قال المحدّث العلامة المجلسىّ: جدعت أنفى أى لم أكن احبّ قتل هؤلاء و هم من قبيلتى و عشيرتى و لكن اضطررت إلى ذلک، انتهى، و على تفسيره فجدعت بصيغة المتكلّم و الأظهر أنه بصيغة الغائب كما قلناه و «العضّ» المسک بالأسنان فاستعير لحدّ السيف و «الحين» الهلاک.

قوله «ما كان بذى نخيرة» النخير صوت بالأنف أى كان يقيم الفتنة لكن لم يكن بعد قيامها صوت و حركة بل كان يخاف.

قوله «و يولول» يقال و لولت المرأة أعولت و الفرق شدّة الفزع قوله «هذا ما علمت» أى فيما علمت و فى علمى قوله «ممّن اوضع» على البناء على الفاعل أى ركض دابّته و أسرع أو على البناء على المفعول، قال الجوهرى: وضع الرّجل فى تجارته و اوضع على ما لم يسمّ فاعله فيهما أى خسر و «المليم» المذموم قوله «فنهنهت عنه» أى كففت و زجرت.

قوله «و كان هذا مما خفى على آه» قال العلاّمة المجلسىّ: أى لم أعلم

بوقت قتله فتيان قريش مبتدأ و «الاغمار» جمع غمر بالضمّ و بضمّتين و هو الذين لم يجرّب الأمور انتهى.

«و لجج» السيف يلجج لججا من باب تعب أى نشب فلا يخرج و مكان لجج ضيق.

و «كعب بن سور» قاضى البصرة ولاه عمر بن الخطاب على قضائها فلم يزل عليها حتى قتل عثمان فلما كان يوم الجمل خرج مع أهل البصرة و فى عنقه مصحف فقتل هو يومئذ و ثلاثة اخوة له أو أربعة فجاءت أمّهم فوجدتهم فى القتلى فحملتهم و جعلت تقول:

أيا عين ابكى بدمع سرب على فتية من خيار العرب

فما ضرّهم غير جبن النفوس و أىّ امرء لقريش غلب

قوله «ثمّ استفتح» تلميح إلى قوله تعالى: و استفتحوا فخاب كلّ جبار عنيد، أى سألوا من اللّه الفتح على أعدائهم و «اجلب» عليه الناس أى حرّضهم و جمعهم و «القليب» البئر التى لم تطو يذكّر و يؤنث و كان حفر يوم بدر قليب القى فيه القتلى من الكفار.

الترجمة

از جملهٔ كلام آن امام است عليه و آله السلام وقتى كه مرور كرد به طلحه و عبد الرّحمن بن عتاب بن اسيد در حالتى كه كشته شده بودند در روز جنگ جمل مى فرمايد:

هر آينه بتحقيق صباح كرد أبو محمّد يعنى طلحه در اين مكان در حالتى كه غريبست آگاه باش قسم بخدا بتحقيق بودم من ناخوش مى گرفتم اين كه شوند طايفهٔ قريش كشته شدگان در زير شكم ستارگان، دريافت نمودم جنايت خود را از پسران عبد مناف و رميدند و گريختند از من اشراف و بزرگان قبيلهٔ جمح، بتحقيق دراز كردند ايشان يعنى قريش گردنهاى خودشان را بسوى چيزى كه أهل آن نبودند، يعنى طلب خلافت نمودند بدون استحقاق پس شكسته شد گردنهاى ايشان نزد آن چيز.

ص:191

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان و الثامن عشر من المختار فى باب الخطب

اشارة

قد أحيا عقله و أمات نفسه، حتّى دقّ جليله، و لطف غليظه، و برق له لامع كثير البرق، فأبان له الطّريق، و سلک به السّبيل، و تدافعته الأبواب إلى باب السّلامة، و دار الإقامة، و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن و الرّاحة، بما استعمل قلبه و أرضى ربّه.

اللغة

(دقّ) الشـىء يدقّ دقة من باب ضرّ خلاف غلظ فهو دقيق و غلظ الشىء بالضمّ غلظا و زان عنب و الاسم الغلظة و هو غليظ و (أبان) و بين و تبين و استبان كلّها بمعنى الوضوح و الانكشاف و جميعها يستعمل لازما و متعدّيا إلاّ بان الثلاثى فلا يستعمل إلاّ لازما قاله الفيومى.

الاعراب

جليله و غليظه مرفوعـان على الفاعـل للزوم فعليهما، و الباء فى قوله سـلک به للتعديـة، و فى قوله بطمأنينـة بـدنه للمصاحبـة، و فى قوله بما استعمل للسببية، و كلتا الأخيرتين متعلقتان بقوله ثبتت.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على غاية وجازته جامع لجميع صفات العارف الكامل

و لكيفيّة سلوكه و لمال أمره و لعمرى إنّه لا يوجد كلام أوجز من هذا الكلام فى أداء هذا المعنى، و هو فى الحقيقة قطب دائرة العرفان و عليه مـدارها، و فى الايجاز الّذى هو فنّ نفيس من علم البلاغة تالى كلام الملك الرّحمن، مثل قوله: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » الجامع للزّهـد كلّه و قوله «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ » الجامع لمكارم الأخلاق جميعا، و شـرحه يحتاج إلى بسط فى المقال بتوفيق الربّ المتعال فأقول مستعينا باللّه و بوليّه عليه السّلام:

قوله عليه السّلام (قـد أحيا عقله و أمات نفسه) المراد بعقله العقل النظرى و العملى و بنفسه النفس الأمّارة بالسّوء و المراد بحياة الأوّل كونه منشـئا للاثار المترتّبـة عليه مقتـدرا على تحصـيل الكمالات و المعارف الحقّة و مكارم الأخلاق المحصّلة للقرب و الزّلفى لديه تعالى، و بموت الثّانى بطلان تصرّفاته و آثاره المبعدة عنه عزّ و جلّ بحذافيره، فانّ الحياة و الموت عبارة اخرى عن الوجود و العدم لا أثر له أصلا.

و أراد باحيـائه الأـوّل و إمـاتته الثانى تقويته و تغليبه له عليه بحيث يكون الأوّل بمنزلـة سـلطان قادر قاهر يفعل ما يشاء و يحكم ما يريـد، و الثانى بمنزلة عبد ذليل داخر مقهور لا يريد و لا يصدر إلاّ باذن مولاه.

و لا يحصل تقويـة الأوّل و تذليل الثانى إلاّ بملازمة الكمالات العقلانية و المجاهدة و الرّياضة النفسانية، و المجاهدة عبارة عن ذبح النفس بسيوف المخالفة كما قال تعالى «وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى » و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لما بعث سـرية و رجعوا: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصـغر و بقى عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول اللّه و ما الجهاد الأكبر؟ قال:

جهاد النفس.

و قال بعض أهل العرفان: جاهـد نفسك بأسـياف الرّياضة و الرّياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام، و الغمض من المنام، و الحاجة من الكلام، و حمل الأذى من جميع الأنام، فيتولّد من قلّة الطعام موت الشهوات، و من قلّة المنام صفو الارادات،

و من قلّة الكلام السّلامة من الافات، و من احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات و ليس على العبد شيء أشدّ من الحلم عند الجفا، و الصبر على الأذى، و إذا تحرّكت من النّفس إرادة الشهوات و الاثام و هاجت منها حلاوة فضول الكلام جرّدت عليهم سيوف قلة الطّعام من غمد التهجّد و قلة المنام و ضربتها بأيدى الخمول و قلّة الكلام حتّى تنقطع عن الظّلم و الانتقام فتأمن من بوائقها من بين سائر الأناء و تصفّيها من ظلّة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلک نظيفة و نورية خفيفة روحانيّة، فتجول فى ميدان الخير و تسير فى مسالک الطاعات كالفرس الفارة فى الميدان و كالمسلک المتنزّه فى البستان.

و قال أيضا: أعداء الانسان ثلاثة: دنياه، و شيطانه، و نفسه، فاحترس من الدّنيا بالزّهد فيها، و من الشّيطان بمخالفته، و من النفس بترک الشّهوات.

و تفصيل ذلک على ما قرّر فى علم السّلوک إنّ للسّالک لطريق الحقّ المريد للوصول إلى حظيرة القدس شروطا و وظايف لا بدّ من ملازمتها.

أمّا الشروط الّتى لا بدّ من تقديمها فى الارادة فهى رفع الموانع و الحجب الّتى بينه و بين الحقّ، فانّ حرمان الخلق من الحقّ سببه تراكم الحجب و وقوع السّد على الطريق قال اللّه تعالى «وَ جَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ ».

و السّد بين المريد و بين الحقّ ثلاثة: المال، و الجاه، و المعصية و رفع حجاب المال إنّما يحصل بالخروج منه حتّى لا يبقى منه إلاّ قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم ملتفت إليه فهو مقيّد به محجوب عن اللّه عزّ و جل، و رفع حجاب الجاه إنما يحصل بالبعد من موضع الجاه و الهرب منه و ايثار خمول الذّكر، و رفع حجاب المعصية إنما يحصل بالتّوبة و النّدم على ما مضى من المعاصى و تدارک ما فات من العبادات و ردّ المظالم و إرضاء الخصوم و إذا قدّم هذه الشّروط فلا بدّ له من المواظبة على وظائف السّلوک، و هى خمس: الجوع، و الصّمت، و السّهر، و العزلة، و الذّكر.

أمّا الجوع فانّه ينقص دم القلب و يبيضه و يلطفه و فى بياضه و تلطيفه نوره و يذيب شحم الفؤاد و فى ذوبانه رقّته و رقته مفتاح انكشاف الحجب كما أنّ قساوته سبب الحجاب، و مهما نقص دم القلب ضاق مسلک العدوّ الشيطان فانّ مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات، و لذلک قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم فى العروق فضيّقوا مجاريه بالجوع، أو قال بالصوم و فى حديث آخر ألا اخبركم بشىء ان أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الصّوم يسوّد وجهه الحديث.

ففائدة الجوع فى كسر شهوات المعاصى كلّها و الاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء أمر ظاهر لأنّ منشأ المعاصى كلّها الشهوات و القوى و مادّة القوى و الشهوات لا محالة الأطعمة، فتقليلها يضعف كلّ شهوة و قوّة و يكسر سورة النفس الأمّارة كالدابة الجموح إذا شبعت شررت و جمحت لا يمكن ضبطها باللجام، و إذا جاعت ذللت و انقادت و بالجملة فالشبع يورث القسوة و الشهوة و السبعية، و الجوع يوجب الرّقة و انكسار الشهوة و الصولة، و هو مشاهد بالتجربة، و من هنا قيل: مفتاح الدّنيا الشبع و مفتاح الاخرة الجوع، و قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أجاع بطنه عظم فكرته و فطن قلبه و قال أيضا أحيوا قلوبكم بقلّة الضحک و قلّة الشبع و طهّروها بالجوع تصفو و ترق.

و أما الصمت فينبغى أن لا يتكلّم إلاّ بقدر الضرورة لأنّ الكلام يشغل القلب و ميل القلوب إلى الكلام عظيم، فانه يستروح اليه و يستثقل التجرّد للذّكر و الفكر و فى الحديث طوبى لمن أنفق فضول ماله و أمسک عن فضول كلامه، هذا فى الكلام المباح و أما الكلام الغير المباح من الكذب و النميمة و البهت و غيرها فبينه و بين السلوک إلى الحقّ بون بعيد بعد المشرقين.

و أما السهر فانه يجلو القلب و يصفيه و ينوّره و لذلک مدح اللّه سبحانه المستغفرين بالأسحار لأنها أوقات صفاء الذّهن و نزول الرّحمة و الألطاف الالهيّة، فيضاف صفاء السّهر إلى الصفاء الحاصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدّرىّ و المرآة المجلوة مستعدا لافاضة الأنوار الالهيّة، فيلوح فيه سبحات جمال الحقّ و يشاهد

رفعة الدّرجات الاخرويّة و عظم خطرها و خسّة الزّخارف الدّنيويّة و حقارتها، فتتمّ بذلک رغبته عن الدّنيا و شوقه إلى الاخرة، و السّهر أيضا من خواصّ الجوع و بالشبع غير ممكن.

و أمّا العزلة و الخلوة ففائدتها دفع الشواغل و ضبط السمع و البصر، فانهما دهليز القلب و القلب بمنزلة حوض تنصبّ إليه مياه كريهة كدرة من مجارى الحواس و المقصود بالرّياضة تفريغ الحوض من المياه الردغة و من الطّين الحاصل منها فينفجر أصل الحوض فيبغ منه ماء نظيف سائغ صاف و لا يمكن نزح ماء الحوض و الأنهار إليه مفتوحة فيتجدّد فى كلّ حال أكثر ممّا ينقص.

قال الرّضا عليه التحيّة و الثناء إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان يقول: طوبى لمن أخلص للّه العبادة و لم يشغل قلبه بما تراه عيناه و لم ينس ذكر اللّه بما تسمع اذناه الحديث.

فلا بدّ من ضبط الحواس إلاّ عن قدر الضرورة و لا يتمّ ذلک إلاّ بالعزلة و الخلوة.

قال بعض السّياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق إلى الحقّ؟ قال: أن تكون فى الدّنيا كأنّک عابر طريق، و قلت له مرّة: دلّنى على عمل أجد قلبى فيه مع اللّه تعالى على الدّوام، فقال لى: لا تنظر إلى الخلق فانّ النّظر إليهم ظلمة، قلت: لا بدّ لى من ذلک، قال: فلا تسمع كلامهم، فانّ فى سماع كلامهم قسوة، قلت: لابدّ لى من ذلک، قال: فلا تعاملهم فانّ معاملتهم وحشة، قلت: أنا بين أظهرهم لا بدّ لى من معاملتهم، قال: فلا تسكن إليهم فانّ السكون إليهم هلكة، قال:

قلت: هذا لعلّه يكون، قال يا هذا أتنظر إلى الغافلين و تسمع كلام الجاهلين و تعامل البطالين و تريد أن تجد قلبک مع اللّه تعالى على الدّوام، و لا يمكن ذلک إلاّ بأن يخلو عن غيره و لا يخلو عن غيره إلاّ بطول المجاهدة، و قد عرفت أنّ طريق المجاهدة مضادّة الشهوات و مخالفة هوى النّفس، فاذا حصل للسالک هذه المقدّمات اشتغل بذكر اللّه تعالى بالأذكار الشرعيّة من الصّلاة و تلاوة القرآن و الأدعيّة المأثورة و التسبيح و التهليل و غير ذلک بلسانه و قلبه، فلا يزال يواظب عليها حتّى لا يبقى على قلبه و لسانه

غير ذكره تعـالى، و لاـ يكون له منظور غيره أصـلا، فعنـد ذلـک يتجلّى له من أنوار جمـاله و سـبحات عظمته و جلاـله ما لا يحيط به لسان الواصفين، و يقصر عنه نعت الناعتين.

هذا من الشّرايط و الوظايف المقرّرة قد أشار إليها أمير المؤمنين عليه السّلام فى مطاوى كلماته و خطبه المتقدّمة و غيرها كثيرا.

مثـل ما رواه فى الوسايل من أمالى ابن الشـيخ قال روى انّ أمير المؤمنين عليه السّلام خرج ذات ليلـة من المسـجد و كانت ليلـة قمراء فأمّ الجبّانـة و لحقه جماعـة تقفون أثره فوقف عليهم ثمّ قـال عليه السّلام: من أنتم؟ قـالوا: شـيعتک يا أمير المؤمنين، فتفرّس فى وجوههم قال: فمالى لا أرى عليكم سـيماء الشّيعة، قالوا: و ما سـيماء الشيعة يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام: صفر الوجوه من السّهر عمش العيون من البكاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصّيام ذبل الشفّاه من الدّعاء عليهم غبرة الخاشعين.

و قال عليه السّلام فى الخطبـة الثانية و الثمانين: فاتّقوا اللّه تقاة ذى لبّ شـغل التفكّر قلبه و أنصب الخوف بدنه و أسـهر التهجّد غرار نومه و أظمأ الرّجاء هواجر يومه و أظلف الزّهـد شـهواته و أوجف الـذّكر بلسانه و قـدّم الخوف لابانه و تنكب المخالـج عن وضح السبيل و سـلک أقصد المسالک إلى النهج المطلوب.

و غير ذلک ممّا تقدّم فى ضمن خطبه المسوقة فى الحثّ على الزهد و التقوى و وصف حال المتقين و لا حاجة إلى الاعادة.

ثمّ لاـ يخفى عليـک أنّ مطلوبيّة الاـعتزال و الخلوة إنّما هى للفراغ للـذّكر و الخلوة و العبادة و كون المعاشـرة مانعـة منه، و أمّا إذا لم تكن المعاشـرة مانعة بل تبعثه على سـلوک الصّراط المستقيم كالجمعة و الجماعات و زيارة الاخوان المؤمنين و الاجتماع فى مجالس الذّكر و نحوها فهى من أعظم العبادات، و سلوک نهج الحقّ على ما ذكرنا من الاداب و الوظايف هو المتلقّى من صاحب الشرع.

و أمّا غيرها ممّا ذكره الصّوفيـة من الاداب و الوظايف فى المجاهدة و الرّياضة و كيفيّة السّلوک مثل قولهم بالجلوس فى بيت مظلم و الخلوة أربعين

يوما، و اشتراطهم الاعتصام بالشيخ و كون السّلوک بارشاده، و قولهم بالمداومة على ذكر مخصوص ألقاه الشيخ إلى المريد من الأذكار الفتحيّة أو غيرها نحوها من الأذكار المبتدعة أو من الأذكار الشرعيّة لكن على هيئة مخصوصة و عدد مخصوص لم يرد به نصّ، و قولهم بأنّ المريد إذا تمّ مجاهدته و لم يبق فى قلبه علاقة تشغله يلزم قلبه على الدّوام و يمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض و الرواتب و يكون ورده وردا واحدا و هو ملازمة القلب لذكر اللّه بعد الخلوّ عن ذكر غيره، فعند ذلک يلزمه الشيخ زاوية ينفرد بها و يلقّنه ذكرا من الأذكار حتّى يشغل به لسانه و قلبه فيجلس و يقول مثلا: اللّه اللّه أو سبحان اللّه سبحان اللّه أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتّى تسقط حركة اللّسان و تكون الكلمة كأنّها جارية على اللّسان من غير تحريک، ثمّ لا يزال يواظب عليه حتّى يسقط الأثر عن اللسان و تبقى صورة اللفظ فى القلب ثمّ لا يزال كذلک حتّى يمحى عن القلب حروف اللفظ و صورته و تبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ من كلّ ما سواه و نحو ذلک مما قالوه فشىء منها لم يرد به اذن من الشارع بل هو من بدعاتهم التى أبدعوها اللهمّ إلاّ أن يستدلّ على الأخير أعنى المواظبة على الذّكر باللسان و القلب على ما وصل بعمومات أدلّة الاكثار من ذكر اللّه و التفكر فى اللّه.

إذا عرفت ذلک فلنرجع إلى شرح المتن فأقول:

قوله عليه السّلام (حتى دقّ جليله و لطف غليظه) غاية لا ماتته لنفسه أولها و لا حيائه لعقله أيضا، و الجملة الثانية إما مؤكّدة للاولى فالمعنى أنّ تكميله لعقله و تركه لشهوات نفسه انتهى إلى مرتبة أوجبت هزال جسمه و نحول بدنه، أو المراد بالجليل أعضاؤه العظام كالرأس و اليدين و الفخذين و الساقين، و بالغليظ غيرها، أو المراد بالأول عظامه و بالثانى جلده و أعصابه، أو بالأول بدنه و بالثانى قلبه.

و على أىّ معنى فالمقصود كونه ناحل الجسم ضعيف البدن إما من خوف اللّه تعالى و تحمله لمشاق العبادات أو لجوعه و كفه عن الأكل و الشرب و ساير الشهوات.

ص:198

كما قال عليه السّلام فى الخطبة المأة و الثانية و التسعين فى وصف المتقين: قد براهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى و ما بالقوم من مرض.

و قال فى الخطبة الثانية و الثمانين: فاتّقوا اللّه تقيّة ذى لبّ شغل التفكر قلبه و أنصب الخوف بدنه، أى أمرضه و أتعبه.

و قال فى الخطبة المأة و التاسعة و الخمسين حكاية عن كليم اللّه على نبيّنا و عليه السّلام إذ يقول ربّ إنّى لما أنزلت إلىّ من خير فقير: و اللّه ما سأله إلاّ خبزا يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض و لقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذّب لحمه.

و قوله عليه السّلام (و برق له لامع كثير البرق) الظاهر أنه عطف على سابقه فيكون هو أيضا غاية لتكميل عقله و جهاد نفسه يعنى أنه بلغ من كمال قوّته النظرية و العملية إلى مقام شروق الأنوار المعارف الالهية على مرآة سرّه فصار مشاهدا بعين بصيرته أنوار قدسه و سبحات وجهه عين اليقين.

كما أشار عليه السّلام إليه فى الخطبة السادسة و الثمانين فى وصف أحبّ عباد اللّه تعالى إليه عزّ و جلّ بقوله: فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس.

و قال زين العابدين و سيد السّاجدين عليه السّلام فى المناجاة التّاسعة من المناجاة الخمس عشرة و هى مناجاة المحبّين: يا من أنوار قدسه لأبصار محبّيه رائقة(1) و سبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة(2) و قال عليه السّلام فى المناجاة الثّانية عشر منها و هى مناجاة العارفين: إلهى فاجعلنا من الّذين ترسّخت أشجار الشّوق إليک فى حدائق صدورهم، و أخذت لوعة محبّتک بمجامع قلوبهم، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون، و فى رياض القرب و المكاشفة يرتعون، و من حياض المحبّة بكاس الملاطفة يكرعون، و شرايع المصافات يروون، قد كشف الغطاء عن أبصارهم، و انجلت ظلمة الرّيب عن عقائدهم فى ضمائرهم

1- (1) - الروق الصافى من الماء و غيره و العجب.

2- (2) - شفته شوفا جلوته و دينار مشوف مجلو.

و انتفت مخالجة الشک عن قلوبهم و سرائرهم، و انشرحت بتحقیق المعرفة صدورهم، و علت لسبق السّعادة فی الزّهادة هممهم، و عذب فی معین المعاملة شربهم، و طاب فی مجلس الانس سرّهم، و أمن فی موطن المخافة سربهم، و اطمأنّت بالرّجوع إلی ربّ الأرباب أنفسهم، و تیقّنت بالفوز و الفلاح أرواحهم، و قرّت بالنّظر إلی محبوبهم أعینهم، و استقرّ بادراک السؤل و نیل المأمول قرارهم، هذا.

و لأهل السّلوک و الصّوفیّة کلام طویل فی البروق اللامعة أسندوها إلی الشّهود و المکاشفة.

قال الرّئیس أبو علیّ بن سینا فی محکیّ کلامه من الاشارات فی ذکر السّالک إلی مرتبة العرفان ما لفظه:

ثمّ إنّه إذا بلغت به الرّیاضة و الارادة حدّا ما عنت له خلسات من اطّلاع نور الحقّ علیه لذیذة کأنها بروق تومض إلیه ثمّ تخمد عنه، و هی الّتی تسمّی عندهم أوقاتا و کلّ وقت یکتنفه وجد الیه و وجد علیه، ثمّ إنّه لیکثر علیه هذا الغواشی إذا أمعن فی الارتیاض، ثمّ إنّه لیتوغّل فی ذلک حتیّ یغشاه فی غیر الارتیاض فکلّما لمح شیئا عاج منه إلی جانب القدس فتذکّر من أمره أمرا فغشیه غاش فیکاد یری الحقّ فی کلّشیء و لعلّه إلی هذا الجدّ تستولی علیه غواشیه و یزول عن سکینته و یتنبّه جلیسه لاستنفاره عن قراره، فاذا طالت علیه الرّیاضة لم یستنفره غاشیة و هدی للتّأنس بما هو فیه، ثمّ إنّه لتبلغ به الرّیاضة مبلغا ینقلب له وقته سکینته فیصیر المخطوب ما لولا و الومیض شهابا بیّنا، و یحصل له معارفه مستقرّة کأنّها صحبة مستمرّة و یستمتع فیها ببهجته فاذا انقلب عنها انقلب حیران أسفا.

و قال أبو القاسم القشیری فی رسالة القشیریّة: المحاضرة قبل المکاشفة فاذا حصلت المکاشفة فبعدها المشاهدة و قال: هی أرفع الدّرجات، فالمحاضرة حضور القلب و قد تکون بتواترها البرهان و الانسان بعد وراء السّتر و إن کان حاضرا باستیلاء سلطان الذکر، و أمّا المکاشفة فهی الحضور البیّن غیر مفتقر إلی تأمل الدّلیل و تطلّب السّبیل، ثمّ المشاهدة و هی وجود الحقّ من غیر بقاء تهمة و قال أیضا: هی ثلاث

مراتب: اللّوايـح، ثمّ اللّوامع، ثمّ الطّوالع، فاللّوايح كالبروق ما ظهرت حتّى اسـتترت، ثمّ اللوّامع و هى أظهر من اللّوايح و ليس زوالها بتلك السّرعة فقد تبقى وقتين و ثلاثة و لكن كما قيل: و العين باكية لم تشـبع النظر فأصـحاب هذا المقام بين روح و توح لأنّهم بين كشف و ستر يلمع ثمّ يقطع لا ـ يسـتقرّ لهم نور النّهـار حتى تكرّ عليهم عسـاكر اللّيـل، ثمّ الطوالع و هى أبقى وقتـا و أقوى سـلطانا و أدوم مكثـا و أذهب للظّلمة و أنقى للتّهمة.

و قـال عمرو بن عثمان المكّى: المشاهـدة أن تتوالى أنوار التّجلّى على القلب من غير أن يتخلّلها ستر و لا انقطاع كما لو قـدر اتصال البروق فى اللّيله المظلمة فكما أنّها تصير بذلک فى ضوء النّهار فكذلک القلب إذا دام له التّجلّى منع النّهار فلا ليل و انشدوا شعرا:

ليلى بوجهک مشرق و ظلامه فى النّاس سار

و النّاس فى سدف الظلام و نحن فى ضوء النّهار

و قال الشّارح البحرانى قوله عليه السّلام: و برق له لامع كثير البروق أشار باللاّمع إلى ما يعرض للسّالک عند بلوغ الارادة بالرّياضة به حدّ أما من الخلسات إلى الجناب الأعلى فيظهر له أنوار إلهيّة لذيذة شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه و اختفائه و تلک اللّوامع مسمّاة عند أهل الطّريقة أوقاتـا و كلّ وقت فانّه محفوف بوجـد اليه ما قبله و وجـد عليه ما بعـده لأنّه لما ذاق تلک اللـذّة ثمّ فارقها حصل فيه حنين و أنين الى ما فات منهـا، ثمّ إنّ هـذه اللوامع فى مبـدء الأـمر تعرض له قليلا فاذا أمعن فى الارتياض كثرت فأشار عليه السّلام، باللاّمع إلى نفس ذلک النّور و بكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان فى الرّياضة، انتهى.

و هو كما ترى محصّل ما قـدّمنا حكايته عن الشّيخ الرّئيس و مثل هـذه المقالات فى كتب المتصوّفـة كثير لكنها لم يرد بها خبر من الأئمة عليهم السّلام، مع أنّهم رؤساء السّالكين و أقطاب العارفين و نادر فى أخبارهم عليهم السّلام مثل هذا الكلام لأمير المؤمنين

عليه السّلام الّذى نحن فى شرحه، فانّما هو من المجملات و حملها على ما يوافق مذاق أهل الشّرع بأن يراد باللّوامع أنوار العلوم الحقّة و لوامع المعارف الالهيّة البالغة إلى مرتبة الكمال و مقام عين اليقين و ببروقها فيضانها عليه من الحضرة الأعلى أولى، و اللّه العالم بحقايق كلام وليّه.

و قوله عليه السّلام (فأبان له الطريق و سلك به السّبيل) أى أظهر ذلك البرق اللاّمع و أوضح له الطّريق المؤدّى إلى رضوانه و سلك به السّبيل المبلغ إلى جنانه و هو الطّريق المطلوب من اللّه تعالى الاهتداء إليه فى قوله: اهدنا الصّراط المستقيم قال الصّادق عليه السّلام فى تفسيره: يعنى أرشدنا للزوم الطّريق المؤدّى إلى محبّتك و المبلّغ إلى جنّتك و المانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بارائنا فنهلك.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام يعنى أدم لنا توفيقك الّذى أطعناك به فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا قال فى الصّافى: لمّا كان العبد محتاجا إلى الهداية فى جميع أموره آنا فانا و لحظة فلحظه فادامة الهداية هى هداية أخرى بعد الهداية الأولى فتفسير الهداية بادامتها ليس خروجا عن ظاهر اللفظ.

و فيه من معانى الأخبار عن الصّادق عليه السّلام هى الطريق إلى معرفة اللّه و هما صراطان صراط فى الدّنيا و صراط فى الاخرة فأمّا الصّراط فى الدّنيا فهو الامام المفترض الطّاعة من عرفه فى الدّنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذى هو جسر جهنّم فى الاخرة، و من لم يعرفه فى الدّنيا زلّت قدمه عن الصّراط فى الاخرة فتردى فى نار جهنّم.

قال الفاضل الفيض بعد نقله لتلك الأخبار: و مال الكلّ واحد عند العارفين بأسرارهم، و بيانه على قدر فهمك:

أنّ لكلّ إنسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبليّة باطنية فى الكمال و حركات نفسانيّة و طبيعيّة تنشؤ من تكرّر الأعمال و تنشؤ منها

المقامـات و الأحوال، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة و من خلق إلى خلق و من عقيـدة إلى عقيـدة و من حال إلى حال و من مقام إلى مقام و من كمال إلى كمال حتّى يتّصل بالعالم العقلى و المقرّبين و يلحق الملأ الأعلى و السابقين ان ساعده التّوفيق و كان من الكاملين، أو بأصـحاب اليمين إن كان من المتوسّطين أو يحشر مع الشياطين و أصحاب الشّمال إن ولاه الشيطان و قارنه الخذلان فى المال، و هذا معنى الصّـراط و المسـتقيم منه إذا سـلكه سالكه وصـله إلى الجنّة و هو ما يشـتمل عليه الشّـرع كما قال اللّه عزّ و جلّ «وَ إِنَّکَ لَتَهْدِی إِلی صِـراطٍ مُسْـتَقِیمٍ صِـراطِ اللّهِ » و هو صـراط التّوحيد و المعرفة و التّوسط بين الأضداد فى الأخلاق و التزام صوالح الأعمال، و بالجملة صورة الهدى الّـذى أنشأه المؤمن لنفسه ما دام فى دار الدّنيا مقتديا فيه بهدى إمامه و هو أدقّ من الشّـعر و أحدّ من السّـيف فى المعنى مظلم لا يهتدى إلاّ من جعل اللّه له نورا كما يمشى به فى الناس يسعى عليها على قدر أنوارهم، انتهى.

فـان قلت: إنّ العـارف إذا أحيا عقله و أمات نفسه فيكون واقعا قصـد على الطريق و سالكا للسّبيل البتّـة فما معنى قوله عليه السّـلام: فأبان له الطريق آه، فانّ ظاهره بمقتضى افادة الفاء للتّرتيب كون وضوحها و ظهورها و سلوكها مترتّبا على الاحياء و الاماتة.

قلت: و إن كان المكمّل لعقله و المجاهـد لنفسه سالكا سبيل الحقّ، لكن فى سـلوك هـذا السبيل احتمال خلجان الشكّ و طريان القواطع عن سلوكه بعروض الوساوس الشيطانيّة كما قال اللّه تعالى حكاية عنه «قالَ فَبِما أَغْوَيْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِیمَ ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْـدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَـمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ » و أمّا بعد ما أكمل عقله بعلم اليقين و أمات نفسه و اسـتنار قلبه بأنوار العلم و المعارف و تجلّى عليه اللّوامع الغيبيّـة و الألطاف الالهيّـة و بلغ فى الكمال إلى مرتبـة عين اليقين فانّه يشاهـد حينئذ بعين بصيرته الصراط المستقيم الّذى هو سبيل مقيم، و يكون مشيه و سلوكه فيه بذلک النّور الّذى تجلّى له كما قال تعالى «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ آمِنُوا »

«بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » و إذا كان سلوكه به فلا يضلّ و لا يشقى و لحق بالملاء الأعلى.

(و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة و دار الاقامة) الظاهر أنّ المراد بالأبواب مقامات العارفين و درجات السّالكين اللاّتى بعضها فوق بعض، و أراد بتدافعها إيّاه ترقيه من مقام إلى مقام و من درجة إلى درجة إلى أن ينتهى ترقّياته إلى مرتبة حقّ اليقين.

فوصل به الصراط الأقوم إلى باب اللّه الأعظم الّذى من دخل منه كان سالما فى الدّنيا من المعاطب و المهالک و من الزّيغ و الضّلال، و سالما فى الاخرة من الخزى و النّكال، و هو فى الحقيقة باب دار السّلام الموعود للمذّكّرين فى قوله «وَ هذا صِراطُ رَبِّکَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ » و المدعوّ إليه فى قوله «وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلى دارِ السَّلامِ وَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » أى دار السلامة الدّائمة من كلّ آفة و بليّة ممّا يلقاه أهل النار و العذاب.

و وصل به أيضا إلى دار الاقامة و هى دار المخلصين فى التّوحيد فى الدّنيا و المقيمين عليه و هم «اَلَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » و الجنّات المخصوصة فى الاخرة و هى «جَنّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ وَ قالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ اَلَّذِى أَحَلَّنا دارَ الْمُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ ».

قال فى التّفسير: جنّات عدن أى جنّات إقامة و خلد و هى بطنان الجنّة أى وسطها، و قيل: هى مدينة فى الجنّة فيها الرّسل و الأنبياء و الشهداء و أئمّة الهدى و الناس حولهم و الجنان حولها، و قيل: إنّ عدن أعلى درجة فى الجنّة و فيها عين التسنيم و الجنان حولها محدقة بها و هى مغطّاة من يوم خلقها اللّه حتّى ينزلها أهلها الأنبياء و الصدّيقون و الشهداء و الصالحون و من شاء اللّه.

(و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن و الرّاحة) يعنى أنّه بعد اندفاعه إلى باب السلامة و دار الاقامة الّتى هى مقرّ الأمن و الرّاحة استقرّ فيها، و ثبوت رجليه كناية عنه و حصل له برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة و هو منتهى سير السالكين و غاية غايات المريدين و آخر مقامات العارفين، و أعلى درجات المقرّبين.

و هو الّذى أشار إليه سيد الساجدين عليه السّلام فيما قدّمنا حكايته عنه عليه السّلام قريبا بقوله فى وصف العارفين: و طاب فى مجلس الانس سرّهم و أمن فى موطن المخافة سربهم و اطمأنّت بالرّجوع إلى ربّ الأرباب أنفسهم و تيقّنت بالفوز و الفلاح أرواحهم و قرّت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم و استقرّ بادراك السؤل و نيل المأمول قرارهم قال الشارح البحرانى: قوله: و ثبتت رجلاه آه إشارة إلى الطور الثانى للسالك فانّه ما دام فى مرتبة الوقت يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق فى سرّه اضطراب و قلق، لأنّ النفس إذا فاجاها أمر عظيم اضطربت و تقلقلت، فاذا كثرت تلك الغواشى ألقتها بحيث لا تنزعج عنها و لا يضطرب لورودها عليها البدن بل يسكن و يطمئنّ لثبوت قدم عقله فى درجة أعلى من درجات الجنّة الّتى هى قرار الأمن و الرّاحة من عذاب اللّه. انتهى.

و هو متفرّع على ما قدّمنا حكايته عن المتصوّفة فى شرح البروق اللاّمعة، و كلام السّجاد عليه السّلام غير خال عن الاشارة إليه.

و يجوز أن يراد بقرار الأمن و الرّاحة جنة الاخرة كما قال عليه السّلام فى الخطبة المأة و الثانية و التسعين فى وصف المتّقين: صبروا أيّاما قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسّرها لهم ربّهم.

و قال تعالى «أُوْلئِکَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقاماً » و قال «وَ الْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ » و قال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ اُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ » أى يقال لهم: ادخلوا الجنات بسلامة من الافات

ص:205

و براءة من المكاره و المضـرّات آمنين من الاخراج منها ساكنى النفس إلى انتفاء الضّـرر فيها قال الزّجاج: السلام اسم جامع لكلّ خير لأنّه يتضمّن السلامة و قول الملائكة ادخلوها بسلام بشارة لهم بعظيم الثواب.

و ذلک كلّه (بما استعمل قلبه و أرضى ربّه) أى حصول ذلک المقام العالى و نيل تلک الكرامات العظيمة له إنّما هو بسبب استعمال قلبه فى الـذّكر و التفكر فى اللّه و إرضـائه لرّبه بالمجاهـدة و الرّياضـات و الملازمـة على الطاعات و القربات، بل خلوّه عن الارادات و المرادات فى جميع الحالات و جعل رضاه تابعا لرضى مولاه لا يشاء شيئا إلاّ أن يشاء اللّه.

فينادى من عنـد ربّ العزّة بنداء «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ اِرْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي » و يدخل فى حزب من قال تعالى فيهم «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذلِکَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » «دَعْواهُمْ فِيها سُبْحانَکَ اللّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ».

الترجمة

از جمله كلام آن امام عاليمقام است عليه الصلاة و السلام در وصف عارف بحق مى فرمايد:

بتحقيق زنـده كرده است او عقل خود را، و كشـته است نفس خود را تا اين كه ضـعيف و تحيف شده أعضاى بزرک او، و لطافت پيدا نموده اجزاى درشت او، و برق زده بقلب او نور ساطعى كه بغايت برّاقست، پس ظاهر گردانيـده آن نور از براى او راه حق را، و راه رفته بروشـنى او در راه حق، و دفع كرده او را درهاى فضل و كرامت بسوى در سـلامت و خانـهٔ خلود و اقامت، و محكم شـده پاهاى او با اطمينان و آرامى بدن او در قرارگاه ايمنى و استراحت بسبب استعمال قلب خود در تفكر و معرفت، و راضى نمودن پروردگار خود را با جهاد نفس و مواظبت

طاعت و عبادت.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان و التاسع عشر من المختار فى باب الخطب

اشارة

بعد تلاوة ألهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر، و رواه فى البحار من كتاب عيون الحكم و المواعظ لعلىّ بن محمّد الواسطى مرسلا كما فى المتن، و شرحه فى فصول:

الفصل الاول

اشارة

يا له مراما ما أبعده، و زورا ما أغفله، و خطرا ما أفظعه، لقد استخلوا منهم أىّ مذّكّر، و تناوشوهم من مكان بعيد، أ فبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجسادا خوت، و حركات سكنت، و لأن يكونوا عبرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا، و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّة، أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزّة، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة، و ضربوا منهم فى غمرة جهالة. و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدّيار الخاوية، و الرّبوع الخالية، لقالت: ذهبوا فى الأرض ضلاّلا، و ذهبتم فى أعقابهم جهّالا، تطئون

فی هامهم، و تستنبتون فی أجسادهم، و ترتعون فیما لفظوا، و تسکنون فیما خرّبوا، و إنّما الأیّام بینکم و بینهم بواک و نوائح علیکم، أولئکم سلف غایتکم، و فرّاط مناهلکم، الّذین کانت لهم مقاوم العزّ و حلبات الفخر ملوکا و سوقا سلکوا فی بطون البرزخ سبیلا، سلّطت الأرض علیهم فیه، فأکلت من لحومهم، و شربت من دمائهم، فأصبحوا فی فجوات قبورهم جمادا لا ینمون، و ضمارا لا یوجدون، لا یفزعهم ورود الأهوال، و لا یحزنهم تنکّر الأحوال، و لا یحفلون بالرّواجف، و لا یأذنون للقواصف، غیّبا لا ینتظرون، و شهودا لا یحضرون، و إنّما کانوا جمیعا فتشتّتوا، و آلافا فافترقوا، و ما عن طول عهدهم و بعد محلّهم عمیت أخبارهم، و صمّت دیارهم، و لکنّهم سقوا کأسا بدلتهم بالنّطق خرسا، و بالسّمع صمما، و بالحرکات سکونا، فکأنّهم فی ارتجال الصّفة صرعی سبات.

اللغة

(الزّور) بفتح الزّاء و سکون الواو اسم یطلق علی الواحد و الجمع کالضّیف فیراد به الزّائر و الزّائرون و کذلک الزّور بضمّ الزّاء و فتح الواو و (الخطر) محرّکة الأشراف علی الهلاک و (أیّ مذّکر) بصیغة اسم الفاعل من

التّذكير و فى بعض النّسخ أى مدّكر مصدر ميمّى من الادكار و أصله مدتكر قلبت تاؤه دالا و ادغم و (خوت) الدّار و خويت خيّا و خواء و خواية تهدّمت و خلت من أهلها، و أرض خاوية خالية من أهلها، و الخوا بالقصر و المدّ خلو الجوف من الطعام.

و (الجناب) بفتح الجيم الفناء و (الحجى) العقل و الفطنة و هو حجى كفتى أى جدير و (العشوة) كالعشا مقصورة و العشاوة سوء البصر باللّيل و (ضرب) فى الماء سبح و ضرب فى الأرض سار قال تعالى «إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ » و (غمرة) الشىء شدّته و معظمه و غمر الماء كثر و الغمر معظم البحر و (العرصة) كلّ بقعة من الدّور واسعة ليس فيها بناء و الجمع عرصات و أعراص و عراص و (الرّبوع) جمع الرّبع و هى الدار حيث كانت و المحلّة و المنزل و (الهام) جمع الهامة و هى الرّاس.

و (تستنبتون) بالنون من النبات و يروى بالثاء المثلّثة بدل النون و (لفظه) رماه من فيه و (السّلف) محرّكة كلّ من تقدّمک من آبائک و أقوامک و غيرهم و الجمع أسلاف و سلاف و (الغاية) الحدّ الّذى ينتهى إليه الشىء و (الفرط) محرّكة المتقدّم إلى الماء يطلق على الواحد و الجمع و (المنهل) المشرب و الموضع الّذى فيه المشرب و المنزل يكون بالمفازة.

و (المقاوم) المقامة كالمفاوز و المفازة و هى المجلس و قال الشارح المعتزلى جمع القوم و هى الخشبة الّتى يمسكها الحرّاث و (حلبات) جمع حلبة كعرصات و عرصة و هى الخيل تجمع للسباق من كلّ أوب لا تخرج من اصطبل واحد و (سوق) وزان صرد جمع سوقة بالضمّ الرّعية و (الفجوات) جمع فجوة و هى الفرجة و ساحة الدّار و (لا ينمون) بتخفيف الميم من نمى ينمى و ينمو نموّا و نميّا و نماء زاد و يروى بالتشديد من النّميمة و (الضّمار) وزان كتاب كلّ ما لا يرجى رجوعه من المال و الدّين و غيره.

و (حقل) القوم حفلا كاحتفل و تحفّل اجتمعوا و (اذن) إليه و له من باب علم استمع معجبا و (الآف) جمع آلف مثل زهّاد و زاهد و (ارتجل) الكلام تكلّم

ص:209

به من غير أن يهيّأه و (صرعى) جمع صريع و هو المصروع من الصّرع و هو الطرح على الأرض و (السّبات) كغراب النوم.

الاعراب

قوله عليه السّلام: يا له مراما ما أبعده، النّداء للتّعجب دخل على المتعجّب منه فانّ هذا النداء إنّما يستعمل فى مقامين:

أحدهما أن يرى المتكلّم أمرا عظيما عجيبا فينادى جنسه كقولهم يا للماء و للدّواهى إذا تعجّبوا من كثرتهما.

و الثانى أن يرى أمرا يستعظمه، فينادى من له نسبة إليه و مكنة فيه نحو يا للعلماء و غلب فى المنادى المتعجّب منه جرّه باللاّم كما فى المنادى المستغاث و قد يستغنى عنها بالألف مثل يا عجبا.

و الضمير فى له مبهم يفسّره التّميز بعده، و هذا من جملة المواضع التى جوّزوا فيها عود الضمير على المتأخّر لفظا و رتبة كما فى نعم رجلا زيد، فانّ فاعل نعم ضمير يفسّره رجلا و كذلک قوله تعالى «ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ » و «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ » و قال الزّمخشرى فى قوله تعالى «إِنْ هِيَ إِلاّ حَياتُنَا الدُّنْيا » هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلاّ بما يتلوه، و أصله إن الحياة إلاّ حياتنا الدّنيا، ثمّ وضع هى موضع الحياة لأنّ الخبر يدلّ عليها و يبيّنها.

و مراما منصوب على التّميز كما أشرنا إليه و هو رافع للابهام عن الضّمير مقدّر فى المعنى بمن أى ياله من مرام، و جملة ما أبعده صفة لمراما، و ما فيها للتعجّب مبتدأ خبره أبعده كما فى قولهم ما أحسن زيدا قال سيبويه: هى نكرة تامّة بمعنى شىء لتضمّنها معنى التعجّب و ما بعدها من الجملة الفعليّة خبر و قال الفرّاء إنّها استفهاميّة و هو المنقول عن الكوفيين و هو موافق لقولهم باسميّة افعل لأنّ الاستفهام المشوب بالتّعجب لا يليه إلاّ الأسماء نحو «ما أصحاب اليمين» و «مالى لا أرى الهدهد» قوله: و زورا ما أغفله، مأخوذ من فعل مفتوح العين من باب قعد و لكن بعد نقله إلى فعل مضموم العين لتصريح علماء الأدبيّة بأنّ فعل التعجّب لا يبنى إلاّ من

فعل مضـموم العين فى أصل الوضع أو من المنقول إلى فعل إذا كان من غيره نحو ما اضرب و ما اقتل ليدلّ بذلک على أنّ التعجّب منه صار كالغريزة لأنّ باب فعل موضوع لهذا المعنى.

و قوله: أىّ مـذّكر، بنصب أىّ لكونها حالا من ضـمير منهم كما فى قولک مررت بزيـد أىّ رجل أى كاملا فى الرّجوليّـة و قوله: أفى مصارع آبائهم الاستفهام للتّوبيخ و الانكار، و قوله: يرتجعون منهم أجسادا الجملة لا محلّ لها من الاعراب لأنّها استيناف بيانىّ.

و قوله: الّـذين كـانت لهم مقـاوم العزّ، الجملـة فى محـلّ الرّفع صـفة لفرّاط و لهم خبر كانت قـدّم على الاسم للتوسّع و قوله: ملوكا و سوقا منتصبان على الحال من لهم، و جمادا و ضمارا حالان من ضمير أصبحوا إن كانت تامّة و إلاّ فخبران لها و قوله: طول عهدهم، متعلّق بقوله: عميت، و قدم عليه للتوسّع

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام مسوق فى مقام الموعظة و النصيحة و ايقاظ المخاطبين من سبات الغفلة، و خصّهم على الاعتبار بالماضين من الاباء و الأسـلاف و الأقربـاء و الالاـف و الأوكـار بأهـل المقـابر حيث نزلوا من معاقل العزّ و ذروة القصور إلى وهـدة القبور فعميت عنهم الاثار و انقطعت عنهم الأخبار.

قاله عليه السّلام بعد تلاوة قوله تعالى: «أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ حَتّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ »، أى شغلكم التفاخر فى الكثرة و التّغالب بها.

و ذكر المفسّرون فى تفسيره وجهين:

الأوّل أنّ المراد به التّكاثر بالعدد روى انّ بنى عبد مناف و بنى سهم بن عمر و تفاخروا و تعادّوا و تكاثروا بالسّادات و الأشراف، فقال كلّ من الفريقين:

نحن أكثر منكم سيّدا و أعزّ عزيزا و أعظم نفرا، فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم:

انّ البغى أفنانـا فى الجاهليّـة فعـدّوا مجموع أحيائنـا و أمواتنـا مع مجموع أحيـائكم و أمواتكم، ففعلوا فكثرهم، فنزلت الايـة و المعنى أنّكم تكاثرتم بالأحياء

حتّى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى التّفاخر و التكاثر بالأموات فعبّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكّما بهم، و قيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون:

هذا قبر فلان و هذا قبر فلان يفتخرون بذلک.

الوجه الثانيأنّ المراد به التكاثر بالمال، و المعنى ألهيكم التكاثر بالأموال و طلب تكثيرها و الحرص على جمعها إلى أن متّم و قبرتم مضيّعين أعماركم فى طلب الدّنيا معرضين عمّا يهمّكم من السعى للاخرة فتكون زيارة القبور كناية عن الموت.

و على كلا الوجهين فالاية واردة فى مقام التّوبيخ و التقريع على التكاثر، و حذف متعلّق ألهيكم ليذهب الوهم و الخيال فيه كلّ مذهب، فيعمّ جميع ما يحتمله المقام من الالهاء عن ذكر اللّه و عن الواجبات و المندوبات فى المعرفة و الطاعة و التدبّر و التّفكر، و محصّله إلهاء التكاثر بالأمور الدّنيويّة عن الأمور الدّينية و الأخرويّة.

و ربّما ايّد الوجه الثانى بما روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه تلا هذه السّورة فقال: يقول ابن آدم مالى مالى و مالک من مالک إلاّ ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت.

و يدلّ على الأوّل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام هنا لانكاره عليهم التكاثر بعديد الهلكى و التفاخر بمصارع الاباء و تعجّبه من التكاثر و التفاخر مزيد التعجّب بقوله (يا له مراما ما أبعده) و فيه من الدلالة على المبالغة فى التعجّب ما لا يخفى، حيث أتا بنداء التعجّب أولا و بلام التعجّب ثانيا، و بالضمير المبهم المفسّر بما بعده لوقعه فى النفوس ثالثا و بماء التعجّب رابعا و بأفعل التعجّب خامسا و المعنى يا عجبا من مرام هو من البعد بمكان، و بالغ فى التعجّب به غايته.

و المراد بالمرام هو ما كان مقصدهم من التفاخر من إثبات الفخر و المنقبة لأنفسهم و لو بعدد الأموات، فبيّن عليه السّلام أنّ ذلک المرام بعيد جدّا، لأنّ الفخر بالميّت كالفخر بالجماد فى جنب الانسان فحصوله به غير ممكن و طلبه تحصيل لما يتحصّل، و ما شأنه ذلک فهو أحرى بأن يتعجّب منه.

و بعـد التنزّل عن ذلک نقول: إنّ التفاخر إنّما يكون باثبات الانسان نوعا من أنواع الكمال لنفسه و خيال الكمال ثلاثـة: أحـدها فى النفس، و الثانى فى البدن و الثالث فيما له ربط بالبدن من خارج أما الذى فى النفس فهى العلوم و المعارف و الأخلاق الفاضـلة الّتى بها تنال السّعادة الأبديّة.

و أمّا الّذى فى البدن فهى الصحّة و الجمال.

و أمّا الّذى له ربط بالبدن فقسمان: أحدهما ضرورىّ و هو المال و الجاه، و الاخر غير ضرورىّ و هو القوم و الأقرباء، و هذا الّذى عدّدناه فى المرتبة الثالثة إنّما يراد كلّه للبدن بدليل أنّه إذا تألّم عضو من أعضائه يجعل المال و الجاه فداء له، و أمّا الكمال البدنى من الصّحة و السلامة من الافـات فانّما يريـده العقلا للنّيل به إلى الكمال النفسانى فانّه ما لم يكن صـحيح البـدن لا يتفرّغ لاكتساب الكمال النفسانى المحصّل للسعادة الدّائمة.

إذا عرفت ذلک فنقول: العاقل ينبغى أن يكون دائما نظره إلى الأهمّ و الأفضل و يقـدّمه على غيره، فالتّفاخر بكثرة العدد و كذا بالمال و الجاه تفاخر بأحسن مراتب الكمال و مانع من تحصـيل السـعادة النفسانيّة بالعلم و العمل، فيكون ذلک ترجيحا لأحسن المراتب فى الكمال على أشرفها و أفضلها و هو مورد التّعجّب.

و قوله (و زورا ما أغفله) و الكلام فى إفادته للمبالغة كالكلام فى سابقه.

و المراد بـالزّور الزائرون للمقابر المتفاخرون بهم و التّعجب من غفلتهم لجعلهم الأموات الّتى هى محلّ الاعتبار مناطا للافتخار و موضـع العبرة عددا للكثرة غافلين عن الصّواب معرضين عمّا ينفعهم فى المآب.

و فيه أيضا من الدّلالـة على تماديهم فى الغفلة ما لا يخفى، لاشتراطهم فى فعل التعجّب أن لا يبنى إلاّ ممّا وقع و اسـتمرّ حتّى يسـتحقّ أن يتعجّب منه، و يضاف إلى ذلک ما قدّمناه من اشتراطهم أيضا بنائه من فعل مضموم العين ليدلّ على أنّ المتعجّب منه صار كالغريزة.

و قوله (و خطرا ما أفظعه) و الكلام فيه كما فى سابقيه.

و المراد بالخطر الهلاک هلاک من فی المقابر المشار إلیه بقوله تعالی «زُرْتُمُ الْمَقابِرَ » و أشار علیه السّلام بقوله: ما أفظعه إلی شدّة شناعته و غایـة قباحته، لأنّ کلّ شـنیع حقیر عند شـناعة الموت، فانّ المرء عند الموت و حالة الاحتضار فی سـکرة ملهیة و غمرة کارثة و أنّه موجعة و جذبة مکربة و سوقة متعبة، و هو بین أهله لا ینطق بلسانه و لا یسـمع بسمعه یردّد طرفه بالنظر فی وجوههم یری حرکات ألسنتهم و لا یسمع رجع کلامهم، ثمّ قبض بصـره کما قبض سمعه و بعد ما خرج الرّوح من جسده صار جیفة بین أهله قد أوحشوا من جانبه و تباعدوا من قربه، ثمّ حمـل إلی دار غربته و منقطع زورته، و ابتلی هنـا لک ببهتـة السؤال و عثرة الامتحان متقلّبا بین أطوار الموتات و عقوبات الساعات و نزل الحمیم و تصلیة الجحیم، فأیّ شیء یکون أعظم فظاعة منه.

و لمّا نبه علیه السّلام علی عظم فظاعة هلاک المزورین تعریضا به علی الزّائرین حیث لم یعتبروا بهم مع کونهم محلّ العبرة أکّده بقوله:

(لقد اسـتخلوا منهم أیّ مذّکر) أی استخلوا الدّیار، فالمفعول محذوف و المعنی أنّ الزّائرین المتفاخرین بالأموات وجدوا الدّیار خالیة منهم أی من المزورین حالکونهم کاملین فی التّذکیر و الادکار و هذا المعنی أقرب و أنسب ممّا ذکره الشارح المعتزلی حیث قال: أراد باسـتخلوا ذکر من خلاـ من آبـائهم أی من مضـی، و المعنی أنّه علیه السّلام اسـتعظم مـا یوجبه حـدیثهم عمّا خلا و عمّن خلا من أسـلافهم و آثار أسلافهم من التّذکیر فقال أیّ مذّکر و واعظ فی ذلک.

(و تناوشوهم من مکان بعید) أی تناولوهم من مکان بعید بینهم و بینهم بعد المشرقین بل یزید لبقاء المتناوشین فی الدّنیا و مصیر الاخرین إلی الاخرة فکیف یمکن لمن فی الـدّنیا تناول من فی الاخرة و تفاخره به و کسب الفخر و الشـرف منه لنفسه و قد قال تعالی فی عکس ذلک «وَ أَنّی لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَکانٍ بَعِیدٍ » أی کیف یمکن لهم تناول الایمان فی الاخرة و قد کفروا به فی الدّنیا، یعنی ما محلّه الدّنیا لا یمکن أن یتناوله من هو فی الاخرة لغایة بعد الدّارین و تباعد النّشأتین.

ص:214

و لمّا ذكر تناوشهم من مكان بعيد تعريضا به عليهم أردفه بقوله (أ فبمصارع آبائهم يفخرون) تقريعا و توبيخا، و أكدّ بقوله (أم بعديد الهلكى يتكاثرون) انكارا.

و لما كان هنا مقام أن يسأل عن علّة إنكاره للتكاثر الهلكى وجهة تقريعه و توبيخه لهم به أجاب عن ذلك بقوله (يرتجعون منهم أجسادا) يعنى استحقاقهم للتّوبيخ و الملام من جهة أنّهم يطلبون من الهلكى رجوع أجسادهم إلى الدنيا و هو طلب غير عقلانى لأنّ تلك الأجساد قد (خوت) أى خلت من الأرواح و ارتفعت عليها الحياة فرجوعها إلى الدّنيا محال و طالب المحال يعدّ فى زمرة السفهاء و يستحقّ الطعن و التعزير و الانكار.

فان قلت: ما معنى ارتجاعهم للأجساد؟ قلت: إنّهم حيث تكاثروا بالأموات و تفاخروا بهم فكأنّهم طلبوا منهم أن يرجعوا إلى الدّنيا و يدخلوا فى حزبهم فيكثر بهم عددهم و يتمّ به فخرهم و شرفهم.

(و) يطلبون أيضا رجوع (حركات سكنت) أى يرتجعون من الأموات حركات أبدانهم ليتحرّكوا إليهم و يدخلوا فى زمرتهم، و هو أيضا طلب للمحال لأنّ تلك الحركات قد فنت و نفدت و تبدّلت بالسّكون بطروّ الموت عليها و ما هو كذلك فلا يطلبه العاقل.

ثمّ أكّد التّوبيخ بقوله (و لأن يكونوا عبرا أحقّ من أن يكونوا مفتخرا) لأنّ مقامهم مقام الاعتبار لا مقام الافتخار (و لأن يهبطوا بهم جناب ذلّة أحجى) و أجدر (من أن يقوموا بهم مقام عزّة) لأنّهم بأنفسهم فى بيت الوحدة و دار الوحشة على غاية الابتذال و الذّلّة صار و اعظاما نخرة و أجزاء متفتّتة و جيفا منتنة يهرب منها الحيوان و يتنفّر منها كلّ انسان و يكرهها لشدّة الانتان بل صاروا أوراثا فى أجواف الدّيدان، و من هذا حاله فينبغى أن يهرب منه و يتنفّر لا أن يتعزّز به و يفتخر، بل ينبغى أن يدفع قرابته و تنكر لأنّ النّسبة إليه تورث الذّلّة و تبطل العزّة بجلب الابتذال و الانكسار لا الشرف و الافتخار.

ص:215

(لقـد نظروا إليهم بأبصار العشوة) أى بأبصار مريضـة و لـذلک خفيت عليهم معايبهم (و ضـربوا منهم فى غمرة جهالـة) أى خاضوا من ذكر هؤلاء الموتى فى بحر الجهل و الغفلة و لذلک افتخروا بمصارعهم.

(و لو اسـتنطقوا عنهم عرصات تلک الدّيار) أى ديارهم (الخاوية) منهم (و الرّبوع) أى منازلهم (الخالية) عنهم (لقالت) بلسان حالها (ذهبوا فى الأرض ضـلاّلا) هالكين (و ذهبتم فى أعقابهم جهّالا) غافلين (تطئون فى هامهم) أى تمشون فى رؤوسـهم، و تخصيصـها بالذّكر لأنّها أشـرف الأعضاء و الوطئ عليها أبلغ فى إظهار اسـتهانتهم المنافية للمفاخرة بهم المسوق له الكلام، و قد أخذ أبو العلاء المعرّى هذا المعنى فى نظمه قال:

خفّف الوطئ ما أظنّ اديم الأرض إلاّ من هذه الأجساد

ربّ لحد قد صار لحدا مرارا ضاحک من تزاحم الأضداد

و دفين على بقايا دفين من عهوده الاباء و الأجداد

صاح هذا قبورنا تملاء الأرض فأين القبور من عهد عاد

سران استطعت فى الهواء رويدا لا اختيالا على رقاب العباد

(و تسـتنبتون فى أجسـادهم) أى تنبتون فيها النباتات و تزرعون الزّراعات لأنّ أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبـدان الأموات يكون الزّرع لا محالة فى التّراب المستحيل من أجزاء الحيوانات، و على رواية تستثبتون بالثّاء فالمراد أنّكم تنصبون فى أجسادهم الأشياء المثبتة من الأوتاد و الدّعائم و الأساطين و غيرها.

(و ترتعون فيما لفظوا) أى تأكلون ممّا تركوا(و تسكنون فيما خرّبوا)أى تسكنون فى بيوت ارتحلوا عنها و فارقوها، فانّ البيوت إنّما تكون عامرة بأهلها، فالتخريب كنايـة عن الارتحال أو المراد أنّهم لم يعمروها بالعبادة و الطاعات و قد فسّرت العمارة فى قوله تعالى«إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ »بذلک قالوا: عمارتها شغلها بالعبادة و تجنّب أعمال الدّنيا و اللّهو و إكثار زيارتها.

ص:216

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه تعالى: «إنّ بيوتى فى الأرض المساجد و إنّ زوّارى فيها عمّارها فطوبى لعبد تطهّر فى بيته ثمّ زارنى فى بيتى فحقّ على المزور أن يكرم زائره».

(و إنّما الأيام بينكم و بينهم بواك و نوائح عليكم) يعنى الأيام و اللّيالى الّتى بينكم و بين الأموات و هى بقيّة زمان حياتكم و تحدوكم لالتحاقكم بهم تبكى و تنوح عليكم لمفارقتها إيّاكم.

(اولئكم سلف غايتكم) أى المتقدّمون إلى الموت الّذى هو غايتكم و غايتهم لانتهاء كلّ ذى روح إليها (و فرّاط مناهلكم) أى سابقوكم إلى مشارب الاخرة و منازلها و ردّوا إليها فشربوا من كأس الموت المصبّرة و تجرّعوا من نغب سهام الاخرة و غصص أقداح البرزخ جرعة بعد جرعة.

(الّذين كانت لهم مقاوم العزّ) أى مجالسه(و حلبات الفخر)أى خيل السّباق و الصافنات الجياد الّتى يفتخر بها، و يحتمل أن تكون حلبات الفخر استعارة عن أسباب الفخر الّتى توجّهت إليهم من كلّ جهة كما تجمع الحلبات من كلّ اوب (ملوكا و سوقا) أى بعضهم سلاطين و بعضهم رعايا.

(سلكوا فى بطون البرزخ سبيلا) قال الشارح المعتزلى البرزخ الحاجز بين الشيئين و البرزخ ما بين الدّنيا و الاخرة من وقت الموت إلى البعث فيجوز أن يكون البرزخ فى هذا الموضع القبر لأنّه حاجز بين الميّت و بين أهل الدّنيا، و يجوز أن يريد به الوقت الّذى بين حال الموت إلى حال النشور، و الأوّل أقرب إلى مراده عليه السّلام لأنّه قال: فى بطون البرزخ و لفظة البطون يدلّ على التفسير الأوّل، انتهى.

أقول أمّا أنّ البرزخ بمعنى الحاجز فعليه قوله تعالى «بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ » و أمّا أنّه من حين الموت إلى وقت البعث فعليه قوله تعالى «وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ».

و أمّا كونه بمعنى القبر فيدلّ عليه ما فى البحار عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام أنّه تلا هذه الاية و قال: هو القبر، و انّ لهم فيه لمعيشة ضنكا، و اللّه إنّ القبر

لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، و فى مجمع البحرين فى حديث الصادق عليه السّلام البرزخ القبر و هو الثواب و العقاب و بين الدّنيا و الاخرة.

و أما أنّ المراد بالبرزخ هنا القبر فيؤيّده ما روى عن بعض النسخ من بطون القبور بدل بطون البرزخ.

و أما تأييد إرادته بلفظة البطون كما زعمه الشارح فلا، بل دلالتها على المعنى الثانى أظهر، إذ لو أراد الأوّل لكان الأنسب أن يقال فى بطن البرزخ بصيغة المفرد و إن كان يمكن تصحيحه بجعل اللاّم فى البرزخ للجنس و لعلّ نظر الشارح إلى أنّ البرزخ بالمعنى الثانى ليس له بطن بخلاف القبر. و يدفعه أنّ بطن كلّ شىء جوفه و ما خفى منه فيراد ببطون البرزخ على المعنى الثانى ما خفى علينا و احتجب عنّا نشاته و حالاته.

و كيف كانشبّه مكثهم فى البرزخ إلى حين البعث الّذى هو غايتهم بمن سلك طريقا يسلك به إلى منزله، فاستعار عليه السّلام له لفظ السّلوك.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى بعض حالاتهم البرزخيّة فقال (سلطت الأرض عليهم فيه) أى فى البرزخ(فأكلت لحومهم و شربت من دمائهم)نسبة الأكل و الشرب إلى الأرض من باب المجاز و الاستعارة، فانّ المأكول و المشروب يصيران جزء من بدن الاكل الشّارب، فحيث إنّ أبدانهم فى البرزخ تصير بعد البلى ترابا و تنقلب بالأجزاء الأرضيّة فكان الأرض كانت لهم آكلة شاربة.

(فأصبحوا فى فجوات قبورهم جمادا لا ينمون) أى صاروا فى فرج القبور بمنزلة الجماد الّذى لا ينمو و لا يزيد لبطلان حياتهم بالموت، و النّموّ و الزّيادة من توابع الحياة(و ضمارا لا يوجدون)كناية عن كونهم غيّبا لا يرجى رجوعهم.

(لا يفزعهم ورود الأهوال) أى لا يخافون من توارد أهاويل الدّنيا و أفزاعها عليهم لخروجهم منها و كونهم من أهل العالم الاخر (و لا يحزنهم تنكّر الأحوال) أى تقلّب الحالات الدنيويّة و تغيّراتها الموجبة لحزن أهلها.

ص:218

(و لا يحفلون بالرّواجف) أى لا يجتمعون بالزّلازل و لا يبالون بها، و لعلّه كناية عن عدم مبالاتهم بالدّواهى الدّنيويّة الموقعة فى الاضطراب (و لا يأذنون للقواصف) أى لا يصغون إلى الأصوات الشديدة الهايلة كصوت الرّعد و الأعاصير و غيرها.

(غيبا لا ينتظرون) أى لا ينتظر النّاس عودهم (و شهودا لا يحضرون) أى شاهدين صورة حاضرين بالأبدان غير حاضرين حقيقة لغيابهم بالأرواح (و إنّما كانوا جميعا فتشتّتوا) و كانوا مجتمعين فتفرّقوا (و الآفا فافترقوا) أى مؤتلفين فافترقوا بالموت كما قال الشّاعر:

و كنّا باجتماع كالثّريّا ففرّقنا الزّمان بنات نعش

(و ما عن طول عهدهم) و زمانهم (و) لا (بعد محلّهم) و مكانهم (عميت) أى خفيت (أخبارهمو صمّت ديارهم)إسناد الصّمم إلى الدّيار من التّوسع كما فى قولهم: سال الميزاب و جرى النّهر.

و المراد أنّ خفاء أخبارهم عن الأحياء ليس من جهة طول العهد و بعد المكان بين الطرفين، و كذلک صمم ديارهم أى قبورهم و مزارهم حيث لا تجيب داعيا و لا تكلّم مناديا ليس من جهة عدم وصول ندائهم و بلوغ أصواتهم إليها ببعد المسافة (و لكنّهم سقوا كأسا) اليؤس للتفخيم أى كأسا و بيئة فيها سمّ ناقع شديد المرارة عظيم التّأثير و هى كأس الموت (بدّلتهم بالنطق خرسا) فلا يستطيعون أن يجيبوا داعيا و لا أن يخبروا عن حالهم و (بالسّمع صمما) فلا يقدرون أن يستمعوا مناديا و يردّوا جواب كلامه (و بالحركات سكونا) أى حركات الألسنة و الصماخ و ساير الأعضاء و الجوارح سكونها، فعجزوا عن التّكلّم و الاصغاء و عن الحركة و السّعى إلى الاحياء و عن ايصال أحوالهم إليهم.

(فكأنّهم فى ارتجال الصّفة صرعى سبات) يعنى إذا وصفهم واصف مرتجلا بلا سبق تأمّل و رويّة شبّههم بمصروعى سبات أى يقول إنّهم سقطوا فى الأرض للنّوم فانّ النّوم و الموت أخوان و لا شىء أشدّ شباهة من النّائم بالميّت و لا من

المیّت بالنّائم.

و قد أخذ الماتن الشریف أبو الحسن الرّضی معنی الفقرات الأخیرة فی نظمه حیث قال:

و لقد حفظت له فأین حفاظه و لقد وفیت له فأین وفاؤه

أدعا الدّعاء فلم یجبه قطیعة أم ضلّ عنه من البعاد دعاؤه

هیهات أصبح سمعه و عیانه فی التّرب قد حجبتهما اقذاؤه

یمسی و لین مهاده حصباؤه فیه و مونس لیله ظلماؤه

قد قلّبت أعیانه و تنکّرت أعلامه و تکشّفت أضواؤه

معف و لیس للذّة إعفاؤه مغض و لیس لفکرة أغضاؤه

و البیت الأخیر مأخوذ من آخر کلامه علیه السّلام و هو قوله: صرعی سبات

الترجمة

از جمله کلام بلاغت و فصاحت نظام آن امام رفیع المقامست بعد از تلاوت آیهٔ مبارکهٔ ألیهکم التّکاثر حتّی زرتم المقابر.

مرویست از مقاتل و کلبی که بنی عبد مناف و بنی سهم بر یکدیگر تفاخر کردند بکثرت مردم قبیله و هر یکی گفتند که مردمان ما بیشترند و سادات و أشراف در میان ما زیادتر، چون تعداد مردمان یکدیگر کردند و همه را شمردند بنی عبد مناف غالب آمدند، بنی سهم گفتند بسیاری از مردمان ما را در زمان جاهلیت کشتند باید مرده و زندهٔ قبیلهٔ طرفین را بشماریم، چون بدین نوع شمردند بنی سهم زیاد آمد، حق سبحانه و تعالی در مذّمت ایشان سوره تکاثر را نازل ساخت، و فرمود «أَلْهاکُمُ التَّکاثُرُ » یعنی مشغول کرد شما را مفاخرت بر یکدیگر به بسیاری قبیله «حَتّی زُرْتُمُ الْمَقابِرَ » تا این که گورستانها را زیارت کردید یعنی از زندگان گذشتید و مردگان را بشمار آوردید حضرت أمیر مؤمنان بعد از تلاوة این آیه فرمودند.

أی بسا تعجّب أز مقصودی که چه قدر دور است آن، و از زیارت کنندهٔ

قبوری که چه اندازه با غفلتست آن، و از هلاکتی که بسیار زشت و شنیع است آن، بتحقیق که خالی یافتند شهرها را از ایشان در حالتی که کامل یاد آورنده بودند و تناول کردند ایشان را از مکان دوری، پس آیا به مکانهای افتادن و مردن پدران خود فخر می کنند، یا بشمارهٔ هلاک شدگان اظهار کثرت می نمایند، طلب برگشتن می کنند از ایشان بدنهائی را که افتاده اند بزمین، و حرکاتی را که مبدل شده بسکون، و هر آینه اگر شوند آن هلاک شدگان مایهٔ عبرت ایشان سزاوارتر است از این که شوند مایهٔ مفاخرت ایشان، و اگر نزول کنند بسبب ایشان در ناحیهٔ حقارت خردمندانه تر است از این که بایستند بسبب ایشان در مقام عزّت، بتحقیق که نگاه کردند بسوی ایشان بدیدهای معیوب شب کور، و سیر کردند از ایشان در دریای جهالت.

و اگر استنطاق نمایند از حال ایشان عرصه های این شهرهای خراب شده و منزلهای خالی از سکنه را هر آینه می گویند آن عرصه ها بزبان حال که رفتند ایشان در زیر زمین در حالتی که گمراهان بودند، و رفتید شما در عقب ایشان در حالتی که بودید کام می گذارید در کلّه های سر ایشان، و نباتات می رویانید در جسدهای ایشان، و چرا می کنید در چیزی که ایشان انداختند، و ساکن می شوید در مکانی که ایشان خراب کردند، و جز این نیست که روزها میان شما و میان ایشان گریه کنندگان و نوحه کنندگانند بر شما، ایشان پیش روندگان مقصد شمایند و پیش رفتگان منزلگاه شما آن چنان اشخاصی که بود از برای ایشان مقامها یا قائمه های عزّت و اعتبار، و مایه های مفاخرت و افتخار، در حالتی که پادشاهان و رعایا بودند.

راه رفتند در شکمهای عالم برزخ، مسلّط کردیده شد زمین بر ایشان در آن برزخ قبر، پس خورد از گوشتهای ایشان و آشامید از خونهای ایشان، پس صباح کردند در شکافهای قبرهای خودشان در حالتی که جمادی بودند که نموّ نمی کردند، و غایبی بودند که امید مراجعت ایشان نبود، نمی ترساند ایشان را

وارد شـدن خوفهـای دنیا، و غمگین نمی سازد ایشان را تغیّر و انقلاب حالات دنیا، و مجتمع نمی شونـد بسـبب خوف زلزلها و گوش نمی دهند آوازهای سخت و مهیب دنیا را، غایبانی باشند که انتظار کشیده نمی شوند، و حاضرانی باشند که حاضر نمی شوند.

و جز این نیست که بودنـد مجتمع با یکـدیگر پس متفرّق شدنـد، و با الفت بودنـد پس جـدا گشـتند، و نه از جهت طول عهد و نه از جهت دوری مکان کور و پنهان گردیـد خبرهای ایشان و کر گردیـد شـهرهای ایشان و لیکن آشاماندنـد بایشان جام مرگی را که تبدیل کرد گویائی ایشـان را بلاـلی، و شـنوائی ایشان را به کری، و حرکت را بسـکون، پس گویا ایشان در ارتجال صـفت افتادگان بیهوشـیند، یعنی اگر کسـی بخواهد بدون فکر و مقدّمه بیان حال و صفت ایشان نماید می گوید که افتاده و خوابیده اند و بی هوشند.

الفصل الثانی

اشارة

جیران لاـ یتـأنّسون، و أحبّاء لا یتزاورون، بلیت بینهم عری التّعارف، و انقطعت منهم أسـباب الإخاء، فکلّهم وحیـد و هم جمیع، و بجانب الهجر و هم أخلاء، لا یتعارفون للیل صـباحا، و لا لنهار مساء، أیّ الجدیدین ظعنوا فیه کان علیهم سـرمدا، شاهدوا من أخطار دارهم أفظع ممّا خافوا، و رأو من آیاتها أعظم ممّا قدّروا، فکلتا الغایتین مدّت لهم إلی مباءة فاتت مبالغ الخوف و الرّجاء، فلو کانوا ینطقون بها لعیّوا بصفة ما شاهدوا و ما عاینوا، و لئن عمیت آثارهم و انقطعت

ص:222

أخبـارهـم لقـد رجعت فيهم أبصـار العبر، و سـمعت عنهم آذان العقول، و تكلّموا من غير جهات النّطق، فقالوا: كلحت الوجوه النّواضـر، و خوت الأجسـاد النّواعم، و لبسـنا أهـدام البلى، و تكائـدنا ضـيق المضـجع، و توارثنا الوحشـة، و تهكّمت علينا الرّبوع الصّـموت، فانمحت محاسن أجسادنا، و تنكّرت معارف صورنا، و طالت فى مساكن الوحشة إقامتنا، و لم نجد من كرب فرجا، و لا من ضـيق متّسعا. فلو مثّلتهم بعقلك، أو كشف عنهم محجوب الغطاء لک، و قد ارتسـخت أسماعهم بالهوامّ فاستكّت، و اكتحلت أبصارهم بالتّراب فخسفت، و تقطّعت الألسنة فى أفواههم بعد ذلاقتها، و همدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها، و عاث فى كلّ جارحة منهم جديد بلى سمّجها، و سهّل طرق الافة إليها مستسـلمات، فلا أيد تدفع، و لا قلوب تجزع، لرأيت أشـجان قلوب، و أقذاء عيون، لهم من كلّ فظاعة صفة حال لا تنتقل، و غمرة لا تنجلى.

اللغة

(المباءة) بالمـدّ و الفتح المنزل كالبيأة و الباءة و يقال: إنّ المباءة هو الموضع الّذى تبوء أى ترجع إليه الابل ثمّ جعل عبارة عن المنزل و قوله (لعيّوا) بتشديد الياء من عىّ بالأمر و عن حجّته يعيى من باب تعب عيّا عجز عنه، و قد يدغم فى الماضى و يقال عىّ و عليه قوله: لعيّوا، و فى شرح المعتزلى و روى لعيوا

ص:223

بالتّخفيف كما تقول حيوا قالوا: ذهب الياء الثانية لالتقاء الساكنين لأنّ الواو ساكنة و ضمّت الياء الاولى لأجل الواو.

و (كلح) يكلح من باب منع كلوحا تكشّر فى عبوس و (نضر) نضارة حسن و (الأهدام) جمع الهدم بالكسر الثّوب البالى و المرقّع و (تكاءد) فى الأمر و تكادنى من باب تفاعل و تفعّل شقّ علىّ، و عقبة كئود أى صعب و (التّهكم) التهدّم فى البئر و نحوه، و فى بعض النسخ تهدّمت بدل تهكّمت قال الشّارح المعتزلى يقال تهدّم فلان على فلان غضبا إذا اشتدّ غضبه، و يجوز أن يكون تهدّمت أى تساقطت قال: و روى تهكّمت بالكاف و هو كقولك تهدّمت بالتّفسيرين جميعا، و (رسخ) الغدير يرسخ من باب منع رسوخا نشّ ماؤه و نضب فذهب، و رسخ المطر نضب نداؤه فى الأرض و (الهوامّ) بتشديد الميم جمع الهامّة بالتشديد أيضا مثل دوابّ و دابّة قال الأزهرى: ماله سمّ يقتل كالحيّة، و قال الفيومى: و قد تطلق الهوام على ما لا يقتل كالحشرات، و لسان (ذلق) ذرب و ذلق السكّين حدده و (الهمود) الموت و طفوء النار و ذهاب حرارتها و (عاثه) يعيثه من باب ضرب أفسده.

الاعراب

قوله: و هو جميع الجملة فى محلّ النصب على الحال، و كذلك قوله:

و هم أخلاء، و قوله: أىّ الجديدين مبتدأ خبره كان، و قوله: و لئن عميت الواو للقسم و المقسم به محذوف و اللاّم موطئة عند سيبويه و زايدة عند غيره، و جواب القسم قوله: لقد رجعت و استغنى به عن جواب الشّرط كما فى قوله تعالى «لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ » و هذه قاعدة مطردة، فانّ القسم و الشرط إذا اجتمعا فى الكلام فالجواب للمتقدّم منهما و يستغنى عن جواب الثانى لقيام جواب الأوّل مقامه، و القسم المقدّر فى حكم المقسم الملفوظ كما صرّح به ابن الحاجب فى الكافية و نجم الأئمة الرّضى فى شرحه و قوله: و قد ارتسخت، الجملة فى محلّ النصب على الحال من مفعول مثلتهم، و قوله: مستسلمات

حال من ضمير إليها و قوله: لرأيت أشجان قلوب جواب لو مثلتهم.

المعنى

اعلم أنّه لمّا افتتح كلامه فى الفصل السابق بالتّوبيخ و التّعريض على المتكاثرين بالأموات، و استطرد بشرح حال الموتى فى البرزخ و ابانة فظايعهم اتبعه بهذا الفصل للتّنبيه على بقيّة حالاتهم فقال:

(جيران لا يتأنّسون و أحبّاء لا يتزاورون) يعنى أنّهم جيران لقرب قبورهم و لكن لا يقدرون على الاستيناس، لأنّ الموانسة من صفات الأحياء، و أحبّاء لقرب أبدانهم فيها أو لمحابتهم فى دار الدّنيا و لكن لا يستطيعون التّزاور لأنّ الزّيارة من حالات المتّصفين بالحسّ و الحياة و هو عبارة اخرى لقوله عليه السّلام فى بعض كلماته تدانوا فى خططهم و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقائهم.

(بليت بينهم عرى التّعارف و انقطعت منهم أسباب الاخاء) يعنى أنّهم مع ما كانوا عليه فى الدّنيا من معرفة بعضهم بعضا و المحبّة و المودّة و الاخوّة الّتى كانت بينهم، فقد بليت عراها يعنى وصلها و اندرست و انقطعت حبالها و انفصمت بحلول الموت و نزول الفناء و الفوت.

(فكلّهم وحيدوهم جميع و بجانب الهجر و هم أخلاء) أى كلّ واحد منهم وحيد حقيقة و هم مع ذلک مجتمعون صورة لاجتماع مقابرهم، و كلّ منهم فى جانب الهجر واقعا مع خلّتهم ظاهرا بمقتضى قرب الجوار، أو المراد بالاجتماع و الخلّة ما كانوا عليه فى الدّنيا من المودّة و الصّداقة و الأوّل أظهر، و قد أشار إليه الشريف الرّضى فى قوله:

بادون فى صور الجميع و أنهم متفرّدون تفرّد الاحاد

قال الشّارح المعتزلى: فان قلت: ما معنى قوله: بجانب الهجر، و أىّ فايدة فى لفظة جانب فى هذا الموضع؟ قلت: لأنّهم يقولون: فلان فى جانب الهجرة و فى جانب القطيعة و لا يقولون فى جانب الوصل و فى جانب المصافاة، و ذلک أنّ لفظة جنب فى الأصل موضوع للمباعدة و منه قولهم: الجار الجنب و هو جارک من قوم غرباء يقال: جنب الرّجل

و أجنبته و تجنّبته و تجانبته كلّها بمعنى و رجل أجنبىّ و أجنب و جانب كلّه بمعنى (لا يتعارفون لليل صباحا و لا لنهار مساء) أى لا يعرفون للّيل نهارا و لا للنهار ليلا، لأنّ اختلاف اللّيل و النهار و تبدّل أحدهما بالاخر من الأوضاع الدنيويّة و لا اختلاف لهما بالنّسبة إلى أهل القبور لكونهم فى بيت الظلمة و النّشأة الاخرة بالنسبة إليهم سيّان.

و يحتمل أن يكون المراد أنّهم لا يتعارف بعضهم بعضا أى لا يجتمعون و لا يتكلّمون فى نهارهم للنظر فى أمور ليلهم و لا فى ليلهم للنّظر فى أمور نهارهم كما هو عادة أهل الدّنيا يجتمعون فى النهار لترتيب ما يفعلونه باللّيل و فى اللّيل لترتيب ما يفعلونه بالنهار، و الأوّل أظهر.

و يؤمى إليه قوله عليه السّلام (أىّ الجديدين ظعنوا فيهم كان عليهم سرمدا) أراد بالجديدين اللّيل و النهار لتجدّدهما دائما أى أىّ واحد من اللّيل و النهار ارتحلوا فيه كان عليهم باقيا أبدا فانّ من مات ليلا لا يتبدّل ليله بالنهار، و من مات نهارا لا ينقلب نهاره إلى ليل لخروجه من الدّنيا الّتى فيها يتعاقب اللّيل و النهار و يتبدّل أحدهما بالاخر.

و الظاهر أنّ ثبوت هذه الحالة للموتى كساير الحالات المتقدّمة بالنّسبة إلى أجسادهم المدفونة فى القبور، و أمّا بالنسبة إلى أرواحهم المنتقلة إلى جنّة الدّنيا و نعيمها كأرواح السّعداء أو المنتقلة إلى نار الدّنيا و جحيمها كأرواح الأشقياء، فالمستفاد من أخبار أهل البيت عليهم السّلام تعاور اللّيل و النهار عليهم، و يستفاد منها أيضا أنّ أهل الجنّة من المؤمنين يجتمعون و يتزاورون و يتحدّثون و يتأنّسون.

و يدلّ عليه صريحا ما فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم القمىّ فى قوله تعالى «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا » قال عليه السّلام: ذلک فى جنّات الدّنيا قبل القيامة و الدّليل على ذلک قوله: بكرة و عشيا فالبكرة و العشا لا تكونان فى الاخرة فى جنان الخلد و إنّما يكون الغدوّ و العشىّ فى جنان الدّنيا الّتى تنتقل إليها

أرواح المؤمنين.

و فيه منه فى قوله تعالى «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا » قال عليه السّلام:

ذلک فى الـدّنيا قبل القيامـة و ذلک إنّ فى القيامة لا يكون غدوّاً و لا عشـيّا، لأنّ الغدوّ و العشاء إنّما يكونان فى الشـمس و القمر و ليس فى جنان الخلـد و نيرانها شـمس و لا قمر قال و قال رجل لأبى عبد اللّه صـلوات اللّه عليه: ما تقول فى قول اللّه عزّ و جلّ «اَلنّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَ عَشِيًّا » فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: ما يقول الناس فيها؟ فقال: يقولون: إنّها فى نار الخلد و هم لا يعذّبون فيما بين ذلک فقال عليه السّلام: فهم من السّعداء، فقيل له: جعلت فـداک فكيف هـذا؟ فقال: هـذا فى الـدّنيا فأمّا فى نار الخلد فهو قوله تعالى «وَ يَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ ».

و فيه منه عن أبيه رفعه قال: سـئل الصادق عليه السّلام عن جنّة آدم على نبيّنا و عليه السّلام أمن جنان الدّنيا كانت أم من جنان الاخرة؟ فقال عليه السّلام: كانت من جنان الدّنيا تطلع فيها الشمس و القمر، و لو كانت من جنان الاخرة ما خرج منها.

و يدلّ على تأنّسـهم و تزاورهم ما قدّمنا روايته فى تذييلات شـرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية و الثمانين من الكافى باسـناده عن حبّة العرنى قال:

خرجت مع أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الظهر - أى ظهر الكوفـة - فوقف بوادى السـلام كأنّه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتّى نـالنى مثـل ما نالنى أوّلا، ثمّ جلست حتّى مللت، ثمّ قمت و جمعت ردائى فقلت: يا أمير المؤمنين إنّى قـد أشـفقت عليک من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه، فقال عليه السّلام لى: يا حبّة إن هو إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسـته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين و إنّهم لكـذلک؟ قال عليه السّلام: نعم و لو كشف لک لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال عليه السّلام لى:

أرواح، و ما من مؤمن يموت فى بقعة من بقاع الأرض إلاّ قيل لروحه: ألحقى بوادى السلام، و انّها لبقعة من جنّة عدن.

و تقدّم هناک أيضا فى مرفوعة الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى صفة

أرواح المؤمنين فى وادى السلام: إنّه عليه السّلام قال: كأنّى بهم حلق حلق قعود يتحدّثون، هذا.

و قوله عليه السّلام:(شاهدوا من اخطار دارهم أفظع ممّا خافوا و رأوا من آياتها أعظم مما قدّروا) أى شاهد المجرمون من هلكات الدّار الاخرة يعنى نقماتها و عقوباتها أشدّ مما كانوا يخافون منها و يحذرون فى الدّنيا، و رأى المتّقون من آثار الفضل و الرّحمة و علامات الثواب و الكرامة أعظم مما كانوا يقدرونها بحسناتهم و يرجون فى الدّنيا كما قال عزّ من قائل «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون» و قال عليه السّلام فى الخطبة المأة و الثالثة عشر: انّه ليس شىء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه و ليس شىء بخير من الخير إلاّ ثوابه، و كلّشىء عمن الدّنيا سماعه أعظم من عيانه، و كلّ شىء من الاخرة عيانه أعظم من سماعه.

(فكلتا الغايتين مدّت لهم إلى مباءة فأنت مبالغ الخوف و الرّجاء)المراد بالغايتين غايتا المجرمين و المتّقين و أراد بالغاية الموت كما فى الحديث الموت غاية المخلوقين، أو أجلهما كما فى قوله عليه السّلام فى الخطبة الثالثة و السّتين:و إنّ غاية تنقصها اللّحظة و تهدمها الساعة لجديرة بقصر المدّة،و على أى تقدير فنسبة مدّت إلى الغاية من باب المجاز و التّوسّع، إذ بها يحصل الوصول إلى مباءة، و أراد بالمباءة منزل الفريقين من النّار و الجنّة.

فيكون محصّل المعنى أنّ موت المجرمين و موت المتّقين أو أجلهما استجرهم و جذبهم إلى منزل و مرجع تجاوز و كان هو فوق ما يبلغه خوف الخائف أو رجاء راج، فكنّى بفوقه من مبالغ الخوف و الرّجاء عن شدّة هول النار و عظم خطر الجنة و تجاوزهما عن غاية غايات الخوف و الرّجاء.

(فلو كانوا ينطقون بها لعيّوا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا) أى لو كانت لهم قدرة النطق و الاخبار عن تلك المباءة لعجزوا عن وصف ما شاهدوا فيها من مولمات العقاب و كلّت ألسنتهم عن شرح ما عاينوا فيها من مضاعفات الكرامة و الثّواب.

(و لئن عميت آثارهم) أى خفيت عن أبصار الناظرين (و انقطعت أخبارهم)

عن آذان المستمعين (لقد رجعت فيهم أبصار العبر و سمعت عنهم آذان العقول) هذا ناظر إلى طرف الأحياء (و تكلّموا من غير جهات النّطق) هذا ناظر إلى طرف الأموات.

و محصّل المراد أنّ الأحياء و إن لم يمكن لهم إدراک حالات من القبور بطرق المشاعر الظاهرة و استطلاعها بالأبصار و الاذان، لكنّهم تمكّنوا من معرفتها بأبصار البصائر و العبر و الاطلاع عليها بطريق العقل، و كذلک الموتى و إن لم يكن لهم ايصال أخبارهم إلى الأحياء و إظهار حالاتهم بالنّطق و لسان المقال، لكنّهم أخبروهم و تكلّموا بلسان الحال.

(فقالوا كلحت الوجوه النّواضر) أى عبست الوجوه ذات الحسن و البياض و البهجة و النّضارة قال تعالى «هُمْ فِيها كالِحُونَ » أى عابسون، و قيل: هو من الكلوح الّذى قصرت شفته عن أسنانه كما تقلص رءوس الغنم إذا شيطت بالنار.

(و خوت الأجساد النّواعم) و فى بعض النّسخ الأجسام النّواعم أى سقطت الأجساد المنعّمة بلذايذ الدّنيا فى وهدة القبور أو خلت الأبدان النّاعمة اللّينة من الأرواح فصارت جيفة منتنة أو المراد خلوّها من الدّم و الرّطوبة و ذهاب طراوتها.

(و لبسنا أهدام البلى) قال الشّارح البحرانى استعار لفظ الأهدام للتّغير و التّقشف و التّمزيق العارض لجسم الميّت لمشابهتها العظم البالى، و يحتمل أن يريد بها الأكفان، انتهى.

أقول: يجوز أن يكون الكلام من قبيل التشبيه المرشح بأن يقدر تشبيه البلى المحيط بهم بالأهدام و الأثواب الممزقة البالية المحيطة بالبدن، فاضيف المشبّه به إلى المشبه ثمّ قرن بما يلايم المشبّه به و يناسبه و هو اللّبس ترشيحا للتّشبيه، و أن يكون من باب الاستعارة لا الاستعارة الأصليّة كما توهّمه الشارح لعدم انتظام معنى الكلام على ما ذكره إلاّ بتكلّف، بل من الاستعارة التّبعيّة بأن يستعار اللّبس للشمول و الاحاطة فيكون محصل المعنى أحاط بنا و شملنا البلى و التمزيق إحاطة اللّباس بالبدن فافهم.

(و تكاءدنا ضيق المضجع) أى شقّ علينا ضيق القبر(و توارثنا الوحشة)أى وحشة القبور و استعار لفظ التوارث لكونالوحشةمنها لابائهم و أسلافهم قبلهم

فحصلت لهم بعدهم (و تهكّمت علينا الرّبوع الصّموت) أى تساقطت علينا المنازل الصامتة و أراد بها القبور و وصفها بالصمت من المجاز العقلى و تساقطها كناية عن خرابها و انهدامها، و على كون التّهكم بمعنى اشتداد الغضب فيكون استعارة لعذاب القبور و يختصّ بغير المؤمن لأنّ المؤمن مأمون منه.

كما يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن يحيى عن محمّد بن الحسين عن عبد الرحمن ابن أبى هاشم عن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ما من موضع قبر إلاّ و هو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات أنا بيت التّراب، أنا بيت البلى، أنا بيت الدّود قال عليه السّلام: إذا دخله عبد مؤمن قال: مرحبا و أهلا أما و اللّه لقد كنت أحبّک و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلک، قال عليه السّلام: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنة - إلى أن قال - فلا تزل نفحة من الجنة تصيب جسده و يجد لذّتها و طيبها حتّى يبعث.

قال عليه السّلام: و إذا دخل الكافر قالت: لا مرحبا بک و لا أهلا و اللّه لقد كنت أبغضک و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى سترى ذلک، قال عليه السّلام: فتضمّ عليه فتجعله رميما و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النّار يرى مقعده من النار - إلى أن قال - ثمّ لم تزل نفحة من النار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها فى جسده إلى يوم يبعث الحديث.

و قد مرّ بتمامه مع أحاديث أخر و مطالب نافعة فى التذييل الثالث من تذييلات شرح الفصل السابع من فصول الخطبة الثانية و الثمانين فليراجع هناک.

و يؤيّد المعنى الأخير تفريع قوله (فانمحت محاسن أجسادنا) أى ذهب آثار المواضع الحسنة من أبداننا لشدّة عذاب القبور و مزيد تاثير آلامها (و تنكّرت معارف صورنا) أى تغيّرت وجوهنا الّتى بها كنّا نعرف فى الدّنيا بعظم تأثير أهاويل البرزخ (و طالت فى مساكن الوحشة) أى القبور (إقامتنا و لم نجد من كرب) و هو الغمّ الّذى يأخذ بالنفس (فرجا و لا من ضيق متّسعا) أى من ضيق

المضـجع محلاّ ذا سـعة يكون بدلا منه، أو مطلق الضّيق أى لم نجد من ضيق الحال و ضنک المعيشة اتّساعا أى رفاه حال و رغد عيش قال تعالى «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً » أى عيشا ضيّقا، قال ابن مسعود و غيره: هو عذاب القبر.

(فلو مثلتهم بعقلک) أى تخيّلت صورهم و مثالهم بقوّتک المتخيّلة (أو كشف عنهم محجوب الغطاء لک) أى ارتفع عنهم الغطاء الحاجب و تبيّن حـالهم عنـدک فـالمفعول بمعنى الفاعـل كمـا فى حجابـا مسـتورا و قـال الشـارح البحرانى، أى ما حجب بأغطيـة التراب و السواتر لأجسادهم عن بصرک، انتهى.

و على قوله: فالمحجوب وصف للميّت لا للغطاء و يبعّده لفظة عنهم كما لا يخفى.

و كيف كان فالمراد إنه لو شاهدتهم (و) الحال أنه (قد ارتسـخت أسـماعهم بالهواء فاسـتكت) أى ذهبت رطوبتها و نضـبت نداوتها، بتسلّط حشـرات الأرض عليها فانسدّت (و اكتحلت أبصارهم بالتراب فخسـفت) أى فقئت (و تقطعت الألسنة فى أفواههم بعد ذلاقتها) و حدّتها(و همـدت القلوب فى صـدورهم بعـد يقظتها)أى سـكنت حركتها و ذهبت حرارتها بعد ما كانت متيقظة، و هو كناية عن موتها بعد حياتها (و عاث فى كل جارحة منهم جديد بلى سـمجها) أى أوقع الفساد فى كلّ جارحة من جوارحهم بلى متجدّد أوجب سـماجتها و قبحها و سوء منظرها (و سـهل طرق الافة إليها) لأنّ العنصـر الترابى إذا اسـتولى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحالة من صورتها التى هى عليها إلى غيرها حال كونها (مستسـلمات) منقادات غير ممتنعـة من قبول الافـة و الفساد (فلا أيـد) أى قوّة و قـدرة و سـلطان أو كفّ (تـدفع) الالام و الافات عنها (و لا قلوب تجزع) و تحزن لما نزل بها.

(لرأيت) جواب لو أى لو تصوّرت حالاـتهم بخيالـک أو شاهـدت فظـايعهم بعينک على ما فصّل لرأيت (أشـجان قلوب و أقـذاء عيون) أى شاهدت فيهم من الفظايع و الشنائع المفرطة المجاوزة عن الحدّ ما يورث حزن قلوب الناظرين و أذى عيونهم (لهم من كلّ فظاعة صفة حال لا تنتقل) قال الشارح المعتزلى أى لا تنتقل إلى حسن و صلاح و ليس يريد لا تنتقل مطلقا لأنها تنتقل إلى فساد و اضمحلال

(و) من كلّ شـناعة (غمرة لا تنجلى) أى شدّة لا تنكشف و قد مضـى فى شرح الخطبة الثانية و الثمانين مطالب مناسبة لهذا الفصل من أراد الاطلاع فليراجع ثمّة.

الترجمة

فصـل ثـانى از اين كلام در ذكر شدايـد برزخ و حالات أهل آنست مى فرمايـد كه ايشان همسايگانى باشـند با يكـديگر انس نمى كننـد، و دوسـتانى هستند كه زيارت يكديگر نمى نمايند، پوسيده شده در ميان ايشان علاقهاى شناسائى، و بريده شده از ايشان ريسمانهاى اخوّت و برادرى، پس همه ايشان تنها باشند و حال آنكه در يكجا هستند، و بكنار هجران و دورى باشند و حال آنكه دوستان هستند، نمى شناسند از براى شب صـبحى را، و نه از براى روز شبى را، هر يک از شب و روز را كه رحلت كننـد در آن باشـد برايشان هميشـگى مشاهـده كردند از هلاكتهاى خانـهٔ آخرت خودشان شديـدتر از آن چيزى كه ترسـيده بودند، و ديدند از علامتهاى آخرت بزرگتر از آن چيزى كه تصوير كرده بودنـد، پس هر دو غايب يعنى أجل سـعدا و أجل أشـقيا كشانـد ايشان را بسوى منزلگاهى كه متجاوز شد از منتهاى مرتبهٔ خوف خائفين و رجاء راجين، پس اگر بودنـد كه ناطق بشونـد بان هر آينه عاجز مى شدنـد در بيان صـفت آن چيزى كه مشاهده كردند و بچشم ديدند، و اگر مخفى شده أثرهاى ايشان و منقطع گرديده خبرهاى ايشان.

بتحقيق مراجعت كرده در ايشان ديـدهاى عبرتها، و شـنيده از ايشان گوشـهاى عقلها، و سـخن گفتند ايشان به زبان حال از غير جهت نطق بلسان، پس گفتند كه زشت گشت صورتهاى با آب و رنگ، و بخاک افتاد بدنهاى نرم و نازک، و پوشـيديم ما لباسهاى پاره پارهٔ كهنه را، و به مشـقّت انـداخت مـا را تنگى خوابگاه، و بارث برديم از يكـديگر وحشت را، و منهـدم شـد بر ما منزلهاى خاموش قبرها، پس محو گشـت نيكوئيهـاى بـدنهاى مـا، و تغيير يـافت معروفهـاى صورتهاى ما، و طول يافت در مسـكنهاى وحشت اقامت ما، و نيافتيم از شـدّت محنت فرجى، و از تنگى حالت وسعتى

پس اگر تصوّر نمائی تو حالتهای ایشان را بعقل خودت، پا برداشته شود از ایشان پردهٔ پوشان از برای تو در حالتی که فرو رفته باشد رطوبت گوشهای ایشان بجهت تسلّط حشرات الأرض پس کر شده باشد، و سرمه کشیده باشد چشمهای ایشان بخاک پس فرو رفته باشد در استخوان سر، و پاره پاره گشته زبانها در دهنهای ایشان بعد از تیزی و بلاغت آنها، و مرده و ساکن شود قلبها در سینهای ایشان بعد از بیداری آنها، و فساد کرده باشد در هر عضوی از ایشان پوسیدگی تازهٔ که زشت گردانیده باشد آنها را، و آسان کرده باشد طریق آفت به آنها در حالتی که آنها گردن نهاده باشند بان آفتها، پس نباشد دستهائی که دفع کنند آنها را و نه دلهائی که جزع کنند از آنها هر آینه بعد از آن تصوّر عقل و کشف حجاب خواهی دید اندوههای قلبها و خونابه چکیدن چشمها را، از برای ایشان است از هر شناعت و رسوائی صفت حالتی که منتقل نشود، و شدّت و سختی که منکشف نگردد و بر طرف نباشد.

الفصل الثالث

اشارة

و کم أکلت الأرض من عزیز جسد، و أنیق لون، کان فی الدّنیا غذیّ ترف، و ربیب شرف، یتعلّل بالسّرور فی ساعة حزنه، و یفزع إلی السّلوة إن مصیبة نزلت به، ضنّا بغضارة عیشه، و شحاحة بلهوه و لعبه. فبینا هو یضحک إلی الدّنیا، و تضحک الدّنیا إلیه، فی ظلّ عیش غفول، إذ وطئ الدّهر به حسکه، و نقضت الأیّام قواه، و نظرت إلیه الحتوف من کثب، فخالطه بثّ لا یعرفه، و نجیّ همّ ما کان یجده،

ص:233

و تولّدت فيه فترات علل انس ما كان بصحّته. ففزع إلى ما كان عوّده الأطبّاء من تسكين الحارّ بالقارّ، و تحريک البارد بالحارّ، فلم يطفئ ببارد إلاّ ثوّر حرارة، و لا حرّک بحارّ إلاّ هيّج برودة، و لا اعتدل بممازج لتلک الطّبايع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء، حتّى فتر معلّله، و ذهل ممرّضه، و تعايا أهله بصفة دائه، و خرسوا عن جواب السّائلين عنه، و تنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه، فقائل هو لما به، و ممّن لهم إياب عافيته، و مصبّر لهم على فقده، يذكّرهم أسى الماضين من قبله. فبينا هو كذلک على جناح من فراق الدّنيا، و ترک الأحبّة، إذ عرض له عارض من غصصه، فتحيّرت نوافذ فطنته، و يبست رطوبة لسانه، فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعيّ عن ردّه، و دعاء مولم لقلبه سمعه فتصامّ عنه، من كبير كان يعظّمه، أو صغير كان يرحمه، و إنّ للموت لغمرات هى أفظع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على قلوب أهل الدّنيا.

اللغة

(ترف) ترفا من باب منع تنعّم و أترفته النعمة أطغته و التّرفة بالضمّ النعمة و الطعام الطيّب و (ربّ) فلان الصّبى يربّه ربّا ربّاه حتّى أدرک و الرّبيب المربوب

ص:234

قال تعالى «وَ رَبائِبُكُمُ اللاّتِي فِي حُجُورِكُمْ » و (السّلوة) بفتح السّين و ضمّها اسم من سلى همّه سلوّا و سليّا نسيه و (عيش غفول) و زان صبور كثير الغفلة و (الحسک) محرّكة نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم و عند ورقه شوک ملزّز صلب ذو ثلاث شعب.

و (الحتوف) بالضمّ جمع الحتف بالفتح و هو الموت و (الكثب) محرّكة القرب و هو يرى من كثب أى قرب و (النّجى) فعيل من ناجاه مناجاة أى سارّه و (القارّ) البارد من قرّ القدر إذا صبّ فيه ماء باردا و (الثور) الهيجان و (علّل) الصّبى بطعام و غيره شغله به و تعلّل بالأمر تشاغل و (التّمريض) حسن القيام على المريض و (عىّ) بالأمر و عيى و تعايا و استعيا لم يهتد لوجه مراده أو عجز منه و لم يطق احكامه و (خرس) خرسا من باب فرح انعقد لسانه عن الكلام و (الاسى) بالضمّ جمع الاسوة و هو ما يتأسى به الانسان و يتسلّى.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و كم أكلت الأرض من عزيز جسد، لفظة كم خبريّة بمعنى كثير مبنيّة على السّكون لشباهتها بكم الاستفهاميّة لفظا و معنى من حيث ابهام كلتيهما، و هى منصوبة المحلّ لكونها مفعول أكلت قدمت عليه لأنّ لها صدر الكلام، و من عزيز جسد تميز رافع للابهام الّذى فيها، أى أكلت الأرض كثيرا من عزيز جسد، و عزيز صفة لموصوف محذوف أى من ميّت عزيز الجسد، و إضافة عزيز إلى جسد من إضافة الصّفة إلى فاعله كما فى قولک: مررت برجل حسن وجه أى حسن وجهه، و هذا القسم من اضافة الصّفة المشبّهة و إن استقبحه علماء الأدبيّة لأجل خلوّ الصّفة من ضمير يعود إلى الموصوف لفظا إلاّ أنّه يسوغه كثرة الاستعمال و وجود الضّمير تقديرا، و جملة كان فى الدّنيا، فى محلّ الخفض على أنّها صفة لعزيز جسد، و جملة يتعلّل، فى محلّ النصب حال من اسم كان.

و قوله: ضنّا مفعول لأجله،و عيش غفولفى نسبة غفول إلى عيش توسّع كما فى عيشة راضية و قوله إذ وطئ الدّهر، إذ للمفاجاة لوقوعها بعد بينا نصّ على

ذلک سیبویه، قال: إذا وقعت بعد بینا و بینما فهی للمفاجاة و مثال وقوعها بعد بینما قوله:

استقدر اللّه خیرا و ارضینّ به فبینما العسر إذ دارت میاسیر

و بینما المرء فی الأحیاء مغتبط إذ صار فی الرمس تعفوه الأعاصیر

و الباء فی وطیء به للتّعدیة أی أوطأه.

و قوله: علیه السّلام آنس ما کان بصحّته، آنس منصوب علی الحال من ضمیر فیه و العامل فیه تولّدت، و ما نکرة موصوفة کما فی مررت بما معجب لک، و کان تامّة، و بصحّته متعلّق بانس و محصّل المعنی تولّدت فیه فترات و الحال أنّه آنس شیء وجد أی آنس الأشیاء بصحّته، و یحتمل أن تکون ما مصدریّة زمانیّة کما فی قوله تعالی «فَاتَّقُوا اللّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » و قوله «ما دُمْتُ حَیًّا » أی مدّة استطاعتکم و مدّة دوامی حیّا فیکون معناه آنس مدّة کونه و وجوده بصحّته أی آنس زمان عمره به، و قیل فیه معان اخر و ما قلته أظهر.

قوله: شجی خبر من اضافة الصفة إلی الموصوف أی خبر ذی شجی و غصّة، و قوله فقائل، خبر لمبتدأ محذوف و الجملة معطوفة علی جملة تنازعوا و تفصیل له، و اللام فی قوله: لما به، بمعنی علی کما فی قوله تعالی «وَ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ » و قوله «وَ تَلَّهُ لِلْجَبِینِ » و لیست بمعناها الأصلی کما توهّم.

قوله: و دعاء مولم لقلبه، اللاّم للتّقویة، و فی بعض النسخ بقلبه بالباء بدل اللام و علیه فهی زایدة کما فی قوله تعالی «وَ لا تُلْقُوا بِأَیْدِیکُمْ إِلَی التَّهْلُکَةِ » و یجوز جعلها بمعنی فی علی تضمین مولم معنی مؤثر، و بهذا المعنی جاء الباء فی قوله تعالی «وَ لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ » أی فیها.

المعنی

اعلم أنّه علیه السّلام لمّا نبّه فی الفصلین السابقین علی أهاویل البرزخ و فظایعه أردفهما بهذا الفصل استطرادا و تنبیها علی غمرات الموت و شدایده و حالات المیّت عند الاشراف علی الموت و الاحتضار فقال:

(و كم أكلت الأرض من عزيز جسد و أنيق لون) إمّا استعارة بالكناية تشبيها للأرض بالاكل و اثبات الاكل تخييلا، أو استعارة تبعيّة كما فى نطقت الحال بكذا تشبيها لا فناء الأرض لأجزاء الميّت و استحالتها لها بالتراب بأكلها لها، فاستعير الأكل للافناء و دلّ على الاستعارة بذكر الأرض، و المعنى أفنت الأرض و أبلت كثيرا كثيرا من ميّت طريّ البدن معجب اللون لصفائه و بياضه و اشراقه.

(كان فى الدّنيا غذّى ترف و ربيب شرف) أى غذّى و تنعّم بالتّنعّم الموجب لبطره و طغيانه، و ربّى فى عزّ و شرف و منعة.

(يتعلّل بالسرور فى ساعة حزنه) أى يتشاغل بما يسرّه و يتلهّى به عما يحزنه (و يفزع إلى السّلوة إن مصيبة نزلت به) أى يلتجى إلى ما يسلى همّه و ينسيه إن أصابته مصيبة (ضنّا بغضارة عيشه) أى لأجل بخله بسعة عيشه و طيبه (و شحاحة) و بخالة (بلهوه و لعبه) حتّى لا يشوب لهما ما يكدّرهما.

(فبينا هو يضحك إلى الدّنيا) ابتهاجا بها و شعفا بحبّها لجريانها على وفق مراده و تهيئتها لمقدّمات عيشه و نشاطه (و تضحك الدّنيا إليه) ابتهاجا به لكونه من أبنائها و الرّاغبين إليها و فرط محبّتها إيّاه، و حاصله تضاحك كلّ منهما و اشتياقه إلى الاخر لمزيد المحابة و المعافاة بينهما (فى ظلّ عيش غفول) أى فى دعة و راحة و سعة عيش متّصف بكثرة الغفلة.

و المراد غفلة صاحبه به كما فى عيشة راضية، و قال الشارح المعتزلى: عيش غفول قد غفل عن صاحبه، فهو مستغرق فى العيش لم يتنبّه له الدّهر فيكدر عليه وقته قال الشّاعر:

كأنّ المرء فى غفلات عيش كأنّ الدّهر عنها فى وثاق

- انتهى و لعلّ ما قلته أولى و دلالة الشعر عليه أظهر(إذ وطىء الدّهر به حسكه)أى أوطاه حسكه أى أنشب شوكه فيه و استعار الحسك لالام الدّهر و أسقامه و حوادثه الموجبة لأذاه كايجاب الحسك للأذى(و نقضت الأيّام قواه)نسبة النّقض إلى الأيّام من التوسّع و المراد به انحلال قواه النفسانيّة و ضعف جوارحه (و نظرت إليه الحتوف من كثب)

أى من قرب، و تخصيصه بالذّكر لأنّ تأثير النّظر فيه أشدّ يعنى أنّ ملاحظة المنية نحوه دانية، و جمع الحتوف باعتبار تعدّد أسباب الموت.

(فخالطه بثّ لا يعرفه) أى مازج قلبه حزن لا يعرف علّته (و نجىّ هم ما كان يجده) أى همّ خفىّ لم يكن معهودا به (و تولّدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحّته) قال الشّارح المعتزلى: الفترات أوائل المرض انتهى و المراد أنّه طرئ عليه و ظهر فى مزاجه علل موجبة لفتور بدنه و ضعف جسمه، و الحال أنّه فى غاية الانس بصحّته و كمال الرّكون إلى سلامته فى لذات طربه و بدوات اربه لا يحتسب رزيّة و لا يحتمل بليّة.

(ف) لمّا وجد فى نفسه ذلك و أحسّ به استوحش منه و (فزع إلى ما كان عوّده الأطبّاء) أى التجأ إلى ما جعلوه معتادا له من المداواة و المعالجات (من تسكين الحارّ بالقارّ و تحريک البارد بالحارّ) تخصيص التّسكين بالقارّ و التحريک بالبارد لأنّ من شأنّ الحرارة التّحريک و التّهييج فاستعمل فى قهرها بالبارد لفظ التّسكين و من شأن البرودة التخدير و التجميد فاستعمل فى قهرها بالحارّ لفظة التحريک.

(فلم يطفىء) الحارّ (ببارد إلاّ ثوّر) و هيّج (حرارة) زايدة على حرارة الحارّ (و لا حرّک) البارد (بحارّ إلاّ هيّج) و ثوّر (برودة) زايدة على برودة البارد.

و محصّله أنّه لم ينفعه استعمال المسخّن و المبرّد إلاّ عكس المطلوب و أنتج له المسخّن برودة و المبرّد حرارة.

(و لا اعتدل بممازج لتلک الطبايع إلاّ أمدّ منها كلّ ذات داء) أى لم يقصد الاعتدال بما يمازج تلک الطبايع الحارّة و الباردة المفرطة فيردّها إلى الاعتدال إلاّ و أمدّ ذلک الممازج أو المريض و أعطى مددا و قوّة و أعان من هذه الطّبايع كلّ طبيعة ذات داء، أى صار مزج الممازج ممدّا و معينا على الطبيعة الّتى هى منشأ المرض مع ماله من مضادّة خاصيّة لخاصيّتها.

و يوضح ما قاله عليه السّلام على وجه البسط ما رواه فى البحار من علل الشرائع بسنده عن وهب بن منبه أنّه وجد فى التوراة صفة خلقة آدم على نبيّنا و عليه السّلام

حين خلقه اللّه عزّ و جلّ و ابتدعه، قال اللّه تبارک و تعالى:

انّى خلقت و ركّبت جسده من أربعة أشياء، ثمّ جعلتها وراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم و ينمون عليها إلى يوم القيامة، و ركّبت جسده حين خلقته من رطب و يابس و سخن و بارد، و ذلک أنّى خلقته من تراب و ماء ثمّ جعلت فيه نفساً و روحاً فيبوسة كلّ جسد من قبل التّراب، و رطوبته من قبل الماء، و حرارته من قبل النفس، و برودته من قبل الرّوح.

ثمّ خلقت فى الجسد بعد هذا الخلق الأوّل أربعة أنواع، و هنّ ملاک الجسد و قوامه بادنا لا يقوم الجسد إلاّ بهنّ و لا تقوم منهنّ واحدة إلاّ بالاخرى: منها المرّة السوداء، و المرّة الصّفراء، و الدّم، و البلغم ثمّ اسكن بعض هذا الخلق فى بعض، فجعل مسكن اليبوسة فى المرّة السّوداء، و مسكن الرّطوبة فى المرّة الصفراء، و مسكن الحرارة فى الدّم، و مسكن البرودة فى البلغم.

فأيّما جسد اعتدلت فيه هذه الأنواع الأربع الّتى جعلتها ملاكه و قوامه و كانت كلّ واحدة منهنّ أربعا لا تزيد و لا تنقص كملت صحّته و اعتدل بنيانه، فان زاد منهنّ واحدة عليهنّ فقهرتهنّ و مالت بهنّ دخل على البدن السّقم من ناحيتها بقدر ما زادت و إذا كانت ناقصة تقلّ عنهنّ حتّى تضعف من طاقتهنّ و تعجز عن مقارنتهنّ «مقاومتهنّ» قال وهب: فالطبيب العالم بالدّاء و الدّواء يعلم من حيث يأتى السقم من قبل زيادة تكون فى احدى هذه الفطرة الأربع أو نقصان منها، و يعلم الدّواء الّذى به يعالجهنّ فيزيد فى النّاقصة منهنّ أو ينقص من الزّايدة حتّى يستقيم الجسد على فطرته و يعتدل الشىء بأقرانه.

إذا عرفت ذلک فنقول: إذا أراد اللّه أن يشفى المريض و يحصل له البرء من مرضه أصاب المعالج و اهتدى إلى معرفة ما به من الدّاء و نفع الدّواء بالخاصيّة الّتى فيه و إذا قضى أجله أخطأ المعالج أو سقط الدّواء من التأثير أو أمدّ ضدّ خاصيّته المكمونة

(حتّى) اشتدّ مرضه و (فتر معلّله) أى من يشغله عن التوجّه إلى مرضه و يمنّيه العافية أو عمّا يضرّه من الأطعمة و الأشربة بالأدوية النافعة، و فتوره من جهة طول المرض و حصول اليأس، فانّ العادة جارية بأنّ أهل المريض فى أوّل مرضه يواظبون عليه و يجتمعون حوله و يعلّلونه حتى إذا طال المرض و اشتدّ و ظهر مخائل الموت يقلّ عزمهم و يفتر هممهم و يحصل لهم التوانى و الكسل.

(و ذهل ممرّضه) أى من يواظب عليه و يقوم بأمره فى دوائه و غذائه و غيره، و ذهوله و غفلته من أجل أنه فى بداية المرض يكون له جدّ أكيد و جهد جهيد فى التعهد و المواظبة بما له من رجاء الصّحة و العافية، و بعد اشتداد المرض و ظهور أمارات الموت توانى و فتر، و تسرع اليه الغفلة على ما جرت عليه العادة.

(و تعايا أهله بصفة دائه) أى عجزوا بوصف دائه و شرح مرضه على ما هو عليه للطبيب و غيره، و هذه عادة المريض المثقل.

(و خرسوا عن جواب السائلين عنه) هذه الجملة كالتفسير لسابقتها، و المراد أنّ أهله إذا سئلوا عنه يجمجمون و لا يفصحون عن بيان حاله كالأخرس الذى ينعقد لسانه عن التكلّم، و إنما يخرسون عن جوابهم لأنه بعد ظهور أمارات الموت عليه لا يسعهم الجواب بصحّته لكونه خلاف الواقع، و لا يسوغهم الجواب بما هو الواقع من إشرافه على الموت لعدم طيب أنفسهم به و انطلاق لسانهم ببيانه.

(و تنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه) أى اختلفوا عنده فى خبر ذى حزن و غصة يخفونه منه و يجيبون السّائلين بالتناجى و المسارّة كيلا يشعر به، و فصّل كيفية التنازع و الاختلاف بقوله:

(فقائل) منهم (هو لما به) أى على الحال الذى كان عليه لا تفاوت فى مرضه و قيل: معناه هو الأمر الذى نزل به، أى قد أشفى على الموت، و ما قلناه أظهر و أولى.

(و) آخر (ممنّ لهم إياب عافيته) أى يمنّيهم و يطمعهم عود عافيته بقوله: قد رأيت مثل هذا المريض و أشدّ مرضا منه ثمّ عوفى.

(و) ثالث (مصبّر لهم على فقـده) أى يحملهم على الصبر و التحمّل على فقده و فراقه (يذكرهم اسـى الماضـين من قبله) بقوله: تلک الرّزيّة ممّا لا اختصاص لهابكم و لا الموت مخصوصا بهـذا المريض بل كلّ حىّ سالک سبيل و كلّ نفس ذائقـة الموت، و قـد مضـى قبل هـذا المريض عالم من النّاس و بقى بعـد الأسـلاف الأخلاف فتعزّوا بعزاء اللّه و تسـلّوا و اصبروا و لم يكن لهم علاج إلاّ أن قالوا: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فينبغى لكم التأسّى بالماضين، فانّ لكم فيهم اسوة، و فى هذا المعنى قال الشاعر و لنعم ما قال:

و إنّ الاولى بالطف من آل هاشم تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا

و قالت الخنساء:

و ما يبكون مثل أخى و لكن اسلّى النفس عنه بالتّأسّى

و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار المأتين و الواحد الّذى قاله عند دفن الصّديقة عليهما السّلام: قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتک صبرى إلاّ أنّ لى فى التّأسى بعظيم فرقتک و فادح مصيبتک موضع تعزّ.

(فبينا هو كـذلک على جناح) أى على حركة سـريعة فانّ الطّيران بالجناح سـبب سـرعة الحركة فتجوز عنها (من فراق الدّنيا و ترک الأحبّة إذ) دهمته فجعات المنية و (عرض له عارض من غصصه) و اعترض فى حلقه و أخذ بخناقه.

(فتحيّرت نوافـذ فطنته) أى تاهت إدراكات جودته و ذكائه الثاقبـة المتعلّقـة بمصالـح النشأة الدّنيويّـة و الاخرويّـة، و فى بعض النسخ: فطنه، بصيغة الجمع، و المراد تبلّد مشاعره و قواه الدّرّاكة و قصورها عن الادراكات النظرية.

(و يبست رطوبـة لسانه) و جفّ حيله - ريقه - و حيل بينه و بين منطقه فصار بين أهله ينظر وجوههم و يسـمع رجع كلامهم و يرى حركات ألسنتهم و لا يستطيع التّكلّم معهم.

(فكم من مهمّ من جوابه عرفه فعىّ عن ردّه) أى جواب سائل سأله عن أمر مهم من وصـيّه و وصيّته و دينه و مصارف ماله و قيّم أطفاله و نحو ذلک فعجز عن ردّه.

(و دعاء مولم لقلبه سمعه فتصامّ عنه) أى نداء موجع لقلبه سمعه فأظهر الصّمم

لعـدم قـدرته على اجابـة المنادى (من كبير كان يعظّمه) كما إذا كان المنادى له والـده و وليّ النعمة له (أو صـغير كان يرحمه) كما إذا كان المنادى ولده الصغير.

(و انّ للموت لغمرات) و أهاويل و سـكرات (هى أفظع من أن تسـتغرق بصفة) أى تستعاب بوصف و بيان (أو تعتدل) و تستقيم (على قلوب أهل الدّنيا) لكونها خارجة عن حدّ الاحصاء متجاوزة عن طور الاستقصاء و كيف لا و هو هادم اللّذّات و قاطع الامنيّات و جذبة من جذباته أهون عندها نشر المناشير و قرض المقاريض.

أعاننا اللّه عليه، و ثبّتنا بالقول الثابت لديه، و وفّقنا اللّه و أيّدنا و هدانا الصّراط المستقيم بفضله العميم، هذا.

و قد أشار بعض الشعراء إلى إجمال ما قاله عليه السّلام فى هذا الفصل و قال:

بينا الفتى مرح الخطا فرحا بما يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى

إذ قيل بات بليلة ما نامها إذ قيل أصبح مثقلا ما يرتجى

إذ قيل أمسى شاخصا و موجها إذ قيل فارقهم و حلّ به الرّدى

و للّه درّ المؤلّف أبى الحسن الرّضىّ قدّس سرّه ما أعجب نظمه فى شرح حال الدّنيا و أهلها و الهالكين منهم و وصف مضجعهم و برزخهم و ساير حالاتهم قال:

انظر إلى هذا الأنام بعبرة لا يعجبنّک خلقه و رواؤه

فتراه كالورق النضير تقصّفت أغصانه و تسلّبت شجراته

انّى محاباه المنون و إنّما خلقت مراعى للرّدى خضراؤه

أم كيف تأمل فلتة أجساده من ذا الزّمان و حشوها اوداؤه

لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه بيد المنون بل العجيب بقاؤه

إنّا لنعجب كيف حمّ حمامه عن صحّة و يغيب عنّاد آؤه

من طاح فى سبل الرّدى آباؤه فليسلكن طريقهم أبناؤه

و مؤمّر نزلوا به فى سوقة لا شكله فيهم و لا نظراؤه

قد كان يفرق ظلّه أقرانه و يغضّ دون جلاله أكفاؤه

و محجّب ضربت علیه مهابة یغشی العیون بهاؤه و ضیاؤه

نادته من خلف الحجاب منیّة امم فکان جوابها حوباؤه

شقّت إلیه سیوفه و رماحه و امیط عنه عبیده و إماؤه

لم یغنه من کان ودّ لو أنّه قبل المنون من المنون فداؤه

حرّم علیه الذّلّ إلاّ أنّه ابدا لیشهد بالجلال بناؤه

متخشع بعد الانیس جنائه متضائل بعد القطین فناؤه

عریان تطرد کلّ ریح ترابه و یطیع اوّل أمرها حصباؤه

و لقد مررت ببرزخ فسألته أین الاولی ضمّمتهم ارجاؤه

مثل المطیّ بوارکا أجداثه یسقی علی جنباتها بوغاؤه

نادیته فخفی علیّ جوابه بالقول إلاّ ما زقت أصداؤه

من ناظر مطروفة ألحاظه أو خاطر مطلوبة سوداؤه

أو واجد مکظومة زفراته أو حاقد منسیّة شحناؤه

و مسندین علی الجنوب کأنّهم شرب تخاذل بالطلی أعضاؤه

تحت الصعید لغیر إشفاق إلی یوم المعاد یضمّهم أحشاؤه

أکلتهم الارض الّتی ولدتهم أکل الضّروس حلت له اواؤه

الترجمة

فصل سیم از این کلام در اشارة بحالات مرض موت و شداید مرگست می فرماید:

چه بسیار خورده زمین از بدن تازه و صاحب آب و رنگ خوش آینده را که بود در دنیا پروردهٔ نعمت و پرورش یافتهٔ شرف و عزت، در حالتی که تعلّل می ورزید و بهانه میکرد بشادی در حالت حزن و پریشانی، و پناه می برد به تسلّی خواطر اگر مصیبتی نازل می شد باو از جهت بخل ورزیدن و ضایع نساختن خوش گذرانی خود، و از جهت خساست و هدر نکردن لهو و لعب خود.

پس در این اثنا که او خنده میکرد و فرحناک بود بر دنیا و خنده میکرد و فرحناک بود دنیا بأو در سایه خوش گذرانی که باعث زیادت غفلت او بود ناگاه

لگد کوب کرد او را زمانه خار خود را، و شکاند روزگار قوّت او را، و نگاه کرد بسوی او مرگ ها از نزدیکی، پس آمیخت بأو حزن و اندوهی که نمی شناخت او را، و غصّهٔ پنهانی که نیافته بود او را، و متولّد شد در او سستیهای مرضها در حالت غایت انس او بصحّت خود.

پس ملتحی شد بسوی آن چیزی که عادت داده بودند او را بان طبیبها از فرو نشاندن مایهٔ حرارت بدواهای بارد، و حرکت دادن مایهٔ برودت بدواهای حارّ، پس فرو ننشاند باستعمال دوای بارد مگر این که حرکت داد حرارت را، و حرکت نداد بدواء حارّ مگر بهیجان آورد برودت را، و معتدل نساخت بچیزی که مخلوط نمود بان طبیعتهای حارّه و بارده مگر این که مدد نمود از این که طبیعتها هر مادّهٔ که منشإ درد بود.

تا این که سست شد پرستار او و غافل گردید مواظب مرض او و درمانده گردیدند اهل و عیال او در صفت ناخوشی او و لال گردیدند از جواب پرسندگان أحوال او، و اختلاف کردند در نزد او در غمناک چیزی که پنهان می کردند آن را، پس از ایشان یکی می گفت او بهمین حالتست که هست، و یکی دیگر تطمیع می کرد أهل او را برجوع کردن صحّت او، و دیگری تسلّی می داد ایشان را بر مرگ او در حالتی که یادآوری ایشان می کرد پیروی گذشتگان پیش از او را.

پس در این أثنا که او بر این حالت بود بر جناح حرکت از دنیا و ترک کردن أحبّا ناگاه عارض شد او را عارضهٔ از غصّه های او، پس متحیّر گردید زیرکیهای نافذهٔ او، و خشک شد رطوبت زبان او، پس چه بسیار مهمّی از جوابش بود که شناخت او را پس عاجز از ردّ آن شد، و چه بسیار از ندا کردن درد آوردندهٔ قلب او بود که شنید او را پس خود را به کری زد بجهت عدم قدرت بر جواب، آن ندا از بزرگی بود که همیشه تعظیم می کرد او را مثل پدر، یا از کوچکی بود که همیشه مهربانی می کرد بأو مثل أولاد، و بدرستی که مرگ ر است سختیهائی که دشوارترند از این که استیعاب وصف آنها شود، یا این که راست آید شرح آنها بعقلهای أهل دنیا.

ص:244

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان و العشرون من المختار فى باب الخطب

اشارة

قاله عليه السّلام عند تلاوة رجال لا تلهيهم تجارة:

إنّ اللّه سبحانه جعل الذّكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، و تبصر به بعد العشوة، و تنقاد به بعد المعاندة، و ما برح للّه عزّت آلائه فى البرهة بعد البرهة، و فى أزمان الفترات عباد ناجاهم فى فكرهم، و كلّمهم فى ذات عقولهم، فاستصبحوا بنور يقظة فى الأسماع، و الأبصار، و الأفئدة، يذكّرون بأيّام اللّه، و يخوّفون مقامه، بمنزلة الأدلّة فى الفلوات، من أخذ القصد حمدوا إليه طريقه، و بشّروه بالنّجاة، و من أخذ يمينا و شمالا ذمّوا إليه الطّريق، و حذّروه من الهلكة، فكانوا كذلک مصابيح تلک الظّلمات، و أدلّة تلک الشّبهات. و إنّ للذّكر لأهلا أخذوه من الدّنيا بدلا، فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه، يقطعون به أيّام الحياة، و يهتفون بالزّواجر عن محارم اللّه فى أسماع الغافلين، و يأمرون بالقسط، و يأتمرون به، و ينهون

ص:245

عن المنكر، و يتناهون عنه، فكأنّما قطعوا الدّنيا إلى الاخرة و هم فيها فشاهدوا ما وراء ذلک، فكأنّما اطّلعوا غيوب أهل البرزخ فى طول الإقامة فيه، و حقّقت القيامة عليهم عداتها، فكشفوا غطاء ذلک لأهل الدّنيا، حتّى كأنّهم يرون ما لا يرى النّاس، و يسمعون ما لا يسمعون. فلو مثّلتهم بعقلک فى مقاومهم المحمودة، و مجالسهم المشهودة، و قد نشروا دواوين أعمالهم، و فرغوا لمحاسبة أنفسهم، على كلّ صغيرة و كبيرة أمروا بها فقصّروا عنها، أو نهوا عنها ففرّطوا فيها، و حمّلوا ثقل أوزارهم ظهورهم، فضعفوا عن الإستقلال بها، فنشجوا نشيجا، و تجاوبوا نحيبا، يعجّون إلى ربّهم من مقاوم ندم و اعتراف. لرأيت أعلام هدى، و مصابيح دجى، قد حفّت بهم الملائكة، و تنزّلت عليهم السّكينة، و فتحت لهم أبواب السّماء، و أعدّت لهم مقاعد الكرامات فى مقام اطّلع اللّه عليكم فيه، فرضى سعيهم، و حمد مقامهم، يتنسّمون بدعائه روح التّجاوز، رهائن فاقة إلى فضله، و أسارى ذلّة لعظمته، جرح طول الأسى قلوبهم، و طول البكاء عيونهم، لكلّ باب رغبة إلى اللّه منهم يد قارعة، يسئلون من لا تضيق لديه المنادح، و لا يخيب عليه الرّاغبون، فحاسب نفسک لنفسک، فإنّ

غيرها من الأنفس عليها حسيب غيرک.

اللغة

(الوقرة) ثقل فی الاذن أو ذهاب السمع کلّه و (العشوة) مرّة من العشاء بالفتح و القصر سوء البصر باللّيل و النّهار أو العمی و (البرهة) بالضمّ الزّمان الطّويل أو الأعمّ و (الفترة) ما بين کلّ النّبيّين و (الفلاة) المفازة لا ماء فيها أو الصحراء الواسعة و (هتف) به من باب ضرب هتافا بالضمّ صاح به.

و(المقاوم)المجالس جمع المقامة و هی مفعلة من المقام و هما فی الأصل اسمان لوضع القيام إلاّ أنّهم اتّسعوا فيهما فاستعملوهما استعمال المجلس و المکان قال تعالی «خير مقاما» أی مجلساو (أقلّ) فلان بالشیء و استقلّ به إذا حمله قال تعالی «أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً » أی حملت الرّيح سحابا ثقالا بالماء و (النشيج) الصّوت مع بکاء و توجّع کما يرد الصبی بکاءه فی صدره و (النّحيب) رفع الصّوت بالبکاء و (عجّ) عجّا من باب ضرب رفع صوته بالتّلبية و نحوها و (النسيم) نفس الرّيح الضعيف کالنسمة و تنسّم أی تنفّس و تنسّم النّسيم أی تشمّمه.

و (الرّوح) بالفتح الرّحمة و الرّاحة قال تعالی «لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللّهِ » أی من رحمته، و يقال أيضا لنسيم الرّيح الطيّب من روّحت الدّهن ترويحا جعلت فيه ريحا طيبا طابت به ريحه فتروح أی فاحت رائحته و قال فی مجمع البحرين فی قوله تعالی «فَأَمّا إِنْ کانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيْحانٌ وَ جَنَّةُ نَعِيمٍ » إنّ الرّوح بفتح أوّله الرّاحة و الاستراحة أو الحياة الدّائمة، و بضمّه الرّحمة لأنّها کالرّوح للمرحوم، و بالوجهين قرء قوله: فروح.

و (المنادح) جمع المندح کقاتل و مقتل أو جمع المندوحة من ندح ندحا من باب منع اتّسع قال الفيروز آبادی: النّدح و بضمّ الکثرة و السّعة و ما اتّسع من الأرض کالنّدحة و النّدحة و المندوحة و المنتدح و (الحسيب) المحاسب و فی بعض النسخ محاسب بدل حسيب.

الاعراب

قوله تعالى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ » قرء ابن عامر و أبو بكر يسبّح بفتح الباء بالبناء على المفعول و الباقون بكسرها، فعلى قولهم يكون رجال فاعله و على القول الأوّل فالسّاد مسدّ الفاعل أحد الظّروف الثلاثة أعنى له فيها بالغدوّ، و على هذه القراءة فيكون رجال فاعلا لفعل محذوف مدلول عليه بالفعل المذكور فكأنّه قيل من يسبّحه فقال: رجال، أى يسبّحه رجال كما فى قول الشّاعر:

ليبک يزيد ضارع لخصومة و مختبط ممّا تطيح الطّوايح

أى يبكيه ضارع، و قيل: هو خبر مبتدأ محذوف أى المسبّح رجال و قيل:

التقدير فيها رجال.

و قوله عليه السّلام: و ما برح للّه آه برح فعل ناقص بمعنى زال من نواسخ المبتدأ و الخبر يدخل عليهما فيرفع المبتدأ تشبيها بالفاعل و ينصب الخبر تشبيها بالمفعول، و للّه خبره المقدّم و عباد اسمه المؤخّر، و إنما يعمل هذا العمل بشرط تقدّم النفى عليه كما هنا و فى قوله «لن نبرح عليه عاكفين» و مثله زال فى الاشتراط به قال تعالى: «وَ لا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ » و جملة عزّت آلاؤه حال من اللّه.

و قوله: فى البرهة بعد البرهة إما ظرف لغو متعلّق ببرح، أو ظرف مستقرّ حال من عباد قدّمت على ذيها للظرفية.

و قوله: حمدوا إليه تعديته بالى لتضمين معنى الانهاء كما فى قولهم: أحمد إليک اللّه أى أحمد منهيا حمده إليک.

و قوله عليه السّلام: فكانوا كذلک مصابيح تلک الظلمات، كان فعل ناقص و الضمير اسمه و كذلک خبره، و الكاف فيه إما للتشبيه أو بمعنى على كما قاله الأخفش و الكوفيّون مستدلّين بأنّ بعضهم قيل له كيف أصبحت فقال كخير أى على خير أى كان عباد اللّه كما وصفناه أو على ما وصفناه، و مصابيح تلک الظلمات فى بعض النسخ بالنصب و فى بعضها بالرّفع، فعلى النصب يجوز أن تكون بدلا من كذلک بدل تفصيل كما فى

قوله تعالى «أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ وَ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ » و أن تكون حالا من اسم كان على القول بجواز عمل الفعل الناقص فى الحال، و على الرّفع فهو بدل من ضمير كانوا كابدال الّذين ظلموا من ضمير أسرّوا فى قوله تعالى «وَ أَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ».

و قوله: يقطعون به أيّام الحياة، الظرف مفعول به لا ـ مفعول فيه مثل حيث فى قوله تعالى «اَللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ » إذ المعنى أنّه سبحانه يعلم نفس المكان المستحقّ للرّسالة لا ـ شيئا فى المكان، و ناصبها يعلم محذوفا مدلولا عليه بأعلم لا بأعلم نفسه لأنّ أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به، و قوله: لرأيت جواب فلو مثلتهم.

و قوله عليه السّلام: رهائن فاقة خبر لمبتدأ محذوف و قوله: لكلّ باب رغبة خبر قدّم على مسنده و هو يد قارعة، و منهم متعلّق برغبة و يحتمل أن يكون منهم يد قارعة خبر او مبتداء، فيكون لكلّ باب ظرف لغو متعلّق بقارعة و قدّم على متعلّقه للوسعة فى الظروف.

و قوله: لا ـ يخيب عليه الرّاغبون، تعديته بعلى لتضمين لا ـ يخيب معنى التوكل أى متوكلين عليه، و على للاستعلاء المجازى كما فى قوله تعالى «كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا » فانّه تعالى شانه من استعلاء شىء عليه و لكنه إذا صار الشىء مشهورا فى الاستعمال فى شىء لم يراع معناه الأصلى نحو ما أعظم اللّه و منه: توكّلت على فلان كأنك تحمل ثقلك عليه، و منه توكّلت على اللّه صرّح بذلك نجم الأئمة الرضىّ، و يحتمل أن يكون عليه بمعنى فيه كما فى قوله تعالى «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ » فيكون متعلّقا بالرّاغبون أى لا يخيب الراغبون فيه و الأوّل أظهر.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هذا الكلام الشريف حسبما أشار إليه الرضىّ قدّس سرّه (قاله) عليه السّلام (عند تلاوته) قوله تعالى «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ » و قبل الشروع فى شرحه ينبغى أن نفسّر الاية باقتضاء المقام، و قد مضى بعض الكلام فيها فى شرح الكلام المأة و الثامن و التسعين و أقول هنا:

قال تعالى فى سورة النور «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ » أى هـذه المشـكاة المذكورة فى سابق الاية فى بيوت أو توقد فى بيوت هذه صفتها.

قال ابن عباس: و هى المساجد، و يعضده قول النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: المساجد بيوت اللّه فى الأرض و هى تضىء لأهل السماء كما تضـىء النجوم لأهل الأرض و قيل: هى بيوت الأنبياء قال فى مجمع البيان: و روى ذلک مرفوعا أنّه سئل عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سـلّم لمـا قرء الايـة أىّ بيوت هـذه؟ فقال: بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر فقال: يا رسول اللّه هـذا البيت منها لبيت علىّ عليه السّلام و فاطمة عليهما السّلام؟ قال: نعم من أفاضـلها، و يعضد هذا القول قوله «إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » و قوله «رَحْمَتُ اللّهِ وَ بَرَكاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ».

و فى الصافى من الكافى و الاكمال عن الباقر عليه السّلام هى بيوتات الأنبياء و الرّسل و الحكماء و أئمـة الهـدى و القمّى عنه عليه السّلام هى بيوت الأنبياء و بيوت علىّ عليه السّلام منها.

و قد مضـى فى شرح الكلام المأة و الثامن و التسعين حديث من غاية المرام عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السّلام فى هذه الاية أنه قال بيوت آل محمّد صلّى اللّه عليه و عليهم أجمعين بيت علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين و حمزة و جعفر عليهم السّلام.

و فيه أيضا من الكافى باسـناده عن أبى حمزة الثمالى قال: كنت جالسا فى مسـجد الرّسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم إذ أقبل رجل فسـلّم فقال: من أنت يا عبد اللّه؟ فقلت:

رجل من أهل الكوفة فما حاجتک؟ فقال لى: أ تعرف أبا جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام؟ فقلت: نعم فما حاجتک إليه؟ قال: هيّأت له أربعين مسـأله أسأله عنها فما كان من حقّ أخـذته و ما كان من باطل تركته، فقلت له: هل تعرف ما بين الحقّ و الباطل؟ قال: نعم، قلت: فما حاجتک إليه إذا كنت تعرف ما بين الحقّ و الباطل، فقال لى:

يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر عليه السّلام فأخبرنى، فما انقطع كلامه

حتى أقبل أبو جعفر عليه السّلام و حوله أهل خراسان و غيرهم يسألونه عن مناسک الحجّ فمضى حتّى جلس مجلسه و جلس الرجل قريبا منه، قال أبو حمزة: فجلست حتى أسمع الكلام و حوله العالم من الناس، فلما قضى حوائجهم و انصرفوا التفت عليه السّلام إلى الرجل فقال له: من أنت؟ قال أنا قتادة بن دعامة البصرى، فقال أبو جعفر عليه السّلام أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: نعم، فقال له أبو جعفر عليه السّلام: ويحک يا قتادة إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه فهم أوتاد الأرض قوّام بأمره، نجباء فى علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلّة عن يمين العرش، قال: فسكت قتادة طويلا ثمّ قال: أصلحک اللّه و اللّه لقد جلست بين يدى الفقهاء و قدّام ابن عبّاس فما اضطرب قلبى قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامک، فقال أبو جعفر عليه السّلام ما تدرى أين أنت، أنت بين يدى «بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ » و نحن اولئک، فقال له قتادة: صدقت و اللّه جعلنى اللّه فداک و اللّه ما هى بيوت حجارة و لا طين، الحديث.

و المراد بالرفع فى قوله «أَنْ تُرْفَعَ » التعظيم و رفع القدر، و قيل: رفع الحوائج فيها إلى اللّه تعالى «وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » أى يتلى فيها كتابه، و قيل:

يذكر فيها أسماؤه الحسنى: و قيل: عام فيما يتضمن ذكره حتى المذكورة فى أفعاله و المباحثة فى أحكامه «يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالْغُدُوِّ وَ الآصالِ » أى يصلّى فيها بالبكر و العشايا قال ابن عباس كلّ تسبيح فى القرآن صلاة، و قيل: المراد بالتسبيح تنزيهه عما لا يجوز عليه و وصفه بصفات الكمال التى يستحقّها لذاته و أفعاله.

ثمّ بين المسبّح فقال «رجال لا تلهيهم» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم «تجارة و لا بيع عن ذكر اللّه» و ستعرف الفرق بين التجارة و البيع فى شرح المتن، و أما ذكر اللّه فهو يعمّ جميع الأذكار و قد مرّ تفصيلا فى التّنبيه الثانى من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية و الثمانين.

إذا عرفت ذلک فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السّلام فأقول: إنّ مدار هذا الكلام

على فصول ثلاثة:

الأوّل فى التّنبيه على فضيلة الذّكر نفسه.

و الثّانى فى وصف حال المذكّرين و كيفية تذكيرهم.

و الثّالث فى بيان أوصاف الذّاكرين و الاشارة إلى مقاماتهم الجليلة و مقاومهم المحمودة.

اما الفصل الاول

فهو قوله عليه السّلام (إنّ اللّه سبحانه جعل الذّكر جلاء للقلوب) المراد بالذّكر هنا مطلق الذكر من التسبيح و التهليل و التّحميد و الدّعاء و المناجاة و تلاوة الكتاب الكريم و نحوها، فانّ المداومة عليها باللّسان مع حضور القلب و توجّهه إليها توجب صفاء القلب و نوره و جلائه و طهارته و نقائه من ظلمة الذّنوب و رين المعاصى و الغواشى كالمرآة المجلوّة الّتى ليس عليها شىء من الكدر.

و ذلک لما عرفت فى شرح الكلام المأتين و السّادس عشر أنّ الاستغراق فى الذكر و المداومة عليه يصرف القلب عمّا سوى اللّه إلى اللّه عزّ و جلّ، فلا يبقى فيه مجال للتّوجه إلى الدّواعى النفسانيّة و لا محلّ لطرد الوساوس الشّيطانيّة التى هى منشأ الذّنوب و مبدء ظلمات القلوب.

و قد تقدّم فى التّنبيه الثانى من شرح الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية و الثمانين كيفية مطاردة جنود الملائكة و الشياطين فى القلب و غلبتهم على الشياطين و ابعادهم لهم عن القلب بالمداومة على الذّكر و الطاعة، و مضى هناک مطالب نفيسة نافعة فى المقام.

و قوله عليه السّلام (تسمع به بعد الوقرة) يعنى يكون الذكر سببا لكون القلوب سميعة بعد صممها أى مستعدّة لاستماع كلام اللّه و كلام الأنبياء و الدّعاة إلى اللّه و استفادة الكمالات و القربات منها بعد ما كانت قاصرة عنها.

(و تبصر به بعد العشوة) أى يكون سببا لكونها بصيرة بعد عشاها و ضعف

بصرها أى قابلة للانتفاع بما فى الكون من عجايب التّدبير مدركة لما فى الافاق و الأنفس من الايات و العبر بعد ما كانت غافلة عن إدراكها.

(و تنقاد به بعـد المعاندة) أى تنقاد للحقّ بعد العناد و الالحاد، و ذلک لأنّه يحصل بدوام الذّكر و الفكر حالة المراقبة و استشـعار عظمة اللّه تعالى و جلاله و كبريائه فيحصل بـذلک ذلّ و انكسار و مهانة للقلب و يكون داخرا ذليلا منقادا لقبول أمر الرب و نهيه، سالكا لسبيله بعد ما كانت منحرفا عنه و تجلو الذكر قلبه و تقرّ عين باطنه فتبصر بما لا يبصر به قبل المداومة بالذّكر، اللّهمّ آنسنا به بلطفک الخفىّ

و اما الفصل الثانى

فهو قوله:

(و ما برح) أى ما زال (للّه) بمقتضـى لطفه و رحمته (عزّت آلاؤه) و جلّت نعماؤه (فى البرهـة بعـد البرهة و فى أزمان الفترات) من الرّسل و طول الهجعة من الامم (عباد) صالحون كاملون فى معرفته تامّون فى عبوديّته قائمون بأمره فى أنفسـهم مبشّـرون و منذرون لغيرهم (ناجاهم فى فكرهم) أى ألهمهم معرفته و أفـاض على قلوبهم كيفيّـة سـلوک سبيله و هدايـة النـاس إليه (و كلّمهم فى ذات عقولهم) أى خاطبهم فى باطنهم سرّا و تجوز به كالمناجاة عن الالهام و الإفاضة التى أشرنا إليها (فاستصبحوا بنور يقظة فى الأسماع و الأبصار و الأفئدة) أى استيقظوا بشـمول الألطاف الغيبيّة و الافاضات الالهيّة من نوم الغفلة و رقد الجهالة، و اسـتضاءوا بنور حاصل فى الأسماع بسبب استماعها إلى ما فيه صلاح الدّين من المواعظ و الحكم و الفضايل و آيات الكتاب المبين.

و قد قال تعالى «إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا » فانّ الاستماع إلى ذلک بقصد الفهم و القبول محصّل لأنوار الكمالات النفسانية، و لـذلک مدح اللّه تعالى المؤمنين بكون اسـتماعهم على هذا الوجه و قال عزّ من قائل «وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً » أى إذا قرء على المؤمنين القرآن و استمعوه زادتهم آياته تبصرة و يقينا

ص:253

على يقين و أمّا الاستماع لا بقصد الفهم و القبول فقد ذمّ المستمعين كذلک فى قوله:

«ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ » أى لم يستمعوه استماع نظر و تدبّر و قبول و تفكّر و إنّما استمعوه استماع لعب و استهزاء، و فى قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كانُوا لا يَعْقِلُونَ » أى من جملة هؤلاء الكفّار من يطلبون السمع إلى كلامک للرّد و التّعنّت لا للفهم و القبول، فلمّا كان استماعهم على هذا الوجه كانوا كأنّهم صمّ لا يستمعوه حيث لم ينتفعوا به فاستحقّوا الطعن و التعريض من اللّه عزّ و جلّ بذلک.

و استضاءوا أيضا بنور حاصل فى الابصار بسبب نظرها إلى ما هو محصّل لنور المعرفة من آيات الكبرياء و العظمة و عجايب الصّنع و القدرة كما قال تعالى «سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » و قال «وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِکَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ».

هذا إذا كان النظر اليها للاستبصار و الاعتبار و إلاّ فلا خير فيه و لا منفعة و لا يزيد إلاّ الغفلة، و لذلک ذمّ اللّه تعالى شأنه الكفّار بكون نظرهم على هذا الوجه فى قوله «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْکَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَ لَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ » أى ينظر إلى أفعالک و أقوالک لا نظر الحقيقة و العبرة بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره و لا يزيدهم النظّر إلاّ عمى و جهالة.

و أمّا الاستضاءة بنور يقظة الأفئدة فيقظتها عبارة عن فطانتها و جودتها و توجّهها إلى ما ينبغى لها من الكمالات العقلية و تفكّرها فى آثار القدرة و الجلال و الجبروت و آيات العظمة و الكمال و الملک و الملكوت، و تدبّرها فى بدايع المصنوعات و معانى الايات المحكمات كما قال تعالى «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ » و قال «كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ مُبارَکٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

و المراد بنور يقظتها هو نور العلم و المعارف الحقّة و العقائد اليقينية الحاصلة من التدبّر و التّفكّر.

و استعارة النّور للعلم شايع كاستعارة الظّلمة للجهل كما قال تعالى«أَ وَ مَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وَ جَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها »قال فى التفسير: أى كافرا فأحييناه بأن هديناه إلى الايمان و انّما سمّى اللّه تعالى الكافر ميّتا لأنّه لا ينتفع بحياته و لا ينتفع غيره به، و سمّى المؤمن حيّا لأنّ له و لغيره المصلحة و المنفعة فى حياته، و جعلنا له نورا، أراد بالنور العلم و الحكمة قال أمين الاسلام الطبرسىّ: سمّى سبحانه ذلک نورا و الجهل ظلمة لأنّ العلم يهتدى به إلى الرّشاد كما يهتدى به فى الطرقات و قال ابن عبّاس: المراد بالنّور الايمان، و قيل: المراد به القرآن كمن مثله فى الظّلمات أى ظلمات الكفر قال الطبرسىّ:

سمّى الايمان و القرآن و العلم نورا لأنّ النّاس يبصرون بذلک و يهتدون من ظلمات الكفر و حيرة الضلالة كما يهتدى بساير الأنوار، و سمّى الكفر ظلمة لأنّ الكافر لا يهتدى بهداه و لا يبصر أمر رشده، و من هذا القبيل استعارة البصير و الأعمى للمؤمن و الكافر قال تعالى «وَ ما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَ الْبَصِيرُ ».

و الحاصل أنّه تعالى لم يخل الأزمان من عباد استضاءوا و استصبحوا بنور المعرفة و اليقين الحاصل من طريق السمع بالاصغاء، و من طريق البصر بالنظر، و الأفئدة بالفكر و التّدبّر، هذا حالهم فى ذات أنفسهم.

و أمّا بالنسبة إلى الخلق فانّهم يهدون بالحقّ و يحكمون بالقسط و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و (يذكرون بأيّام اللّه) أى يذكّرون النّاس بوقايعه و قوارعه و عقوباته الواقعة بالامم الماضية فى القرون الخالية على ما عرفته فى شرح الفصل السّابع من الخطبة المأة و الحادية و التسعين.

و روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى «وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللّهِ » أنّه يريد بأيّام اللّه سنّته و أفعاله فى عباده من إنعام و انتقام.

و حاصله تذكير المحسنين بالانعام تبشيرا لهم، و المسيئين بالانتقام إنذارا

و تحـذيرا كما ذكر اللّه تعالى أيضا كفّار قريش بذلک فى كتابه العزيز فى سورة القمر حيث قال فيهم «وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ » و كرّر قوله «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » عقيب التّذكير بقصّة قوم نوح و إهلاكهم بماء منهمر، و بقصّة عاد و إهلاكهم بريح صرصـر فى يوم نحس مسـتمرّ، و بقصّة ثمود و إهلاكهم بصيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر، و بقصّة قوم لوط و لقد صبّحهم بكرة عذاب مسـتقرّ، فختم بقصّـة آل فرعون و أخـذه عزّ و جلّ لهم أخذ عزيز مقتدر، ثمّ اتبع ذلک كلّه بقوله «أَ كُفّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِى الزُّبُرِ » إلى أن قال تعالى «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ».

قال أمين الاسـلام الطبرسـىّ: خوّف سـبحانه كفار مكّة فقال «أ كفاركم خير» و أشدّ و أقوى «من اولئكم» الّذين ذكرناهم و قد أهلكناهم، و هـذا اسـتفهام إنكار أى لسـتم أفضل من قوم نوح و عاد و ثمود لا فى القوّة و لا فى الثروة و لا فى كثرة العـدد و العدّة، و المعنى أنه إذا هلک اولئـک الكفـار فمـا الـذى يـؤمنكم أن ينزل بكـم مـا نزل بهم «أَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِى الزُّبُرِ » أى لكم براءة من العـذاب فى الكتب السّالفـة أنّه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية.

و قال فى قوله «وَ لَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ » أى أشباهكم و نظراءكم فى الكفر من الامم الماضية «فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » أى فهل من متذكّر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلاّ يقع فيه ما وقع بهم من الاهلاک.

(و يخوّفون مقـامه) أى يخوّفونهم من مقـام الرّبوبيـة المتّصـفة بالعظمـة و الجلاـل و الكبريـاء و القـدرة، و من كونه قائما على كلّ نفس بما كسـبت، فانّ التخويف بذلک مسـتلزم للخوف و الهيبة أو من مقامهم بين يدى الرّب للحساب و ذلک يوم يقوم الناس لربّ العالمين و يقوم الاشهاد و يقوم الرّوح و الملائكة صفّا لا يتكلّمون إلاّ من أذن له الرّحمن و قال صوابا.

ثمّ وصفهم بأنهم (بمنزلة الأدلّة) و الهداة (فى) البوادى و (الفلوات) فكما أنّ

الأدلّة يدلّون على الطريق و يهتدون إليه و (من أخذ القصد) أى قصد السبيل و هو الطريق المستقيم المحفوظ من الافراط و التفريط المبلّغ قاصده و سالكه إلى ما يريد (حمدوا إليه طريقه و بشّروه بالنّجاة) من الهلكات (و من) انحرف عنه و (أخذ يمينا و شمالا ذمّوا إليه الطريق و حذّروه من الهلكة) فكذلک هؤلاء يهدون السائرين إلى الاخرة إلى الصراط المستقيم و يبشّرون الاخذين به بالسعادة الأبدية و النجاة من المهالک، و يحذّرون المنحرفين عنه إلى اليمين و الشمال من الشقاوة الأبدية و الوقوع فى المعاتب.

(فكانوا كذلک) أى على ما وصفناه من التّذكير و التخويف و التبشير و التّحذير (مصابيح تلک الظّلمات و أدلّة تلک الشّبهات) أشار بها إلى ظلمات أزمنة الفترة المذكورة سابقا و شبهاتها، و أراد بالظّلمات ظلمات الجهل و الحيرة الّتى تغشى النّاس فيها، و بالشّبهات الامور الباطلة الشبيهة بالحقّ، و شبّههم بالمصابيح لأنّه يهتدى بهم و يقتبس من أنوار علومهم فى تلک الظّلمات كما يستضاء بالمصباح فى ذلک ظلمة اللّيل.

و بهذا الوجه شبّه الأئمّة عليهم السّلام بالعلامات و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنّجم فى قوله تعالى «وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: نحن العلامات و النّجم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و شبّههم عليهم السّلام بالأدلّة لتميزهم بين الحقّ و الباطل و إرشادهم إلى الحقّ كما يفرق الدّليل بين القصد و غيره و يدلّ على القصد.

و قد مرّ نظير ذلک فى كلامه عليه السّلام فى الخطبة الثامنة و الثلاثين حيث قال عليه السّلام هناک: و إنّما سمّيت الشّبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ فأمّا أولياء اللّه فضياؤهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى، و أمّا أعداء اللّه فدعاؤهم فيها الضّلال و دليلهم العمى.

ص:257

و اما الفصل الثالث

فهو قوله عليه السّلام (و انّ للذّكر لأهلا أخذوه من الدّنيا بدلا) أراد بهم إمّا خصوص نفسه و الطيبين من أولاده لأنّهم أهله حقيقة يسبّحون اللّيل و النّهار و لا يفترون و يذكرون اللّه قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكّرون فى خلق السّموات و الأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا.

و هم أيضا أهل الذّكر الّذى هو القرآن كما يشهد به ما فى الكافى عن الفضيل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قول اللّه تبارك و تعالى «وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ » قال عليه السّلام: الذكر القرآن و نحن قومه و نحن المسئولون.

و أهل الذكر الذى هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما يدلّ عليه ما فيه عن عبد اللّه بن عجلان عن أبى جعفر عليه الصّلاة و السّلام فى قول اللّه عزّ و جلّ «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ » قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الّذكر أنا و الأئمة عليهم السّلام أهل الذّكر.

و يؤيّد إرادته عليه السّلام خصوص نفسه و أولاده عليهم السّلام ما يفصّله عليه السّلام من صفات أهل الذّكر، فانّ تلك الصّفات الاتية هم المتّصفون بها حقّ الاتّصاف و حقيقته و يؤيّده أيضا أكثر ما رويناه من الأخبار فى تفسير «بيوت أذن اللّه أن ترفع و يذكر فيها اسمه» الاية.

و إن أراد به مطلق أهل الذكر فهم عليهم السّلام أكثر كمل مصاديقه و أفراده.

و كيف كان فقد أخذ الذّكر أهله بدلا من الدّنيا و عوضا منها علما منهم بأنّ من أكثر ذكر اللّه أحبّه اللّه كما رواه الصّادق عليه السّلام من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و روى عنه أيضا من أحبّ أن يرتع فى رياض الجنّة فليكثر ذكر اللّه.

و لذلک (فلم تشغلهم تجارة و لا بيع عنه) ذكر البيع بعد التّجارة من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ لمزيد الاهتمام كما فى قوله تعالى «يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ » فانّ التجارة تشمل جميع أنواع المكاسب و البيع أظهرها، و قال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى «لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ » لا يشغلهم معاملة

رابحة «و لا بيع عن ذكر اللّه» مبالغة بالتعميم بعد التّخصيص إن أريد به مطلق المعاوضة، أو بافراد ما هو أهمّ من قسمى التجارة فانّ الرّبح يتحقّق بالبيع و يتوقّع بالشّرا، و قيل: المراد بالتّجارة الشّرى فانّه أصلها و مبدؤها.

(يقطعون به أيّام الحياة) أى أيّام حياتهم، و يحتمل أن يكون المعنى أنّهم يقطعون بالاشتغال به عن العلايق الدّنيويّة فى تمام عمرهم، فتكون أيّام الحياة مفعولا فيه لا مفعولا به و الأوّل أظهر.

(و يهتفون بالزّواجر عن محارم اللّه فى أسماع الغافلين) عن ذكر اللّه أى يصيحون بالمواعظ البالغة و النّصايح الزّاجرة فى أسماع أهل اللّهو و الغفلة زجرا لهم أى إزعاجا و إبعادا عن المحارم (يأمرون) غيرهم (بالقسط) و العدل (و يأتمرون) أى ينقادون (به) فى أنفسهم (و ينهون عن) الفحشاء و (المنكر و يتناهون) أى يكفّون (عنه) فى ذاتهم لما عرفت فى شرح الخطبة المأة و الرابعة أنّ النّهى عن المنكر إنّما هو بعد التناهى عنه.

(فكأنّما قطعوا الدّنيا) و انتهوا (إلى الاخرة و هم فيها) أى و الحال أنّهم فى الدّنيا فكأنّهم قطعوها و مضوا إلى الدّار الأخرى (فشاهدوا) بعين اليقين (ما وراء ذلک) العالم.

(فكأنّما) هم و الجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون و على الأرائک متّكؤون و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون و من هولها مصطرخون و كأنما (اطلعوا عيوب أهل البرزخ فى طول الاقامة فيه) أى علموا فظايع البرزخ و شدايد أهله الغايبة عن نظر أهل الدّنيا فى مدّة الاقامة المتمادية الطويلة لهم فيه (و) كأنما(حقّقت القيامة عليهم عداتها)فى إسناد التحقيق إلى القيامة و كذا إضافة العدات إلى ضميرها تجوّز، و المراد كأنّ القيامة قد قامت عليهم و حقّق اللّه تعالى مواعيده التى تكون فيها من تكوير الشمس و طمس النجوم و تسيير الجبال و حشر الوحوش و كون الناس كالفراش المبثوث و الجبال كالعهن المنفوش و فرار المرء من أخيه و امّه و أبيه و صاحبته و بنيه لكلّ امرء منهم يومئذ شأن يغنيه

وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشره و وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة إلى غير هذه مما أخبر به الكتاب العزيز و نطق به الأخبار.

(فكشفوا) ببياناتهم الفصيحة و كلماتهم النصيحة (غطاء ذلک) أى ما رأوه بعين اليقين من محجوبات الغيوب و مستورات الغيب المحجوب (لأهل الدّنيا) تنفيرا لهم عنها و ترغيبا إلى دار الاخرى (حتّى كأنهم) من شدّة اليقين و قوّة أبصار البصاير و آذان العقول (يرون) من أحوال النشأة الأخروية (ما لا يرى) ساير (الناس و يسمعون ما لا يسمعون) و هذا المقام مقام قوله عليه السّلام: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا.

قال الشارح البحرانىّ: لما كان السبب فى قصور النفوس عن ادراک أحوال الاخرة و هو تعلّقها بهذه الأبدان و اشتغالها بتدبيرها و الانغماس فى الهيئات الدّنيوية المكتسبة عنها، و كان هؤلاء الموصوفون قد غسلوا درن تلک الهيات من ألواح نفوسهم بمداومة ذكر اللّه و ملازمة الرّياضة التامّة، حتّى صارت نفوسهم كمرايا مجلوّة حوذى بها سطر الحقائق الالهية فجلت و انتقشت بها، لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة و سبيل الهلاک و ما بينهما فسلكوا على بصيرة و هدوا الناس على يقين و اخبروا عن امور شاهدوها بأعين بصائرهم و سمعوا باذان عقولهم، فكأنهم فى وضوح ذلک لهم و ظهوره و اخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسّهم ما لم يشاهده الناس و سمعوا ما لم يسمعوه.

(فلو مثلتهم بعقلک) أى تصوّرت مثالهم و صورهم (فى مقاومهم المحمودة) أى مقامات عبوديتهم و تذلّلهم التى يحمدهم اللّه ربّ العالمين بالقيام فى تلک المقامات (و مجالسهم المشهودة) أى مجالس عبادتهم و تضرّعهم الّتى تشهدها الملائكة المقرّبون كما قال عزّ من قائل «وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً » قال المفسرون معناه إنّ صلاة الفجر تشهدها ملائكة اللّيل و ملائكة النهار و قوله عليه السّلام:(و قد نشروا دواوين أعمالهم و فرغوا لمحاسبة أنفسهم) من الاستعارة التمثيليّة حيث شبّههم عليه السّلام فى تتبّعهم لنفوسهم و ملاحظتهم لألواح ضمايرهم

ص:260

و تفكّرهم فى ما ثبت فى تلك الألواح من صور أعمالهم الّتى عملوها من خير أو شرّ و تدبيرهم فى جبران الخاسرة منها و مطالبتهم أنفسهم بتدارک ما فاتت و فرّطت فيها بالتاجر الذى يفتح دفتر تجارته، و ينشر ديوان حسابه و ينظر ما كتب فيه من صورة مكاسبه و يلاحظ ربحه و خسرانه، و يدبّر تدارک خسارته.

و قد قال عليه السّلام فى الخطبة التّاسعة و الثمانين: عباد اللّه زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا، و قد مرّ فى شرحه ما ينفع فى هذا المقام و حقيقة محاسبة النّفس على ما نبّه عليه الغزالى أن يكون للعبد ساعة فى آخر النّهار يطالب النفس و يحاسبها على جميع حركاتها و سكناتها كما يفعل التجار فى الدّنيا مع الشركاء فى آخر كلّ سنة أو شهر أو يوم حرصا منهم على الدّنيا و خوفا من فوات منافعها.

فانّ التّاجر إذا جلس مجلس المحاسبة مع شريكه ينظر أوّلا فى رأس المال، ثمّ فى الرّبح و الخسران ليتبيّن له الزّيادة و النّقصان، فان كان من فضل حاصل استوفاه و شكره، و إن كان من خسران ضمّنه و كلّفه جبرانه فى المستقبل و كذلک رأس مال العبد فى دينه الفرائض و ربحه النّوافل و الفضايل و خسرانه المعاصى و موسم تلک التجارة تمام النّهار، و النّفس بمنزلة الشريک فليحاسبها أوّلا على الفرائض فإنّ أدّاها على وجهها شكر اللّه تعالى على ذلک، و إن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء و إن أدّاها ناقصة كلّفها الجبران بالنّوافل، و إن ارتكب معصية اشتغل بمؤاخذتها و معاتبتها ليستوفى منها ما يتدارک به ما فرّط كما يصنع التّاجر بشريكه.

و كما أنّه يفتّش فى حساب الدّنيا عن الحبّة و القيراط و يبالغ فى المداقّة و يلاحظ مداخل الزّيادة و النقصان، فينبغى له أن يبالغ فى المداقّة فى حساب نفسه عن خواطره و أفكاره و قيامه و قعوده و أكله و شربه و تكلّمه بل عن جميع حركاته و سكناته، و ينبغى أيضا أن يحاسب النّفس على جميع عمره يوما فيوما و ساعة فساعة فى جميع الأعضاء الظاهرة و الباطنة.

ص:261

و قـد نقل عن بعض العرفاء و كان محاسـبا لنفسه أنّه حسب يوما فاذا هو ابن ستّين سـنة، فحسب أيّامها فاذا هى أحـد و عشـرون ألف يوم و خمسمائة يوم، فصرخ و قال: يا ويلتى أ ألقى الملک بأحد و عشرين ألف ذنب فكيف و فى كلّ يوم عشرة آلاف ذنب، ثمّ خرّ مغشيّا عليه فاذا هو ميّت.

فهكـذا ينبغى أن يحاسب نفسه على الانفاس و على معصـيته بالقلب و الجوارح فى كلّ ساعـة، و لو رمى العبد بكلّ معصـية حجرا فى داره لكان فى مدّة قليلة تلا صـغيرا و لكنّه يتساهل فى حفظ المعاصى و الملكان يحفظان عليه ذلک أحصاه اللّه و نسوه و أمّا أولياء اللّه الكاملون فى مقام العبوديّة و الطاعة فلهم المداقّة فى محاسـبة أنفسـهم و معاتبتها (على كلّ صـغيرة و كبيرة امروا بها فقصّروا عنها أو نهوا عنها ففرّطوا فيها) لعدم إخراجهم أنفسهم من حدّ التقصير فانّه عزّ و جلّ لا يمكن أن ينال مدى عبادته، و كيف يمكن البلوغ إلى مدى عبادة من لا مدى له، و من ذلک أنّ المعصومين عليهم السّلام كانوا يعـدّون أنفسـهم فى عداد المذنبين المقصّرين لكون حسـنات الأبرار سـيئات المقرّبين حسبما عرفت تفصيلا فى شرح الخطبة الاولى عند تحقيق عصمة الأنبياء عليهم السّلام.

(و حمّلوا ثقـل أوزارهم) و آثـامهم (ظهورهم فضـعفوا عن الاسـتقلال بها) أى عن حمل الاوزار (فنشـجوا نشـيجا) أى بكوا بكاء متوجّع(و تجـاوبوا نحيبـا)أى جاوب بعضـهم بعضا بالنّحيب و البكاء الشّديـد، و لفظ التّجاوب مجاز فانّهم لمّا كانوا فى مقام محاسـبة النّفس رافعين أصواتهم بالبكاء صاروا بمنزلة المتجاوبين كأن كلاّ منهم يجاوب الاخر ببكائه و نحيبه.

(يعجّون إلى ربّهم من مقاوم نـدم و اعتراف) أى يرفعون أصواتهم إليه عزّ و جلّ بالتّضـرّع و الابتهال فى مقامات التوبة و الابتهال و الاعتراف بالتّفريط و التّقصير.

و قوله (لرأيت) جواب لو مثّلتهم حسـبما اشـرنا إليه أى لو تصوّرت حالاتهم فى مقاماتهم المحمودة و مجالسـهم المشهودة و شاهدت من شئونهم كيت و كيت لرأيت (أعلام هدى) يهتدى باثارهم فى ظلم الضّلالة (و مصابيح دجى) يقتبس من أنوارهم

فی غیاهب الجهالة (قد حفّت بهم الملائکة) أی أحاطت علیهم الملائکة تشریفا و إکراما و عنایة من اللّه تعالی فی حقّهم (و تنزّلت علیهم السّکینة) و هی هیئة جسمانیّة تنشاء من استقرار الأعضاء و طمأنینتها مع اعتدال حرکاتها، و لعلّ المراد بها برد الیقین الّذی اشرنا إلیه فی شرح الکلام الّذی قبل هذا الکلام له علیه السّلام.

(و فتحت لهم أبواب السّماء) بالعنایات الالهیّة و الافاضات الملکوتیّة و الألطاف الغیبیّة (و اعدّت لهم مقاعد الکرامات) المشار إلیها فی قوله عزّ و جلّ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَ نَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ».

قال أمین الاسلام الطّبرسی: أی أنهار من الخمر و الماء و العسل، وضع نهر فی موضع أنهار لأنّه اسم جنس یقع علی القلیل و الکثیر، و الاولی أن یکون انّما و حدّ لوفاق الفواصل فی «مَقْعَدِ صِدْقٍ » أی فی مجلس حقّ لا لغو فیه و لا تأثیم و قیل: وصفه بالصّدق لکونه رفیعا مرضیا، و قیل: لدوام النعیم به و قیل: لأنّ اللّه صدق وعد أولیائه فیه «عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » أی عند اللّه سبحانه فهو المالک القادر الذی لا یعجزه شیء، و لیس المراد قرب المکان تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا بل المراد أنهم فی کنفه و جواره و کفایته حیث تنالهم غواشی رحمته و فضله.

و الحاصل أنهم هیأت لهم تلک المقاعد (فی مقام اطلع اللّه علیکم فیه) و فی نسخة الشارح المعتزلی علیهم بدل علیکم و هو أنسب و علی هذه النسخ فلعلّه من تغلیب المخاطبین علی الغایبین، و یمکن أن یکون النکتة فی العدول من الغیبة علی الخطاب تهییج المخاطبین و الها بهم بالتنبیه علی أنّ اللّه تعالی مطلع علیکم و علیهم جمیعا و لکن مقاعد کراماته صارت مخصوصة بهم لتکمیلهم للعبودیة فینبغی أن تکونوا مثلهم حتی تکون معدّة لکم أیضا کما اعدّت لهم.

(فرضی سعیهم) أی جدّهم و جهدهم فی العبادة (و حمد مقامهم) أی مقام عبودیتهم و هو فوق مرتبة مقام العبادة لأنّ العبادة للعوام من المؤمنین و العبودیة للخواصّ من السالکین و العبادة لمن له علم الیقین و العبودیة لمن له عین الیقین فانّ حقیقة العبودیة هی الاسر و التذلل فی قید الرّقیة و أن لا یبقی فیه أثر من آثار

هواه، و أن تكون أوقاته مستغرقة فى خدمة مولاه مصروفة إلى تحصيل رضاه و لذلک وصف اللّه نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا الوصف فى غاية غايات مقام القرب و الزّلفى حيث قال تعالى «ثُمَّ دَنا فَتَدَلّى فكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى » فعبّر بلفظ العبد إشارة إلى أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى ذلک المقام كان فانيا فى اللّه لم يكن له همّ أصلا فيما سواه منقطعا عن جميع ما عداه.

(يتنسّمون بدعائه روح التجاوز) اى يشمّون بدعائه و مناجاته تعالى النسيم الطيب و الهواء الذى تستلذّه النفس و يزيل عنها الهمّ لما حصل من تجاوزه عزّ و جلّ من تقصيرهم و صفحه عنهم(رهائن فاقة إلى فضله)قال الشارح البحرانى استعار لهم لفظ الرّهائن لكونهم فى محلّ الحاجة إلى فضله لا معدل و لا ملجأ لهم عنه كالرهائن فى يد المسترهن.

و كذلک الاسارى فى قوله عليه السّلام(و اسارى ذلّة لعظمته)و وجه المشابهة كونهم فى مقام الذّلة تحت عظمته كالأسير بالنسبة إلى عظمة من اسره.

(جرح طول الاسى قلوبهم و طول البكاء عيونهم) أى صارت قلوبهم و عيونهم مجروحة من طول الحزن و البكاء لما فيهم من مزيد الخوف و الخشية الملازم لكمال المعرفة التى لهم بعظمة الربّ تعالى و عزّته (لكلّ باب رغبة إلى اللّه منهم يد قارعة) أراد بأبواب الرّغبة أنواع العبادات و القربات، و بقرعهم لتلک الأبواب جدّهم فى اقامتها و عدم غفلتهم عنها.

و قال البحرانى: أشار بقرعهم لكلّ باب من أبواب الرّغبة إلى اللّه إلى توجيه أسرارهم و عقولهم إلى القبلة الحقيقية استشرافا لأنوار اللّه و استتماما لجوده.

(يسألون من لا تضيق لديه المنادح) الاتيان بالموصول لزيادة التّقرير أى تقرير الغرض المسوق له الكلام، فانّ المقصود به الحثّ على سؤاله و التّرغيب إليه تعالى بالتّنبيه على سعة بحر كرمه وجوده و عدم ضيقه عن سؤال السّائلين و آمال الرّاغبين، فهو أدلّ على هذا الغرض من أن يقول يسألون اللّه أو يسألون الرّب تعالى و محصّله أنّه عزّ و جلّ لا يفره المنع و الجمود و لا يكديه الاعطاء و الجود

بل لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللّجين و العقيان و نثارة الدرّ و حصيد المرجان ما أثرّ ذلک فی جوده و لا أنفـد سـعة ما عنـده و لكان عنـده من ذخاير الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام لأنّه الجواد الّذی لا يغيضه سؤال السّائلين و لا يبخّله إلحاح الملحّين.

(و لا ـ يخيب عليه الرّاغبون) و لا ـ ييـأس من فضـله و كرمه إلاّ الكافرون (فحاسب نفسک لنفسک) أی حاسب نفسک الّتی هی أعزّ الأنفس عليک و أحبّها إليک لأجل منفعـة نفسک أی تولّ أنت بنفسک بمحاسـبة نفسک قبل أن تحاسب بها (فانّ غيرها من الأنفس عليها حسـيب) أی محاسب (غيرک) يعنی ساير الأنفس الّتی لم يتولّ صاحبها محاسـبتها فانّ لها حسـيبا يحاسبها، و هو اللّه ربّ العالمين مالک يوم الدّين أسـرع الحاسبين كما قال عزّ شأنه «إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » «وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ ».

الترجمة

از جملـهٔ كلام آن امام مبين است كه گفته در نزد خوانـدن آيـهٔ شـريفهٔ «رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ » يعنی تسبيح می كنند خدای تعالی را مردانی كه مشغول نسازد ايشان را تكسّب و نه مبايعه از ذكر پروردگار، آن بزرگوار در حين خواندن اين آيه فرموده:

بتحقيق خدای منزّه از نقص گردانيد ذكر خود را صـيقل از برای قلبها در حالتی كه می شـنوند بسـبب آن بعد از سنگينی و كری، و می بينند بسـبب آن بعـد از كوری، و مطيع می باشـند بجهت آن بعد از نافرمانی، و هميشه بوده از برای خدا در حالتی كه عزيز است نعمتهای او در زمانی بعـد از زمانی، و در اوقات فترت پيغمبران بنـدگانی كه راز گويـد و نجوی می كند حق تعالی با ايشان در پردهٔ قلبهای ايشان و سـخن می گويد با ايشان در باطن عقلهای ايشان، پس كسب روشنی كردند بنور

آگاهی در گوشـها و چشـمها و قلبها بیاد مردم می آورند أیّام أنعام و انتقام خدا را در امّتان گذشـته، و می ترسانند مردمان را بشناساندن مقام عظمت و اقتدار او.

و ایشان بمنزلـهٔ راه نمایندگاننـد در بیابانها، هر کسـی که راه راست را پیش بگیرد مـدح می کنـد بسوی او راه او را، و بشارت می دهنـد او را بخلاصی از هلاکت، و هر کس که کج شود از راه راست و پیش بگیرد یمین و یسار را مذمّت می کنند بسوی او راه او را، و می ترسانند او را از هلاکت.

پس باشـند ایشان باین وصـفها چراغان این تاریکیها، و دلیلان این شـبهها و بـدرستی که از برای ذکر خـدا أهلی است که فرا گرفته اند آن را عوض از متاع دنیا، پس مشـغول نساخت ایشان را نه کسب و نه مبایعه از آن ذکر می برنـد و می گذارند با ذکر اوقات زندگانی دنیا را، و صدا می کنند با مواعظ مانعه از محرّمات الهی در گوشهای غافلان، و امر می کنند بعدالت و گردن می نهند خودشان بان، و نهی میکنند از قبیح و باز دارند خودشان را از آن.

پس گویا که قطع کرده اند دنیا را و رسـیده اند باخرت و حال آنکه در دنیا باشـند، پس مشاهده کرده اند پشت سر دنیا را، پس گویا که مطلع گشـته اند بر پنهانیهای أهل برزخ درد رازی اقامت و توقف ایشان در آن، و محقق ساخته قیامت بر ایشان وعدهای خودش را، پس برداشتند پردهای حالات أهل برزخ و قیامت را از برای أهل دنیا بانـدازهٔ که گویا می بینند ایشان چیزی را که نمی بینند مردمان و می شـنوند چیزی را که نمی شنوند مردمان.

پس مصوّر سازی ایشان را بعقل خودت در مقامهای پسندیده ایشان، و مجلسهای برگزیدهٔ ایشان که شهادت گاه ملائکهٔ مقرّبینند در حالتی که ایشان گشوده باشند دفترهای عملهای خودشان را، و فارغ شده باشند از برای محاسبهٔ نفسهای خودشان بر هر عملی از عملهای کوچک و بزرگ که مأمور شده باشد بان، پس تقصـیر کرده باشـند در آن یا نهی شده باشـند از آن پس مساحله کرده باشـند در آن و بار کرده باشـند گرانی گناهان خودشان را بر پشتهای خودشان، پس ناتوان باشند از بلند

ص:266

کردن و برداشتن آن، پس گریه کنند به آواز بلند غمناک، و جواب یکدیگر را می دهند با گریه و زاری، ناله می کنند بسوی پروردگار خود در مقامهای توبه و پشیمانی، و اقرار بتقصیر.

هر آینه می بینی علامتهای هدایت و چراغهای تاریکی و ظلمت در حالتی که احاطه کرده باشند بایشان ملائکه ها، و نزول کرده باشد بایشان تمکین و وقار، و گشوده باشد از برای ایشان درهای رحمت آسمان، و مهیا شده باشد از برای ایشان مجلسهای کرامت و شرافت در مقامی که مطلع شده خدای تعالی بر شما در آن مقام، پس خوشنود شده خدا از سعی و کوشش ایشان، و پسندیده مقام بندگی ایشان را در حالتی که استشمام می کنند بسبب دعای او نسیم عفو و تجاوز را.

ایشان گروهای فقر و فاقه اند بسوی فضل و کرم او، و اسیرهای ذلّتند مر بزرگواری و عزّت او را، مجروح و زخمدار نموده درازی حزن و اندوه دلهای ایشان را و درازی گریه چشمهای ایشان را از برای هر در رغبت کردن بسوی خدا از ایشانست دست کوبنده، سؤال می کنند از کسی که تنگ نمی شود در نزد او وسعتهای کرم وجود، و نومید نمی گردد بر درگاه نوال او رغبت کنندگان، پس محاسب باش نفس خودت را از برای نفس خود، پس بتحقیق که از برای غیر نفس تو از نفسها محاسبی هست غیر از تو که أسرع الحاسبین است

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و الحادی و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

قاله علیه السّلام عند تلاوته: یا أیّها الانسان ما غرّک بربّک الکریم.

ص:267

أدحض مسئول حجّة، و أقطع مغترّ معذرة، لقد أبرح جهالة بنفسه، يا أيّها الإنسان ما جرّأک على ذنبک، و ما غرّک بربّک، و ما آنسک بهلکة نفسک، أ ما من دائک بلول، أم ليس من نومتک يقظة، أ ما ترحم من نفسک ما ترحم من غيرک، فربّما ترى الضّاحى من حرّ الشّمس فتظلّه، أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده فتبکى رحمة له، فما صبّرک على دائک، و جلّدک بمصابک، و عزّاک عن البکاء على نفسک، و هى أعزّ الأنفس عليک، و کيف لا يوقظک خوف بيات نقمة و قد تورّطت بمعاصيه مدارج سطواته، فتداو من داء الفترة فى قلبک بعزيمة، و من کرى الغفلة فى ناظرک بيقظة، و کن للّه مطيعا، و بذکره آنسا، و تمثّل فى حال تولّيک عنه إقباله عليک، يدعوک إلى عفوه، و يتغمّدک بفضله و أنت متولّ عنه إلى غيره. فتعالى من قوىّ ما أکرمه، و تواضعت من ضعيف ما أجرأک على معصيته و أنت فى کنف ستره مقيم، و فى سعة فضله متقلّب، فلم يمنعک فضله، و لم يهتک عنک ستره، بل لم تخل من لطفه مطرف عين فى نعمة يحدثها لک، أو سيّئة يسترها عليک، أو بليّة يصرفها عنک، فما ظنّک به لو أطعته، و أيم اللّه لو أنّ هذه الصّفة کانت فى

متّفقين فى القوّة، متوازنين فى القـدرة لكنت أوّل حاكم على نفسک بذميم الأخلاق، و مساوى الأعمال. و حقّا أقول ما الدّنيا غرّتک، و لكن بها اغتررت، و قد كاشـفتک العظات، و آذنتک على سواء، و لهى بما تعدّک من نزول البلاء بجسـمک و النّقص فى قوّتک أصدق و أوفى من أن تكـذبک أو تغرّک، و لربّ ناصـح لها عنـدک متّهم، و صادق من خبرها مكذّب، و لئن تعرّفتها فى الدّيار الخاوية و الرّبوع الخالية لتجدنّها من حسن تذكيرک و بلاغ موعظتک بمحلّة الشّـفيق عليک، و الشّـحيح بک، و لنعم دار من لم يرض بها دارا، و محلّ من لم يوطّنها محلاّ. و إنّ السّـعدآء بالدّنيا غدا هم الهاربون منها اليوم، إذ رجفت الرّاجفة، و حقّت بجلائلها القيامة، و لحق بكلّ منسک أهله، و بكلّ معبود عبدته، و بكلّ مطاع أهل طاعته، فلم يجز فى عدله يومئذ خرق بصـر فى الهواء، و لا همس قدم فى الأرض إلاّ بحقّه، فكم حجّة يوم ذاک داحضة، و علايق عـذر منقطعـة، فتحرّ من أمرک ما يقوم به عـذرک، و تثبت به حجّتک، و خذ ما يبقى لک ممّا لا تبقى له، و تيسّـر لسـفرک، و شم برق النّجاة، و ارحل مطايا التّشمير.

ص:269

اللغة

(دحضت) الحجة دحضا من باب منع بطلت و يتعدّى بالهمزة فيقال أدحضـها اللّه و دحض الرجل زلق و (برح) به الضـرب اشتدّ و عظم و هذا أبرح من ذاک أى أشدّ و يقال لقد أبرح فلان جهالة و أبرح لوما و أبرح شـجاعة، و قتلوه أبرح قتل أى أشدّه (و ما آنسک) من باب الافعال، و روى أنّسک بالتشديد من باب التفعيل و (بلّ) من مرضه يبلّ من باب ضرب بلاّ و بللا و بلولا كقعود برء و حسنت حاله بعد الهزال.

و (الضاحى) لحر الشـمس البارز يقال ضـحى فلان مثل دعى أى برز للشـمس و مثل رضـى و سعى أيضا أى أصابته الشمس و (مضضت) الشىء مضضا من باب تعب تألّمت و يتعدّى بالحركة و الهمزة فيقال مضّه الجرح مضّا و أمضه امضاضا أى آلمه.

و (الجلادة) القوّة و الشدّة و الصّلابة، و جلدک بمصابک أى جعلک جلدا، و روى و جلدک على مصائبک بلفظة على و صـيغة و الجمع و (بيات نقمـة) طروقها و النقمة وزان كلمة و نعمة و قرحة المكافاة بالعقوبة و الجمع نقم ككلم و عنب و (التورّط) الوقوع فى الورطة بسـكون الرّاء و هى المهلكة و كلّ أرض مطمئنة لا طريق فيها و (عزم) على الشـىء و عزمه عزما من باب ضـرب عقد ضميره على فعله و عزم عزيمة اجتهد و جدّ فى أمره و (الكرى) وزان عصا النعاس.

و (الكنف) محرّكة الجانب و الظل، و فلان فى كنف اللّه أى فى حرزه و (الستر) بالكسـر الساتر و بالفتح المصدر و (طرف) البصـر طرفا من باب ضـرب تحرّک، و طرف العين نظرها و الطرفـة المرّة منه و مطرف العين يحتمل المصـدر و الزمان و (العظات) جمع العظـة كالعذاب و هى الموعظة أى ما يلين القلب من ذكر الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد و فى هذا (بلاغ) و بلغة و تبلّغ أى كفاية.

و (حقّت) بجلائلها أى ثبتت من حقّ الشىء يحقّ أى ثبت و قال الفيومى:

حقّت القيامـة يحقّ من بـاب قتل أى أحاطت بالخلايق فهى حاقـة و قال ابن الأنبارى الحاقـة الواجبـة حقّ أى وجب يحقّ حقا و حقوقا فهو حاق و قال أمين الاسلام الطبرسى سمّيت القيامة الحاقّة لأنها ذات الحواق من الأمور و هى الصّادقة الواجبة

الصّدق لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود.

و (نسک) اللّه من باب قتل تطوّع بقربـة و النّسک بضـمّتين اسم منه و المنسک بفتح السّـ ين و كسـرها يكون زمانا و مصدرا و مكانا تذبح فيه النّسيكة و هى الذّبيحة و مناسک الحجّ عباداته و قيل مواضع العبادات و (العبدة) جمع عابد كمردة و مارد.

(فلم يجز فى عدله) قال الشّارح المعتزلى قد اختلفت الرّواة فى هذه اللفظة فرواها قوم فلم يجر و هو مضارع جرى تقول ما جرى اليوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر، و رواها قوم فلم يجز مضارع جاز يجوز، و رواها قوم فلم يجر من جار أى عدل عن الطّريق.

و (الهمس) الصّوت الخفى و قوله (فتحرّ من أمرک) أمر من تحرّيت الشىء قصدته و تحرّيت فى الأمر طلبت أحرى الأمرين و هو أولاهما و (شام) البرق يشـيمه نظر اليه اين يقصد و أين يمطر و (رحلت) مطيتى شددت على ظهرها الرّحل و (شـمّر) تشمير أمرّ جادا، و شمّر الثوب دفعه و فى الأمر خف.

الاعراب

قوله تعالى «ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ » الاستفهام للانكار على سبيل التوبيخ و التّقريع، و يجوز أن يكون للتقرير أى حمل المخاطب على الاعتراف و الاقرار بما يعرفه من جهة الاغترار و علته، و قوله عليه السّـ لام: أدحض مسـئول حجّة خبر لمبتدأ محذوف أى هو أدحض مسـئول، و الضّمير راجع الى الانسان المغرور، و حجّة منصوب على التميز، و كذلک معذرة و جهالة منصوبتان عليه أيضا.

و قوله: فلربما ترى، اللاّم للتوكيد و ما كافة لربّ عن عمل الخبر و لذلک دخلت على الفعل كما فى قول الشاعر:

ربّما اوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

و قوله: الضّـ احى من حرّ الشـمس، فى نسـخة الشـارحين المعتزلى و البحرانى لحرّ الشـمس باللاـم بـدل من و لعـلّ الأـوّل بناء على كون الضّاحى بمعنى المصيب و الثّانى على كونه بمعنى البارز، و قوله: و هى أعزّ الأنفس الجملة فى محلّ

النّصب على الحال و كـذلک جملـة و قد تورّطت، و انتصاب مدارج سـطواته إما على المفعول به أو على المفعول فيه و حذف الخافض أى فى مدارج سطواته، و مطرف عين منصوب على الظرفيّة.

و قوله: يدعوک الى فضـله استيناف بيانىّ و ليس حالا كما زعمه الشّارح البحرانى، و جملة و أنت متول فى موضع النّصب على الحال و قوله حقّا أقول صـفة لمصدر محذوف مقدّم على فعله أىّ أقول قولا حقّا، و قوله كاشـفتک العظات بنصب العظات على أنها مفعول به، و كاشفت بمعنى كشف أى كشفت لک المواعظ أو مفعول بالواسطة أىّ كاشفتک بالعظات و تروى بالرّفع على أنّها فاعل كاشفت و متّهم صفة لناصح و مكذب صفة لصادق.

و قوله: و لنعم داره المخصوص بالمـدح محـذوف و هو الضّـمير الرّاجع إلى الدّنيا السابق ذكرها على حدّ قوله تعالى «إِنّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ » أى هو و الضمير لأيّوب على نبيّنا و عليه السّلام السّابق ذكره فى قوله «وَ اذْكُرْ عَبْدَنا أَيُّوبَ » و اضافة فاعل نعم إلى غير المعرّف باللام على حدّ قول الشاعر: فنعم صاحب قوم لا سلاح لهم.

و دارا و محلا منصوبان على التّميز، و الباء فى قوله بجلائلها تحتمل تعـدّيه و المصاحبـة و الضّـمير فيه راجع إلى القيامـة لتقدّمها رتبة و إن تأخرت لفظا و قوله:

خرق بصـر، بالرّفع فاعل يجز إن كان الفعل بصيغة المعلوم كما فى نسخة الشّارح المعتزلى و نايب عن الفاعل إن كان بصيغة المجهول كما حكى عن القطب الراوندى.

و قوله: فكم حجّـة يوم ذاک داحضـة كم خبريّـة بمعنى كثير اضـيفت إلى تميزهـا و هى فى محـلّ الرّفع على الابتـداء، و يوم ذاک خبرهـا و داحضة بالجرّ على ما فى النسخ الّتى عندنا صفة لحجّة و لو كانت داحضة بالرفع كفاتت «كذا» هى الخبر و يكون يوم ذاک ظرف لغو متعلّقا بها متقـدّما عليها و هذا أنسب لكن النسخ لا تساعد عليه و من فى قوله: ممّا لا تبقى له، يحتمل البدل كما فى قوله تعالى «أَ رَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الآخِرَةِ » و يحتمل النشوية أيضا.

ص:272

المعنى

اعلم أنّ هـذا الكلام كما نبّه الرّضـىّ قـدّس سـرّه (قاله) عليه السّلام (عند تلاوته) الاية الشـريفة فى سورة الانفطار «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » و قبل الشروع فى شرح كلامه عليه السّلام ينبغى أن نذكر ما قاله المفسّرون فى تفسير الاية فأقول:

لهم فى تفسير قوله: يا أيها الانسان، قولان:

أحدهما أنّه الكافر لقوله تعالى بعد ذلك «كَلاّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ » قال عطا عن ابن عبّاس انّها نزلت فى الوليد بن المغيرة.

و الثّانى أنّه عامّ لجميع العصات و هو الأقرب و قوله «ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ » أى أىّ شىء خدعک و سوّل لک الباطل حتّى تركت الواجبات و أتيت بالمحرّمات و عصـيت خالقک و خالفته، و المراد ما الّذى آمنک من عقابه يقال غرّه بفلان إذا آمنه المحذور من جهة مع أنّه غير مأمون و هو كقوله «لا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ ».

و اختلف فى معنى الكريم، فقيل: هو المنعم الّـذى كلّ أفعاله إحسان و إنعام لا يجرّ به نفعا و لا يـدفع به ضـررا، و قيل: هو الّذى يعطى ما عليه و مـا ليس عليه و لاـ يطلب مـاله، و قيـل: هو الّـذى يقبـل اليسـير و يعطى الكثير، و قيل: إنّ من كرمه سـبحانه أنّه لم يرض بالعفو عن السّيات حتى بدّلها بالحسنات.

و اختلفوا فى جهة تخصـيص كريميّته بالذّكر دون ساير أسـمائه و صـفاته فقيل: لأنّه كأنّه لقّنه الاجابة حتّى يقول: غرّنى كرم الكريم، و قيل: للمنع عن المبالغـة فى الاـغترار و الاشـعار بمـا به يغرّه الشّـيطان فانّه يقول له افعل ما شـئت فانّ ربّک الكريم لا يعـذّب أحـدا و لا يعاجل بالعقوبة، و قيل: للّدلالة على أنّ كثرة كرمه مستدعى الجدّ فى طاعته لا الانهماک فى عصيانه اغترارا بكرمه.

و قال فى الكشاف:

فان قلت: ما معنى قوله «ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » و كيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به و انّما يغترّ بالكريم.

قلت: معناه أنّ حقّ الانسان أن لا يغترّ لكرم اللّه عليه حيث خلقه حيّا لنفعه و بتفضّله عليه بذلک حتّى ينفع يطمع بعد ما مكّنه و كلّفه فعصى و كفر النّعمة المتفضّل بها أن يتفضّل عليه بالثّواب و طرح العقاب اغترارا ما لتفضّل الأوّل فانّه منكر خارج من حدّ الحكمة و لذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لمّا تلاها: غرّه جهله و قال الحسن: غرّه و اللّه شيطانه الخبيث أى زيّن له المعاصى و قال له: افعل ما شئت فربّک الكريم الّذى تفضل عليک بما تفضّل به أوّلا و هو متفضّل عليک آخرا حتّى ورّطه و قيل للفضيل بن عياض: إن أقامک اللّه يوم القيامة و قال لک:

ما غرّک بربّک الكريم ما ذا تقول؟ قال: أقول: غرّنى ستورک المرخاة و هذا على سبيل الاعتراف بالخطاء فى الاغترار بالسّتر و ليس باعتذار كما يظنّه الطّماع و تظنّ قصاص الحشوية و يروون عن أئمتهم أنّه إنّما قال بربّک الكريم دون ساير صفاته ليلقّن عبده الجواب حتّى يقول: غرّنى كرم الكريم، انتهى.

و قال الشّارح المعتزلى:

لقائل أن يقول: لو قال: ما غرّک بربّک العزيز أو المنتقم أو نحو ذلک كان أولى لأنّ للانسان المعاتب أن يقول له غرّنى كرمک أو ما وصفت به نفسک.

و جواب هذا أن يقال: إنّ مجموع الصّفات كشىء واحد و هو الكريم الّذى خلقک فسوّيک فعدلک فى أىّ صورة ما شاء ركّبک، و المعنى ما غرّک برّب هذه صفته و هذه شأنه و هو قادر على أن يجعلک فى أىّ صورة شاء فما الّذى يؤمنک من أن يمسخک فى صورة القرد أو الخنازير و نحوها من الحيوانات العجم، و معنى الكريم ههنا الفيّاض على الموادّ بالصّور، و من هذه صفته ينبغى أن يخاف منه تبديل الصّورة.

إذا عرفت ذلک فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام فأقول قوله (أدحض مسئول حجّة) أى الانسان المخاطب بخطاب يا أيّها الانسان و المسئول المعاتب بعتاب ما غرّک إن أراد الجواب عن ذلک الخطاب و الاحتجاج و الاستدلال فى قبال ذلک السؤال و الاعتراض فحجّته أبطل الحجج و أزيفها

و ذلک لأنّه إن قال فی مقام الجواب، غرّنی کرمک فهو جواب سقیم لأنّ کثرة الکرم و التفضّل و الاحسان تقتضی الجدّ و الاجتهاد فی العبودیّة و العبادة و الشکر و الطّاعة لا الاغترار و الکفران و التّوانی و الخلاف و العصیان.

و إن قال: غرّنی الشّیطان فیقال له: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَیْکُمْ یا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّیْطانَ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ ».

و إن قال: غرّنی جهلی فیقال له: أ فلم ارسل إلیکم المرسلین مبشّرین و منذرین و علّمتکم الأحکام و التکالیف بما انزلت فی صحف الأوّلین و زبر الاخرین کیلا تقولوا إنّا کنّا عن هذا غافلین.

(و) بذلک ظهر أیضا أنّه (أقطع مغتر معذرة) یعنی أنّه إن اعتذر عن اغتراره بعذر من المعاذیر السّابقة و ما ضاهاها فعذره أقطع الأعذار و أسقطها عن درجة الاعتبار کما قال عزّ من قائل «فَیَوْمَئِذٍ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لا هُمْ یُسْتَعْتَبُونَ ».

(لقد أبرح جهالة بنفسه) أی اشتدّ بنفسه من حیث الجهالة، قیل: الجهالة اختیار اللّذة الفانیة علی اللّذة الباقیة، و قیل: اجتمعت الصّحابة علی أنّ کلّ ما عصی اللّه به فهو جهالة و کلّ من عصی اللّه فهو جاهل (یا أیّها الانسان ما جرّاک علی ذنبک و ما غرّک بربّک و ما آنسک بهلکة نفسک) هذه الاستفهامات الثلاثة واردة فی معرض التّوبیخ و الانکار علی أسباب الجرءة و الاغترار و الانس بالقاء النفس فی الهلکات و توریطها فی الموبقات قال الشارح البحرانی و یحتمل أن یکون قوله:

ما آنسک تعجّبا.

(أما من دائک بلوی أم لیس من نومتک یقظة أما ترحم من نفسک ما ترحم من غیرک) هذه الاستفهامات کسابقتها أیضا واردة فی مقام الانکار و التقریع لکنّها لدخولها علی النفی تفید العرض و الطلب أی طلب البراءة من داء الذنوب و أسقام الاثام و الانتباه من نومة الغفلة و الجهالة و الترحّم و العطوفة للنفس مثل الترحّم و العطف للغیر و حاصله أنه لا ینبغی لک عدم البراءة و الیقظة و الرّحمة.

ص:275

و أوضـح ترحّمه للغير بقوله (فلربّمـا ترى الضـاحى من حرّ الشـمس فتظلّه) أى ترى من أصـابته حرارتها و تأذّى بها فتظلّه بالظلال ترحّما و تلطفا و دفعا للاذى عنه (أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسـده) أى يولمه (فتبكى رحمة له) و إذا كان هذا شأنک مع الغير فما بالک فى نفسـک حيث تركت نصحها و ملاحظتها.

(فمـا صبرک على دائـک) الـدّوى (و جلـدک بمصابـک) العظيم (و عزاک) أى سـلاک (عن البكاء على نفسک و هى أعزّ الأنفس عليک) و أحبّها إليک (و كيف لا يوقظک) من نومک(خوف بيات نقمة)و مفاجات عقوبة، و أصل البيات أن يقصده بالعدوّ فى اللّيل من غير أن يشـعر فيأخذه بغتة فاستعير لنزول العذاب فيها قال تعالى «أَ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَ هُمْ نائِمُونَ ».

و قوله (و قد تورّطت بمعاصـيه مدارج سـطواته) أى وقعت باكتساب آثامه فى فى ورطاة الهلكات و صعدت مدارج السطوات و السخطات و التعبير بالمدارج نظرا إلى اختلاف المعاصـى و كون بعضها فوق بعض من حيث الصغر و الكبر الموجب لتفاوت مراتب السطوة و درجات السخطة من حيث الضّعف و الشدّة.

و يحتمـل أن يكون المراد بالمـدارج الطرق نحو مـا فى الحـديث: إياكم و التعريس فى بطون الأوديـة فانها مـدارج السّ باع تأوى إليها، قال الطريحى هى جمع مدرج بفتح الميم الطريق و المعنى الأوّل ألطف.

(فتـداو من داء الفترة فى قلبک بعزيمـة) أى عالج من مرض الفتور و الضـعف و الانكسار الذى فى قلبک بدواء الجدّ و العزم على العبوديّة و الطاعة (و من كرى الغفلة فى ناظرک بيقظة) أى من نوم الغفلة فى ناظر بصيرتک عن الذكر و الفكر بالتنبيه و اليقظة.

(و كن للّه مطيعا) و هى أعنى الطاعـة نتيجـة العزيمة (و بذكره آنسا) و هو أعنى الذكر ثمرة اليقظة (و تمثل فى حال توليک عنه إقباله عليک) أى تصوّر إقباله تعالى عليک بالفضل و الاحسان و الكرم و الامتنان فى حال اعراضک عنه و المقابلة لذلک بالكفران و المخالفة و العصـيان كما أوضحه بقوله (يدعوک إلى عفوه) بما

أنزله فی کتـابه من قوله «اُدْعُونِی أَسْتَجِبْ لَکُمْ » و قوله «أَجِیبُ دَعْوَةَ الـدّاعِ إِذا دَعانِ » و نحوه (و یتغمّدک بفضـله) و کرمه (و أنت متولّ) و معرض (عنه إلی غیره) تعالی و مقبل إلی الدّنیا و راکن إلیها و منهمک فی لذّاتها و شهواتها.

(فتعالی من قویّ) و قادر علی مؤاخذتک (ما أکرمه) و أجزل إحسانه و فی بعض النسخ ما أحلمه أی صفحه عنک (و تواضعت من ضعیف) و حقیر (مـا أجرأک) و أعظم کفرانـک و جار لک (علی معصـیته) و مخالفته (و أنت فی کنف ستره مقیم) حیث ستر من شـنایع أعمالک و قبایح ذنوبک ما لو کشف عن أدناها لافتضـحت (و فی سعة فضله متقلّب) حیث أسبغ علیک من نعمه الجسام و آلائه العظام ما لو شکرت علی أقلّ قلیلها لعجزت.

(فلم یمنعک فضله) بکفرانک (و لم یهتک عنک ستره) بطغیانک (بل لم تخل من لطفه) و برّه (مطرف عین) أی مقدار حرکة البصر (فی نعمة یحدثها لک أو سیئة یسترها علیک أو بلیة یصرفها عنک) و هذا تفصیل ضروب ألطافه تعالی الخفیّة و الجلیة.

و الغرض من قوله علیه السّلام: فتمثّل إلی هنا تـذکیر المخاطبین بعوائـد نعمه و موائد کرمه و جمیل آلائه و جزیل نعمائه و عموم نواله فی حقّهم، مع ما هم علیه من الغفلـة و الاعراض حثّا لهم بـذلک علی المداومـة بالـذکر و الطاعة، و التنبّه من نوم الغفلة و الجهالة، و المواظبة علی دعائه و مناجاته بنحو ما فی دعاء الافتتاح:

فکم یا إلهی من کربـة قـد فرّجتها، و هموم قـد کشـفتها، و عثرة قـد أقلتها، و حلقـة بلاء قد فککتها، اللهمّ إنّ عفوک عن ذنبی و تجاوزک عن خطیئتی و صـفحک عن ظلمی و سترک علی قبیح عملی و حلمک عن کثیر جرمی عند ما کان من خطائی و عمدی أطمعنی فی أن أسألک ما لا أسـتوجبه منک، فلم أر مولا کریما أصبر علی عبد لئیم منک علیّ یا ربّ إنک تدعونی فأولّی عنک و تتحبّب إلیّ فأتبغض إلیک و تتودّد إلیّ فلا أقبل منک، کأنّ لی التطوّل علیک فلم یمنعک ذلک من الرّحمة بی و الاحسان إلیّ و التفضّل علیّ بجودک و کرمک.

هـذا كلّه فضـله و لطفه و احسانه عليک مع عصـيانک و طغيانک (فما ظنک به لو أطعته) و كيف يؤيسک من كرمه مع طاعتک و قد قال «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ » أم كيف يحرمک من نعمه مع توكّلک عليه و قد قال «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » أم كيف ينقص عطائه و حبائه مع شكرک و ذكرک و قد قال «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ».

ثمّ أكّد جـذبهم إلى التّعبـد و الطاعة بأبلغ بيان و أحسن تقرير و عبارة فقال (و أيم اللّه لو أنّ هذه الصّفة) الّتى ذكرت من إقبال اللّه عليک و تولّيـک عنه (كـانت فى) متمـاثلين من النـاس (متّفقين فى القوّة متوازنين فى القـدرة) متسـاويين فى الدّرجـة و الرّتبـة و كنت أنت أحـدهما (لكنت) لو أنصـفت (أوّل حـاكم على نفسـک بـذميم الأخلاق و مساوى الأعمال) حيث إنّه أقبل و تولّيت، و تحبّب و تعاديت، و وصـلک فقطعت، و تـدانى فتباعـدت فكيف إذا كان الطرف المقابل هو اللّه القاهر القادر مالک الملوک ربّک و ربّ العالمين كلّهم، فحكومتک على نفسک و تعزيرک عليها حينئذ أولى و أحجى.

ثمّ لمـا كـان منشاء اغترار الغافلين العصات المخاطبين المسـئولين بخطاب ما غرّک بربّک الكريم و علّة إعراضـهم عنه تعالى و تولّيهم عن ذكره عزّ و جلّ هو الاغترار بالـدّنيا و الافتتان بشـهواتها و لـذّاتها و امنيّاتها حسـبما يشـهد به التّجربـة و الوجدان و نطق به القرآن فى قوله «وَ غَرَّتْكُمُ الْأَمـانِيُّ حَتّى جاءَ أَمْرُ اللّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ » و قوله «اِتَّخَذْتُمْ آياتِ اللّهِ هُزُواً وَ غَرَّتْكُمُ الْحَياةُ الـدُّنْيا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْها وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » و غيره من الايات الكريمة.

نبّه على وهن هـذه العلّة و ضـعفها بقوله (و حقّا أقول ما الـدّنيا غرتک) يعنى انها ليست علّة تامّة قويّة للاغترار (و لكن) علّة مادّية ضـعيفة سخيفة بنقصان عقلک(بها اغتررت)كما اغترّ بها كلّ ناقص العقل فاتّصافک بالاغترار بها حقيقة و اتّصافها بالغرور لک مجاز و إسـناد الأول إليک أصدق و أجدر من إسناد الثانى إليها.

و أوضح عدم كونها سببا تامّا للغرور بالتّنبيه على اتّصافها بضدّه من النصح

ص:278

و الموعظة فقال (و) ل (قد كاشفتک العظات) أی وعظتک جهارا بالمواعظ البالغة و النصایح الکاملة من تقلّباتها و تصاریفها بأهلها و فنائها و زوالها و غیرها فلم یکن أحـد منها فی حبرة إلاّ أعقبته بعـدها عبرة، و لم یلق من سـرّائها بطنا إلاّ منحته من ضـرّائها ظهرا، و إن جانب منها اعـذوذب و أحلی أمرّ منهـا جـانب فـأوبی لا ینال امر من غضارتها رغبا إلاّ أرهقته من نوائبها تعبا، و لا یمسو منها فی جناح أمن الاّ أصـبح علی قوادم خوف.

و حسـبک من عظاتها النظر فی السـلف الماضـین من الاخوان و الأقربین الّذین أرهقتهم المنایا دون الامال، و شذبهم عنها تخرّم الاجال، حملوا إلی و هدة القبور بعد سکنی القصور، و جعل من الصّفیح أجنان، و من التراب أکفان و من الرّفات جیران، جمیع و هم آحاد، و جیرة و هم أبعاد. متدانون لا یتزاورون، و قریبون لا یتقاربون، إلی غیر تلک ممّا لا حاجة إلی ذکرها.

(و آذنتک علی سواء) ای أعلمتک مساویها و معایبها و مال أمرها علی عدل و صدق و صواب من دون جیف و میل و زیغ عن مستقیم طریق الصدق.

(و) اقسم باللّه تعالی حقّا (لهی بما تعدک من نزول البلاء بجسمک) و بسرعة الافة إلی جسدک (و النقص فی قوّتک) و الضعف و الانحلال فی قواک (أصـدق و أوفی) بوعـدها (من أن تکـذبک أو تغرّک) و تخلف المیعاد (و لرّب ناصح لها عندک متّهم و صادق من خبرها مکذّب) أی کم من ناصح و واعظ من عبرتها و عظاتها هو متّهم عندک فی نصـحه فلا تقبل قوله و لا تلتفت إلی نصـحه لکونه خلاف هوی نفسک، و کم من صادق من اخباراتها الصّادقة هو مکذّب لدیک أی تکذبه لکون خبره منافیا لرأیک مکروها لطبعک.

و حاصـله أنّ العبر الدّنیویة ترشدک إلی الخیر و الصلاح و حسن العاقبة و أنت فی غفلة منها أو متوجّه إلیها، و لکنّک معرض عنها لاستکراه نفسک لها و مضادّتها لشهواتک و امنیّاتک الحاضرة.

و نبّه علیه السّلام علی خطاء المخاطب فی الاتّهام و التکذیب و أنّ خبرها علی

وجه الصّدق و الصواب و نصحها عن وجه الشفقّة و الصداقة بقوله (و لئن تعرّفتها) أى طلبت معرفة حالها فى الصدق و الكذب و استخبرت نصـحها و غشّها (فى الدّيار الخاوية) اى الساقطة او الخالية من اسكانها (و الرّبوع الخالية) أى المنازل الخالية من أهلها (لتجدّنها من حسن تذكيرک و بلاغ موعظتک) أى موعظتها الكافية (بمحلّة الشـفيق عليک) العطوف الرءوف بک حيث لم تألوک نصحا و لم تكذب فى تذكيرها و لم تغشّ فى نصـحها (و) بمنزلة (الشحيح بک) أى البخيل بأن تصيبک ما يسوؤک و يكون مال أمرک مال أمر الغافلين الهالكين من عذاب النّار و سخط الجبّار.

(و لنعم دار من لم يرض بها دارا) بل جعلها ممرّا لمقرّه (و محلّ من لم يوطنها محلا) بل جعلها مجازا إلى مأواه.

و هؤلاء هم السّعداء المتقون المنتفعون بما فيها من العبر المشار إليهم بقوله (و إنّ السّعداء بالدّنيا غدا هم الهاربون منها اليوم)قال الشّارح البحرانى: وجه سعادتهم بها استثمارهم للكمالات المعدّة فى الاخرة منها و لن يحصل ذلک إلاّ بالهرب منها اليوم و كنّى بالهرب منها عن الاعراض الحقيقى عن لذّاتها و التّباعد من اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشىء التباعد عنه و الزّهد فيه، و ظاهر أنّ التباعد منها بالقلوب إلاّ ما دعت الضرورة إليه و اتّخاذها مع ذلک سببا إلى الاخرة من أسباب السّعادة و مستلزماتها.

كما أشار إليه سـيّد المرسـلين عليه السّلام من حاله فيها بقوله: ما أنا و الدّنيا إنّما مثل فيها كمثل راكب سار فى يوم صايف فرفعت له شجرة فنزل فقعد فى ظلّها ساعة ثمّ راح فتركها، هذا.

و لمّا نبّه عليه السّلام على أنّ أهـل السـعادة غـدا هم الهاربون منها اليوم فسّر مراده بالغـد بقوله(إذ رجفت الرّاجفـة)أى تحرّكت بترديـد و اضـطراب و الرّجفة الزّلزلة العظيمة الشديدة و هو اقتباس من الاية الشـريفة«يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرّادِفَةُ » قال بعض المفسّرين: معناها يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديدا

ص:280

و تحرّک تحرّکا عظیما یعنی یوم القیامة تتبعها الرّادفة ای اضطرابة اخری کاینة بعد الأولی فی موضع الرّدف من الراکب.

(و حقّت بجلائلها القیامـة) أی أهاویلها الجلیلة و دواهیها العظیمة الشدیدة (و لحقّ بکلّ منسک أهله و بکلّ معبود عبدته و بکلّ مطاع أهل طاعته) أشار إلی لحوق کلّ نفس یوم القیامة بما و من تحبّه و تهویه من عمل الصالح و السّیء و معبوده الحقّ و الباطل.

و الیه الاشارة فی النّبوی: یحشـر المرء مع من أحبّ و لو أحبّ أحدکم حجرا لحشـر معه، و فی قوله تعالی «یَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِینَ إِلَی الرَّحْمنِ وَفْداً وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِینَ إِلی جَهَنَّمَ وِرْداً ».

فان کان عمل المرء فی الدّنیا للّه و معبوده هو اللّه و هواه فی اللّه فحشره یوم القیامة مع أولیاء اللّه الّذین لا خوف علیهم و لا هم یحزنون.

و ان کان عمله لغیر اللّه و معبوده سوی اللّه و محبّته لأعداء اللّه فحشـره معهم و مع الشـیاطین کما قال تعالی «وَ مَنْ یَعْشُ عَنْ ذِکْرِ الرَّحْمنِ نُقَیِّضْ لَهُ شَیْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ وَ إِنَّهُمْ لَیَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِیلِ وَ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتّی إِذا جاءَنا قالَ یا لَیْتَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ بُعْدَ الْمَشْرِقَیْنِ فَبِئْسَ الْقَرِینُ ».

فـان قیـل: إذا کـان یلتحق بکـلّ معبود عبـدته و بکلّ مطاع أهل طاعته فالتحاق النصاری إذا بعیسـی و الغلاة بأمیر المؤمنین علیه السّلام و کذلک عبدة الملائکة فما تقول فی ذلک.

قیـل: معنی الالتحـاق أن یؤمر الاتباع فی الموقف بالتمیّز إلی الجهـة الّتی فیها الرّؤساء، ثمّ یقال للرؤساء أهؤلاء أتباعکم و عبـدتکم فحینئذ یتبرّؤن منهم فینجو الرّؤسـاء و تهلک الاتباع کما قال سـبحانه «وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ جَمِیعاً ثُمَّ یَقُولُ لِلْمَلائِکَةِ أَ هؤُلاءِ إِیّاکُمْ کانُوا یَعْبُدُونَ قالُوا سُبْحانَکَ أَنْتَ وَلِیُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَکْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ».

أقول: و أوضح دلالة من هذه الایة قوله سبحانه فی سورة الفرقان «وَ یَوْمَ یَحْشُرُهُمْ وَ ما یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَیَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِی هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِیلَ »

«قالُوا سُبْحانَکَ ما کانَ یَنْبَغِی لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِکَ مِنْ أَوْلِیاءَ وَ لکِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آباءَهُمْ حَتّی نَسُوا الذِّکْرَ وَ کانُوا قَوْماً بُوراً فَقَدْ کَذَّبُوکُمْ بِما تَقُولُونَ فَما تَسْتَطِیعُونَ صَرْفاً وَ لا نَصْراً ».

قال أمین الاسلام الطبرسیّ فی تفسیرها أی یجمعهم و ما یعبدون یعنی عیسی و عزیر و الملائکة «فیقول» لهؤلاء المعبودین «أ أنتم أضللتم عبادی أم هم ضلّوا السبیل» أی طریق الجنّة و النجاة «قالوا» یعنی المعبودین «سبحانک» یعنی تنزیها لک عن الشریک و عن أن یکون معبودا سواک «ما کان ینبغی لنا أن نتّخذ» بضمّ النون و فتح الخاء فی روایة الصادق علیه السّلام و زید بن علیّ و أکثر القراء بفتح النون و کسر الخاء «من دونک من أولیاء» أی لیس لنا أن نوالی أعداءک بل أنت ولیّنا من دونهم، و قیل: معناه ما کان یجوز لنا و للعابدین و ما کان یحقّ لنا أن نأمر أحدا بأن یعبدنا و لا یعبدک فانا لو أمرناهم بذلک لکنّا و الینا هم و نحن لا نوالی من یکفر بک، و من قرء نتّخذ فمعناه ما کان یحقّ لنا أن نعبد «و لکن متّعتهم و آبائهم حتّی نسوا الذّکر» معناه و لکن طوّلت أعمارهم و أعمار آبائهم و متّعتهم بالأموال و الأولاد بعد موت الرّسل حتّی نسوا الذّکر المنزل علی الأنبیاء و ترکوه «و کانوا قوما بورا» أی هلکی فاسدین.

هذا تمام الحکایة عن قول المعبودین من دون اللّه سبحانه فیقول اللّه سبحانه عند تبرّء المعبودین من عبدتهم «فقد کذّبوکم» أی کذّبکم المعبودون أیّها المشرکون «بما تقولون» أی بقولکم إنّهم آلهة شرکاء للّه «فما تستطیعون صرفا و لا نصرا» أی فما یستطیع المعبودین صرف العذاب عنکم و لا نصرا لکم بدفع العذاب عنکم، هذا.

و قوله (فلم یجر فی عدله یومئذ خرق بصر فی الهواء و لا همس قدم فی الأرض إلاّ بحقّه) قد عرفت اختلاف الرّوایات فی قوله فلم یجر.

فعلی کونه مضارع جری فمعناه فلم یکن و لم یتحدد فی دیوان حسابه ذلک الیوم صغیر و لا حقیر إلاّ بالحقّ و الانصاف، و هذا مثل قوله تعالی «لا ظُلْمَ الْیَوْمَ »

«إِنَّ اللّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبادِ ».

و على كونه مضارع جاز فالمعنى أنّه لم يسغ و لا يرخّص ذلک اليوم لأحـد من المكلّفين فى حركة من الحركات المحقّرات المستصـغرات إلاّ إذا كانت قد فعلها بحقّ.

و على كونه مضارع جار بالرّاء المهملـة فالمعنى أنّه لم يـذهب عنه سـبحانه و لم يضلّ و لم يشـذّ عن حسابه شـىء من محقرات الامور إلاّ بحقّه أى إلاّ ما لا فايدة فى اثباته و المحاسبة عليه نحو الحركات المباحة هكذا فى شرح المعتزلى.

و يظهر من بعض الشـروح روايـة رابعة و هو كونه مضارع جزى بالزّاء المعجمة بصـيغة المجهول حيث قال: قوله فلم يجز فى عدله آه أى لا يجزى أحد يومئذ و لا يكافئ إلاّ بما يستحقّه من الثّواب و العقاب.

و على هـذه الرّوايـة فيكون مساقه مساق قوله تعالى «فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ لا تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و على أىّ تقـدير فالغرض الاخبار عن عموم عـدله تعالى فى مظالم النّاس على أنفسـهم و على غيرهم، و قـد مضـى فى شـرح الخطبة المأة و الخامسة و السّبعين ما ينفعک ذكراه فى هذا المقام.

(فكم حجّة يوم ذاک داحضـة) أى لم يبق للنّاس على اللّه حجّة بعد الرّسل و إنّما هلک من هلک عن بيّنة و حىّ من حىّ عن بيّنة (و علائق عذر منقطعة) فلا ينفع الّذين ظلموا معذرتهم و لا هم يستعتبون.

(فتحرّ من أمرک مـا يقوم به عـذرک و تثبت به حجّتک) أى اطلب و اعتمـد من أمورک و أفعالک فى الـدّنيا ما به قوام اعـذارک المقبولـة يوم القيامة و ما به ثبات حججک الصحيحة يومئذ و هو أمر بتحصيل الكمالات النّفسانية و مواظبة التّكاليف الشّرعيّة و ملازمة سنن الشّريعة، إذ الأعذار الشّرعية مقبولة البتة و كذلک الحجج البرهانيّة الموافقة لأساس الشّريعة.

(و خذ ما يبقى لک) و هو الاخرة و نعيمها الباقى (ممّا لا تبقى له) و هو الدّنيا

و نعيمها الفانى كما قال عليه الصّلاة و السّلام فى الدّيوان:

فلا الدّنيا بباقية لحىّ و لا حىّ على الدّنيا بباق

و المراد أخـذ الاخرة عوضا من الـدّنيا أو تحصـيلها فيها فانّ الفوز بالسّعادة الدّائمة إنّما يحصل بالقيام على التكاليف فى دار الدّنيا لأنّها دار التكليف و الاخرة دار الجزاء، و هذه الفقرة نظير قوله عليه السّلام فى الكلام المأتين و الثّانى: فخذوا من ممرّكم لمقرّكم.

و فى الاتيان بالموصول من دون أن يقول و خذ الاخرة من الدّنيا تأكيد للغرض المسوق له الكلام و حثّ على شدّة الأخذ (و تيسّر لسفرك) و هو أمر بتهيّة الزّاد لسـفر الاـخرة و الاسـتعداد للمعاد و خير الزّاد الزّهـد و التّقوى (و شم برق النّجاة) أى انظر إلى لوامع الأنوار الالهيّة و بوارق النّجـاة الّتى تنجيـک من الظّلمـات و مهـاوى الهلكـات(و ارحل مطايا التشـمير)و الجـدّ إلى الجهـة التى أنت متوجّه إليها و هو أمر بالاجتهاد فى العمل لما بعد الموت، قال البحرانى استعار لفظ المطايا لالات العمل و لفظ الارحال لاعمالها.

الترجمة

از جملهٔ كلام نصايح انجام آن امام است كه فرمود آن را در وقت تلاوت كردن آيهٔ شـريفة «يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْكَرِيمِ » يعنى اى فرزنـد آدم چه چيز مغرور ساخت تو را بپروردگار تو كه موصوفست بجود و كرم، آن حضـرت بعد از تلاوت آيه كه انسان مخاطب بخطاب اين آيه است فرمود:

باطل ترين سؤال شـدگانست از حيثيّت حجّت و دليل، و بريده ترين فريفته شدگان است از حيثيّت عذرخواهى، هر آينه شدّت نموده بنفس خود از حيثيّت نـادانى، اى انسـان چه چيز جرى و جسور نمود تو را بر گنـاه خودت، و چه چيز مغرور ساخت تو را به پروردگار خودت، و چه چيز انس داد تو را به هلاكت نفس خودت آيا نيست از درد گناه تو بهبودى، آيا نيست از خواب غفلت تو بيدارى، آيا رحم

نمی کنی بر نفس خـود بقراری که رحم میکنی بر غیر خـود(1) هر آینه بسـیار است که می بینی شخصـی را در آفتـاب پس بر او از رحمت سایه کنی، یا می بینی شخصی بألم مبتلا شده مثل زخمی و بثرهٔ که در می آورد و می سوزاند تن او را پس از ترحّم بر او گریه کنی، پس چه چیز صـابر ساخته است ترا بر درد و مرض تو، و قوی کرده است ترا بر مصـیبتهای تو، و خرسـند کرده است ترا از گریسـتن بر نفس خود که بچنین بلا گرفتار است و آن عزیزترین جانهاست بر تو و چگونه بیدار نمی کند ترا ترس شبیخون خشـمهای خدا و حال آنکه در آمدهٔ بسبب معاصی در ورطهٔ مسالک سطوات او تعالی.

پس دوا پذیر از این درد سـستی که در دل مرده داری بجدّ و جهد و قوّت عزمی و از خواب غفلت که در چشم گران خواب داری به بیداری و هشـیارئی، و باش خدای را فرمان برنده و بیاد او انس گیرنده، و ممثل گردان پیش نظر خویش در حالی که روی گردانیدهٔ از خداوند تعالی اقبال او را بر تو، می خواند ترا بعفو خود، و می پوشاند تو را بفضل خود، و تو روی گردانیدهٔ از او بسوی غیر او و اقبال نمی کنی بر او.

پس بلنـد است خدای توانا چه حلیم است، و پستی بندهٔ ضـعیف چه دلیری بر معصـیت خدا و حال آنکه در پناه عفو او اقامت کنندهٔ، و در فراخی فضل او گردندهٔ و روندهٔ، پس منع نکرد ترا با این حال از فضل خود، و ندرید از تو پردهٔ عفو خود را بلکه خالی نبودی از آثار لطف او یک چشم زدن در نعمتی که احـداث میکند برای تو، یا بدئی که می پوشد بر تو، یا بلائی که بازمیگرداند از تو - با نافرمانی - پس چه گمان داری بأو تعالی اگر اطاعت کنی او را.

و بخدا قسم اگر آنکه این صـفت در دو شـخص موافق در قوّت یکسان در قدرت می بود و این معامله با مثل خود بشـری می کردی هر آینه بودی تو أوّل حکم کننده بر خود بأخلاق نکوهیده و أعمال ناپسندیده، و حق می گویم نه دنیا تو را فریب

1- (1) - چون تتمهٔ ترجمه در أصل نسـخه بیاض بود لذا ما بقیهٔ آنرا از شـرح نهج البلاغهٔ فاضل متبحر ملا صالح قزوینی قدّس اللّه روحه نقل کردیم. «مصحح».

دارد بلکه تو بأو فریفته گشتی، و او هر آینه روشن کرد برای تو پندها و اعتبارها، و اعلام نمود براستی بیخلاف و جفا.

و این دنیا باین وعدها که ترا می دهد بنزول بلا بر جسـمت و نقصان قوتت و شکسـتنی بنیان جانب راسـتگوتر و وفا کننده تر است از آن که دروغ گویـد با تو یا غدر کند و بفریبد ترا، و بسا ناصح مر دنیا را که نزد تو متّهم است و نصـیحت او باور نداری و خبر راست از او که دروغ شماری.

و اگر خبر بگیری از دنیـا در دیـار او که خراب مانـده است، و منازل او که از أهل آن خالی مانـده است هر آینه می یابی او را از راه موعظت نیکو و پند بلیغ که ترا داده است بمنزلت پدر مهربان است و بخیل است بتو، و خوب سرائیست دنیا برای کسی که راضی نشود بان که سرای خود داند، و خوب محلی است برای کسی که آن را محل وطن نسازد.

و بـدرستی نیکبختان بـدنیا فردا ایشاننـد که می گریزنـد امروز از دنیا، روزی که بلرزد زمین و ثابت گردد بوقایع جلیلهٔ قیامت، و ملحق شود بهر عبادت و دینی أهل آن و بهر معبودی عابـدان آن – عابدان أصـنام به أصـنام و عابدان أنام به أنام و عابدان حق بمعبود خویش – و ملحق شود بهر طاعت برده شده طاعت بران او.

پس جزا داده نشود یا نگـذرد یا جاری نگردد در عـدل و داد خداونـد عباد آن روز نفوذ نظری در هوا، و نه نرم گذاشـتن قـدمی در زمین مگر بحق آن، پس بسا حجّتها که آن روز باطل گردد، و عذرها که شخص بان در آویخته بود منقطع گردد.

پس طلب کن از کار خود برای مصـلحت آن روز آنچه قائم شود بان عـذر تو و ثابت گردد حجّت تو، و فرا گیر آنچه را باقی می ماند برای تو از آنچه باقی نمی مانی تو برای آن، آماده و مهیا شو برای سفر خود، و نظر کن برق نجات از کجا می زند و بکجا می رود و بر کجا میبارد، و بار بر نه شتران چالاک شدن و راه پیمودن را.

ص:286

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان و الثانى و العشرون من المختار فى باب الخطب

اشارة

ملتقط من كلام طويل رواه المحدّث العلامة المجلسى قدّس سرّه فى البحار من الامالى بتفصيل و اختلاف كثير تطلع عليه إنشاء اللّه تعالى فى التكملة الاتية بعد الفراغ من شرح ما رواه الرّضىّ قدّس سرّه، و هو قوله عليه الصلاة و السلام:

و اللّه لإن أبيت على حسك السّعدان مسهّدا، و أجر فى الأغلال مصفّدا، أحبّ إلىّ من أن ألقى اللّه و رسوله - صلّى اللّه عليه و آله و سلّم - يوم القيمة ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشىء من الحطام، و كيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها، و يطول فى الثّرى حلولها. و اللّه لقد رأيت عقيلا و قد أملق، حتّى استماحنى من برّكم صاعا، و رأيت صبيانه شعث الشّعور، غبر الألوان من فقرهم كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم، و عاودنى مؤكّدا و كرّر علىّ القول مردّدا، فأصغيت إليه سمعى، فظنّ أنّى أبيعه دينى، و أتّبع قياده مفارقا طريقتى، فأحميت له حديدة ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذى دنف من ألمها، و كاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك

ص:287

الثّواكـل يـا عقيـل أ تئنّ من حديـدة أحماهـا إنسانها للعبه، و تجرّنى إلى نار سـجّرها جبّارها لغضـبه، أ تّئنّ من الأذى، و لا أئنّ من لظى. و أعجب من ذلک طارق طرقنا بملفوفـة فى وعائها، و معجونة شـنئتها، كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها، فقلت: أ صـلة أم زكاة أم صدقة، فذلک محرّم علينـا أهـل البيت، فقال: لا ذا و لا ذک و لكنّها هديّـة، فقلت: هبلتک الهبول أ عن دين اللّه أتيتنى لتخـدعنى، أ مختبط أم ذو جنّـة، أم تهجر.

و اللّه لو أعطيت الأقاليم السّـبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصـى اللّه فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها، ما لعليّ و لنعيم يفنى، و لذّة لا تبقى، نعوذ باللّه من سبات العقل و قبح الزّلل، و به نستعين.

اللغة

(بـات) فلان يفعل كـذا يبيت بيتا و بياتا و مبيتا و بيتوتـة أى يفعله ليلا و ليس من النوم و قال الزجاج: كلّ من أدركه اللّيل فقـد بات نام أم لـم ينم.

و(السّـعدان)بفتـح السـين نبت ذو شوک يقال له حسک السّـعدان يشـبّه به حلمة الثّدى و هو من أفضل مراعى الابل و منه قولهم مرعى و لا كالسّعدان و بتفسير أوضح نبت ذو حسک له ثلاث شعب محدّدة على أىّ وجه وقعت على الأرض كانت له شعبتان قائمتان

و (السّهد) بالضمّ الأرق و بضمّتين القليل النّوم و قد سهد سهدا من باب فرح و سهدته أى منعته من النّوم فهو مسهّد و (أجرّ) بالبناء على المفعول و (صفده) يصفده من باب ضرب شدّه و أوثقه كأصفده و صفّده و الصّفاد وزان كتاب ما يوثق به الأسير من قيد أوقد و (الحطام) بالضمّ فتات التبن و الحشيش و ما يتكسّر من شىء يابس قال تعالى «ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً » أى رفاتا منكسرا متفتّتا و (قفل) من باب نصر و ضرب قفولا رجع فهو قافل و القافلة الجماعة الراجعة من السّفر و (الاملاق) الافتقار قال تعالى «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ » و (الاستماحة) طلب المنح هو كالامتياح الاعطاء و (البرّ) الحنطة.

و (الصّاع) أربعة أمداد كلّ مدّ رطل و ثلث و الرطل اثنتا عشرة أوقية و الاوقية إستار و ثلثا إستار، و الاستار أربعة مثاقيل و نصف، و المثقال درهم و ثلاثة اسباع درهم و فى مجمع البحرين فى الحديث كان يغتسل بالصّاع و يتوضّأ بالمدّ قال بعض شرّاح الحديث الصّاع ألف و مأئة و سبعون درهما و ثمانمائة و تسعة عشر مثقالا و (العظلم) وزان زبرج شىء يصبغ به قيل هو النيل و قيل الوسمة و ربّما يقال: اللّيل المظلم و (القياد) بالكسر ما يقاد به و (الميسم) بكسر الميم و فتح السّين آلة الوسم و (الثكل) بالضمّ و بالتحريک أيضا فقدان الحبيب أو الولد و ثكله من باب فرح فهى ثاكل و ثكلانة القليلة و الثّواكل النّساء الفاقدات لأولادها و (أنّ) يانّ أنّا و أنينا تأوّه و (الطّارق) هو الاتى باللّيل و سمى طارقا لاحتياجه إلى طرق الباب بالمطرقة و (شنأه) من باب منع و سمع شنئا بتثليث الأوّل و شنأته أبغضته و (هبلته) أمّه من باب فرح ثكلته و (الهبول) بفتح الهاء التى لا يبقى لها ولد من النساء.

و (خبط) الشّيطان فلانا مسّه بأذى كتخبّطه و خبط زيدا و اختبطه سأله

ص:289

المعروف من غير أصـرة أى قرابـة و رحم و سابقة بينهما و (الهجر) الهذيان و (الجلب) و الجلبة بالضمّ القشـرة الّتى تعلو الجرح عند البرء و (قضم) قضما من باب سمع اكل بأطراف أسنانه أو أكل يابسا و (السّبات) وزان غراب النّوم أو خفيّة أو ابتداؤه فى الرّأس حتّى يبلغ القلب.

الاعراب

لفظـة أن فى قوله عليه السّلام و اللّه لأن أبيت مصدريّـة ناصـبة للفعل المضارع المتكلّم و هى و منصوبها فى تأويل المصدر و محلّ الرّفع بالابتداء و خبر المبتدأ قوله أحبّ إلىّ، و قوله عليه السّلام: مسـهّدا حال مؤكدة لعاملها و هو أبيت إن كان السّهر مأخوذا فى معنى البيات، و إلاّ كما هو قول الزّجاج و غيره حسـبما عرفت فتكون حالا مؤسّسة و قوله عليه السّلام: و كيف أظلم، استفهام إنكارىّ على حدّ قوله تعالى «أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ » فيكون ما بعـد الاسـتفهام غير واقع و مدّعيه كاذبا و مؤكّدا و مردّدا أيضا حالان مؤكّدتان على حدّ قوله تعالى «وَلّى مُدْبِراً » و قوله عليه السّلام أ تئنّ من حديدة استفهام للتّقرير أو التقريع و كذلک قوله: أ مختبط أم ذو جنّة آه

المعنى

اشارة

اعلم أنّ المقصود بهـذا الكلام التنبيه على نزاهـة نفسه من محبّـة الدّنيا و الرّغبة إلى حطامها الموجبة للظلم على النّاس و العدول عن سـنن العـدل فى حقوقهم فـدلّ على ذلک المقصود بنفى إقـدامه على الظلم لينتقل بـذلک إلى نفى ملزومه الـذى هو حبّ الـدّنيا و افتتـح الكلام بالقسم البارّ.

فقال (و اللّه لأن أبيت على حسک السّعدان مسهّدا) أى ممنوعا من النّوم (و اجرّ فى الأغلال مصفّدا) أى مشدّدا موثقا بالسلاسل (أحبّ إلىّ من أن ألقى اللّه و رسوله صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم القيامة ظالما لبعض العباد) فى حقّه ماليّا أو غير مالى (و غاصبا لشىء من الحطام) أى للحقّ المـالى فيكون عطف الثّـانى على الأوّل من عطف الخاصّ على العامّ على حـدّ قوله تعالى «قُلْ هِيَ مَواقِيتُ لِلنّاسِ وَ الْحَجِّ » و استعار

لفظ الحطام لمتاع الدّنيا و زبرجها و الجامع الحقارة.

و نظير ذلک وجه الشّبه فی قوله تعالی «اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الـدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكاثُرٌ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ ».

و حلفه عليه السّلام علی کون البيات عن الحسک و الجرّ فی الأغلال أحبّ إليه من لقاء اللّه و رسوله متّصفا بالظلم و الغصب ممّا لا غبار عليه، و علّة أحبيّتها إليه عليه السّلام أنّهما و إن کان فيهما ألم شديد إلاّ أنّ ذلک الألم بالنسبة إلی ما يترتّب علی الظلم من العذاب الشّديد الاخروی أسهل و أهون.

و هـذا فی حقّ عموم العقلاء الملاحظين لعاقبة الامور، و أمّا فی حقّه عليه السّلام و حقّ ساير أولياء اللّه المقرّبين فلو لم يترتّب علی الظلم من العقوبات الاخرويّة سوی سوء لقاء اللّه و رسوله و الاستحياء منهما و الحجب عن مقام الزّلفی فقط لکفی ذلک فی ترجيح البيات علی الأشواک و الجرّ فی الأغلال عليه.

و بما ذکرته علم أنّ لفظ أحبّ فی کلامه عليه السّلام لم يرد به التّفضيل الـذی صيغة أفعل حقيقة فيه و إنّما أراد به المعنی الوصلی نظير صيغة المبالغة فی قوله تعالی «وَ ما رَبُّکَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ ».

و يؤمی إليه أيضا تشديده النکير علی إقدامه علی الظلم فی قوله عليه السّلام (و کيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلی البلی قفولها) أی رجوعها من الشّباب إلی الشّيب الذی معدّ للبلی و الاندراس و ضعف القوی کما أشير إليه فی قوله تعالی «اَللّهُ الَّذِی خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَ شَيْبَةً » أو رجوعها إلی الاخرة فانّها المکان الأصلی و فيها تبلی الأجساد کما قال تعالی «مِنْها خَلَقْناكُمْ وَ فِيها نُعِيدُكُمْ وَ مِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرى » و علی الاحتمال الأخير فنسبة البلی إلی نفسه عليه السّلام بالنظر إلی زعم الناس لما قد عرفت فی شرح الخطبة السادسة و الثمانين عدم سرعة البلی إلی أبدان الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام.

قال العلاّمة المجلسیّ قدّس سرّه: و يحتمل أن يکون قفول جمع قفل

بـالضمّ فانّه يجمع على أقفال و قفول فاسـتعير هنا لمفاصل الجسـد، و على أىّ تقـدير فالمراد بالنّفس فى كلامه عليه السّلام هو الجسـد لا الرّوح كما هو ظاهر.

و قوله عليه الصّلاة و السّلام (و يطول فى الثّرى حلولها) إشارة إلى طول لبثها فى القبر إلى يوم البعث.

ثمّ اكّد عليه السّلام براءة ساحته من الظلم باقتصاص قصّته مع أخيه عقيل فقال مؤكّداً بالقسم البارّ (و اللّه لقد رأيت عقيلا و قد أملق) أى افتقر و صار ملقا ضـعيفا (حتّى استماحنى) أى طلب منّى السّماحة و الجود و أن أعطيه (من برّكم صاعا) و قد مضى مقداره فى بيان اللّغة (و رأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان) أى مغبّر الرّؤوس متغيّر الألوان (من) شدّة (فقرهم) و ضرّهم (كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم) فانّ من نحل جسمه من الجوع يضرب لونه إلى السّواد كما أنّ البادن بعكس ذلك.

(و عادونى) أى العقيل (مؤكّداً) للاستماحة (و كرّر علىّ القول مردّدا) و بعد ما أصرّ على سؤاله (فأصغيت إليه سمعى) أى أملتها نحوه (فظنّ أنّى أبيعه دينى) و أخون فى بيت مال المسـلمين (و أتّبع قياده) أى أطيعه و أنقاد له قال الشّارح البحرانى: قياده ما يقوده به من الاسـتعطاف و الرّحم، و فى بعض النّسـخ اتّبع بصـيغة الغيبـة قال العلامـة المحـدّث المجلسـىّ: فلعلّه إشارة إلى ذهابه إلى معاوية، انتهى و الأوّل أولى و أنسب بالسّياق.

و قوله عليه السّلام (مفارقا طريقتى) أى العـدل و الاسوة (فأحميت له حديـدة ثمّ أدنيتها من جسـمه ليعتبر بها) و ينزجر و يـذكر نار الاخرة (ف) لمّا مسّته حرارة الحديدة (ضجّ ضجيج ذى دنف) أى مرض مولم (من ألمها و كاد أن يحترق من ميسمها) أى من أثرها فى يده (فقلت له ثكلتك الثّواكل) أى النّساء النّادبات (يا عقيل أتئنّ) و تضجّ (من حديدة أحماها إنسانها للعبه).

قـال الشّارح المعتزلى: لم يقل إنسان لأنّه يريـد أن يقابل هـذه اللّفظـة بقوله جبّارها و المراد باللّعب خلاف الجـدّ فى الاحماء النّاشـى من الغضب و لذلك

قابله بالغضب فى قوله عليه السّلام (و تجرّنى إلى نار سجّرها) أى أوقدها (جبارها لغضبه أتئنّ من الأذى) أذى نار الدّنيا (و لا أئنّ من لظى) نزّاعة للشّوى أى إذا كنت تئنّ من أذى نار الدّنيا و ألمها على ضعفها و حقارتها فكيف لا أئنّ من نار الاخرة الّتى وقودها النّاس و الحجارة على شدّتها و قوّتها.

و محصّل غرضه من ذكر قصّة عقيل التّنبيه على غاية مراعاته للعدل و تجنّبه عن الظلم و محافظته على بيت مال المسلمين، فانّ من منع أخاه على شدّة فاقته و فاقة عياله مع قرابتهم القريبة و الرّحم الماسّة و كونهم من جملة ذوى الحقوق فى بيت المال من أن يعطيه منه شيئا يسيرا من الطعام و هو الصاع من البرّ لمحض الاحتياط فى الدّين و ملاحظة حقوق المسلمين، و خوفا من شبهة الظلم، فأبعد من أن يحوم حوم الظلم ثمّ أبعد.

قال الشارح المعتزلى: سأل معاوية عقيلا عن قصّة الحديدة المحماة المذكورة قال: أصابتنى مخمصة شديدة فسألته عليه السّلام فلم تند صفاته، فجمعت صبيانى فجئت بهم إليه و البؤس و الضرّ ظاهران عليهم، فقال عليه السّلام: ائتنى عشيّة لأدفع إليک شيئا فجئته يقودنى أحد ولدى، فأمره بالتّنحّى ثمّ قال عليه السّلام: ألافدونک، فأهويت حريصا قد غلبنى الجشع، أظنّها صرّة فوضعت يدى على حديدة تلتهب نارا، فلمّا قبضتها نبذتها و خرت كما يخور الثّور تحت يد جازره فقال: ثكلتک أمّک هذا من حديدة أوقدت لها نار الدّنيا، فكيف بک و بى غدا إن سلكنا فى سلاسل جهنّم ثمّ قرء:

«إِذِ الْأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَ السَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ » ثمّ قال عليه السّلام: ليس عندى فوق حقّک الّذى فرضه اللّه لک إلاّ ما ترى فانصرف إلى أهلک، فجعل معاوية يتعجّب و يقول:

هيهات هيهات النّساء أن يلدن بمثله.

و فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب من جمل أنساب الأشراف قال:

و قدم عليه عليه السّلام عقيل فقال للحسن: اكس عمّک، فكساه قميصا من قمصه و رداءة من أرديته، فلمّا حضر العشاء فاذا هو خبز و ملح فقال عقيل: ليس إلاّ ما أرى فقال عليه السّلام: أو ليس هذا من نعمة اللّه و له الحمد كثيرا، فقال: اعطنى ما اقضى به دينى

و عجّل سـراحی حتّی أرحل عنک، قال علیه السّلام: فکم دینک یا أبا یزید؟ قال: مأئة ألف درهم، قال علیه السّلام: لا و اللّه ما هی عندی و لا أملکها و لکن اصبر حتّی یخرج عطائی فاواسـیکه و لولا أنّه لابـدّ للعیال من شـیء لأعطیتک کلّه، فقال عقیل: بیت المال فی یدک و أنت تسوّفنی إلی عطائک و کم عطاؤک و ما عساه یکون و لو أعطیتنیه کلّه فقال علیه السّلام: ما أنا و أنت فیه إلاّ بمنزلة رجل من المسلمین و کانا یتکلّمـان فوق قصـر الامـارة مشـرفین علی صـنادیق أهـل السوق فقال علیّ علیه السّلام: إن أبیت یا أبا یزیـد ما أقول فانزل إلی بعض هـذه الصـنادیق فاکسـر أقفاله و خذ ما فیه قال: و ما فی هذه الصـنادیق؟ قال علیه السّلام: فیها أموال التجار، قال أ تأمرنی أن اکسر صنادیق قوم قد توکّلوا علی اللّه و جعلوا فیهـا أموالهم، فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام أ تأمرنی أن أفتـح بیت مال المسـلمین فأعطیک أموالهم و قـد توکّلوا علی اللّه و أقفلوا علیها و إن شـئت أخذت سـیفک و أخذت سـیفی و خرجنا جمیعا إلی الحیرة فانّ بها تجارا میاسـیر فدخلنا علی بعضـهم فأخذنا ماله، فقال: أو سارقا جئت؟ قال علیه السّلام: نسـرق من واحد خیر من أن یسرق من المسلمین جمیعا، قال له: أو تأذن لی أن أخرج إلی معاویة؟ فقال علیه الصلاة و السلام له:

قد أذنت لک، قال: فأعنّی علی سفری هذا، فقال علیه السّلام: یا حسن اعط عمّک أربعمائة درهم، فخرج عقیل و هو یقول:

سیغنینی الذی أغناک عنّی و یقضی دیننا ربّ قریب

و ذکر عمرو بن العلاء أنّ عقیلا لمّا سأل عطاءه من بیت المال قال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: تقیم إلی یوم الجمعة فأقام، فلمّا صلّی أمیر المؤمنین علیه السّلام الجمعة قال لعقیل: ما تقول فیمن خان هؤلاء أجمعین؟ قال: بئس الرّجل ذاک قال علیه السّلام:

فأنت تأمرنی أن أخون هؤلاء و أعطیک.

و فیه من المناقب أیضا قال: سـمعت مذاکرة من الشّیوخ أنّه دخل علیه عمرو بن العاص لیلة و هو فی بیت المال فطفی السـراج و جلس فی ضوء القمر و لم یسـتحلّ أن یجلس فی الضوء بغیر استحقاق، هذا (و أعجب من ذلک) أی ممّا ذکرته من قصّة عقیل قصّة الأشعث بن قیس الکنـدی و تقرّبه إلیّ بالهدیـة الّتی کانت رشوة فی الحقیقة اسـتمالة لی و تخدیعا إیّای. فانّه کما قال الشارح المعتزلی: کان أهدی له نوعا من الحلواء تأنق فیه و کان

يبغض الأشعث لأنّ الأشعث كان يبغضه، و ظنّ الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوى كان فى نفس الأشعث و كان عليه السّلام يتفطّن لذلک و يعلمه، و لذلک ردّ هدّيته و لولا ذلک لقبلها كما نبّه عليه السّلام على ذلک بقوله:

(طارق طرقنا) أى أتى إلينا ليلا (بملفوفة) أى بهدّية على زعم الطارق بها لفّها و غطاها (فى وعائها و معجونة شنئتها) أى أبغضتها و نفرت عنها لما علمت من الطارق بها (كأنّما عجنت بريق حيّة أو قيئها) أى بالسمّ القاتل الموجب لغاية البخل و النفرة (فقلت أ صلة أم زكاة أم صدقة فذلک) أى كلّ منها (محرّم علينا أهل البيت).

قال الشارح المعتزلى: الصلة العطية لا يراد بها الاخرة بل يراد بها وصلة إلى الموصول و أكثر ما تفعل للذكر و الصّيت و الزكاة هى ما تجب فى النّصاب من المال، و الصدقة ههنا هى صدقة التطوع.

فان قلت: كيف قال فذلک محرّم علينا أهل البيت و إنّما يحرم عليهم الزّكاة الواجبة خاصّة و لا يحرم عليهم الصدقة التطوع و لا قبول الصلاة.

قلت: أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة و هم محمّد و علىّ و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السّلام فهؤلاء خاصّة دون غيرهم من بنى هاشم يحرم عليهم قبول الصدقة و الصلاة، انتهى ملخصا.

أقول: أمّا الصلاة فلم يقل أحد بحرمتها عليهم عليهم السّلام و لا على غيرهم من الهاشميّين، و أمّا الصدقة المندوبة فكذلک على مذهب المشهور من أصحابنا، فلا بدّ فى رفع الاشكال من جعل المشار إليه بقوله فذلک أحد الأخيرين أعنى الزّكاة و الصدقة أو الصدقة المستحبّة مع البناء على مذهب بعض الأصحاب من تحريمها عليهم أيضا و جعل المراد بالصدقة الكفّارات الواجبة.

و يؤيّد ذلک أعنى كون الاشارة إلى أحد الأخيرين فقط جواب الأشعث بقوله: لا ذا و لا ذاک، حيث نفى الاثنين من الثلاث دون الثلاث جميعا، فيكون قوله:

و لكنّها هدّية بمعنى أنّها صلة.

و على كون المشار إليه جميع الثلاث فاللاّزم حمل الصّلة على ما كان

على وجه المصانعة و الرّشوة،و على كون المراد بالصدقة صدقة التّطوع و البناء على مذهب المشهور فلا بدّ من ارتكاب المجاز فى التّحريم، و حمل قوله عليه السّلام:

محرّم على ما يعمّ الكراهة و الحرمة المصطلحة، فافهم جيّدا.

(فقال لا ذا و لا ذاک و لكنّها هدّية) و إنّما قال ذلک لكونه عارفا بأنّه عليه السّلام كان يقبل الهدايا و لا يشمئزّ منها إلاّ أنّه عليه السّلام لمّا عرف فساد غرضه فيها اعترض عليه و أجابه بقوله (فقلت هبلتک الهبول) أى ثكلتک أمّک (أ عن دين اللّه أتيتنى لتخدعنى أ مختبط) أنت (أم ذو جنّة أم تهجر) الاستفهام إنكارىّ و الغرض منه توبيخ الأشعث و تقريعه على ما أتى به من الهدية و التّعريض عليه بأنّ إتيانه بها مع ما أضمر من سوء النيّة يشبه فعل صاحب الخبط و الجنون و الهذيان قال الشارح المعتزلى: المختبط المصروع من غلبة الاخلاط السّوداء أو غيرها عليه و ذو الجنّة من به مسّ من الشيطان، و الّذى يهجر هو الّذى يهذى فى مرض ليس بصرع كالمبرسم و نحوه، انتهى.

أقول: إن أراد أنّ المختبط قسيم ذى الجنّة يعنى خصوص المصروع من غير مسّ الشيطان فيردّه قوله تعالى «لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ » و إن أراد كونه أعمّ منه فلا بأس به لكن الأظهر أن يكون مراده عليه السّلام به كونه ذا خبط أى طالب معروف من غير سابقة و لا قرابة أو أنّه ذو خبط أى حركة على غير النّحو الطبيعى كخبط العشواء ثمّ شدّد النّكير على الطارق و أبطل ما كان فى خلده من إمكان إقدامه عليه السّلام على الظلم و المعصية بوسيلة الهدية و دقّ عليه السّلام خيشومه بقارعة الخيبة فقال (و اللّه) الكريم و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم (لو أعطيت الأقاليم السبعة) و بقاع الأرضين (بما تحت أفلاكها على أن أعصى اللّه) طرفة عين و أقدم على الظلم و لو (فى) حقّ (نملة) هى أضعف مخلوق (أسلبها جلب شعيرة) و قشرها (ما فعلته) و هذا دليل على كمال عدله عليه السّلام و بلوغه فيه الغاية القصوى الّتى لا يتصوّر ما فوقها.

و لمّا نبّه على نزاهته من الظلم و كان منشأ الظلم كساير المعاصى هو

حبّها لكونها رأس كلّ خطيئـة أردفه بالتنبيه على غايـة زهـده فيها و طهارة لوح نفسه من دنس حبّها فقال (و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضـمها) و تكسرها (ما لعلىّ و لنعيم يفنى و لذّة لا تبقى) إنكار لميل نفسه إلى نعيم الدّنيا و لذّاتها الفانية، يعنى أنّ حال علىّ ينافى رغبته إلى تلك اللّذات.

(نعوذ باللّه من سـبات العقل) أى نومه و غفلته عن ادراک مفاسـد تلک اللّذات و ما يترتّب عليها من المخازى و الهلكات (و قبح الزّلل) و الضّلال عن الصّراط المسـتقيم النّاشـى من الرّكون إلى الـدنيا و الرّغبة إلى نعيمها (و به نسـتعين) فى النّجاة من تلک الورطاة و فى جميع الحالات.

قال كاشف الغمّة و لنعم ما قال:

و اعلم أنّ أنواع العبادة كثيرة، و هى متوقّفـة على قوّة اليقين باللّه تعالى و ما عنده و ما أعدّه لأوليائه فى دار الجزاء، و على شدّة الخوف من اللّه تعـالى و أليم عقـابه، و علىّ عليه السّلام القائـل: لو كشف الغطـاء مـا ازددت يقينا، فشـدّة يقينه دالّة على قوّة دينه و رجاحـة موازينه، و قد تظاهرت الرّوايات أنّه لم يكن نوع من أنواع العبادة و الزّهـد و الورع إلاّ و حظه عليه السّلام منه وافر الأقسام، و نصـيبه منه تامّ بل زايـد على التّمام، و ما اجتمع الأصـحاب على خير إلاّ كانت له رتبـة الامام، و لا ارتقوا قبّة مجد إلاّ و له ذروة الغارب و قلّة السّنام، و لا احتكموا فى قضيّة شرف إلاّ و ألقوا إليه أزمة الأحكام.

و روى الحافظ أبو نعيم بسـنده فى حليته أنّ النبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم قال: يا علىّ إنّ اللّه قد زيّنک بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى اللّه منها هى زينة الأبرار عند اللّه تعالى: الزّهد فى الدّنيا فجعلک لا ترزء من الدّنيا شـيئا و لا ترزء منک الدّنيا شـيئا أى لا تنقص منها و لا تنقص منک.

و قد أورده صاحب كفاية الطالب أبسط من هذا قال: سمعت أبا مريم السلولى يقول: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: يا علىّ إنّ اللّه قد زيّنک بزينة لم يزيّن العباد بزينة أحبّ إلى اللّه منها: الزهد فى الدّنيا فجعلک لا تنال من الدّنيا شيئا و لا تنال

الدّنيا منک شيئا، و وهب لک حبّ المساكين فرضوا بک إماما و رضيت بهم أتباعا فطوبى لمن أحبّک و صدق فيک و ويل لمن أبغضک و كذب عليک، فأما الذين أحبّوک و صدقوا فيک، فهم جيرانک فى دارک و رفقاؤک فى قصرک و أما الذين أبغضوک و كذبوا عليک فحقّ على اللّه أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة، و ذكره ابن مردويه فى مناقبه.

فقد ثبت لعلىّ عليه السّلام الزّهد بشهادة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له بذلک، و لا يصحّ الزّهد فى الشىء إلاّ بعد معرفته و العلم به و علىّ عليه السّلام عرف الدّنيا بعينها و تبرّجت له فلم يحفل بزينتها لشينها و تحقق زوالها، فعاف وصالها و تبين انتقالها، فصرم حبالها و استبان قبح عواقبها و كدر مشار بها فألقى حبلها على غاربها و تركها لطالبها و تيقّن بؤسها و ضررها فطلّقها ثلاثا و هجرها، و عصاها إذ أمرته فعصته إذ أمرها و علمت أنه ليس من رجالها و لا من ذوى الرّغبة فى جاهها و مالها و لا ممّن تقوده فى حبالها و تورده موارد وبالها، فصاحبته هدنة على دخن، و ابتلته بأنواع المحن و جرت فى معاداته على سنن، و غالته بعده فى ابنيه الحسين و الحسن، و هو صلّى اللّه عليه لا يزداد على شدّة للأواء إلاّ صبرا، و لا على تظاهر الأعداء إلاّ حمدا للّه تعالى و شكرا، آخذا بسنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يحول عنها مقتفيا لاثاره لا يفارقها، واطئا لعقبه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا يجاوزها حتّى نقله اللّه تعالى إلى جواره و اختار له دارا خيرا من داره فمضى محمود الأثر، مشكور الورد و الصدر، مستبدلا بدار الصّفاء من دار الكدر، قد لقى محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بوجه لم يشوهه التبديل، و قلب لم تزدهه الأباطيل.

تكملة

هذا الكلام له عليه السّلام رواه المحدّث العلامة المجلسىّ قدّس سرّه فى المجلّد التاسع و المجلّد السابع عشر من البحار من الأمالى عن علىّ بن أحمد الدّقاق عن محمّد بن الحسن الطّارى عن محمّد بن الحسين الخشاب عن محمّد بن محسن عن المفضّل ابن عمر عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عن أبيه عليهم السّلام قال:

قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و اللّه ما دنياكم عندى إلاّ كسفر على منهل حلّوا إذ صاح

بهم سائقهم فارتحلوا و لا لذاذتها فی عینی إلاّ کحمیم أشربه غساقا و علقم أتجرّعه زعاقا و سمّ أفعاة أسقاه دهاقا و قلادة من نار اوهقها خناقا، و لقد رقعت مدرعتی هذه حتّی استحییت من راقعها و قال لی: اقذف بها قذف الاتن لا یرتضیها لیراقعها، فقلت له: اعزب عنی فعند الصباح یحمد القوم السری و ینجلی عنا غیابات الکری، و لو شئت لتسربلت بالعبقری المنقوش من دیباجکم و لأکلت لباب البرّ بصدور دجاجکم و لشربت الماء الزلال برقیق زجاجکم، و لکنّی أصدق اللّه جلّت عظمته حیث یقول:

«مَنْ کانَ یُرِیدُ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها نُوَفِّ إِلَیْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِیها وَ هُمْ فِیها لا یُبْخَسُونَ أُولئِکَ الَّذِینَ لَیْسَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ إِلاَّ النّارُ ».

فکیف استطیع المصیر علی نار لو قذفت بشررة إلی الأرض لأحرقت نبتها و لو اعتصمت نفس بقلّة لأنضجها وهج النار فی قلّتها، و أیّما خیر لعلیّ أن یکون عند ذی العرش مقرّبا أو یکون فی لظی خسیئا مبعدا مسخوطا علیه بجرمه مکذّبا و اللّه لأن أبیت علی حسک السعدان مرقدا و تحتی أطمار علی سفاها ممدّدا، أو اجرّ فی أغلالی مصفدا، أحبّ إلیّ من أن ألقی فی القیامة محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خائنا فی ذی یتمة اظلمه بفلسه متعمدا و لم أظلم الیتیم و غیر الیتیم لنفس تسرع إلی البلی قفولها و یمتدّ فی أطباق الثری حلولها، و إن عاشت رویدا فبذی العرش نزولها.

معاشر شیعتی احذروا فقد عضّتکم الدّنیا بأنیابها، تختطف منکم نفسا بعد نفس کذئابها، و هذه مطایا الرّحیل قد أنیخت لرکابها إلاّ أنّ الحدیث ذو شجون فلا یقولنّ قائلکم إنّ کلام علیّ متناقض، لأنّ الکلام عارض.

و لقد بلغنی أنّ رجلا من قطّان المداین تبع بعد الحنیفیّة علوجه، و لبس من نالة دهقانه منسوجه، و تصمخ بمسک هذه النّوافج صباحه، و تبخّر عود الهند رواحه، و حوله ریحان حدیقة یشم تفّاحه، و قد مدّ له مفروشات الرّوم علی سرره، تعسا له بعد ما ناهز السّتّ بعین من عمره و حوله شیخ یدبّ علی أرضه من هرمه و ذا یتمة تضوّر من ضرّه و من قرمه، فما واساهم بفاضلات من علقمه لئن أمکننی اللّه منه لأخضمنّه

خضم البرّ، و لاقيمنّ عليه حدّ المرتدّ، و لأضربنّه الثمانين بعد حدّ و لأسدنّ من جهله كلّ مسدّ، تعسا له أفلا شعر أفلا صوف أفلا وبر أفلا رغيف قفار الليل افطار معدم أفلا عبرة على خدّ فى ظلمة ليالى تنحدر و لو كان مؤمنا لاتّسقت له الحجّة إذا ضيّع ما لا يملک.

و اللّه لقد رأيت عقيلا أخى و قد أملق حتّى استماحنى من برّكم صاعه، و عاودنى فى عشر وسق من شعيركم يطعمه جياعه، و يكاد يلوى ثالث أيّامه خامصا ما استطاعه و رأيت أطفاله شعث الألوان من ضرّهم كأنّما اشمأزّت وجوههم من قرّهم، فلمّا عاودنى فى قوله و كرّره أصغيت إليه سمعى فغرّه، و ظنّنى اوتغ دينى فاتّبع ما سرّه أحميت له حديدة ينزجر إذ لا يستطيع منها دنوّا و لا يصبر، ثمّ أدنيتها من جسمه فضجّ من ألمه ضجيج ذى دنف يئنّ من سقمه، و كاد يسبّنى سفها من كظمه، و لحرقة فى لظى أضناه من عدمه فقلت له: ثكلتک الثّواكل يا عقيل أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها لمدعبه، و تجرّنى إلى نار سجّرها جبّارها من غضبه، أتئنّ من الأذى و لا أئنّ من لظى.

و اللّه لو سقطت المكافاة عن الامم و تركت فى مضاجعها باليات الرّمم لاستحييت من مقت رقيب يكشف فاضحات من الأوزار تنسخ فصبرا على دنيا تمرّ بلاء وائها كليلة بأحلامها تنسلخ، كم بين نفس فى خيامها ناعمة و بين أثيم فى جحيم يصطرخ فلا تعجب من هذا.

و أعجب بلا صنع منا من طارق طرقنا بملفوفات زملها فى وعائها و معجونة بسطها فى إنائها فقلت له: أصدقة أم نذر أم زكاة و كلّ ذلک يحرم علينا أهل بيت النّبوة و عوضنا منه خمس ذى القربى فى الكتاب و السنّة، فقال لى: لا ذاک و لا ذاک و لكنّه هديّة فقلت له: ثكلتک الثّواكل أفعن دين اللّه تخدعنى بمعجونة عرقتموها بقندكم، و خبيصة صفراء أتيتمونى بها بعصير تمركم، أ مختبط أم ذو جنّة أم تهجر أ ليست النّفوس عن مثقال حبّة من خردل مسئولة، فما ذا أقول فى معجونة اتزقمها معمولة و اللّه لو اعطيت الأقاليم السّبعة بما تحت أفلاكها و استرق لى قطانها مذعنة بأملاكها

على أن أعصى اللّه فى نملة أسلبها شعيرة فألوكها ما قبلت و لا أردت، و لدنياكم أهون عندى من ورقة فى فم جرادة تقضمها و أقذر عندى من عراقة خنزير يقذف بها أجذمها، و أمرّ على فؤادى من حنظلة يلوكها ذو سقم فيشتمها «فيبشمها» فكيف أقبل ملفوفات عكمتها فى طيّها و معجونة كأنّها عجنت بريق حيّة أو فيئها.

اللّهم انّى نفرت عنها نفار المهرة من كيّها أريه السّها و يرينى القمر.

أ أمتنع من وبرة من قلوصها ساقطه، و أبتلع إبلا فى مبركها رابطة، أدبيب العقارب من و كرها ألتقط، أم قواتل الرّقش فى مبيتى ارتبط، فدعونى أكتفى من دنياكم بملحى و أقراصى، فبتقوى اللّه أرجو خلاصى ما لعلىّ و نعيم يفنى و لذّة تنحتها المعاصى سالقى و شيعتى ربّنا بعيون ساهرة و بطون خماص ليمحّص اللّه الّذين آمنوا و يمحق الكافرين، و نعوذ باللّه من سيّات الأعمال، و صلّى اللّه على محمّد و آله الطّاهرين(1).

بيان

ما يحتاج الى التّوضيح و البيان من غريب ألفاظ هذه الرواية الّتى لم تتقدّم فى رواية الرضىّ فنقول و باللّه التّوفيق:

«الحميم» الماء الحارّ الشّديد الحرارة يسقى منه أهل النّار و عن ابن عبّاس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابتها «و الغسّاق» بالتّخفيف و التّشديد ما يسيل من صديد أهل النّار و غسالتهم أو ما يسيل من دموعهم و «العلقم» شجر مرّ و يقال للحنظل و لكلّ شىء مرّ: علقم.

و السم «الزّعاق» وزان غراب هو الّذى يقتل سريعا، و الماء الزّعاق الملح الغليظ لا يطاق شربه و «الدّهاق» وزان كتاب الممتلى و «الوهق» بالتحريک و يسكن الحبل يرى به فى انشوطة فيؤخذ به الدابة و الانسان و «المدرعة» القميص و قوله «قذف الاتن» هو بضمتين جمع الاتان و هى الحمارة و التّشبيه بقذفها لكونها أشدّ امتناعا للحمل من غيرها أو لكونها أكثر قذفا لجلّها، و «غيابات الكرى» بالضم جمع غيابة و غيابة كلّ شىء ما سترک منه و منه غيابات الجبّ، و قال الجوهرى

1- (1) - أقول: حيث كانت النسخة مغلوطة جدا و بعضها لا يكاد يقرأ، صحّحت هذا الكلام الشريف عن نسخة البحار المطبوعة اخيرا ج 40 ص 345 و هكذا من البيان ما كان موجودا فى البحار «المصحح».

الغيابـة كلّ شـىء تظلّ الانسان فوق رأسه مثل السّحابة و الغبرة و الظلمة و نحو ذلک، و فى بعض النسخ علالات الكرى بالضمّ أيضا جمع علالـة بقيـة كلّشـىء و الكرى النعاس و النّوم أى من يسـرى باللّيل يعرضه فى اليوم النّعاس لكنّه ينجلى منه بعد النوم فكذلک يذهب مشـقة الطاعات بعـد الموت هكذا قال العلامة المجلسـىّ قدّس سـره و قال الميدانى «عند الصـباح يحمد القوم السـرى» يضـرب للرجل يحتمل المشقّة رجاء الراحة و «العبقرى» الدّيباج و قيل البسط الوشية.

و قوله «و لو اعتصـمت نفس بقلة» أى بعد قذف الشـررة لو التجأت نفس إلى رأس جبل لا نضج تلک النفس «و هج النّار» بسكون الهاء أى اتقادها و حرّها و الضمير «فى قلّتها» راجع إلى النّفس و الاضافة للملابسة «و الخسىء» الصاغر و المبعد و «الأطمار» جمع طمر بالكسر و هو الثوب الخلق البالى و «السّفا» التراب الذى تسفيه الرّيح و كلّ شجر له شوک و ضمير سفاها راجع إلى الأرض بقرينة المقام.

و قوله «رويـدا» أى قليلا و «الذّئاب» جمع الذّئب و الضـمير راجع إلى الدّنيا أى كما تختطف الذئاب فى الدّنيا و «الشّجون» الطرق و يقال الحديث ذو شجون اى يدخل بعضه فى بعض قال العلامة المجلسىّ قدّس سرّه: و المراد بالتّناقض هنا عدم التناسب.

و قوله «إنّ رجلاـ من قطـان المـداين» قال المجلسـىّ: يحتمل أن يكون مراده به معاويـة بل هو الظاهر، فالمـداين جمع المدينـة لا النّاحية الموسومـة بـذلک، و المراد بعلوجه آبـاؤه الكفرة شـبّههم فى كفرهم بـالعلوج و هو جمع علـج بالكسـر الرّجـل من كفّار العجم هكـذا فى القاموس و «النّالـة» جمع النّائل و هو العطاء كالقادة و القائـد و «الـدّهقان» بالضمّ و الكسـر القوى على التصـرّف مع عـدّة و رئيس الاقليم معرّب، و الضّمير فى «منسوجه» راجع إلى الـدّهقان قال المجلسـىّ قـدّس سـرّه أو راجع إلى النّالة بتأويل أى ليس من عطايا دهقانه أو ممّا أصاب و أخذ منه ما نسجه الدهقان أو ما كان منسوجا من عطاياه.

و «تضمّخ» بالطّيب تلطخ به و «النّوافج» جمع نافجة معرّب نافة و «دبّ» الشيخ دبيبا مشى مشيا رويدا و الضمير فى «أرضه» إما راجع إلى

الشـيخ أو إلى الرجـل و «تضوّر» فلان من شـدة الحمّى أى تلوّى و صاح و تقلّب ظهرا لبطن و «الضّـرّ» بالضمّ سوء الحال و «القرم» شـدّة هوة اللحم و «العلقم» الحنظـل و كلّشـىء مرّ، و إنّما شـبّه ما يأكله من الحرام بالعلقم لسوء عاقبته و كثيرا ما يشـبه الحرام فى العرف بسـمّ الحيّة و الحنظل.

و «الخضم» الأكل بأقصى الأضراس «و إقامة حدّ المرتدّ عليه» لانكاره بعض الضّروريات كما يشعر به ما تقدّم من قوله: و تبع بعد الحنيفية علوجه، أو استحلاله دماء المسلمين إن كان المراد بالرّجل معاوية حسبما اشرنا إليه و «ضرب الثمانين» لشرب الخمر أو قذف المحصنة.

و قوله «و لأسـدّن من جهله كلّ مسـدّ» قال المجلسـىّ قـدّس سـرّه: كناية عن إتمام الحجّة و قطع أعذاره أو تضـييق الأمر عليه، و قوله «أفلا رغيف» بالرفع و يجوز فى مثله الرّفع و النّصب و البناء على الفتـح و «القفار» بالفتح ما لا ادام معه من الخبز و أضـيف إلى اللّيل و هو صـفة للرّغيف و «إفطـار معـدم» بـدل من رغيف، و فى بعض النسـخ قفارا بالنّصب على الحال لليل إفطار معـدم باللاّم الجارّة و إضافـة ليل إلى الافطار المضاف إلى المعدم أى الفقير.

و «الاتّسـاق» الانتظام و «الوسق» سـتّون صاعا و قوله «يكاد يلوى ثالث أيامه» لعلّه من لويت الحبل فتلته أى يلتفّ إحـدى رجليه بالأخرى من شـدّة جوعه و قوله «خامصـا ما اسـتطاعه» أى جائعا ما كان قادرا على الجوع و «القرّ» بالضمّ البرد و «عاوده» فى مسألـة مسألـة مرّة بعد اخرى و «اوتغ» بالتاء المثناة و الغين المعجمة من الوتغ بالتحريک و هو الهلاک و «السّفه» الجهل و خفة الحلم.

و قوله «من كظمه» أى من قلّـة كظمه للغيـظ و قوله «لحرقـة» عطف على قوله سـفها، و لمّا لـم يكن الحرقـة مثل السّـفه من فعل الساب أتى باللاّم للتعليل و «أضـنا» أفعل من أضناه المرض أثقله من ضنى ضنا من باب رضى أى مرض مرضا ملازما حتّى أشرف على الموت أى كاد يسبّنى لحرقة كانت أمرض له من فقره الذى كان به

و يحتمـل أن يكون الواو فى و لحرقـة للقسم و اللاـم فيها بالفتـح أى و اللّه لحرقـة فى نار جهنّم أو فى هـذه الحديـدة المحماة أمرض له من عدمه.

و قوله «من مقت رقيب» الظاهر أنّ المراد بالرّقيب هنا هو اللّه تعالى لأنّه من جملة أسمائه الحسنى و فى الكتاب العزيز - فلمّا توفّيتنى كنت أنت الرّقيب عليهم و أنت على كلّ شـىء شـهيد - و جملة «تنسخ» صفة أو حال من فاضحات أو من الأوزار قال تعالى - إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون - أى نثبت ما كنتم تعملون أو نأخـذ نسـخته، و قوله «فصبرا» الفاء للتفريع أى فاصبروا صبرا على دنيا تمرّ مع شـدّتها مثل ليلة تنسـلخ و تمضـى مع أضغاث أحلامها، و قوله «كم بين نفس» الاستفهام للتعجّب و الضمير فى «خيامها» راجع إلى الجنة المعلومة بقرينة المقام و «الاصطراخ» الصياح الشديد.

و قوله «بلا صـنع منا» قال العلامة المجلسىّ قدّس سرّه حال من مفعول أعجب أى اعجب مما صدر من طارق منّا من غير أن يكون منّا فيما فعله مدخل و «زملها» أى لفّها و قوله «أم نذر» لعلّ المراد كفارة النذر و «الرّقم» اللقم الشديد و الشـرب المفرط و الضـمير فى «املاكها» راجع إلى القطان أى معتقدة بأنى أملكها، و يحتمل رجوعه إلى الأقاليم أى مذعنة بأنى أملك الأقاليم و ليس لهم فيها حقّ.

و «اللّوك» العلك و هو دون المضغ قال العلاّمة المجلسـىّ قدّس سـرّه و قبحه يدلّ على قبح العلك بطريق أولى و على قبح السـلب أيضـا بغير انتفاع بطريق أولى لأنّ النفس قد تنازع السلب فى صورة الانتفاع بخلاف غيرها كما قيل.

و «العراقة» بالضمّ العظم إذا أكل لحمه و الضمير فى «بها» راجع الى العراقة و فى «أجذمها» إلى الدّنيا أو العراقة بأدنى الملابسة، و فى هذه الفقرة من المبالغات فى التنفّر و النكير ما لا يتصوّر فوقها، و كذا فى الحنظلة التى مضغها

ذو السـقم فيشتمها أى يسبّها نفرة عنها و قال المجلسىّ أى لفظها بغضا و عداوة لها فلفظه مع اختلال ذائقته يدلّ على كمال مرارته و ملفوظه أقذر من ملفوظ غيره لمرارة فيه و لتوهّم سراية مرضه أيضا، انتهى.

أقول: لا دلالة فى شتمها على لفظها كما فى نسخة البحار، و يحتمل أن يكون يشتمها من تحريف النساخ و يكون الأصل يسمها أى يأكلها على مرارتها مأخوذا من المسمّ وزان مسنّ و هو الـذى يأكل ما قدر عليه كما فى القاموس و لعلّ قوله: على فؤادى يؤيّد ذلک فانّ ذا السّ قم إذا ابتلع الحنظلة يؤثّر مرارتها فى باطنه و يفسد معدته و امعائه، و التخصيص بذى السّقم لأن صحيح المزاج لا يلوک الحنظلة و لا يلقمها.

و «عكمت» المتاع شددته بثوب و المراد بالطى ما يطوى فيه الشىء أى المطوى على الشىء و «المهر» ولد الفرس.

و قوله «أريه السّ ها و يرينى القمر» قال المجلسىّ أى انّى فى وفور العلم و دقّة النّظر ارى الناس خفايا الامور و هم يعاملون معى معاملة من يخفى عليه أوضح الامور عند إرادة مخادعتى قال الزّمخشـرى فى مستقصـى الأمثال: اريها السّ ها و ترينى القمر، السّها كوكب صغير خفىّ فى بنات النعش و أصله أنّ رجلا كان يكلّم امرأة بالخفى الغامض من الكلام و هى تكلّمه بالواضح البين، فضرب السها و القمر مثلا لكلامه و كلامها يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئا فأجابه بخلاف مراده قال الكميت:

شكونا إليه خراب السواد فحرّم علينا لحوم البقر

فكنّا كما كان من قبلنا أريها السها و ترينى القمر

الضـمير فى إليه راجع إلى الحجـاج بن يوسف شـكى إليه أهـل السواد خراب السواد و ثقـل الخراج فقال: حرمت عليكم ذبـح الثيران، أراد بذلک أنها إذا لـم تذبح كثرت و اذا كثرت كثرت العمارة و خفّ الخراج، انتهى.

و قوله «أ امتنع اه» الاستفهام للتعجّب أو الانكار أى انّى لكمال زهدى أمتنع

من أحـد وبرة ساقطـة من ناقـة فكيف أبتلع إبلا رابطة فی مربطها لملاكها و «القلوص» الشابة من النوق و قيل القلوص بفتح القاف من الابل الباقية من السـير خصّها بالذكر لأنّ الوبر الساقط من الابل حين السير أهون عند صاحبها من السّاقط من الرابطة و منه يظهر فايدة قيد الرّبط فی الأخير.

و قوله «ادبيب العقارب من وكرها التقط» قال الجوهری: كلّما مشـی علی وجه الأرض دابّة و دبيب أی ألتقط العقارب الكبيرة التی تدبّ من وكرها أی جحرها مجازا فانّها إذا أريـد أخـذها من جحرها كان أشـدّ لـذعا شـبّه عليه السّلام بها الأموال المحرّمـة المنتزعة من محالها لما يترتّب علی أخذها من الهلكات الاخروية.

و قال بعض الأفاضل: الدّبيب مصدر دبّ من باب ضـرب إذا مشـی، و هو مفعول التقط و فی الكلام مجاز يقال: دبّ عقارب فلان علينا أی طعن فی عرضـنا، فالمقصود أ أجعل عرضی فی عرضة طعن الناس طعنا صادقا لا افتراء فيه و كان طعنهم صدقا و ناشيا عن وكره و محلّه لأنّ أخذ الرّشوة الملفوفات إذا صدر عن التارک لجميع الدّنيا للاحتراز عن معصيته فی نملة من السفاهة بحيث لا يخفی، انتهی.

و «الرّقش» بـالضمّ جمع الرّقشـاء و هی الأـفعی سـمّيت بـذلک لترقيش فی ظهرهـا و هی خطوط و نقـط و «الارتباط» شـدّ الفرس و نحوه للانتفـاع به، و قوله «تنحتهـا المعاصـی» هو من النّحت بری النّبـل و نحوه اسـتعارة و فی بعض النسـخ تنتجهـا أی تفيـدها و تثمرها و باللّه التوفيق.

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت فرجام آن حضرتست در تنزيه نفس قدسی خود از ظلم كردن أنام می فرمايد:

سوگند بخدا كه شب به روز آوردن من بر بالای خار سـعدان در حالتی كه بيدار باشم، و كشـيده شدن من در زنجيرها در حالتی كه دست و گردن بسـته در بنـد باشم، دوست تر است بمن از اين كه ملاقات نمايم خـدا و رسول او را در روز قيامت در حالتی كه ظلم نماينـدهٔ بعض بندگان باشم و غصب كنندهٔ چيزی از متاع اين جهان

ص:306

و چگونه ظلم کنم أحدی را از برای نفسی که سرعت می نماید بسوی پوسیدن باز گشتن او، و دراز می شود در خاک نزول کردن آن.

قسم بخـدا که دیـدم برادرم عقیل را در حالتی که فقیر و بی چیز شـده بود تا بحـدّی که خواهش نمود از من از گندم شـما یک صاع، و دیدم کودکان او را پریشان مویها و غبار آلود رنگها از غایت فقر گویا سـیاه رنگ شـده بود رخسارهای ایشان با رنگ نیل، و آمـد و رفت نمود نزد من در حالتی که تأکیـد کننده بود در خواهش خود، و مکرر کرد بر من آن سـخن را در حالتی که اعاده نماینده بود، پس برگرداندم بطرف او گوش خود را پس گمان نمود که می فروشم باو دین خود را و متابعت می کنم افسار او را در حالتی که مفارقت کننده باشم از طریق عدالت خود چون اصـرار از اندازه گذرانید پس گرم کردم از برای او آهنی را بعد از آن نزدیک کردم آن آهن گرم را از بدن او تا عبرت بردارد بان، پس نـاله کرد مثـل ناله کردن صاحب مرض از درد آن و نزدیک بود که بسوزد از اثر آن آهن، پس گفتم او را که بنشـینند در ماتم تو زنانی که بچه مردگـان باشـند ای عقیـل آیا ناله میکنی از آهنی که گرم کرده باشـد آن را آدمی برای شوخی و بازیچه گی خود، و می کشـی مرا باتشـی که افروزنده است آن را خداوند قهار آن برای غضب و خشم خود، آیا ناله می کنی از اذیّت این آهن و ناله نکنم من از آتش سوزان جهنّم.

و عجب تر از این قصّهٔ عقیل اینست که آیندهٔ وقت شب آمد نزد ما با هدیهٔ پیچیده شده در ظرفش و با معجونی که دشمن داشتم آن را باندازهٔ که گویـا سرشـته شـده آن با آب دهن مار یا با قیء آن، پس گفتم بأو آیا این عطیّه است یا زکاة است یا صـدقه پس این حرام است بر ما أهل بیت رسالت، پس گفت نه اینست و نه آن و لکن هـدیه است که آورده ام، پس گفتم گریان باد بتو چشم مادر بی پسـر تو آیا از دین خدا آمدهٔ نزد من تـا فریب دهی مرا، آیـا مرض خبـط داری یـا صاحب جنون هستی یا هـذیان می گوئی، قسم بخـدا اگر عطا کرده شوم من اقلیمهای هفتگانه را با آنچه که در زیر افلاک آنهاست بر آنکه معصیت نمایم خدا را در

حقّ مورچهٔ که بربـایم از او پوست جویرا، نمی کنم این کار را، و بـدرستی که دنیای شـما نزد من هر آینه خوارتر است از برگی که در دهن ملـخ باشـد بخورد آن را، چیست علی را با نعمت فانی و لـذّت غیر باقی، پناه می برم بخـدا از غفلت عقل و قباحت لغزش و بأو اسـتعانت میکنم در امور دنیا و آخرت.

و من دعاء له علیه السّلام و هو المأتان و الثالث و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

اللّهمّ صن وجهی بالیسار، و لا تبذل جاهی بالإقتار، فأسترزق طالبی رزقک، و أسـتعطف شـرار خلقک، و ابتلی بحمد من أعطانی، و أفتتن بذمّ من منعنی، و أنت من وراء ذلک کلّه ولیّ الإعطاء و المنع، إنّک علی کلّ شیء قدیر.

اللغة

(صانه) صونا و صـیانا و صیانة حفظه فهو مصون و (الوجه) هنا بمعنی الجاه و منه کان لعلیّ علیه السّلام وجه من النّاس حیاة فاطمة أی جاه و عزّ قاله ابن الأثیر و (البذل) کالابتذال ضدّ الصـیانة، و المبتذل بالکسر لابس البذلة و هو الثّوب الخلق و ما لا یصان من الثّیاب و (القتر) و التقتیر الرّمقة من العیش و قلّة النفقة و أقتر علی عیاله ضیّق فی النفقة.

ص:308

الاعراب

قوله عليه السّلام: فأسترزق، منصوب بأن مضمرة وجوبا لوقوعه فى جواب الدّعاء و قوله: و أنت آه الجملة فى محلّ النّصب على الحال و أنت مبتدأ و الظّرف خبره و ولىّ خبر بعد خبر و يجوز كون ولىّ خبره و الظّرف متعلّقا به متقدّما عليه للتّوسع فيكون ظرف لغو.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ مقصوده بهذا الدّعاء طلب الغنى و عدم الابتلاء بالفقر و لوازمه فقوله (اللهمّ صن وجهى باليسار) أى اجعل جاهى محفوظا بالغنى و السّعة حتّى أستغنى عن مسألة المخلوقين، و مراده عليه السّلام به الكفاف و هو ما يكفّ عن المسألة و يستغنى به فيكون مساوقا لما ورد فى الدّعاء النبوىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المروىّ فى الكافى: اللهمّ ارزق محمّدا و آل محمّد الكفاف، و هو بالفتح ما لا يحتاج معه و لا يفضل عن الحاجة فهو متوسّط بين الفقر و الغنى و خير الامور أوسطها و إنّما سمّى بذلك لأنّه يكفّ عن النّاس و يغنى عنهم.

و فى الكافى أيضا عن النّوفلى عن السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اللهمّ ارزق محمّدا و آل محمّد و من أحبّ محمّدا و آل محمّد العفاف و الكفاف و ارزق من أبغض محمّدا و آل محمّد المال و الولد.

قال بعض شرّاح الحديث: العفاف بالفتح عفّة البطن و الفرج عن الطّغيان أو العفّة من السّؤال عن الانسان أو الجميع، و قال: لمّا كان شىء من المال ضروريّا فى البقاء و العبادة و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الّذى فيه رائحة الكفر و العصيان، و طرف الغنى الّذى فيه شايبة التّكبّر و الطغيان، طلبه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لنفسه و لمحبّيه، و طلب لمن أبغضهم طرف الغنى و الكثرة لأنّ مفاسده أكثر و أعظم و فتنته أشدّ و أفحم من مفاسد الفقر و فتنته كما قال عزّ و جلّ «إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ » و قال «إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى ».

و بالجملة لمّا كان حصول الكفاف مانعا من دواعى طرفى التّفريط و الافراط

و كان العبد معه مستقيم الأحوال على سواء الصّراط طلبه لنفسه و لمحبّيه.

قال الشّارح: و اعلم أنّ الأحاديث مختلفة ففى بعضها طلب الغنى و اليسار و فى بعضها طلب الكفاف، و فى بعضها طلب الفقر، و فى بعضها الاستعاذة من الفقر، و وجه الجمع بينها أن يقال: المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لأنّ الكفاف هو المطلوب عند أهل العصمة، و ليس المراد به ما هو المتعارف عن أبناء الدّنيا من جمع المال و اذخاره و الاتّساع به فوق الحاجة، فانّ ذلک مناف لما هو المعهود من حالهم من طلاق الدّنيا و الزّهد فيها و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

علّل النّفس بالكفاف و إلاّ طلبت منک فوق ما يكفيها

ما لما قد مضى و لا للّذى لم يأت من لذّة لمستحلّيها

إنّما أنت طول مدّة ما عمرت كالسّاعة التى أنت فيها

و رواه فى البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة، و قال أيضا من نظمه عليه السّلام

دليلک أنّ الفقر خير من الغنيو أنّ قليل المال خير من المثرى

لقاؤک مخلوقا عصى اللّه بالغنيو لم تر مخلوقا عصى اللّه بالفقر

و هذا هو الذى أراد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله: نعم المال الصّالح للعبد الصّالح و المراد بطلب الفقر طلب قدر الحاجه و الكفاف لأنّ الكفاف فقر عند أهل الدنيا و إن كان يسارا عندهم عليهم السّلام و المراد بالاستعاذة من الفقر الاستعاذة ممّا دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السّلام و أقوى أفراده عند أهل الدّنيا هذا.

و قال المحدّث العلاّمة المجلسىّ قدّس سرّه: سؤال الفقر لم يرو فى الأدعيّة بل ورد فى أكثرها الاستعاذة من الفقر الذى يشقى به و عن الغنى الذى يسير سببا لطغيانه انتهى.

و كيف كان فقد ظهر بذلک كلّه أنّ غرضه عليه السّلام بالسؤال صون جاهه و عزّه باليسار لاستلزام الغنى احترام صاحبه عند عامّة النّاس كاستلزام الفقر لمهانة المبتلى به عندهم.

و لـذلک عقّبه بقوله (و لا تبـذل جاهی بالاقتار) أی لا تجعل مروّتی و حرمتی ساقطـة عنـد النّاس بضـیق المعیشـة و قلّة النفقة، فانّ الاقتار یوجب الاستهانة و الاحتقار و استخفاف النّاس بالمتّصف به.

و من هنا قال الصّادق علیه السّلام: لا تدعوا التّجارة فتهونوا.

و فی بعض الاثار أحسـنوا تعهّـد المال فانّه ما افتقر أحـد قطّ إلاّ أصابه ثلاث خصال: رقّة فی دینه، و ضـعف فی عقله، و ذهاب من مروّته، و الرابعة هی العظمی و هی استخفاف الناس به.

و فی وصایا لقمان: یا بنیّ اکلت الحنظل و ذقت الصّبر فلم یکن أمرّ من الفقر، فان افتقرت فلا تحدّث النّاس کیلا ینتقصوک.

و ترک ابن المبارک دنانیر و قال: اللّهمّ إنک تعلم أنّی لم أجمعها إلاّ لأصون بها حسبی و دینی.

و قـالت الحکمـاء: المال یرفع صاحبه و إن کان وضـیع النّسب قلیل الأدب و ینصـره و إن کان جبانا، و ینبسط لسانه و إن کان عیابـة، یظهر المروة و یتم الریاسة یصلک إذا قطعک النّاس، و ینصرک إذ اخذ لک الأقربون، و لولاه ما مدح کریم و لا صین حریم.

و کان بعضـهم یقول: النّاس لصاحب المال ألزم من الشـعاع للشّـمس، و من الـذّئب للمصـر، و من الحکم للمقرّ، و هو عنـدهم أرفع من السّماء و أعذب من الماء و أحلی من الشهد و أزکی من الورد، خطاؤه صواب، و سیئته حسنة و قوله مقبول، و حدیثه مغسول، یغشی مجلسه و لا یملّ صـحبته، و المفلس عند النّاس أکذب من لمعان السّـراب، و من سـحاب تموز لا یسأل منه إن تخلّف، و لا یسـلّم علیه إن قدم إذا غاب شـتموه و إن حضـر طردوه و إذا غضب ضـعفوه، مصافحته تنقض الوضوء، و قراءته تقطع الصّـلاة أثقل من الامانـة و أبغض من المبرم الملحف.

و قد أکثر الشعراء فی نظمهم من هذا المعنی قال بعضهم:

فصاحة سحبان و خطّ ابن مقلة و حكمة لقمان و زهد ابن أدهم

إذا اجتمعت للمرء و المرء مفلس فليس له قدر بمقدار درهم

و قال آخر:

و زينى للغنى أسعى فانى رأيت الناس شرّهم الفقير

و أبعدهم و أهونهم عليهم و إن أمسى له حسب و خير

و يكرهه النّدى و تزدريه خليلته و ينهره الصّغير

و يلقى ذو الغنى و له جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه و الذنب جمّ و لكن الغنى ربّ غفور

و قال آخر:

و لم أر بعد الدّين خيرا من الغنى و لم أر بعد الكفر شرّا من الفقر

و قال الزّمخشرى:

لا تلمنى إذا رقيت الأواقى فالأواقى لماء وجهى اراقى

ثمّ المراد بالجاه أيضا الذى سأل عليه السّلام صونه باليسار و عدم ابتذاله بالاقتار ليس ما يقصد به الفخر و التّرأس كما هو شأن أهل الدنيا بل ما يستعان به على القيام بطاعة اللّه و عبادته و أداء حقوقه اللازمة و الذى من هو اللّه سبحانه به على الأنبياء و اشير إليه فى قوله تعالى «يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ ».

و فى الحديث النّبوى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اذا كان يوم القيامة دعى اللّه بعبد من عباده فيتوقّف بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله و قوله عليه السّلام (فأسترزق طالبى رزقک) الفاء للسّببيّة أى فيسبّب ابتذال جاهى بالاقتار أن أسترزق طالبى رزقک الذين من شأنهم أن يطلبوا منک الرزق لا أن يطلب منهم.

(و أستعطف شرار خلقک) أى أطلب العاطفة و الافضال من شرار خلقک الذين ليسوا بأهل الاستعطاف، و فى بيانه لهذين السببين تأكيد للالتجاء باللّه تعالى فى

صيانته من الفقر و اعاذته من الابتذال اذ فى استرزاق الخلق و استعطافهم من الذلّ و الخضوغ و التّملّق و المهانة للمسئول منه ما يجب أن يتضرّع إلى اللّه عزّ و جلّ فى الوقاية منه.

و قد تواترت الأخبار و الاثار و تطابقت الأشعار على ذمّ السّؤال و كراهة بذل الوجه فى الطّلب من الخلق خصوصا ممّن لم يكن معروفا بالمعروف.

فمن ذلک ما فى الكافى عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: طلب الحوائج إلى النّاس استلاب للعزّ مذهبة للحياء و اليأس مما فى أيدى النّاس عزّ للمؤمن فى دينه و الطمع هو الفقر الحاضر.

و فيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ اللّه تبارک و تعالى أحبّ شيئا لنفسه و أبغضه لخلقه أبغض لخلقه المسألة و أحبّ لنفسه أن يسأل و ليس شىء أحبّ إلى اللّه عزّ و جلّ من أن يسأل فلا يستحى أحدكم أن يسأل اللّه عزّ و جلّ من فضله و لو شسع نعله.

و روى عنه عليه السّلام اياكم و سؤال النّاس فانّه ذلّ فى الدّنيا و فقر تعجّلونه و حساب طويل يوم القيامة.

و عن أبى جعفر عليه السّلام لو يعلم السائل ما فى المسألة ما سأل أحد أحدا، و لو يعلم المعطى ما فى العطيّة ما ردّ أحد أحدا.

و فى البحار عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: قال اللّه عزّ و جلّ ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دونى إلاّ قطعت أسباب السّماوات و أسباب الأرض من دونه فان سألنى لم اعطه و إن دعانى لما اجبه، و ما من مخلوق يعتصم بى دون خلقى إلاّ ضمنت السّماوات و الأرض رزقه فان دعانى أجبته و إن سألنى أعطيته و إن استغفرنى غفرت له.

و قال بعض السّلف: من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرّثّ، فان قضاها المسئول استعبده بها و إن ردّه عنها رجع حرّا و هما ذليلان هذا بذلّ اللؤم و ذلک بذلّ الرّد، و من الشعر المنسوب إلى الحسين عليه السّلام:

أغن عن الخلق بالخالق تغن عن الكاذب بالصّادق

و استرزق الرّحمة من فضله فليس غير اللّه من رازق

و قال محمود الورّاق:

ساو الملوک قصورهم و تحصّنوا من كلّ طالب حاجة أو راغب

فارغب إلى تلک الملوک و لا تكن بادى الضّراعة طالبا من طالب

و قال آخر:

لموت الفتى خير من البخل للفتى و للبخل خير من سؤال فقير

لعمرک ما شيء لوجهک قيمة فلا تلق إنسانا بوجه ذليل

ثمّ الظّاهر أنّ مراده عليه السّلام بشرار الخلق فى قوله: و أستعطف شرار خلقک من لم يكن أهلا للمعروف و من هو باللّوم موصوف، فان طلب العاطفة و البرّ منهم أمرّ على ذوى الوجوه من طعم الحنظل و العلقم و أدهى و أضرّ من إدخال اليد فى فم الأرقم.

قال شارح الصّحيفة السّجادية: قد روى أنّ فى زبور داود عليه السّلام إن كنت تسأل عبادى فاسأل معادن الخير ترجع مغبوطا مسرورا، و لا تسأل معادن الشرّ ترجع ملوما محسورا.

و روى المحدّث الجزايرى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: قلت: اللّهمّ لا تحوجنى الى أحد من خلقک، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا تقولنّ هكذا فليس من أحد إلاّ و هو محتاج إلى النّاس، قال: فكيف أقول يا رسول اللّه؟ قال: قل: اللهمّ لا تحوجنى إلى شرار خلقک، قال: قلت: يا رسول اللّه و من شرار خلقه؟ قال: الّذين إذا اعطوا منّوا و إذا منعوا عابوا.

و فى الأثر أنّ اللّه تعالى أوحى إلى موسى على نبيّنا و عليه السّلام لأن تدخل يدک فى فم التّنين إلى المرفق خير من أن تبسطها إلى غنىّ نشأ فى الفقر.

و فى كلامهم: لا شيء أوجع للأحرار من الرّجوع إلى الأشرار.

ص:314

و قيل لأعرابى: ما السّقم الّذى لا يبرء و الجرح الّذى لا يندمل؟ قال حاجة الكريم إلى اللئيم.

و أوصى بعضهم ابنه فقال: لا تدنّس عرضک و لا تبذلنّ وجهک بالطّلب إلى من ردّک كان ردّه عليک عيبا و ان قضى حاجتک جعلها عليک منّا، و احتمل الفقر بالتنزّه عمّا فى أيدى النّاس و الزم القناعة بما قد قسم لک.

و قال رجل لابنه: اياک أن تريق ماء وجهک عند من لا ماء فى وجهه رأى الاصمعى كنّاسا يكنّس كنيفا و هو ينشد:

و اكرم نفسى انّنى ان أهنتها و حقّک لم تكرم على أحد بعدى

و قال: فقلت له: يا هذا إنّک و اللّه لم تترک من الهوان شيئا إلاّ و قد فعلته بنفسک مع هذه الحرفة، فقال: بلى و اللّه إننى صنتها عمّا هو أعظم من هذا من الهوان فقلت و ايّ شيء هو؟ قال: سؤال مثلک، قال: فانصرفت عنه و أنا من أخزى النّاس.

و قال عمر بن أحمد الباهلى:

من يطلب المعروف من غير أهله يجد مطلب المعروف غير يسير

إذا أنت لم تجعل لعرضک جنة من الذّلّ سار الذلّ كلّ مسير

و قال آخر:

و إذا بليت ببذل ماء وجهک سائلا فابذله للمتكرّم المفضال

إنّ الجواد إذا حباک بموعد أعطاكه سلسا بغير مطال

ما اعتاض باذل وجهه بمطاله عوضا و لو نال المنى بسؤال

و إذا السّؤال مع النّوال قرنته رجح السّؤال و خفّ كلّ نوال

و قال آخر:

اسأل العرف إن سألت جوادا لم يزل يعرف الغنى و اليسارا

فاذا لم تجد من الذّل بدّا فالق بالذّل إن لقيت الكبارا

ليس إجلالک الكبير بذلّ إنّما الذّلّ أن تجلّ الصّغارا

و قال آخر:

إنّ الغنى عن لئام النّاس مكرمة و عن كرامهم أدنى إلى الكرم

و فى البحار من الكافى عن بكر الارقط أو ابن شبيب عن أبى عبد اللّه عليه السّلام انّه دخل عليه واحد فقال له: أصلحک اللّه انّى رجل منقطع اليكم بمودّتى و قد أصابتنى حاجة شديدة و قد تقرّبت بذلک إلى أهل بيتى و قومى فلم يزدنى بذلک منهم الاّ بعدا، قال عليه السّلام: فما أتاک اللّه خير ممّا أخذ منک، قال: جعلت فداک ادع اللّه أن يغنينى من خلقه، قال عليه السّلام إنّ اللّه تعالى قسّم رزق من شاء على يدى من شاء، و لكن اسأل اللّه أن يغنيک عن الحاجة الّتى تضطرّک إلى لئام خلقه.

قال العلامة المجلسىّ قدّس سرّه: اللئام جمع اللّئيم يقال للشّحيح الدّنىّ النّفس و المهين و نحوهم، لأنّ اللّؤم ضدّ الكرم، و يؤمى الحديث إلى أنّ الفقر المذموم ما يصير سببا كذلک و غير ممدوح و ذمّه لأنّ اللّئيم لا يقضى حاجة و ربّما يلومه فى رفع الحاجة إليه و إذا قضاه لا يخلو من منّه، و يمكن أن يشمل الظالم و الفاسق المعلن بفسقه.

و فى كثير من الأدعيّة: اللّهم لا تجعل لظالم و لا فاسق علىّ يدا و لا منّة و ذلک لأنّ القلب مجبول بحبّ من أحسن إليه و فى حبّ الظّالم معاصى كثيرة كما فى قوله تعالى «وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ » هذا.

و فى عطف قوله عليه السّلام (و ابتلى بحمد من أعطانى و افتتن بذمّ من منعنى) على ما سبق تاكيد آخر للاعاذة من الاقتار الموجب لاسترزاق طالبى الرّزق و استعطاف شرار الخلق المستلزمين للابتلاء بثناء المعطى و الافتتان بازراء المانع أى الميل إلى تعييبه دونه و الطّعن عليه لكون النّفوس مجبولة مفتونة بذلک بشهادة العيان و التّجربة.

و يشير إليه أيضا قوله تعالى «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُکَ فِى الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَ إِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ ».

و إنّما أكّد عليه السّلام التجاءه إلى اللّه تعالى بذكر هذين اللازمين لأنّ ابتلاء

العبد و افتتانه بحمد المخلوق و ذمّه معطيا و ما نعا يوجبان انصرافه عن الخالق و عنايته بالمخلوق و هما خلاف وظيفة العبودية.

و قوله عليه السّلام (و أنت من وراء ذلک كله وليّ الاعطاء و المنع) قد قلنا إنّ الجملة حالية أى لا تبذل جاهى بالاقتار فيلحقنى بسببه ما يلحقنى من المكاره المعدودة و الحال انّک من وراء ذلک الخلق كلّه القيّم بالاعطاء و المنع و القاهر القادر على التّيسير و التّقتير، لأنّ أزمة الامور كلّها بيد قدرتک.

و المراد بكونه من وراء الخلق سلطانه عليهم و احاطته بهم كما قال تعالى:

«بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَ اللَّهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ » قال أمين الاسلام قدّس سرّه: معناه أنّهم فى قبضة اللّه و سلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوابه لا يمكنه الفوات و الهرب و هذا من بلاغة القرآن.

و قوله عليه السّلام (انّک على كلّ شىء قدير) مسوق فى معرض التّعليل لكونه عزّ و جلّ وليّ الاعطاء و المنع، أى أنت وليّهما بمقتضى عموم قدرتک على جميع الأشياء.

تبصرة

هذا الدّعاء الّذى نسبه الرّضىّ قدّس سرّه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قد روى عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام فى ضمن أدعيّة الصّحيفة الكاملة فى فقرات دعائه عليه السّلام فى مكارم الأخلاق باختلاف يسير و هو قوله عليه السّلام: اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و صن وجهى باليسار و لا تبتذل جاهى بالاقتار فأسترزق أهل رزقک و أستعطى شرار خلقک، فافتتن بحمد من أعطانى و ابتلى بذمّ من منعنى و أنت من دونهم وليّ الاعطاء و المنع، هكذا وجدته.

تذييل

قد تقدّم فى شرح الكلام السّادس و الأربعين فصل مبسوط فى فضل الدّعاء و التّرغيب عليه و مطلوبيته من طريق العقل و النّقل و مطالب نفيسة ينفعک مراجعتها فى هذا المقام، و أحببت أن اورد هنا بعض الأدعيّة الواردة فى طلب الرّزق

فأقول و باللّه التوفيق:

روى فى البحار من العيون عن الرّضا عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

من أنعم اللّه عزّ و جلّ عليه نعمة فليحمد اللّه، و من استبطأ الرّزق فليستغفر اللّه، و من حزنه أمر فليقل لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه.

و فيه من الخصال عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: الاستغفار يزيد فى الرّزق.

و فيه من الكتاب العتيق الغروى دعاء اللهمّ كما صنت وجهى عن السجود إلاّ لک فصنه عن طلب الرّزق إلاّ منک، اللهمّ قوّنى على ما خلقتنى له و لا تشغلنى بما تكلّفت «تكفّلت ظ» لى به و اعصمنى ممّا تعاقبنى عليه.

و منه أيضا دعاء فى سجدة الشّكر لطلب الرّزق: اللهمّ يا من لا يزيد ملكه حسناتى و لا تشينه سيّئاتى و لا ينقص خزائنه غناى و لا يزيد فيها فقرى صلّ على محمّد و آل محمّد و أثبت رجاءک فى قلبى و اقطع رجائى عمّن سواک حتّى لا أرجو إلاّ إيّاک و لا أخاف إلاّ منک و لا أثق إلاّ بک و لا أتّكل إلاّ عليک، و أجرنى من تحويل ما أنعمت به علىّ فى الدّين و الدّنيا و الاخرة أيّام الدّنيا برحمتک يا أرحم الرّاحمين و فيه من علل الشرائع عن سليمان بن مقبل قال: قلت لأبى الحسن موسى عليه السّلام: لأىّ علة يستحبّ للانسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذّن و إن كان على البول و الغايط؟ قال عليه السّلام: إنّ ذلک يزيد فى الرّزق.

و من الأمالى عن أحمد بن عامر عن الرّضا عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من قال فى كلّ يوم مأئة مرّة لا إله إلاّ اللّه الحقّ المبين، استجلب به الغنى و استدفع به الفقر و سدّ عنه باب النّار و استفتح له باب الجنّة.

و من ثواب الأعمال عن محمّد بن عمر رفعه إلى أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من كتب على خاتمه ما شاء اللّه لا قوّة إلاّ باللّه استغفر اللّه، أمن من الفقر المدقع.

و من المحاسن عن النّوفلىّ عن السّكونى عن الصّادق عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ألحّ عليه الفقر فليكثر لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه ينفى اللّه عنه الفقر.

و من تفسير العياشى عن النّوفلى عن السّكونى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فقد رجلا فقال ما بطأ بک عنّا؟ فقال: السقم و العيال فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ألا أعلّمک بكلمات تدعو بهنّ يذهب اللّه عنک السّقم و ينفى عنک الفقر لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلىّ العظيم توكّلت على الحىّ الذى لا يموت الحمد للّه الّذى لم يتّخذ ولدا و لم يكن له شريک فى الملک و لم يكن له ولىّ من الذّلّ و كبّره تكبيرا.

و رواه فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام نحوه و زاد فى آخره فقال الرّجل:

فو اللّه ما قلته إلاّ ثلاثة أيّام حتّى ذهب عنّى الفقر و السّقم، و قد تقدّم تمامه بهذا الطريق فى شرح الخطبة المأتين و الثّالثة عشر و فى البحار أيضا من عدّة الدّاعى عن الصّادق عليه السّلام لطلب الرّزق: يا اللّه يا اللّه يا اللّه أسألک بحقّ من حقّه عليک عظيم أن تصلّى على محمّد و آل محمّد و أن ترزقنى العمل بما علّمتنى من معرفة حقّک و أن تبسط علىّ ما حظرت من رزقک و من الاختصاص عن القسم بن بريد عن أبيه قال دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام فقلت: جعلت فداک قد كان الحال حسنا و أنّ الأشياء اليوم متغيّرة، فقال عليه السّلام:

إذا قدمت الكوفة فاطلب عشرة دراهم فان لم تصبها فبع و سادة من وسائدک بعشرة دراهم ثمّ ادع عشرة من أصحابک و اصنع لهم طعاما فاذا أكلوا فاسألهم فيدعوا اللّه لک، قال: فقدمت الكوفة فطلبت عشرة دراهم فلم أقدر عليها حتّى بعت و سادتا لى بعشرة دراهم كما قال عليه الصّلاة و السّلام و جعلت لهم طعاما و دعوت أصحابى عشرة فلما اكلوا سألتهم أن يدعوا اللّه تعالى فما مكثت حتّى مالت علىّ الدّنيا، هذا.

و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة مرويّة فى كتب أصحابنا منقولة عن أئمّتنا عليهم صلوات اللّه الملک المنّان المبين، و لنقتصر على ما أوردنا و اللّه الموفّق و هو الرّزاق ذو القوّة المتين.

ص:319

الترجمة

از جملـهٔ دعای آن امام است بار الها حفظ بفرما قـدر و منزلت مرا با غنا و وسـعت معیشت، و مبتـذل مکن جاه و مرتبـهٔ مرا با فقر و تنگی روزی تـا این که محتـاج شوم بطلب کردن روزی از طالبـان روزی تو، و طلب کردن عـاطفت و احسـان از شـریران خلق تو، و مبتلاـ شوم بتعریف و توصـیف کسـی که بمن ریزش نماید، و مایل شوم بمذمّت آن کسی که از من مضایقه کند، و حال آنکه تو از پشت همهٔ این خلق متولّی إعطاء و منع هستی، بدرستی که تو بر همه چیز قادر و قاهری.

و من خطبة له علیه السّلام و هی المأتان و الرّابعة و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

و هی مرویّة فی البحار من کتاب عیون الحکمة و المواعظ باختلاف و زیادة کثیرة تقف علیها إنشاء اللّه بعد الفراغ من شـرح ما أورده السّـ ید فی المتن، و هو قوله علیه السّلام:

دار بالبلاء محفوفة، و بالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، و لا تسلم نزّالها، أحوال مختلفة، و تارات متصرّفة، العیش فیها مذموم، و الأمان منها معدوم، و إنّما أهلها فیها أغراض مستهدفة، ترمیهم بسهامها، و تفنیهم بحمامها.

ص:320

و اعلموا عباد اللّه أنّكم و ما أنتم فيه من هـذه الدّنيا على سبيل من قد مضـى قبلكم ممّن كان أطول منكم أعمارا، و أعمر ديارا، و أبعد آثارا، أصـبحت أصواتهم هامـدة، و رياحهم راكـدة، و أجسادهم باليـة، و ديارهم خالية، و آثارهم عافية، فاسـتبدلوا بالقصور المشـيّدة، و النّمارق الممهّـدة، الصّـخور و الأحجار المسـنّدة، و القبور اللاّطئة الملحدة، الّتى قد بنى بالخراب فناءها، و شـيّد بالتّراب بنائها، فمحلّها مقترب، و ساكنها مغترب، بين أهل محلّة موحشـين، و أهل فراغ متشاغلين، لا يسـتأنسون بالأوطان، و لا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، و دنوّ الدّار.

و كيف يكون بينهم تزاور و قـد طحنهم بكلكله البلى، و أكلتهم الجنـادل و الـثّرى، و كـأن قـد صـرتم إلى مـا صـاروا إليه، و ارتهنكم ذلک المضـجع، و ضـمّكم ذلک المسـتودع، فكيف بكم لو تناهت بكم الامور، و بعثرت القبور، هنالک تبلو كلّ نفس ما أسلفت و ردّوا إلى اللّه موليهم الحقّ و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون.

اللغة

(سلم) المسافر يسلم من باب تعب نجا و خلص من الافات و (تارات)

ص:321

جمع تارة و هى مرّة واحـدة و (الأغراض) جمع الغرض و هى الهـدف الّذى يرمى إليه السّهام و (المسـتهدفة) بصـيغة الفاعل أى منتصـبة للرمى إليهـا، و فى بعض النّسـخ بصـيغة المفعول أى جعلت هـدفا و (همـد) النّار همودا من باب قعـد ذهب حرّها و لم يبق منها شـىء و همدت الرّيح سكنت.

و (المشـيّدة) بضمّ الميم و تشديد الياء و فتحها كما فى قوله تعالى «وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ » أى قصور مصونة و قيل: مجصّصة و قيل: مزينة، و فى بعض النّسخ المشـيدة بفتح الميم و تخفيف الياء كما فى قوله تعالى «وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ » أى المعمول بالشّيد و الجصّ يقال: شدت البيت من باب باع أى بنيته بالجصّ و شاده شيدا أى جصّصه.

و (النّمرق) و النمرقـة بتثليث النّون و ضمّ الرّاء الوسادة و هى المتكاء، و الجمع نمارق قال تعالى «وَ نَمارِقُ مَصْفُوفَةٌ » و (المسـنّدة) بتشديد النّون و تخفيفها من سـند إلى الشّىء من باب قعد و تعب اعتمد عليه كاسـتند إليه و يعدّى بالهمزة و التّضـعيف يقال اسـندته إلى الشّىء و سندته فسند هو و (اللّطأ) بالأرض من باب منع و فرح لصق و (لحد) القبر و ألحده عمل به لحدا و (فناء) البيت بالكسر ما امتدّ من جوانبه.

و (موحشـين) فى بعض النّسـخ بصـيغة الفاعـل من أوحش المكـان و توحش خلا من الانس و أوحش النّاس أى انقطع و بعـد قلوبهم عن المودّة و الالفـة و فى بعضـها بصـيغة المفعول من أوحش الأـرض وجـدها وحشـة خاليـة من الانـس كلّها مأخوذة من الوحش و هو ما لا يستأنس من دواب البرّ و يقال إذا أقبل اللّيل: استأنس كلّ و حشىّ و استوحش كلّ انسىّ.

و (الكلكل) و زان جعفر الصّدر و (الجنـدل) و زان جعفر أيضا ما يقلّه الرّجل من الحجارة و قـد تكسـر الـدّال و (بعثرات القبور) أى قلّبت ترابها و أخرج موتاها من بعثرت الشىء و بعثرته إذا استخرجته و كشفته.

ص:322

الاعراب

قوله عليه السّلام: دار، خبر لمبتدأ محذوف أى الدّنيا دار، و قوله: أحوال مختلفة أيضا خبر محذوف المبتدأ أى أحوالها أحوال مختلفة، و قوله: الأمان منها معدوم، فى نسخة الشّارح المعتزلى و كذا البحرانى بدل منها فيها، و قوله: ترميهم بسهامها الباء للتّعدية إلى المفعول الثّانى أى ترمى إليهم سهامها، و قوله: تفنيهم بحمامها الباء للالة، و قوله: إنّكم و ما أنتم فيه، الواو بمعنى مع، و قوله: فاستبدلوا بالقصور، الباء للمقابلة، و قوله: قد بنى بالخراب، الباء بمعنى على، و يؤيّده ما فى بعض النّسخ على الخراب بدله و هى للاستعلاء المجازى.

و قوله: بين أهل، متعلّق بقوله: مغترب، و على فى قوله: على ما بينهم، بمعنى مع كما فى قوله تعالى «وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ » و قوله: «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّاسِ عَلى ظُلْمِهِمْ » و قوله: و قد طحنهم، الجملة فى محلّ النّصب على الحال، و البلى فاعل طحن، و قوله: و كأن قد صرتم، مخفّف كأنّ المشبّهة و الاسم محذوف أى كأنّكم، و يحتمل أن يكون ضمير شأن أى كأنّه قد صرتم و على التّقديرين فكأن هنا مفيدة للتّقريب لأنّ شباهة الأحوال بعضها ببعض تفيد قرب بعضها من بعض، و قوله: فكيف بكم، الفاء فصيحة و كيف اسم استفهام فى محلّ الرّفع خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف الحال بكم.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبة الشريفة التّنفير عن الدّنيا و التّحذير منها و التّنبيه على مساويها و مخازيها الموجبة للنّفرة و الحذر، قال عليه السّلام (دار بالبلاء محفوفة) أى حفّت بالمكاره و البليّات و أحاطت بها من كلّ جانب الالام و الافات و فى نسبة محفوفة إلى الدّار توسّع و المراد كون أهلها محفوفة بها.

(و بالغدر معروفة) قال الشّارح البحرانى: استعار لفظ الغدر عمّا يتوهّم الانسان دوامها عليها من أحوالها المعجبة له كالمال و الصحّة و الشّباب فكأنّه فى مدّة بقاء تلك الأحوال قد أخذ منها عهدا فكأن التغيّر العارض لها المستلزم لزوال

تلک الأحوال أشبه شیء بالغدر، انتهی.

أقول: مراده علیه السّلام أنّها مشهورة بالغدر و الخداع، معروفة بالمکر و الغرور غیر مختفیة حیلتها و مکیدتها علی أهل البصیرة، لأنّها بکونها حلوة خضرة محفوفة بالشهوات و مهیّاة للامال و الامنیّات، أعجبت النّاس بشهواتها العاجلة و تحبّبت إلیهم بلذّاتها الحاضرة، و تزیّنت بالغرور، فاغترّ بها کلّ من کان غافلا عن مکیدتها و افتتن بحبّها کلّ من کان جاهلا بحقیقتها، حتّی إذا أوقعتهم فی حبائل محبّتها أبدت ما کان مضمرا فی باطنها من مکرها و حیلتها، فلم یکن امرء منها فی حبرة إلاّ أعقبته بعدها عبرة و لم یلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهرا، و لم ینل أحد من غضارتها رغبا إلاّ أرهقته من نوائبها تعبا، فکم من واثق بها قد فجعته، و ذی طمأنینة قد صرعته، و ذی ابهة قد جعلته حقیرا، و ذی نخوة قد ردّته ذلیلا.

و کفی فی ایضاح غدرها ما قاله بعض قدماء أهل الحقیقة و البصیرة من أنها الاخذة ما تعطی و المورثة بعد ذلک التبعة، السالبة لمن تکسو و المورثة بعد ذلک العری، الواضعة لمن ترفع و المورثة بعد ذلک الجزع، التارکة لمن یعشقها و المورثة بعد ذلک الشقوة، المغویة لمن أطاعها الغدّارة بمن أئتمنها، هی المحبوبة التی لا تحبّ أحدا، الملزومة التی لا تلزم أحدا یوف لها و تغدر، و یصدق لها و تکذب و ینجز لها فتخلف، هی المعوّجة لمن استقام بها، و المتلاعبة بمن استمکنت منه بیناهی تطعمه إذ حولته مأکولا، و بیناهی تخدمه إذ جعلته خادما، و بیناهی تضحکه إذ ضحکت منه، و بیناهی تشتمه إذ شتمت منه، و بیناهی تبکیه إذ بکت علیه، و بیناهی قد بسطت یده بالعطیة إذ بسطتها بالمسألة، و بینا هو فیها عزیز إذ أذلّته، و بینا هو فیها مکرّم إذ أهانته، و بینا هو فیها معظم إذ حقرته، و بینا هو فیها رفیع إذ وضعته، و بینا هی له مطیعة إذ عصته، و بینا هو فیها مسرور إذ أحزنته، و بینا هو فیها شبعان إذ أجاعته، و بینا هو فیها حیّ إذ أماتته.

فافّ لها من دار هذه صفتها تضع التاج علی رأسه غدوة، و تعفّر خدّه بالتراب

ص:324

عشية، و تحلى الأيدى بالأسورة عشيّة، و تجعلها فى الأغلال غدوة، و تقعد الرّجل على السرير غدوة، و ترمى به فى السجن عشيّة، تفرش له الدّيباج عشـيّة، و تفرش له التراب غدوة، و تجمع له الملاهى و المعازف غدوة، و تجمع عليه النوائح و النوادب عشـيّة، تحبّب إلى أهله قربه عشيّة، و تحبّب إليهم بعده غدوة، تطيب ريحه غدوة، و تنتن ريحه عشيّة.

فهو فى كلّ ساعة متوقّع لسطوتها غير آمن غدرها و خديعتها، غير ناج من بلائها و فتنها، تمتّع نفسه من أحاديثها، و عينه من أعاجيبها، و يده من جمعها، ثمّ يصبح باكى العينين، صفر اليدين، فى أودية الندامة و الحسرة و الخذلان حيران.

و من ذلک كلّه علم أنها (لا تدوم أحوالها) بل يصـير حياتها موتا و غناؤها فقرا و فرحها ترحا، و صـحتها سـقما، و قوّتها ضعفا، و عزّها ذلا، إلى غير هذه من حالاتها المتبدّلة المتغيّرة.

(و لا تسـلم نزالها) أى لا تسـلم النازل فى تلک الدّار من آلامها و آفاتها و صدماتها بل هو فى كلّ آن مترقّب لإصابة مكروه، و جل من كلّ بلاء.

فانّ كلّ ذى جسد فيها لا ينفكّ جسده من أنّ الحرّ يذيبه، و البرد يجمده و السّـموم يتخلّله، و الماء يغرقه، و الشّمس تحرقه، و الهواء يسقمه، و السّباع يفترسه، و الطّير تنقره، و الحديد يقطعه، و الصّدم يحطمه.

ثمّ هو معجون بطينـة من ألوان الأسـقام و الأوجاع و الأمراض، فهو مرتهن بها مترصّـد لها دائما، لكونه مخلوقا من الأخلاط الأربعة الّتى لو غلب أحـدها على الاـخر أحـدث أنواعا من المرض أ لا ترى إنّ أصـحّ الأخلاط و أقربها إلى الحياة هو الـدّم، فاذا خرج عن حـدّ الاعتـدال يموت صاحبه بموت الفجأة و الطّاعون و الاكلة و السّرسام.

هـذا كلّه مع ماله من مقارنـة الافات السّـبع الّتى لا يتخلّص منها ذو جسـد، و هى الجوع، و الظّماء، و الحرّ، و البرد، و الخوف، و الجوع «و المرض ظ» و الموت.

ص:325

أحوالها (أحوال مختلفـة) إن جانب منها اعـذوذب و احلولى أمرّ منها جانب فأوبى، لـم تطل على أحـد فيها ديمـة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء، و لـم يمس امرء منها فى جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف.

(و تارات متصرّفة) يعنى أنّ حالاتها تتغيّر بأهلها تارة بعد اخرى، و مرّة بعد مرّة، فانّها تنقل أقواما من الجدب إلى الخصب و من الرّجلة إلى الرّكب، و من البؤس إلى النّعمـة، و من الشدّة إلى الرّخاء، و من الشّقاء إلى الرّاحة، ثمّ تنقلب بهم فتسـلبهم الخصب و تنزع منهم النّعمة و الرّاحة.

و محصّله أنّها دار تصـرّف و انتقال و تقلّب من حال إلى حال صـحّتها تتبـدّل بالسّقم، و شـبابها بالهرم، و غناها بالفقر، و فرحها بالتّرح، و سرورها بالحزن، و عزّها بالذّل، و أمنها بالخوف.

بينا ترى المرء فيها مغتبطا محبورا و ملكا مسـرورا فى خفض و دعة و نعمة و لذّة و أمن وسـعة، فى بهجة من شـبابه و حداثة من سنّه، و بهاء من سـلطانه، و صـحّة من بـدنه إذا انقلبت به الـدّنيا أسـرّ ما كان فيها قلبا، و أطيب ما كان فيها نفسا، و أقرّ ما كان فيها عينا، و ألذّ ما كان فيها عيشا، فأخرجته من ملكها و غبطتها و خفضـها و دعتها و بهجتها، فأبدلته بالعزّ ذلاّ، و بالسّرور حزنا، و بالنّعمة نقمة، و بالغنى فقرا، و بالسّعة ضيقا، و بالشّباب هرما، و بالشّرف ضعة و بالحياة موتا.

ففارق الأحبّة و فارقوه، و خذله إخوانه و تركوه، و صار ما جمع فيها مفرّقا و ما عمل فيها متبّرا، و ما شـيّد فيها خرابا و صار اسـمه مجهولا، و ذكره منسيّا، و حسبه خاملا، و جسده باليا، و شرفه وضيعا، و نعمته وبالا، و كسبه خسارا، و ورث أعداؤه سلطانه، و استذلّوا عقبه، و استباحوا حريمه، و تملّكوا أمواله، و نقضوا عهـده و ملكوا جنوده، فـافّ و تفّ لـدار حالهـا هـذا، و شأن ساكنها ذلك، وفّقنا اللّه تعالى للزّهـد فيها و الاعراض عنها.

و بما ذكرنا ظهر أنّ (العيش فيها مـذموم) و أراد بالعيش التّرفّه فيها و التنعّم بلـذّاتها و الالتذاذ بشـهواتها و إنّما كان مذموما لكونه شاغلا عن التّوجّه

إلى الحقّ و عن الالتفات إلى الاخرة، و معقّبا للنّدم و الحسرة الطّويلة و العذاب الشّديد يوم القيامة.

قـد وقع ذمّه فى كتاب اللّه تعالى و على ألسـنة الأنبياء و الرّسل متجاوزا عن حـدّ الاحصاء قال تعالى «اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تكاثُرٌ فِى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفّارَ نَباتُهُ ثُمَّ يَهِيـجُ فَتَراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَ فِى الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيـدٌ » و قال أيضا «مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَياةَ الدُّنْيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ » و قد وقع تشبيه المتنعّم باللّذات الدّنيويّة و المتلذّذ بشهواتها الملهية له عن التّوجّه إلى عاقبة أمره و الالتفات إلى مال حاله فى كلام الحكماء برجل حمل عليه فيل مغتلم، فانطلق مولّيا هاربا، فاتّبعه الفيل فغشـيه حتّى اضطرّه إلى بئر فتدلّى فيها و تعلّق بغصـنين نابتين على شفير البئر، فاذا فى أصلهما جرذان يقرضان الغصنين أحدهما أبيض و الاخر أسود، فلمّا نظر إلى تحت قـدميه فاذا رءوس أربع أفاع قـد طلعن من جحرهن، فلمّا نظر إلى قعر البئر إذا تنين فاغر فاه نحوه يريد التقامه، فلما رفع رأسه إلى أعلى الغصـنين إذا عليهما شـىء من عسل النّحل فألهاه ما طعم منه و ما نال من لـذّة العسل و حلاوته عن الفكر فى أمر الأفاعى اللواتى لا يدرى متى يبادرونه، و ألهاه عن التّنين الّذى لا يدرى كيف مصـيره بعد وقوعه فى لهواته أما الفيل فهو الأجل، و أمّا البئر فالدّنيا المملوّة من الافات و البلايا و الشـرور و أمّا الغصنان فالعمر، و أمّا الجرذان فالليل و النّهار يسرعان فى قطع العمر، و أمّا الأفاعى الأربعة فالأخلاط الأربعة الّتى هى السّموم القاتلـة من المرّة و البلغم و الرّيـح و الـدّم الّتى لا يـدرى صاحبها متى تهيج به، و أمّا التّنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الرّاصـد الطالب، و أمّا العسل الّذى اغترّ بأكله فما ينال النّاس من عيش الدّنيا و لذّتها و شـهوتها و نعيمها و دعتها من لذّة الطّعام و الشّراب و اللباس و الشم و اللّمس و البصر، هذا هو العيش المذموم.

و بقباله العيش الممـدوح و هو العيش الهنىء الّذى اشـير إليه فى الحديث القدسـى المروىّ فى البحار من إرشاد القلوب للّديلمى عن أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ اللّه تعالى شأنه قال للنّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم ليلـة المعراج فى جملـة مخاطباته: يا أحمد هل تدرى أىّ عيش أهنى و أىّ حياة أبقى؟ قال: اللهمّ لا، قال: أمّا العيش الهنىء فهو الّذى لا يفتر صاحبه عن ذكرى و لا ينسـى نعمتى و لا يجهل حقّى، يطلب رضائى فى ليله و نهاره، و أمّا الحياة الباقية فهى الّتى تعمل لنفسه حتّى تهون عليه الدّنيا و تصـغر فى عينه و تعظم الاخرة عنده و يؤثر هواى على هواه، و يبتغى مرضاتى، و يعظّم حقّ عظمتى، و يذكر عملى به، و يراقبنى بالليل و النّهار عند كلّ سيّئة أو معصية، و ينقى قلبه عن كلّ ما أكره، و يبغض الشيطان و وساوسه، و لا يجعل لابليس على قلبه سلطانا و لا سبيلا، فاذا فعل ذلک أسكنت قلبه حبّا حتّى اجعل قلبه لى و فراغه و اشـتغاله و همّه و حـديثه من النّعمـة الّتى أنعمت بها على أهل محبّتى من خلقى و أفتح عين قلبه و سـمعه حتّى يسـمع بقلبه و ينظر بقلبه إلى جلالى و عظمتى، و أضـيّق عليه الـدّنيا و أبغّض إليه ما فيها من اللـذات، و أحـذّره من الـدّنيا و ما فيها كما يحذّر الرّاعى على غنمه مراتع الهلكـة فـاذا كـان هكـذا يفرّ من النّـاس فرارا، و ينقـل من دار الفناء إلى دار البقاء، و من دار الشـيطان إلى دار الرّحمن، يا أحمد لأزيننّه بالهيبة و العظمة، فهذا هو العيش الهنىء و الحياة الباقية، و هذا مقام الرّاضين، الحديث (و الأمان فيها معدوم) لأنها إذا كانت بالبلاء محفوفـة و بالخديعـة موصوفـة مختلفـة الحالات متصـرّفة التارات حسـبما عرفت تفصـيلا و توضـيحا فكيف يؤمن من بوائقها و يطمئنّ من طوارقها، و كيف يسلم من فجعتها و يستراح من خدعتها، و يتخلّص من غيلتها؟!.

فهى غرارة ضـرارة حائلة زائلة نافذة بائدة أكالة غوّالة حيّها بعرض موت و صـحيحها بعرض سـقم، ملكها مسلوب، و مالها منهوب، و عزيزها مغلوب، و موفورهـا منكوب، كيف لا و قـد رايتها تنكرها لمن أمن بها و دان لها و اطمئنّ إليها حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبـد هل زوّدتهم إلاّ السغب، أو أحلّتهم إلاّ الضنک،

أو نوّرت لهم إلاّ الظلمة، أو أعقبتهم الاّ الحسرة و الندامة، فبئست الدّار لمن لم يتّهمها و لم يكن فيها على وجل.

(و انما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها) قال الشارح البحرانى استعار لفظ الأغراض و رشح بذكر الاستهداف و كذلک استعار لفظ الرّمى لايقاع المصائب بهم و رشح بذكر السهام.

أقول: بل هو استعارة مكنية تخييلية ترشيحية فانّه عليه الصلاة و السلام شبه الدّنيا بنبال ينصب غرضا و يتّخذ هدفا يرمى إليه بسهامه، فطوى عن ذكر المشبّه به و ذكر المشبّه كما هو شأن الاستعارة المكنية، و أثبت له ما هو من لوازم المشبّه به تخييلا و هو الأغراض و السهام، و رشح بذكر ما هو من ملايمات المشبّه به و هو الرّمى و الاستهداف.

و محصّل المراد أنّ الناس فى الدّنيا بمنزلة أغراض منصوبة للهدفية ترمى الدّنيا إليهم بسهامها أى مصائبها و محنها و آلامها قال الشاعر:

رمانى الدّهر بالارزاء حتّى فؤادى فى غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنى سهام تكسّرت النصال على النصال

و قوله عليه السّلام (و تفنيهم بحمامها) ترشح آخر أى تهلكهم بموتها.

ثمّ ذكرهم بالاعتبار بأحوال السلف الماضين و ما جرت عليهم من تقلّبات الدّنيا و تصاريفها و تنكّر حالاتها و اغتيالها لهم و ما صار إليه عاقبة أمورهم ايضاحا بذلک لما قدّمه سابقا من غدر الدّنيا و عدم دوام أحوالها و سلامة نزالها و انتفاء الأمان فيها و إفنائها بحمامها و تنبيها به على أنّ الباقين فيها سيحلقون بالماضين و يحذون حذوهم و ينقلون من القصور إلى القبور، و يبدّلون السّرور بالويل و الثّبور.

فقال عليه السّلام (و اعلموا عباد اللّه أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدّنيا) من متاعها و حطامها و زبرجها و زخارفها (على سبيل من قد مضى قبلكم) من أهل الدّيار الخالية و الربوع الخاوية (ممّن كان أطول منكم أعمارا) منهم عوج بن عناق كان جبارا عدو اللّه و للاسلام، و له بسطة فى الجسم و الخلق

و كان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثمّ يرفعه إلى السّماء فيشويه فى حرّ الشّمس و كان عمره ثلاثة آلاف و ستمائة سنة.

و منهم عاد قوم هود فقد كانت بلادهم فى البادية و كان لهم زرع و نخل كثير و لهم أعمار طويلة فعبدوا الأصنام و بعث اللّه إليهم هودا يدعوهم إلى الاسلام و خلع الأنداد فأبوا.

و منهم شداد بن عاد الّذى بنى ارم ذات العماد فى عدّة ثلاثمأة سنة و كان عمره تسعمائة سنة قال فى إكمال الدّين: وجدت فى كتب معمر أنّه ذكر عن هشام بن سعيد الرّحال، قال: إنّا وجدنا حجرا بالاسكندريّة مكتوبا فيه: أنا شدّاد بن عاد أنا شيّدت إرم ذات العماد الّتى لم يخلق مثلها فى البلاد، و جنّدت الأجناد و شددت بساعدى الواد.

و منهم لقمان بن عاد و كان من بقيّة عاد الاولى فقد روى أنّه عاش ثلاثة آلاف و خمسمائة سنة.

و منهم فرعون ذو الأوتاد قال فى مجمع البيان: قال الضحّاک: انّه عاش أربعمائة سنة و كان قصيرا ذميما و هو أوّل من خضب بالسّواد.

و منهم عمرو بن عامر الملقّب بمزيقيا و ماء السّماء ملک أرض سبا فقد عاش ثمانمائة سنة أربعمائة سنة سوقة فى حياة أبيه و أربعمائة سنة ملكا و كان يلبّس كلّ يوم حليتين فى سنّى ملكه فاذا كان بالعشىّ مزق الحليتين حتّى لا يلبسهما أحد غيره سمّى مزيقيّا و سمّى بماء السّماء أيضا لأنّه كان حياة أينما نزل كمثل ماء السّماء.

و منهم أبو هبل بن عبد اللّه بن كنانة عاش ستمائة سنة.

و منهم جلهمة بن اود و يقال له طىّ و اليه تنسب قبيلة طىّ كلّها، و كان له ابن أخ يقال له: بجابر بن ملک بن اود، و قد عاش كلّ منهما خمسمائة سنة.

و منهم عبيد بن الأبرص عاش ثلاثمأة سنة فقال:

فنيت و أفنانى الزّمان و أصبحت لدىّ بنو العشرون هنّ الفواقد

و منهم عزيز مصر الّذى كان فى زمن يوسف و أبوه و جدّه و هم الوليد بن

الرّيان بن ذوسع و كان عمر العزيز سبعمائة سنة و عمر الرّيان ألف و سبعمائة سنة و عمر ذوسع ثلاثة آلاف سنة.

و منهم الضحّاک صاحب الحيّتين عاش ألفا و مأتى سنة.

و منهم افريدون العادل عاش فوق ألف سنة.

و منهم الملک الذى أحدث المهرجان فقد زعمت الفرس انّه عاش ألفى سنة و خمسمائة.

إلى غير هؤلاء من المعمّرين الّذين لا نطول بذكرهم، و انّما ذكرنا هؤلاء تاييدا لما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام و ايضاحا له، لأنّ هؤلاء مع كونهم أطول أعمارا قد كانوا (أعمر ديارا و أبعد آثارا) أيضا حسبما أشرنا إليه.

و المراد ببعد الاثار بعدها عن أن يقتدر على مثلها المخاطبون الّذين خاطبهم عليه السّلام بهذه الخطبة و كفى بذلک شاهدا بناء الهرمين بمصر، و هما إلى الان باقيان و قد بناهما عزيز مصر وليد بن الرّيان كما نقله تفصيلا الصّدوق فى كتاب اكمال الدّين و قد اشير الى بعد آثار بعض من تقدّم ذكرهم فى قوله تعالى «أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعادٍ إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ اَلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِى الْبِلادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ وَ فِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتادِ اَلَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّکَ سَوْطَ ».

قال أمين الاسلام الطّبرسى: الاية خطاب للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تنبيه للكفّار على ما فعله سبحانه بالامم السّالفة لما كفرت باللّه و بأنبيائه و كانت أطول أعمارا و أشدّ قوّة و عاد قوم هود.

و اختلفوا فى إرم على أقوال:

أحدها أنّه اسم قبيلة و قيل إنّه جدّ عاد و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام ابن نوح.

و ثانيها أنّه اسم بلد و هو دمشق و قيل: هو مدينة الاسكندريّة و قيل مدينة شدّاد بن عاد فلمّا أتمّها و أراد أن يدخلها أهلكه اللّه بصيحة نزلت من السّماء

و ثالثهـا أنّه لقب عـاد و قوله «ذات العماد» معناه ذات الطول و الشـدّة و قيل: ذات الأبنيـة العظام المرتفعـة، و قال ابن زيـد ذات العماد فى احكام البنيان «التى لم يخلق مثلها» أى مثل أبنيتها «فى البلاد و ثمود الذين جابوا الصـخر بالواد» أى قطعوا الصخر و نقبوها بالوادى الذين كانوا ينزلونه و هو وادى القرى.

قـال ابن عبـاس: كـانوا ينحتون الجبـال فيجعلون منهـا بيوتا كما قال تعالى «وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ » «وَ فِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتادِ » قال علىّ بن إبراهيم القمّى عمل الاوتاد التى أراد أن يصعد بها إلى السماء.

و قال الطبرسى قيل فى معناه أقوال:

أحدها أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها.

و الثانى انه كان يعـذّب بالأوتاد و ذلک أنه إذا غضب على أحـد و تد يديه و رجليه و رأسه على الأرض و الثالث أنّ معناه ذو البنيان و البنيان أوتاد.

و الرّابع أنه ذو الجموع و الجنود الكثيرة بمعنى أنهم يشدّدون ملكه و يقوّون أمره كما يقوّى الوتد الشىء.

و الخـامس أنه سـمّى ذو الأوتـاد لكثرة جيوشه السـائرة فى الأـرض و كثرة أوتاد خيامهم فعبر بكثرة الأوتاد عن كثرة الأجناد و كيف كان فقد ظهر بذلک كلّه أنّ السلف الماضين كانوا طويلة الأعمار عامرة الدّيار بعيدة الاثار من أن يصفها الواصفون أو يقوى على إتيان مثلها الغابرون و مع اتّصافهم بهذه الابهة و العظمة و القوّة و الجلال:

(أصـبحت أصواتهم هامـدة) و هـذه الجملـة استينافية بيانية فانه لما نبّه المخاطبين على أنهم على سبيل من قد مضـى قبلهم فكان لقائل أن يستفهم و يقول: كيف كان حال الماضين و مال أمرهم؟ أجاب عليه السّلام بأنّ أصواتهم العالية الجهورية بالأمر

و النّهى و الحكم و الالزام صارت ساكتة ذاهبة الاثر بالمرّة.

(و رياحهم راكدة) قال الشارح البحرانى: ركود رياحهم كناية عن سكون أحوالهم و خمول ذكرهم بعد العظمة فى الصّدور انتهى.

و الأظهر أن يراد أنّ أعاصيرهم العاصفة الشديدة الهبوب التى كانت تهب بالرّتق و الفتق و السّياسات صارت ساكنة.

(و أجسادهم بالية) بعد بضاضتها و نضارتها (و ديارهم خالية) من أهلها بعد عمارتها (و آثارهم عافية) مندرسة بعد عظمتها و جلالتها.

(فاستبدلوا بالقصور المشيدة) المجصّصة الرّفيعة البنيان المحكمة القواعد و الأركان (و النمارق الممهّدة) أى الوسائد المهيئة للمتكئين (الصخور و الأحجار المسنّدة) اى المستندة بعضها إلى بعض أو أنها كانت لهم سنادا (و القبور اللاّطئة الملحدة) أى اللاصقة بالأرض المعمول لها اللّحد(التى قد بنى بالخراب فناؤها)أى على الخراب، و المراد خراب نفس القبور و تسرّع انهدامها، و انما نسب البناء إلى الفناء و لم يقل قد بنيت بالخراب، لأنّه من باب الكناية باقتضاء البلاغة و قد عرفت فى ديباجة الشرح فى مبحث الكناية أنّهم يقصدون إثبات شىء لشىء فيتركون التصريح باثباته له و يثبتونه لمتعلّقه كما فى قول الشّاعر:

إنّ المروّة و السّماحة و الندى فى قبّة ضربت على ابن الحشرج

جعل الأوصاف الثلاثة فى قبّة الممدوح و كنى به عن ثبوتها له و قول الاخر فى وصف الخمر

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتهالو مسّها حجر مسّته سرّاء

كنى عن نفى الحزن عنها بنفيها عن ساحتها و هو أبلغ من التّصريح به و يحتمل أن يكون المراد خراب الأبدان المدفونة فيها و فناؤها بالبلى (و شيّد بالتراب بناؤها) و فى وصفها بذلک أى بكون شيدها التراب دون الجصّ ايماء إلى هوانها و هوان من دفن فيها.

ص:333

(فمحلّهـا مقترب و ساكنهـا مغترب) يحتمـل أن يكون المراد أنّ محـلّ القبور و مكانها قريب من الأحياء و لكن ساكنها غريب عنهم، و أن يكون المراد أنّ محلّ كلّ منها قريب من الاخر و لكن ساكنوها غرباء، يعنى أنّهم تدانوا فى خططهم و قربوا فى مزارهم و بعدوا فى لقائهم.

(بين أهل محلّـة موحشـين) أى ذوى وحشـة ليس بينهم مودّة و لا الفـة و على كون موحشـين بصـيغة المفعول فالمعنى استيحاش الاحياء منهم، و حاصـله أنّهم لا يسـتأنسون بأحد و لا يستأنس بهم أحد لا من الأحياء و لا من الأموات (و أهل فراغ متشاغلين) أى فراغ من الأمور الدّنيويّة متشاغلين بالامور البرزخيّة من السؤال و الجواب و الثواب و العقاب.

(لا يسـتأنسون بالأوطان) كاستيناس الاحياء بأوطانهم (و لا يتواصلون تواصل الجيران) كتوصّل أهل الدّنيا بجيرانهم (على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الـدّار) و حاصـله أنّهم جيران لاـ يتـأنسون و أحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التّعارف، و انقطعت منهم أسـباب التّواصل، فكلّهم و حيـدوهم جميع، و بجانب الهجران و هم جيران (و كيف يكون بينهم تزاور) و تأنّس(و قد طحنهم بكلكله البلى)اسـتعارة بالكناية شبّه البلى بالجمل الضّـروس الّذى يرضّ و يدقّ ما يركب عليه بكلكله أى صدره فأثبت له الكلكل تخييلا، و الطحن ترشـيحا، و الجامع أنّ البلى يجعل الأجساد أجزاء دقاقا مثل الـدّقيق و الطّحين، و كذلک يجعل الضّـروس بكلكله ما برک عليه عند الصّـيال، و محصّـله اسـتبعاد تزاورهم مع اضـمحلال أجسامهم و انحلالها بالبلى و كونهم ممزّقين كلّ ممزّق(و أكلتهم الجنادل و الثرى)اسـتعارة تبعيّـة كما فى قولهم: نطقت الحال، و المراد إفناؤها لهم، فاستعار لفظ الاكل للافناء أى كيف يكون بينهم تزاور و قد أفنتهم الجنادل و التّراب هذا.

و لا يخفى عليک أنّ إنكار التّزاور و التأنس إمّا مخصوص بغير المؤمنين

أو محمول على التزاور بالأجساد، و هو الأظهر، لأنّ المستفاد من الأخبار الكثيرة ثبوت التّزاور بين أرواحهم، و قد مضت عدّة منها فى أواخر التّذييل الثالث من شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثانية و الثّمانين فليراجع ثمّة.

و رويت هنا مضافا إلى ما سبق من البحار من المحاسن عن ابن محبوب عن إبراهيم بن إسحاق الجازى قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام أين أرواح المؤمنين؟ فقال: أرواح المؤمنين فى حجرات الجنّة يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون ربّنا أقم لنا السّاعة لتنجز لنا ما وعدتنا، قال: قلت:

فأين أرواح الكفار؟ فقال: فى حجرات النّار يأكلون من طعامها و يشربون من شرابها و يتزاورون فيها و يقولون: ربّنا لا تقم لنا السّاعة لتنجز لنا ما وعدتنا.

و من المحاسن أيضا عن ابن فضّال عن حماد بن عثمان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين فقال: يلتقون، قلت: يلتقون؟ قال: نعم يتساءلون و يتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان.

و فيه من الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام إنّ الأرواح فى صفة الأجساد فى شجر الجنة تعارف و تسائل، فاذا قدمت الرّوح على الأرواح تقول:

دعوها فانها قد أقبلت من هول عظيم، ثمّ يسألونها ما فعل فلان و ما فعل فلان، فان قالت لهم: تركته حيا ارتجوه، و إن قالت لهم: قد هلك، قالوا: قد هوى هوى و الاخبار فى هذا المعنى كثيرة و لا حاجة إلى الاطالة.

ثمّ إنه عليه السّلام لما ذكر المخاطبين بشرح أحوال الماضين و عظم ما حلّ بهم من احوال القبر و دواهيه عقّب عليه السّلام ذلک بالتنبيه على قرب لحاقهم بهم فقال (و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه) أى انتقلتم من ذروة القصور إلى وهدة القبور و بدّلتم النمارق الممهّدة بالأحجار المشيدة، و دار الانس و العيش و السعة ببيت الوحدة و الوحشة و الضيق و الغربة (و ارتهنكم ذلک المضجع) أى أخذكم أخذ المرتهن لرهنه (و ضمّكم ذلک المستودع) أى ضغطكم القبر الذى هو محلّ الاستيداع

قال الشارح البحرانى: و اطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيامة، انتهى.

و قد تقدّم بيان ضغطة القبر تفصيلا و تحقيقا مع الأخبار الواردة فيها فى التذييل الثالث من شرح الفصل السابع من الخطبة الثانية و الثمانين و لا حاجة إلى الاعادة.

ثمّ ذكرّهم عليه السّلام بدواهى القيامة و أفزاعها فقال (فكيف بكم لو تناهت بكم الأمور) أى الامور البرزخية (و بعثرت القبور) أى قلب ترابها و بعث الموتى الذين فيها و جدّدوا بعد اخلاقهم و جمعوا بعد افتراقهم لنقاش الحساب و معاينة الجزاء و هذه اللفظة من ألفاظ الكتاب العزيز قال سبحانه «إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ وَ إِذَا الْكَواكِبُ انْتَثَرَتْ وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ » و قال أيضا «أَ فَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ » أى بحث عن الموتى فاخرجوا عنها يعنى عند البعث.

(هنا لک تبلو كلّ نفس ما أسلفت و ردّوا إلى اللّه موليهم الحقّ و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون) اقتباس من الاية الشّريفة فى سورة يونس أى فى ذلک المقام يعنى مقام البعث تختبر كلّ نفس ما قدّمت من عمل فتعاين نفعه و ضرّه، و قرء بعضهم تتلو أى تقرء من التلاوة أو تتبع من التّلو، و ردّوا إلى اللّه موليهم الحقّ أى إلى ربّهم الصّادق ربوبيّته المتولّى لأمرهم على الحقيقة لا ما اتّخذوه موليو ضلّ عنهم ما كانوا يفترون،أى ضاع عنهم ما كانوا يدعونه أنّهم شركاء اللّه و أنّهم تشفع لهم روى فى البحار من كتاب مطالب السّؤول عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال:

انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها فانّها و اللّه عن قليل تشقى المترف، و تحرّک السّاكن، و تزيل الثّاوى، صفوها مشوب بالكدر، و سرورها منسوج بالحزن، و آخر حياتها مقترن بالضعف، فلا يعجبنّكم ما يغرّنكم منها فعن كثب تنقلون

ص:336

عنها، و كلّ ما هو آت قريب، و هنا لک تبلو كلّ نفس مأ اسلفت و ردّوا إلى اللّه موليهم الحقّ و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون.

تكملة

هذه الخطبة رواها المحدّث العلامة المجلسى قدّس سرّه فى المجلّد السابع عشر من البحار من كتاب عيون الحكمة و المواعظ لعلىّ بن محمّد الواسطى قال:

و من كلام له عليه السّلام: إنكم مخلوقون اقتدارا، و مربوبون اقتسارا، و مضمّنون أجداثا، و كائنون رفاتا، و مبعوثون افرادا، و مدينون جزاء، و مميّزون حسابا، فرحم اللّه عبدا اقترف فاعترف، و وجل فعمل، و حاذر فبادر، و عبّر فاعتبر، و حذّر فازدجر، و أجاب فأناب، و راجع فتاب، و اقتدى فاحتذى، فأسرع طلبا، و نجا هربا فأفاد ذخيرة، و أطاب سريرة، و تأهّب للمعاد، و استظهر بالزّاد، ليوم رحيله، و وجه سبيله، و حال حاجته، و موطن فاقته، تقدّم امامه لدار مقامه فمهّدوا لأنفسكم فى سلامة الأبدان، فهل ينتظر أهل غضارة الشّباب إلاّ حوانى الهرم، و أهل بضاضة الصحّة إلاّ نوازل السّقم، و أهل مدّة البقاء إلاّ مفاجاة الفناء، و اقتراب الفوت و دنوّ الموت، و ازوف الانتقال، و اشفاء الزّوال، و حفى الأنين، و رشح الجبين، و امتداد العرنين، و علز القلق، و فيض الرّمق، و ألم المضض، و غصص الجرض.

و اعلموا عباد اللّه أنكم و ما أنتم فيه من هذه الدّنيا على سبيل من قد مضى ممّن كان أطول منكم أعمارا، و أشدّ بطشا، و أعمر ديارا، و أبعد آثارا، فأصبحت أصواتهم هامدة جامدة من بعد طول تقلبها، و أجسادهم بالية، و ديارهم خالية، و آثارهم عافية، و استبدلوا بالقصور المشيّدة، و السّرور و النّمارق الممهّدة، الصخور و الأحجار المسندة، فى القبور اللاطئة الملحدة التى قد بين الخراب فنائها و شيد التراب بنائها، فمحلّها مقترب و ساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحشين، و أهل محلّة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، و لا يتواصلون الجيران و الاخوان على ما بينهم من قرب الجوار و دنوّ الدّار.

ص:337

و كيف يكون بينهم تواصل و قد طحنهم بكلكله البلى، فأكلهم الجنادل و الثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتا، و بعد غضارة العيش رفاتا، فجع بهم الأحباب و سكنوا التراب، و ظعنوا فليس لهم اياب، هيهات هيهات «كلاّ إنها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون».

و كأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى و الوحدة فى دار الموت، و ارتهنتهم فى ذلک المضجع، و ضمّكم ذلک المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الامور، و بعثرت القبور و حصّل ما فى الصّدور و وقعتم للتحصيل، بين يدى الملک الجليل، فطارت القلوب لاشفاقها من سلف الذنوب، هتكت منكم الحجب و الأستار، و ظهرت منكم العيوب و الأسرار «هنا لک تجزى كلّ نفس بما كسبت» إنّ اللّه يقول «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ».

اغتنموا أيّام الصحّة قبل السقم، و أيام الشيبة قبل الهرم، و بادروا بالتوبة قبل النّدم، و لا يحملنّكم المهلة على طول الغفلة، فان الأجل يهدم الأمل، و الأيّام موكلة بنقص المدّة، و تفريق الأحبّة.

فبادروا رحمكم اللّه بالتوبة قبل حضور النوبة، و بروز اللّعبة التى لا ينتظر معه الأوبة و استعينوا على بعد المسافة بطول المخافة.

فكم من غافل وثق لغفلته، و تعلّل بمهلته، فأمّل بعيدا، و بنى مشيدا، فنقص بقرب أجله بعد أمله، فأجابه منيّته، فصار بعد العزّ و المنعة و الشرف و الرفعة مرتهنا بموبقات عمله، قد غاب فما رجع، و ندم فما انتفع، و شقى بما جمع فى يومه و سعد به غيره فى غده، و بقى مرتهنا بكسب يده، زاهلا عن أهله و ولده، لا يغنى عنه ما ترک فتيلا، و لا يجد إلى مناص سبيلا فعلهم عباد اللّه التعرّج و الدّلج و إلى أين المفرّ و المهرب، و هذا الموت فى الطلب يخترم الأوّل فالأوّل، لا يتحنّن على ضعيف، و لا يعرّج على شريف، و الجديد ان يحثّان الأجل تحثيثا، و يسوقانه سوقا حثيثا، و كلّ ما هو آت فقريب، و من وراء ذلک العجب العجب فأعدّوا الجواب يوم الحساب، و أكثروا الزّاد ليوم المعاد، عصمنا اللّه و إياكم بطاعته، و أعاننا و اياكم

ص:338

على ما يقرّب إليه و يزلف لديه، فانما نحن به و له إنّ اللّه وقّت لكم الاجال، و ضرب لكم الأمثال، و ألبسكم الرّياش، و أرفع لكم المعاش، و آثركم بالنعم السوابغ، و تقدم إليكم بالحجج البوالغ، و أوسع لكم فى الرفد الرافع، فتنهزوا فقد أحاط بكم الاحصاء، و ارتهن لكم الجزاء القلوب قاسية عن حظها، لاهية عن رشدها، اتّقوا اللّه تقيّة من شمّر تجريدا، و جدّ تشميرا و انكمش فى مهل، و أشفق فى وجل، و نظر فى كرّة الموئل، و عافية الصبر، و معية المرجع، و كفى باللّه منتقما و نصيرا، و كفى بكتاب اللّه حجيجا و خصيما.

رحم اللّه عبدا استشعر الحزن، و تجلبب الخوف و أضمر اليقين، و عرى من الشک فى توهم الزّوال، فهو منه على وبال، فزهر مصباح الهدى فى قلبه، و قرّب على نفسه البعيد، و هوّن الشديد، فخرج من صفة العمى، و مشاركة الموتى و اجتاز من مفاتيح الهدى، و مغاليق أبواب الرّدى، و استفتح بما فتح العالم به أبوابه، و خاض بحاره، و قطع غماره، و وضحت له سبيله و مناره، و استمسک من العرى بأوثقها، و استعصم من الحبال بأمتنها، خواض غمرات، فتاح مبهمات، دافع معضلات امة و لا مطية إلاّ قصدها

تنبيه

قد تقدّم أوائل فقرات هذا الكلام بهذه الرّواية إلى قوله و غصص الجرض فى ضمن فقرات الخطبة الثانية و الثمانين باختلاف أيضا فانظر ما ذا ترى و بما ذكرناه فى شرح هذه الخطبة و الخطب المتقدّمة يتّضح لک قريب «غريب ظ» ما فى هذه الرواية و لا حاجة إلى الاعادة هذا.

و يستفاد من بعض الرّوايات كون هذه الخطبة مع الكلام الثانى و الأربعين ملتقطين من خطبة طويلة، و هو ما رواه أيضا فى المجلّد السابع عشر من البحار فى موضع آخر من مناقب ابن الجوزى قال: خطبة و يعرف بالبالغة.

ص:339

روى ابن أبى ذئب عن أبى صالح العجلى قال: شـهدت أمير المؤمنين كرّم اللّه وجهه و هو يخطب فقال بعد أن حمد اللّه تعالى و صلّى على محمّد رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

أيّهـا النّـاس إنّ اللّه أرسل إليكم رسولا ليربـح به عليكم، و يوقظ به غفلتكم و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى و طول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصـدّكم عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسـيكم الاخرة، ألا و انّ الدّنيا قد ترحّلت مدبرة، و إنّ الاخرة قد ترحّلت مقبلة، و لكلّ واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الاخرة و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، فانّ اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل.

و اعلموا أنّكم ميّتون و مبعوثون من بعد الموت و محاسبون على أعمالكم و مجازون بها، فلا يغرّنكم الحياة الدّنيا و لا يغرّنكم باللّه الغرور.

فانّها دار بالبلاء محفوفة، و بالعناء و الغدر موصوفة، و كلّ ما فيها إلى زوال، و هى بين أهلها دول و سـجال، لا تدوم أحوالها، و لا يسـلم من شرّها نزّالها، بينا أهلها فى رخاء و سرور، إذا هم فى بلاء و غرور، العيش فيها مذموم، و الرّخاء فيها لا يدوم، أهلها فيها أغراض مستهدفة، كلّ حتفه فيها مقدور، و حظّه من نوائبها موفور.

و أنتم عباد اللّه على محجّة من قـد مضـى، و سبيل من كان ثمّ انقضـى، ممّن كان أطول منكم أعمارا و أشدّ بطشا، و أعمر ديارا، أصـبحت أجسادهم بالية، و ديارهم خالية، فاستبدلوا بالقصور المشيّدة، و النّمارق الموسّدة، بطون اللّحود، و مجاورة الدّود، فى دار ساكنها مغترب، و محلّها مقترب، بين قوم مستوحشين، متجاورين غير متزاورين، لا يستأنسون بالعمران، و لا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، و دنوّ الدّار.

و كيف يكون بينهم تواصل و قـد طحنتهم البلى، و أظلتهم الجنادل و الثرى، فأصـبحوا بعد الحياة أمواتا، و بعد غضارة العيش رفاتا، قد فجع بهم الأحباب، و اسكنوا التّراب، و ظعنوا فليس لهم اياب، و تمنّوا الرّجوع فحيل بينهم و بين ما يشتهون

كلاّ إنّها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون.

قال و قد أخرج أبو نعيم طرفا من هذه الخطبة فى كتابه المعروف بالحلية.

الترجمة

از جملهٔ خطب شريفهٔ آن حضرتست در تنفير أز دنيا و تنبيه بسرعت زوال آن مى فرمايد:

دنيا خانه ايست ببلاـ احاطه كرده شده، و با مكر و حيله اشتهار يافته، ثبات ندارد حالات آن، و سلامت نمى ماند نازل شوندگان آن، حالهاى آن حالتهاى مختلف است، و مرّات متغيّر و متبدّل تعيّش و التذاذ در آن مذموم است، و أيمنى در آن معدوم است، و جز اين نيست كه أهل دنيا در دنيا نشانگاهانى هستند كه نصب شده اند بنشانگى مى اندازد دنيا بايشان با تيرهاى خود، و فانى مى سازد ايشان را با مرگ خود.

و بدانيد أى بندگان خدا بدرستى كه شما با چيزى كه هستيد در آن از متاع اين دنيا بر طريقه و روش كسانى هستيد كه گذشته اند پيش از شما از أشخاصى كه درازتر بودند از شما از حيثيّت عمرها، و معمورتر بودند از حيثيّت خانها، و دورتر بودند از حيثيّت أثرها، گرديد آوازهاى ايشان خاموش، و بادهاى غرور ايشان ساكن، و بدنهاى ايشان پوسيده، خانه هاى ايشان خالى، و أثرهاى ايشان مندرس پس عوض كردند بقصرهاى محكم شده با گچ و متّكاهاى مهيا شده، سنگها و حجرهاى تكيه كرده بهم قبرهاى هموار شده بزمين صاحب لحد را، چنان قبرهايى كه بنا كرده شده بر خرابى أطراف آنها، و بخاك محكم كرده شد بناى آنها، پس مكان آن قبرها نزديكست، و ساكن آنها غريبست در ميان أهل محله كه صاحبان وحشتند، و در ميان أهل فراغتى كه مشغولند بهولهاى برزخ، انس نمى گيرند ايشان بوطنها، و وصلت نمى كنند مثل وصلت كردن همسايها، با وجود اين كه در ميان ايشانست از قرب همسايگى و نزديكى خانه.

ص:341

و چگونه می شود در میان ایشان زیارت کردن یکـدیگر و حال آنکه مثل آرد کرده بـدنهای ایشان را پوسـیدگی بسـینهٔ خود، و خورده اسـت ایشان را خاکها و سـنگها، و گویا گردیدیـد شـما بسوی آنچه که گردیدنـد ایشان بسوی آن و بگرو گرفت شـما را آن خوابگاه قبر، و فشار داد شما را آن امانت گاه.

پس چگونه باشد حال شـما اگر بپایان برسد بشما کارها، و بیرون آورده شود مردهای قبرها، در آن زمان امتحان می کند هر نفس آن چیزی را که پیش فرسـتاده و رد کرده شوند بسوی خدا که مولای بحقّ ایشانست، و گم شود از ایشان آن چیزی که افترا می گفتند یعنی شـریکی که قرار می دادند برای خدا.

و من دعاء له علیه السّلام و هو المأتان و الخامس و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

أللّهمّ إنّک آنس الانسین لاولیاءک، و أحضرهم بالکفایة للمتوکّلین علیک، تشاهدهم فی سرائرهم، و تطّلع علیهم فی ضمائرهم و تعلم مبلغ بصـائرهم، فأسـرارهم لک مکشوفـة، و قلوبهم إلیک ملهوفـة، إن أوحشـتهم الغربـة آنسـهم ذکرک، و إن صـبّت علیهم المصائب لجئوا إلی الاستجارة بک، علما بأنّ أزمّة الامور بیدک، و مصادرها عن قضائک.

ص:342

أللّهمّ إن فههت عن مسئلتی، أو عمهت عن طلبتی، فدلّنی علی مصالحی، و خذ بقلبی إلی مراشدی، فلیس ذلک بنکر من هداياتک و لا ببدع من کفایاتک، أللّهمّ احملنی علی عفوک و لا تحملنی علی عدلک.

اللغة

(الانس) بالضمّ و بالتحریک ضدّ الوحشة اسم من آنست بالشیء انسا من باب علم و فی لغة من باب ضرب و فی القاموس من باب شرف أیضا، و الأنیس المونس و کلّ ما یونس به، و الایناس ضد الایحاش و هو وجدان الشیء الّذی یونس به قال تعالی «آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً » أی أبصره و أحسّ به و استأنست به و تأنّست به أی ذهب التوحّش عنّی و سکن القلب و لم ینفر.

إذا عرفت ذلک فأقول: قوله علیه السّلام: إنّک آنس الانسین آنس بفتح النون علی وزن افعل اسم تفضیل من الانس، و آنسین بکسر النّون جمع انس اسم فاعل من انس بالشیء، و أمّا ما قاله الشّارح المعتزلی من انّه کان القیاس أن یقول إنّک آنس المؤنسین، لأنّ الماضی أفعل و انّما الانسون جمع انس و هو الفاعل عن آنست بکذا فالرّوایة الصّحیحة إذا بأولیائک أی أنت أکثرهم انسا بأولیائک، فلا یکاد یفهم له معنی محصّل.

و (لهف) لهفا من باب فرح حزن کتلهّف علیه و هو لهیف القلب و لاهفه و ملهوفه أی محترقه و (الفهة) و الفهاهة العیّ، و قد فهه عیی، و فهه الشیء نسیه و (العمه) الحیرة و التردّد مصدر عمه یعمه من باب فرح و منع، و فی بعض النسخ بدل عمهت عمیت و (الطلب) بکسر اللاّم ما تطلبه و (النّکر) بالضمّ و بضمّتین المنکر.

و (البدع) بالکسر الأمر الّذی کان أولا یقال فلان بدع فی هذا الأمر أی هو

أوّل من فعله فيكون اسم فاعل بمعنى المبتدع و البديع فعيل منه و فيه معنى التّعجب و منه قوله تبارک و تعالى «قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ » أى ما أنا بأوّل من جاء بالوحى من عند اللّه و نشر الشرائع و الأحكام

الاعراب

قوله عليه السّلام: لأوليائک، متعلّق بانس و اللاّم هنا بمعنى الباء تفيد كون الأولياء مأنوسا بهم و تسمّى هذه اللاّم لام التّبيّن لتبيينه المفعول من الفاعل، و ضابطها أن تقع بعد فعل تعجّب أو اسم تفضيل مفهمين حبّا أو بغضا تقول ما أحبّنى و ما أبغضنى فان قلت لفلان فأنت فاعل الحبّ و البغض و هو أعنى فلان مفعولهما، و إن قلت إلى فلان فالأمر بالعكس لأنّ إلى تفيد فاعليّة مجرورها بعد فعل التعجّب أو اسم التفضيل المفيدين للحبّ و البغض نحو ربّ السجن أحبّ إلىّ و فلان أمقت إلىّ.

و بما ذكرناه علم أنّ ما قدّمنا نقله من الشّارح المعتزلى من قوله: فالرّواية الصّحيحة إذا بأوليائک و هم هذا.

و انّما عدل عليه السّلام عن الباء إلى اللاّم مع كون الباء أصرح و أقيس تضمينا للانس معنى الحبّ، فانّ الانس بمعناه الحقيقى كالوحشة من صفات الاجسام لا يمكن اتّصافه تعالى به، فيراد ما يلازمه و هو الحبّ و ستعرف الملازمة بينهما فى بيان المعنى.

و قوله عليه السّلام: آنسهم ذكرک من إضافة المصدر إلى المفعول أى ذكرهم ايّاک و قوله: علما مفعول لأجله لقوله لجئوا.

المعنى

اشارة

اعلم أنّه لمّا كان من جملة آداب الدّعاء تقديم المدحة للّه عزّ و جلّ و الثناء عليه قبل المسألة كما قال الصّادق عليه السّلام: إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه و ليمدحه فانّ الرّجل منكم إذا طلب الحاجة من سلطان هيّأ له من الكلام أحسن

ما يقـدر عليه، فاذا طلبتم الحاجة فمجّدوا اللّه العزيز الجبّار و امدحوه و أثنوا عليه الحديث لا جرم قدّم عليه السّلام قبل مسألته بقوله اللّهمّ إن فهمت، و قوله اللّهمّ احملنى على عفوک، تمجيد اللّه تعالى و تعظيمه، و وصفه بجملة من أوصاف كماله فقال:

(اللّهمّ إنّک آنس الانسـين لأوليائک) قـد عرفت فى شـرح الفصل السّادس من الخطبـة الاولى اسـتحالة الاستيناس و الاستيحاش على اللّه سبحانه، فلابدّ من أن يراد بالانس المحبّة أى أنت أشدّ حبّا لأوليائک من جميع المحبّين.

أمّا أولياؤه فهم الحائزون قصب السّبق فى مضمار العرفان و اليقين، و البالغون إلى الغاية القصوى فى حماية حمى الدّين، و سلوک مسالک الشـرع المبين، و هم عباد اللّه المخلصون المتّصـفون بالأوصاف المتقدّمـة الـذّكر فى الخطبة السّادسة و الثّمانين و الخطبة المأة و الثّانية و التّسعين، و الكلام المأتين و الثّامن عشر و غيرها.

و أمّا اتّصافه بالمحبّة لأوليائه المقرّبين فشواهده من النّقل متجاوزة عن حدّ الاحصاء قال تعالى فى كتابه العزيز «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » و قـال «إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » و قـال «يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ » و قـال «يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَ اللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ » و قـال «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » إلى غير هذه ممّا لا حاجة إلى ذكرها.

و فى الحديث القدسـى: ما تحبّب إلىّ عبدى بشىء أحبّ إلىّ مما افترضته إليه، و انّ عبدى ليتحبّب إلىّ بالنافلة حتّى أحبّه، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، الحديث.

و أما محبة اللّه لعبده فليس بالمعنى الذى يتصوّر فى المخلوق إذ الحبّ فى الاصطلاح عبارة عن ميل النفس إلى الشىء الموافق الملائم، و هذا من صفات ذوى النفوس الناقصة المستفيدة بنيل المحبوب كمالا فتلتذّ به، و هذا محال على اللّه سبحانه إذ ليس له تعالى و تقدّس نفس فضلا عن كونه ناقصا و قد عرفت فى تضاعيف الشرح فى غير موضع أنّ ذات اللّه تعالى شأنه تامّ

فوق التمام، و جميع صفات الجلال و الجمال و الكمال حاصلة له بالفعل و واجب الحصول أزلا و أبدا، و من هذا شأنه فكيف يتصوّر أن يكون ناقصا بذاته مستكملا بغيره، فلا بدّ أن يراد بحبّه عزّ شأنه لعبده معنى آخر.

و قد اختلفوا فى تقريره و بيانه بوجوه يقرب بعضها من بعض.

فقال صدر المتألّهين: إنّ المحبة تابعة لادراک الوجود لأنه خير محض فكلّ ما وجوده أتم كانت خيريّته أعظم و الادراک به أقوى و الابتهاج به أشدّ، فأجلّ مبتهج بذاته هو الحقّ الأوّل، لأنه أشدّ إدراكا لأعظم مدرک له الشرف الأكمل و النور الأنور و الجلال الارفع، فمحبة اللّه لعباده راجعة إلى محبّته لذاته، لأنه لما ثبت أنّ ذاته أحبّ الأشياء اليه تعالى و هو أشدّ مبتهج به و كلّ من أحبّ شيئا أحبّ جميع أفعاله و حركاته و آثاره لذلک المحبوب، و كلّ ما هو أقرب إليه فهو أحبّ إليه، و جميع الممكنات آثار الحقّ و أفعاله فاللّه يحبّها لأجل ذاته، و أقرب المجعولات إليه تعالى الرّوح المحمّدى صلّى اللّه عليه و آله فكان عليه السّلام حبيب اللّه و أحبّ الخلق إليه، انتهى.

و قال الغزالى بعد ما ذكر أنّ المحبّة عبارة عن ميل النّفس إلى الشىء الموافق ما لفظه:

فأما حبّ اللّه للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلا، بل الأسامى كلّها إذا اطلقت على اللّه تعالى و على غير اللّه تعالى لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا حتى أنّ اسم الوجود الذى هو أعمّ الأسماء اشتراكا لا يشمل الخالق و الخلق على وجه واحد، بل كلّ ما سوى اللّه تعالى فوجوده مستفاد من وجود اللّه تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع، و إنما الاستواء فى إطلاق الاسم، فكان استعمال الأسامى فى حقّ الخالق بطريق الاستعارة و التجوّز و النقل، و المحبة فى وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملايم.

و هذا إنما يتصوّر فى نفس ناقصة، فانها تستفيد بنيل ما يوافقها كمالا فتلتذّ بنيله، و هذا محال على اللّه تعالى، فانّ كلّ كمال و جمال و بهاء و جلال ممكن

فی حقّ الالهیـة، فهو حاضـر و حاصل و واجب الحصول أزلا و أبـدا، و لا یتصوّر تجدّده و لا زواله، فلا یکون له نظر إلی غیره من حیث إنه غیره، بل نظره إلی ذاته و أفعاله فقط، و لیس فی الوجود إلاّ ذاته و أفعاله، فلا یجاوز حبّه ذاته و توابع ذاته من حیث هی متعلّقـة بـذاته، فهو اذا لا یحبّ إلاّ نفسه.

و مـا ورد من الألفـاظ فی حبّه لعباده فهو مؤوّل و یرجع معناه إلی کشف الحجاب عن قلبه حتّی یراه بقلبه و إلی تمکینه إیاه من القرب منه و الی إرادته ذلک به فی الأزل، فحبّه لمن أحبّه أزلیّ مهما أضـیف إلی الارادة الأزلیة اقتضت تمکین هذا العبد من سـلوک طرق هذا القرب، و إذا أضـیف إلی فعله الـذی یکشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث یحدث بحدوث السـبب المقتضـی له کما قال تعالی: لا یزال عبدی یتقرّب إلیّ بالنوافل حتّی أحبّه.

فیکون تقرّبه بالنوافـل سـببا لصـفاء باطنه و ارتفاع الحجاب من قلبه و حصوله فی درجـة القرب من ربّه، فکلّ ذلک فعل اللّه تعالی و لطفه به فهو معنی قربه و هو قرب بالصـفة لا بالمکان و من لم یکن قریبا ثمّ صار قریبا فقد تغیر، فربما یظنّ بهذا أنّ القرب لما تجدّد فقد تغیر وصف العبـد و الربّ جمیعا إذ صار قریبا بعد أن لم یکن و هو محال فی حقّ اللّه تعالی، إذ التغیر علیه محال، بل لا یزال فی نعوت الجلال علی ما کان علیه فی أزل الازال و لا ینکشف هذا إلاّ بمثال فی القرب بین الأشخاص.

فانّ الشخصـین قـد یتقاربان بتحرّکهما جمیعا، و قـد یکون أحـدهما ثابتا فیتحرّک الاخر فیحصل القرب بتغیّر فی أحـدهما من غیر تغیّر فی الاخر، بل القرب فی الصـفات أیضا کذلک، فانّ التلمیذ یطلب من درجة اسـتاده فی کمال العلم و جماله، و الاسـتاد واقف فی کمال علمه غیر متحرّک بالنزول إلی درجـة تلمیذه، و التلمیذ متحرّک مترق من حضـیض الجهل إلی ارتفاع العلم، فلا یزال دائما فی التغیّر و الترقی إلی أن یقرب من الاستاد، و الاستاد ثابت غیر متغیّر.

ص:347

فكـذلک ينبغى أن يفهم ترقى العبـد فى درجـات القرب، فكلّمـا صـار أكمـل صـفة و أتمّ علما و إحاطـة بحقايق الامور و أثبت قوّة فى قهر الشيطان و قمع الشهوات و أظهر نزاهة عن الرزائل صار أقرب من درجة الكمال و منتهى الكمال للّه و قرب كلّ أحد من اللّه بقدر كماله.

نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الاسـتاد و على مساواته و على مجاوزته، و ذلک فى حقّ اللّه تعالى محال فانه لا نهاية لكماله و سـلوک العبد فى درجات الكمال متناه و لا ينتهى إلاّ إلى حدّ محدود، فلا مطمع له فى المساواة.

ثمّ درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له أيضا، لأجل انتفاء النهاية عن ذلک الكمال، فاذا محبة اللّه للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل و المعاصى عنه و تطهير باطنه من كدورات الدّنيا و رفع الحجاب من قلبه حتّى يشاهده كأنّه يراه بقلبه.

و أما محبـة العبـد للّه فهو ميله إلى درک ذلک الكمال الذى هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشـتاق إلى ما فاته و إذا أدرک منه شـيئا يلتذّ به، و الشّوق و المحبّة بهذا المعنى محال على اللّه، انتهى كلامه ملخّصا.

و محصّـله مـا قـاله بعض المحقّقين من أنّ محبّـة اللّه للعبـد كشف الحجـاب عن قلبه و تمكينه من أن يطأ على بساط قربه، فانما يوصف به سبحانه باعتبار الغايات لا المبادى، و علامـة حبّه للعبد توفيقه للتّجافى عن دار الغرور و الترقى إلى عالم النور و الانس باللّه و الوحشة ممّن سواه و صيرورة جميع الهموم هما واحدا.

و قال بعض الشارحين للحـديث القدسـى: إذا أحببت عبدى كنت سـمعه الذى يسـمع به آه، إنّ هذا مبالغة للقرب و بيان لاستيلاء سـلطان المحبة على ظاهر العبد و باطنه و سـرّه و علانيته، فالمراد إنى اذا أحببت عبدى جذبته إلى محلّ الانس و صـرفته إلى عالم القدس، فصـيرته مسـتغرقا فى عالم الملكوت، و حواسّه مقصورة على اجتـذاب أنوار الجبروت، فتثبت حينئذ فى مقام القرب قدمه، و يمتزج بالمحبّة لحمه و دمه

إلى أن يغيب عن نفسه و يذهل عن حبّه حتى أكون بمنزلة سمعه و بصره، انتهى.

و قيل: محبّة اللّه صفة من صفات فعله فهى إحسان مخصوص يليق بالعبد و أمّا محبّة العبد للّه فحالة يجدها فى قلبه يحصل منها التّعظيم و ايثار رضاه و الاستيناس بذكره، هذا.

و أنت بعد الخبرة بما ذكرناه فلا يخفى عليک معنى التّفضيل فى قوله عليه السّلام آنس الانسين، فإنّه إن كان المراد بالمحبّة المرادة بالانس على ما حقّقناه إدراک الكمال على ما حكيناه عن صدر المتألّهين كان معنى آنس أنّه عزّ و جلّ أكمل إدراكا لكمال أوليائه المقرّبين إليه و أشدّ ابتهاجا بعباده المخلصين، لما لهم من مزيد القرب و الكمال.

و ان كان المراد بها تقريب العبد و توفيقه للتّرقى إلى معارج الملكوت و مدارج الجبروت و جذبه إلى حظاير القدس و محافل الانس، كان معناه انّه أعظم قدرة على التّوفيق و التأييد و أكثر عناية و لطفا فى حقّ أوليائه.

قال أبو الدرداء الكعب الحبر: أخبرنى عن أخصّ آية يعنى فى التّوراة فقال:

يقول اللّه تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقائى و انّى إلى لقائهم لأشدّ شوقا.

و فى أخبار داود عليه السّلام: إنّ اللّه تعالى قال: يا داود أبلغ أهل أرضى أنّى حبيب لمن أحبّنى، و جليس لمن جالسنى، و مونس لمن انس بذكرى، و صاحب لمن صاحبنى و مختار لمن اختارنى، و مطيع لمن أطاعنى، ما أحبّنى عبد أعلم ذلک يقينا من قلبه إلاّ قبلته لنفسى، و أحببته حبّا لا يتقدّمه أحد من خلقى، من طلبنى بالحق وجدنى و من طلب غيرى لم يجدنى، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، و هلمّوا إلى كرامتى و مصاحبتى و مجالستى، و آنسوا بى أؤانسكم و اسار إلى محبّتكم فانى خلقت طينة أحبّائى من طينة إبراهيم خليلى و موسى نجيّى و محمّد صفيّى، و خلقت قلوب المشتاقين من نورى و نعمتها بجلالى، هذا.

و بما ذكرناه كلّه ظهر لک أنّ المراد بقوله عليه السّلام: آنس الانسين لأوليائک

انس اللّه تعالى بأوليائه لا انس أوليائه به كما زعمه الشّارح البحرانى و فصل الكلام فى كيفيّة انسهم به.

(و أحضـرهم بالكفاية للمتوكّلين عليک) يحتمل رجوع ضـمير الجمع إلى الانسين و الى الأولياء، و الأوّل أنسب إلى سياق العبارة، و الثانى أقرب معنى، و المراد واحد، أى أنت اكمل حضورا بالكفاية للمتوكّلين عليک منهم، أى أبلغ إحضارا لكفايتهم، و انما كان كذلک لأنّه عزّ و جلّ الغنى المطلق الّذى لا ينقص خزائنه بالكرم و الجود، و العالم الذى لا يعزب عن علمه شـىء، و القادر الّذى لا يعجزه شـىء، و الجواد الذى لا بخل من جهته و لا رادع من افضاله.

و مع اتّصـافه بهـذه الأوصـاف فهو أقـدر على بـذل محاويـج عباده، و القيام بكفايـة المتّكلين عليه بعـد ما علم من حالهم حسن اتكالهم و اعتمادهم فى جميع امورهم عليه، و انقطاعهم عمّن سواه، و اسـتعدادهم بالهم من التوكل لقبول إفاضاته و عناياته، فيفيض كلا منهم مقـدار كفايته من دون رادع و لا مانع و لا ابطاء و لا تأخير، فكان أسـرع إحضارا لكفاية من استكفاه قال تعالى «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » و قال «أَ لَيْسَ اللّهُ بِكافٍ عَبْدَهُ » و هو وارد فى معرض التقريع على منكر كفايته.

ثمّ لما كان من لوازم كونه تعالى أحضـر كفاية علمه بأحوال المتوكلين و مكنونات قلوبهم فيما يخافون و يرجون حسبما اشرنا إليه أردفه عليه السّلام بقوله (تشاهدهم فى سـرائرهم و تطلع عليهم فى ضـمائرهم و تعلم مبلغ بصائرهم) أى أنت بصير بما يسرّونه، و خبير بما يضمرونه، محيط بهم علما لا يعزب عنک شـىء من مكنونات قلوبهم و مخفيات صـدورهم (فأسـرارهم) المخفية (لک مكشوفة) كما قال عزّ من قائل «وَ إِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفى » السرّ ما أكننته فى نفسک و أخفى ما خطر ببالک ثمّ نسيته.

(و قلوبهم اليک ملهوفة) أى محترفة مشتعلة، و هو إشارة إلى احتراق قلوبهم

بنار الاشتياق و المحبة للوصول إليه و الحضور بين يديه و الرّغبة بما لديه، و اليه أشار الشاعر بقوله:

و قالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان فى حجرى

فمالى منه غير ذكر بخاطرى يهيّج نار الحبّ و الشوق فى صدرى

و قال آخر:

لا تخدعنّ فللمحبّ دلائل و لديه من تحف الحبيب و سائل

منها تنعّمه بمرّ بلائه و سروره فى كلّ ما هو فاعل

و من الدّلائل حزنه و نحيبه جوف الظلام فما له من عاذل

و الشوق من لوازم المحبة، و المحبّ للّه تعالى مضطرّ إلى الشوق إليه.

توضيح ذلک انّ كلّ محبوب فهو يشتاق اليه فى غيبته لا محالة، فأما الحاضر الحاصل فلا يشتاق اليه، لأنّ الشوق طلب و تشوّف إلى أمر، و الموجود لا يطلب، و ذلک لأنّ الشوق إنما يتصوّر بالنسبة إلى شىء يكون مدركا من وجه غير مدرک من وجه، فأما ما لا يكون مدركا أصلا فلا يشتاق اليه، فانّ من لم ير شخصا و لم يسمع وصفه لا يتصوّر اشتياقه اليه كما أنّ ما يكون مدركا بكماله و بمرئى من المحبّ و مشهد منه لا يتصوّر له أن يشتاق إليه أيضا، فالشوق لا يتعلق إلاّ بما ادرک من وجه و لم يدرک من وجه.

و مثاله فى عالم الظاهر أنّ من غاب عنه معشوقه و بقى فى قلبه خياله فهو يشتاق إلى استكمال خياله بالرّؤية، فلو انمحى عن قلبه ذكره و خياله حتّى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه كما أنه لو رآه لم يتصوّر أيضا أن يشتاق إليه فى وقت رؤيته، فمعنى شوقه تشوّف نفسه إلى استكمال خياله.

و قد يكون الاشتياق بأن يرى وجه محبوبه و لكنه لم ير ساير محاسنه فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره من تلک المحاسن و لم يثبت فى نفسه خيال صادر عن رؤيتها و لكنه علم اجمالا بأنّ له أعضاء جميلة مستورة فيكون مشتاقا إلى إدراكها تفصيلا

بالرّؤية و المشاهدة.

و الوجهان جميعا متصوّران فى حقّ المشتاقين إلى اللّه.

فانّ ما اتّضح للعارفين من المعارف الالهية مشوب بشوائب التخيّلات و كدورات الأوهام، فهم مشتاقون دائما إلى استكمال ذلک الوضوح و دفع مكـدّرات المعارف و منقصاتها عن ألواح ضـمائرهم حتّى يحصل لهم الترقى من درجة علم اليقين إلى عين اليقين، و هذا أحد وجهى الشوق إليه تعالى.

و الوجه الثانى أنّ الكمالات الالهيّة لا نهاية لها، و انّما ينكشف لكلّ عبد من العباد بعضـها على حسب قابليّته و استعداده، و يبقى وراءه ما لا ـ ينتهى إلى غايـة و العارف يعرف وجودها و يعرف أنّ ما غاب له منها أكثر ممّا حصل له، فلا يزال متشوقا إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل له من المعارف، و لم يعرفه أصلا لا معرفة واضحة و لا معرفة غير واضحة.

و الحاصل أنّ أولياء اللّه المحبّين له و الانسين به قلوبهم إليه تعالى ملهوفة، و بنار الشّوق و المحبّة محترقة و لعلّ إلى هذا نظر من قال:

إليک إشاراتى و أنت مرادى و إيّاک أعنى عند ذكر سعاد

و أنت مثير الوجد بين جوانحى إذا قال جاد أو ترنّم شاد

و حبک ألقى النار بين جوانحى بقدح وداد لا بقدح زناد

- هذا قال المحدّث الجزايرى فى الحديث عنه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه بكى شعيب عليه السّلام من حبّ اللّه عزّ و جلّ حتى عمى، فردّ اللّه عليه بصره، ثمّ بكى حتى عمى فردّ اللّه عزّ و جلّ عليه بصره، ثمّ بكى حتى عمى فردّ اللّه عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى اللّه إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبدا منک إن يكن هذا خوفا من النار فقد اجرتک، و إن يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتک قال: إلهى و سيّدى أنت تعلم أنّى ما بكيت خوفا من نارک و لا شوقا إلى جنتک و لكن عقد حبک على قلبى فلست أصبر أو أراک، فأوحى اللّه جلّ جلاله إليه أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمک كليمى موسى بن عمران.

ص:352

و قوله عليه السّلام (إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرک) يعنى إن استوحشوا من غربتهم و غيبتهم عن أوطانهم الأصليّة و عن كونهم مسجونين فى سجن الدّنيا استأنسوا بذكرک بلسانهم و جنانهم و بالتفكّر فى ذاتک و صفاتک و جلالک و جمالک.

و هو اشارة إلى انسهم باللّه كما أنّ ما تقدّم من قوله عليه الصّلاة و السّلام:

إنّک آنس الانسين لأوليائک، إشارة إلى انس اللّه تعالى بهم حسبما عرفت تفصيلا و تحقيقا، و الانس به تبارک و تعالى من صفات الأولياء المقرّبين و الكملين فى محبّته عزّ و جلّ كما قال الشّاعر:

الانس باللّه لا يحويه بطّال و ليس يدركه بالحول محتال

و الانسون رجال كلّهم نجب و كلّهم صفوة للّه عمّال

و قالت رابعة العدوّية:

أحبّک حبّين حبّ الهوى و حبّا لأنّک أهل لذاكا

فأمّا الّذى هو حبّ الهوى فشغلى بذكرک عمّن سواكا

و أمّا الّذى أنت أهل له فكشفک لى الحجب حتّى أراكا

فلا الحمد فى ذا و لا ذاک لى و لكن لک الحمد فى ذا و ذاكا

و ينبغى أن يعلم أنّ الانس باللّه أيضا من آثار المحبّة له تعالى كالشوق إليه عزّ و جلّ حسبما عرفت قريبا لكنّ هذين الأثرين يختلفان على المحبّ بحسب اختلاف حالاته.

فانّه إذا غلب عليه التّطلّع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الكمال و استشعر قصوره عن الاطّلاع على كنه الجلال انبعث القلب و انزعج له و هاج إليه و تسمّى هذه الحالة فى الانزعاج شوقا.

و إذا غلب عليه الفرح فى القرب و كان نظره مقصورا على مطالعة ما أدركه من الجمال غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بملاحظة الجمال المدرک فيسمّى استبشاره انسا.

فمعنى الانس استبشار القلب و فرحه بمطالعة جمال الحقّ حتّى أنّه إذا تجرّد عن ملاحظة ما غاب عنه عظم انبساطه و لذّته، و من غلب عليه الانس لم تكن شهوته إلاّ فى الانفراد و الخلوة و الاعتزال عن الخلق كما قال بعضهم:

تركت للنّاس دنياهم و دينهم شغلا بذكرک يا دينى و دنيائى

و ذلک لأنّ الأنس باللّه يلازمه التّوحش عن غير اللّه قال اللّه عزّ و جلّ لداود عليه السّلام:

كن لى مشتاقا و بى مستونسا و عن سواى مستوحشا.

قال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له: يا راهب لقد أعجبتک الوحدة، فقال: يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسک، الوحدة رأس العبادة، فقلت: يا راهب ما أقلّ ما تجده فى الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة النّاس و السّلامة من شرّهم، قلت: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الذّوق باللّه؟ قال: إذا صفا الودّ و خلص المعاملة، قلت: متى يصفو الودّ؟ فقال: إذا اجتمع الهمّ فصار همّا واحدا فى الطاعة.

و قال بعض الحكما: عجبا للخلايق كيف أرادوا بک بدلا، عجبا للقلوب كيف استأنست بسواک عنک.

و بالجملة الأنس من آثار المحبّة، و المحبّة مستلزمة لكمال الانس بمناجاة المحبوب و كمال الالتذاذ بالخلوة به، و الاستيحاش من كلّ ما ينغص عليه الخلوة و يعوق عن لذّة المناجاة.

و قد ورد فى الحديث القدسى: كذب من زعم أنّه يحبّنى و هو ينام طول ليله، أليس كلّ حبيب يحبّ الخلوة مع حبيبه، يا ابن عمران لو رأيت الّذين يصلّون فى الدّجى و قد مثّلت نفسى بين أعينهم يخاطبونى و قد جللت عن المشاهدة، و يكلّمونى و قد عزّزت عن الحضور، يا ابن عمران هب لى من عينک الدّموع و من قلبک الخشوع ثمّ ادع لى فى ظلم اللّيالى تجدنى قريبا مجيبا.

فقد ظهر بذلک أنّه إذا غلب عليه الانس و الحبّ صارت الخلوة و المناجاة قرّة عينه، و ألذّ الأشياء عنده، كالّذى يخاطب معشوقه و يناجيه، بل ربّما يستغرق

الانس و المحبّة قلبه حتّى لا يشعر من امور الدّنيا شيئا ما لم يتكرّر على سمعه مرارا، مثل العاشق الولهان، فانّه يكلّم النّاس بلسانه و انسه فى الباطن بذكر حبيبه، فالمحبّ من لا يطمئنّ إلاّ بمحبوبه، و لا يسكن إلاّ إليه كما قال تعالى «اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّهِ أَلا بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » (و ان صبّت عليهم المصائب لجئوا إلى الاستجارة بک) أى إن نزلت عليهم مصائب الدّهر و مكائده من الالام و الأسقام و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و غيرها اعتصموا بک و استندوا إلى طلب الأمان منک فى دفعها و رفعها و الوقاية عنها و إنّما يلجئون اليه تعالى لما لهم من وصف التوكل عليه و الانقطاع عمّن سواه (علما) منهم (بأن أزمة الامور) الحادثة فى الملک و الملكوت كلّها و من جملتها المصائب المصوبة عليهم (بيد) قدرت (ک) و قبضة مشيّتک (و مصادرها عن قضائک) كما اشير اليه فى قوله تعالى «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » فالخزائن عبارة عمّا كتبه القلم الأعلى أولا على الوجه الكلّى فى لوح القضاء المحفوظ عن التّبديل الّذى منه يجرى ثانيا على الوجه الجزئى فى لوح القدر الّذى فيه المحو و الاثبات مندرجا على التنزيل.

فالى الأوّل اشير بقوله «وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ » و بقوله «عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ » و الى الثّانى بقوله «وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » و منه ينزل و يظهر فى عالم الشّهادة كما قال تعالى «تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » هذا.

و لمّا فرغ عليه السّلام من مقدّمات الدّعاء و المسألة شرع فى أصل غرضه منها فقال (اللهمّ إن فههت) أى عجزت و عييت (عن مسألتيأو عمهت)أى تردّدت و تحيّرت (عن طلبتى)أى مطلوبى و مرادى و هو كناية عن عدم اهتدائه إلى وجوه المصالح (فدلّنى على مصالحى) أى اهدنى إلى ما هو صلاح لى فى دنياى و آخرتى ممّا يقرّبنى عن رضاک و يجنّبنى من سخطک (و خذ بقلبى إلى مراشدى) أى مل به و اصرفه إلى محالّ الرشاد و موارد الصّلاح و السّداد فى المبدأ و المعاد.

و هو فی معنی ما قاله السجّاد علیه السّلام فی دعائه «اللهمّ صلّی علی محمّد و آله و اجعل همسات قلوبنا و حرکات أعضائنا و لمحات أعیننا و لهجات ألسنتنا فی موجبات ثوابک حتّی لا تفوتنا حسنه نستحقّ بها جزاءک و لا تبقی لنا سیئة نستوجب بها عذابک (فلیس ذلک بنکر من هداياتک و لا ببدع من کفایاتک) أی دلالتی علی مصالحی و أخذ قلبی إلی مراشدی لیس بمنکر أی غیر معروف من هداياتک و لا ببدع أی أوّل ما تکفینی من کفایاتک، بل عاداتک التوفیق و الهدایة، و سجیّتک الکرم و الکفایة.

قال الشّارح البحرانی: هذا الکلام استعطاف بما فی العادة أن یستعطف به أهل العواطف و الرحمة من الکلام، أی انّ هداياتک لخلقک إلی وجوه مصالحهم و کفایاتک لهم ما یحتاجون إلیه أمور متعارفة جرت عادتک بها و ألفها منک عبادک (اللهمّ احملنی علی عفوک و لا تحملنی علی عدلک) قال الشارح البحرانی:

قد سأل علیه السّلام أن یحمله علی عفوه فیما عساه صدر عنه من ذنب و لا یحمله علی عدله فیجزیه بما فعل حرمانا أو عقوبة، و هو من لطیف ما تعده النفس لاستنزال الرحمة الالهیّة، انتهی.

و محصّله أنّ منتهی العفو الکرم و الثواب و مقتضی العدل الالهیّة المؤاخذة و العقاب، فسأل عنه تعالی أن یعامله بعفوه و لا یعامله بعدله نظیر ما ورد فی دعاء آخر: اللهمّ عاملنا بفضلک و لا تعاملنا بعدلک.

و قال سیّد السّاجدین علیه السّلام فی دعائه فی اللّجاء إلی اللّه تعالی من أدعیّة الصّحیفة الکاملة: اللهمّ إن تشأتعف عنا فبفضلک و ان تشأ تعذّبنا فبعدلک، فسهّل لنا عفوک بمنّک و أجرنا من عذابک بتجاوزک، فانه لا طاقة لنا بفضلک، و لا نجاة لأحد منا دون عفوک.

تذییل

أحببت أن أورد بمناسبة المقام عدّة من الأدعیّة النفیسة استطرفتها لجلالة

ص:356

قدرها و عظم خطرها و عموم نفعها ضنّا منّی بترکها و شحاحة بخلوّ الشّرح منها فمنها ما فی زهر الرّبیع للمحدّث الجزائری قال: دعاء منقول عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من أراد أن لا یوقفه اللّه علی قبیح أعماله و لا ینشر له دیوانا فلیدع بهذا الدّعاء فی دبر کلّ صلاة:

اللّهمّ إنّ مغفرتک لی أرجی من عملی، و إنّ رحمتک أوسع من ذنبی، اللهمّ إن لم أکن أهلاـ أن أبلغ رحمتک فرحمتک أهل أن تبلغنی لأنّها وسعت کلّ شیء یا أرحم الرّاحمین.

و منها ما فی البحار من المکارم عن الحسین بن خالد قال: لزمنی دین ببغداد ثلاثمأة ألف و کان لی دین أربعمائة ألف فلم یدعنی غرمائی اقتضی دینی و اعطیهم قال: و حضر الموسم فخرجت مستترا و أردت الوصول إلی أبی الحسن علیه السّلام فلم أقدر فکتبت إلیه أصف له حالی و ما علیّ و مالی فکتب علیه السّلام إلیّ فی عرض کتابی: قل فی دبر کلّ صلاة:

اللهمّ إنّی أسألک یا لاـ إله إلاّـ أنت بحقّ لا إله إلاّ أنت أن ترحمنی بلا إله إلاّ أنت اللهمّ إنّی أسألک یا لا إله إلاّ أنت بحقّ لا إله إلاّ أنت أن تغفر لی بلا إله إلاّ أنت.

أعد ذلک ثلاث مرّات فی دبر کلّ صلاة فریضة فانّ حاجتک تقضی إنشاء اللّه تعالی قال الحسین: فأدمتها فو اللّه ما مضت بی الاّ أربعة أشهر حتّی اقتضت دینی و قضیت ما علیّ و اقتضت مأئة ألف درهم.

و منها ما فی عدّة الدّاعی عن عمر بن شعیب عن أبیه عن جدّه عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّ جبرئیل نزل علیه بهذا الدّعاء من السّماء و نزل علیه ضاحکا مستبشرا، فقال:

السّلام علیک یا محمّد، قال: و علیک السّلام یا جبرئیل، فقال: إنّ اللّه عزّ و جلّ بعث إلیک بهدیة فقال: و ما تلک الهدیة یا جبرئیل؟ قال: کلمات من کنوز العرش أکرمک اللّه بها، فقال: و ما هنّ یا جبرئیل؟ قال: قل:

يا من أظهر الجميل و ستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة و لم يهتک الستر، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرّحمة، يا صاحب كلّ نجوى، و يا منتهى كلّ شكوى، يا كريم الصّفح، يا عظيم المنّ، يا مبتدأ بالنعم قبل استحقاقها، يا سيّدنا يا ربّنا، يا مولينا، يا غاية رغبتنا، أسألک يا اللّه أن لا تشوّه خلقى بالنّار.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لجبرئيل: ما ثواب هذه الكلمات؟ قال: هيهات هيهات انقطع العمل لو اجتمع ملائكة سبع سماوات و سبع أرضين على أن يصفوا ذلک كما وصفوا إلى يوم القيامة ما وصفوا من كلّ ألف ألف جزء جزءا واحدا.

إذا قال العبد: يا من أظهر الجميل و ستر القبيح، ستره اللّه و رحمه فى الدّنيا و جمّله فى الاخرة و ستر اللّه عليه سترا فى الدّنيا و الاخرة.

و إذا قال: يا عظيم العفو، غفر اللّه له ذنوبه و لو كانت خطيئته مثل زبد البحر.

و اذا قال: يا حسن التّجاوز تجاوز اللّه عنه حتّى السّرقة و شرب الخمر و أهاويل الدّنيا و غير ذلک من الكباير.

و اذا قال: يا واسع المغفرة فتح اللّه له سبعين بابا من الرّحمة فهو يخوض فى رحمة اللّه عزّ و جلّ حتّى يخرج من الدّنيا.

و اذا قال: يا باسط اليدين بالرّحمة بسط اللّه يده عليه بالرّحمة.

و اذا قال يا صاحب كلّ نجوى و يا منتهى كلّ شكوى، أعطاه اللّه من الأجر ثواب كلّ مصاب و كلّ سالم و كلّ مريض و كلّ ضرير و كلّ مسكين و كلّ فقير و كلّ صاحب مصيبة إلى يوم القيامة.

و اذا قال: يا كريم الصّفح أكرمه اللّه تعالى كرامة الأنبياء.

و اذا قال: يا عظيم المنّ أعطاه اللّه يوم القيامة امنيّته و امنيّة الخلايق.

و اذا قال: يا مبتدأ بالنّعم قبل استحقاقها، أعطاه اللّه من الأجر بعدد من شكر نعماءه.

و اذا قال: یا ربّنا و یا سیّدنا قال اللّه تبارک و تعالی: اشهدوا ملائکتی انّی قد غفرت له و أعطیته من الأجر بعدد من خلقته فی الجنّة و النّار و السماوات السبع و الأرضین السّبع و الشّمس و القمر و النّجوم و قطر الامطار و أنواع الخلایق و الجبال و الحصی و الثّری و غیر ذلک و العرش و الکرسی.

و اذا قال: یا مولینا أملاء اللّه قلبه من الایمان.

و اذا قال: یا غایة رغبتنا أعطاه اللّه یوم القیامة رغبة مثل رغبة الخلایق و اذا قال: أسألک یا اللّه أن لا تشوّه خلقی بالنّار، قال الجبّار جلّ جلاله:

استعتقنی عبدی من النّار اشهدوا ملائکتی أنّی قد اعتقته من النار و اعتقت أبویه و اخوته و اخواته و أهله و ولده و جیرانه و شفعته فی ألف رجل ممّن وجبت لهم النار و اجرته من النّار، فعلّمهن یا محمّد المتّقین و لا تعلّمه المنافقین فانها دعوة مستجابة لقائلهن إنشاء اللّه تعالی و هو دعاء أهل البیت المعمور حوله إذا کانوا یطوفون به.

و منها ما فی البحار عن المکارم عن معاذ بن جبل قال: أرسلنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذات یوم الی عبد اللّه بن سلام و عنده جماعة من أصحابه فحضر فقال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا عبد اللّه أخبرنی عن عشر کلمات علّمهنّ اللّه عزّ و جلّ ابراهیم یوم قذف فی النّار أتجدهنّ فی التوراة مکتوبا؟ فقال عبد اللّه: یا نبیّ اللّه بأبی و امّی هل انزل علیک فیهنّ شیء فانّی أجد ثوابها فی التوراة و لا أجد الکلمات، و هی عشر دعوات فیهنّ اسم اللّه الأعظم فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: هل علّمهنّ اللّه تعالی موسی؟ فقال: ما علّمهنّ اللّه تعالی موسی غیر ابراهیم الخلیل فقال النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: و ما تجدثوا بها فی التوراة؟ فقال عبد اللّه: یا رسول اللّه و من یستطع أن یبلغ ثوابها غیر أنّی أجد فی التّوراة مکتوبا ما من عبد منّ اللّه علیه و جعل هؤلاء الکلمات فی قلبه إلاّ جعل النور فی بصره، و الیقین فی قلبه، و شرح صدره للایمان، و جعل له نورا من مجلسه إلی

العرش يتلألأ ـ و يباهى به ملائكته فى كلّ يوم مرّتين، و يجعل الحكمـة فى لسانه و يرزقه حفظ كتابه، و لن لم يكن حريصا عليه، و يفقّهه فى الـدين، و يقـذف له المحبّـة فى قلوب عباده، و يؤمنه من عـذاب القبر، و فتنة الدّجال، و يؤمنه من الفزع الأكبر يوم القيامة و يحشـره فى زمرة الشّهداء، و يكرمه اللّه و يعطيه مـا يعطى الأنبيـاء بكرامته، و لا ـ يخـاف إذا خـاف النّاس، و لا يحزن إذا حزن النّاس، و يكتب عنـد اللّه من الصدّيقين و يحشـر يوم القيامة و قلبه ساكن مطمئنّ، و هو ممّن يكسى مع ابراهيم يوم القيامة، و لا يسأل بتلك الدّعوات شيئا إلاّ أعطاه اللّه، و لو اقسم على اللّه لأبرّ قسمه و يجاور الرّحمن فى دار الجلال، و له أجر كلّ شهيد استشهد منذ يوم خلقت الدنيا.

قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و ما دار الجلال؟ قال: جنة عدن و هو موضع عرش الرّحمن ربّ العزّة و هو فى جوار اللّه.

قال ابن سـلام: فعلّمنا يا رسول اللّه و منّ علينا كما منّ اللّه عليک، قال النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم خرّوا سجّدا للّه، قال: فخرّوا سجّدا فلمّا رفعوا رؤوسهم قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قولوا:

يا اللّه يا اللّه يا اللّه أنت المرهوب منک جميع خلقک يا نور النّور أنت الّذى احتجبت دون خلقک فلا يدرک نورک نور، يا اللّه يا اللّه يا اللّه أنت الرّفيع الّذى ارتفعت فوق عرشک من فوق سـمائک فلا يصف عظمتک أحد من خلقک، يا نور النّور قد اسـتنار بنورک أهل سـمائک و استضاء بضوئک أهل أرضک، يا اللّه يا اللّه يا اللّه أنت الّذى لا إله غيرک تعاليت عن أن يكون لک شريک، و تعظّمت عن أن يكون لک ولد و تكرّمت عن أن يكون لـک شبيه و تجبّرت عن أن يكون لـک ضـدّ، فـأنت اللّه المحمود بكـلّ لسـان، و أنت المعبود فى كلّ مكان، و أنت المـذكور فى كلّ أوان و زمان، يا نور النّور كلّ نور خامد لنورک، يا مليک كلّ مليک يفنى غيرک، يا دائم كلّ حىّ يموت غيرک، يا اللّه يا اللّه يـا اللّه الرّحمن الرحيم ارحمنى رحمـة تطفى بهـا غضـبک، و تكفّ بها عـذابک، و ترزقنى بها سـعادة من عنـدک، و تحلّنى بها دارک الّتى تسكنها خيرتک من خلقک يا أرحم الراحمين

ص:360

يا من أظهر الجميل و ستر القبيح يا من لم يؤاخذ بالجريرة و لم يهتک السّتر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرّحمة يا صاحب كلّ نجوى و يا منتهى كلّ شكوى يا كريم الصّفح يا عظيم المنّ يا مبتدأ بالنّعم قبل استحقاقها يا ربّاه يا ربّاه و يا سيّداه و يا أملاه و يا غاية رغبتاه أسألک يا اللّه يا اللّه يا اللّه أن لا تشوّه خلقى بالنّار.

قال: يا رسول اللّه و ما ثواب من قال هذه الكلمات؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هيهات هيهات انقطع القلم لو اجتمع ملائكة سبع سماوات و سبع أرضين على أن يصفوا ذلک إلى يوم القيامة لما وصفوا من ألف جزء جزءا واحدا. و ذكر عليه السّلام لهذه الكلمات ثوابا و فضايل كثيرة لا يحتمل ذكرها ههنا اقتصرنا على ذكر المقصود مخافة التّطويل و منها ما فى البحار من مهج الدّعوات قال: روينا باسنادنا إلى سعد بن عبد اللّه قال: حدّثنا أحمد بن محمّد عن الحسن بن علىّ بن فضّال عن الحسن بن الجهم عمّن حدّثه عن الحسن بن محبوب أو غيره عن معاوية بن وهب عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إنّ عندنا ما نكتمه و لا يعلمه غيرنا أشهد على أبى أنّه حدّثنى عن أبيه عن جدّه قال: قال علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:

يا بنىّ انّه لا بدّ أن تمضى مقادير اللّه و أحكامه على ما أحبّ و قضى، و سينفذ اللّه قضاءه و قدره و حكمه فيک فعاهدنى أن لا تلفظ بكلام أسرّه إليک حتّى أموت و بعد موتى باثنى عشر شهرا، و اخبرک بخبر أصله عن اللّه تقول غدوة و عشيّة فتشغل به ألف ألف ملک يعطى كلّ مستغفر قوّة ألف ألف متكلّم فى سرعة الكلام، و يبنى لک فى دار السلام ألف بيت فى مأئة قصر يكون لک جار جدّک و يبنى لک فى جنّات عدن ألف ألف مدينة و يحشر معک فى قبرک كتابها هذا لا سبيل عليک للفزع و لا للخوف و لا الزّلازل و لا زلاّت الصّراط و لا لعذاب النار و لا تدعو بدعوة فتحبّ أن يجاب فى يومک فيمسى عليک يومک إلاّ أتتک كائنة ما كان «نت ظ» بالغة ما بلغت فى أىّ نحو كانت و لا تموت إلاّ شهيدا و تحيى ما حييت و أنت سعيد لا يصبک فقر أبدا و لا جنون و لا بلوى و يكتب لک فى كلّ يوم بعدد الثّقلين كلّ نفس ألف ألف حسنة، و يمحى عنک ألف

ألف سيئة، و يرفع لک ألف ألف درجة، و يستغفر لک العرش و الکرسی حتّی تقف بين يدی اللّه عزّ و جلّ، و لا تطلب لأحد حاجة إلاّ قضاها، و لا تطلب إلی اللّه حاجة.

لک و لا لغيرک إلی آخر الدّهر فی دنياک و آخرتک إلاّ قضاها، فعاهدنی کما أذکر لک.

فقال له الحسين عليه السّلام: عاهدنی يا أبا علی ما أحببت.

قال: أعاهدک علی أن تکتم علیّ فاذا بلغ منيتک فلا تعلمه أحدا سوانا أهل البيت أو شيعتنا و أولياءنا و موالينا، فانک إن فعلت ذلک طلب النّاس إلی ربّهم الحوائج فی کلّ نحو فقضاها فأنا أحبّ أن يتمّ اللّه بکم أهل البيت بما علّمنی ممّا اعلمک ما أنتم فيه فتحشرون لا خوف عليکم و لا أنتم تحزنون.

فعاهد الحسين عليّا صلوات اللّه عليهما علی ذلک ثمّ قال عليه السّلام:

إذا أردت ذلک فقل:

سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه، سبحان اللّه فی آناء الليل و أطراف النّهار، سبحان اللّه بالغدوّ و الاصال، سبحان اللّه بالعشیّ و الابکار، سبحان اللّه حين تمسون و حين تصبحون و له الحمد فی السّموات و الأرض و عشيّا و حين تظهرون يخرج الحیّ من الميّت و يخرج الميّت من الحیّ و يحيی الأرض بعد موتها و کذلک تخرجون، سبحان ربّک ربّ العزة عمّا يصفون، و سلام علی المرسلين و الحمد للّه ربّ العالمين، و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العلیّ العظيم، سبحان اللّه ذی الملک و الملکوت، سبحان اللّه ذی العزّة و العظمة و الجبروت، سبحان اللّه الملک الحقّ القدّوس، سبحان اللّه الملک الحیّ الذی لا يموت، سبحان القائم الدائم، سبحان الحیّ القيّوم، سبحان العلیّ الأعلی، سبحانه و تعالی، سبّوح قدّوس ربّ الملائکة و الرّوح، اللهمّ إنی أصبحت منک فی نعمة و عافية فأتمم علیّ نعمتک و عافيتک لی بالنجاة من النّار، و ارزقنی شکرک و عافيتک أبدا ما أبقيتنی، اللهمّ بنورک اهتديت، و بنعمتک أصبحت و أمسيت، أصبحت اشهدک و کفی بک شهيدا

و اشـهد ملائكتک و حملة عرشک و أنبيائک و رسلک و جميع خلقک و سماواتک و أرضک أنّک أنت اللّه لا إله إلاّ أنت وحدک لا شريک لک، و أنّ محمّدا صلواتک عليه و آله عبدک و رسولک، و أنت على كلّ شيء قدير، تحيى و تميت و تميت و تحيى، و أشهد أنّ الجنّة حقّ و النّار حقّ و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ اللّه يبعث من فى القبور، و أشـهد أنّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و الحسن و الحسين و علىّ بن الحسـين و محمّد بن علىّ و جعفر بن محمّد و موسـى بن جعفر و علىّ بن موسى و محمّد بن علىّ و علىّ بن محمّد و الحسن بن علىّ و الامام من ولد الحسن بن علىّ الائمة الهداة المهديّون غير الضّالين و المضـلّين، و أنّهم أولياؤک المصطفون، و حزبک الغالبون، و صفوتک و خيرتـک من خلقـک و نجبـاؤک الـذين انتجبتهم بولايتـک و اختصصـتهم من خلقک و اصـطفيتهم على عبادک و جعلتهم حجّة على خلقک، صـلواتک عليهم و السّلام، اللهمّ اكتب هـذه الشـهادة حتّى تلقينها و أنت عنّى راض يوم القيامة، و قد رضـيت عنّى انک على كلّ شيء قدير، اللهمّ لک الحمد حمدا تضع لک السّماء أكنافها و تسبّح لک الأرض و من عليها، و لک الحمد حمدا يصعد و لا ينفد، و حمدا يزيـد و لا يبيـد سـرمدا مددا لا انقطاع له و لا نفاد أبدا، حمدا يصـعد أوله و لا ينفد آخره، و لک الحمد علىّ و معى و فىّ و قبلى و بعدى و امامى ولـدىّ فاذا متّ و فنيت و بقيت يا مولاى فلک الحمـد إذا نشـرت و بعثت، و لک الحمد و الشـكر بجميع محامدک كلّها على جميع نعمائک كلّها، و لک الحمـد على كلّ عرق ساكن و على كلّ أكلـة و شـربة و بطشة و حركة و نومة و يقظة و لحظة و طرفة و نفس و على كلّ موضع شـعرة، اللهمّ لـک الحمـد كلّه، و لک الملک كلّه، و بيـدک الخير كلّه. و إليک يرجع الأمر كلّه، علانيته و سـرّه، و أنت منتهى الشّان كلّه، اللهمّ لک الحمـد على حلمک بعد علمک، و لک الحمد على عفوک بعد قدرتک، اللهمّ لک الحمد باعث الحمد، و وارث الحمد، و بـديع الحمـد، و مبتـدع الحمد، و وافى العهد و صادق الوعد عزيز الجند قديم المجد، اللهمّ لک الحمد مجيب الدّعوات، رفيع الدرجات، منزّل الايات من فوق سبع سماوات، مخرج النّور من الظلمات، مبدل السّيئات الحسنات، و جاعل الحسنات

درجات، اللهمّ لک الحمـد غافر الذنب، و قابل التّوب شدید العقاب ذی الطّول لا إله إلا أنت إلیک المصـیر اللّهمّ لک الحمد فی اللیل إذا یغشـی، و لک الحمـد فی النهار إذا تجلّی، لک الحمد عدد کلّ نجم و ملک فی السّـماء، و لک الحمد عدد کلّ قطرة نزلت من السّـماء إلی الأرض، و لک الحمد عدد کلّ قطرة فی البحار و العیون و الأودیة و الأنهار، و لک الحمد عدد الشّـجر و الورق و الحصی و الثّری و الجنّ و الانس و البهائم و الطیر و الوحوش و الانعام و السّـباع و الهوام، و لک الحمـد عـدد ما أحصـی کتابک و أحاط به علمک حمـدا کثیرا دائما مبارکا فیه أبـدا، لا إله إلاّ اللّه وحـده لا شـریک له له الملک و له الحمد یحیی و یمیت و یمیت و یحیی و هو حیّ لا یموت بیده الخیر و هو علی کلّ شیء قدیر عشر مرات أستغفر اللّه الّذی لا إله الاّ هو الحیّ القیّوم و أتوب الیه عشر مرات یا اللّه یا اللّه یا اللّه عشر مرات یا رحمن یا رحیم عشـر مرات یا رحیم یا رحیم عشـر مرات یا بدیع السّـموات و الأرض یا ذا الجلال و الاکرام عشـرا یا حنّان یا منّان عشرا یا حیّ یا قیّوم عشـرا یا لا إله إلا أنت عشـرا اللهمّ صل علی محمّد و آل محمّد عشـرابسم اللّه الرحمن الرحیم عشرا آمین آمین افعل بی کذا و کذا و تقول هذا بعد الصّبح مرّة و بعد العصر اخری ثمّ تدعو بما شئت.

و منها ما فی البحار من مهـج الـدّعوات أیضا قال: روی عن أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السّـلام عن النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قـال: نزل جبرئیـل و کنت أصـلّی خلف المقـام قـال: فلما فرغت اسـتغفرت اللّه عزّ و جلّ لامّتی فقال لی جبرئیل: یا محمّـد أراک حریصـا علی أمّتـک و اللّه تعـالی رحیم بعباده، فقال النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم لجبرئیل: یا أخی أنت حبیبی و حبیب امّتی علّمنی دعاء تکون امتی یـذکرونی من بعـدی، فقال لی جبرئیل أوصـیک أن تأمر امّتک أن تصوموا ثلاثة أیّام البیض من کلّ شـهر: الثّالث عشـر، و الرابع عشـر، و الخامس عشر، و اوصیک یا محمّد أن تأمر امّتک أن تدعو بهذا الدّعاء الشّریف و أنّ حملة العرش یحملون العرش ببرکة هذا الدّعاء و ببرکته انزل إلی

الأرض و أصعد إلى السّماء، و هذا الدّعاء مكتوب على أبواب الجنّة و على حجراتها و على شرفاتها و على منازلها، و به تفتح أبواب الجنّة، و بهذا يحشر الخلق يوم القيامة بأمر اللّه عزّ و جلّ و من قرأه ينجيه من عذاب النار.

ثمّ سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبرئيل عن ثواب هذا الدّعاء.

قال جبرئيل: يا محمّد قد سالتنى عن شىء لا أقدر على وصفه و لا يعلم قدره إلاّ اللّه.

يا محمّد لو صارت أشجار الدّنيا أقلاما و البحار مدادا و الخلايق كتابا لم يقدروا على ثواب قارى هذا الدّعاء، و لا يقرأ هذا عبد و أراد عتقه إلاّ أعتقه اللّه تبارک و تعالى و خلصه من رقّ العبودية، و لا يقرءه مغموم إلاّ فرّج اللّه همّه و غمّه، و لا يدعو به طالب حاجة إلاّ قضاها اللّه عزّ و جلّ له فى الدّنيا و الاخرة إنشاء اللّه تعالى و يقيه اللّه تعالى موت الفجأة و هول القبر و فقر الدّنيا و يعطيه اللّه تبارک و تعالى الشفاعة يوم القيامة و وجهه يضحک و يدخله اللّه ببركة هذا الدّعاء دار السلام و يسكنه اللّه فى غرف الجنان و يلبسه من حلل الجنّة التى لا تبلى، و من صام و قرء هذا الدّعاء كتب اللّه عزّ و جلّ له مثل ثواب جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل و عزرائيل و ابراهيم الخليل و موسى الكليم و عيسى و محمّد صلّى اللّه عليهم أجمعين.

قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: عجبت من كثرة ما ذكر جبرئيل عليه السّلام فى فضل هذا الدّعاء و شرفه و تعظيمه و ما ذكر فيه من الثواب لقارئ هذا ثمّ قال جبرئيل: يا محمّد ليس أحد من امتک يدعو بهذا الدّعاء فى عمره مرّة واحدة إلاّ حشره اللّه يوم القيامة و وجهه يتلألا مثل القمر ليلة تمّه، فيقول الناس من هذا أنبىّ هذا؟ فتخبرهم الملائكة بأن ليس هذا نبىّ و لا ملک بل هذا عبد من عبيد اللّه من ولد آدم قرء فى عمره مرّة واحدة هذا الدّعاء فأكرمه اللّه عزّ و جلّ بهذه ثمّ قال جبرئيل للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قرء هذا الدّعاء خمس مرّات حشر يوم القيامة و أنا واقف على قبره و معى براق من الجنة و لا أبرح واقفا حتّى يركب على ذلک

البراق و لا ينزل عنه إلاّ فى دار النعيم خالـد مخلّـد و لا حساب عليه فى جوار إبراهيم و فى جوار محمّـد و أنا اضـمن لقارى هذا الدّعاء من ذكر أو أنثى انّ اللّه تعالى لا يعذّبه و لو كان عليه ذنوب أكثر من زبد البحر و قطر المطر و ورق الشـجر و عدد الخلايق من أهل الجنّة و أهل النّار، و أنّ اللّه عزّ و جلّ يأمر أن يكتب بهذا الذى يدعو بهذا الدّعاء حجّة مبرورة و عمرة مقبولة.

يا محمّد و من قرء هذا الدّعاء وقت النوم خمس عشـر مرّات على طهارة فانّه يراک فى منامه و تبشّـره الجنّة، و من كان جايعا أو عطشانا و لا يجد ما يأكل و لا ما يشـرب أو كان مريضا فيقرأ هذا الدّعاء فانّ اللّه عزّ و جلّ يفرج عنه ما هو فيه ببركته و يطعمه و يسقيه و يقضى له حوائج الدّنيا و الاخرة، و من سـرق له شـىء أو أبق له عبد فيقوم و يتطهّر و يصـلّى ركعتين أو أربع ركعات و يقرأ كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و سورة الاخلاص و هى قل هو اللّه أحد مرّتين فاذا سـلّم يقرأ هذا الدّعاء و يجعل الصـحيفة بين يديه أو تحت رأسه فان اللّه تعالى يجمع المشرق و المغرب و يردّ العبـد الابق ببركـة هـذا الـدّعاء ان شاء اللّه تعالى، و ان كان يخاف من عـدوّ فيقرأ هذا الدّعاء على نفسه فيجعله اللّه فى حرز حريز و لا يقدر عليه أعداؤه، و ما من عبد قرأه و عليه دين إلاّ قضاه اللّه عزّ و جلّ و سـهّل له من يقضـيه عنه إنشاء اللّه تعالى، و من قرأه على مريض شـفاه اللّه تعـالى ببركته، فان قرأه عبـد مؤمن مخلص للّه عزّ و جلّ على جبل يتحرّک الجبل باذن اللّه تعالى، و من قرأه بنيّـة خالصـة على الماء لجمـد الماء، و لا تعجب من هذا الفضل الذى ذكرته فى هذا الدّعاء فانّ فيه اسم اللّه تعالى الأعظم و انّه إذا قرأه القارى و سـمعه الملائكة و الجنّ و الانس فيدعون لقاريه و انّ اللّه يسـتجيب منهم دعاءهم و كلّ ذلک ببركة اللّه عزّ و جلّ و ببركة هذا الدّعاء، و أنّ من آمن باللّه و برسوله و بهذا الدّعاء فيجب أن لا يغاش قلبه بما ذكر فى هذا الدّعاء و أنّ اللّه تعالى يرزق من يشاء بغير حساب، و من حفظه و قرأه أو نسخه فألاّ «فلاظ» يبخل به على أحد من المسلمين.

ص:366

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما قرأت هذا الدعاء فى غزوة إلاّ ظفرت ببركة هذا الدّعاء على أعدائى.

و قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من قرء هذا الدّعاء اعطى نور الأولياء فى وجهه و سهّل له كلّ عسير و يسير و يسّر له كلّ يسير.

و قال الحسن البصرى: لقد سمعت فى فضل هذا الدّعاء أشياء ما لا أقدر أن أصفه و لو أنّ من يقرءه ضرب برجله على الأرض تحرّكت الأرض.

و قال سفيان الثورى: ويل لمن لا يعرف حقّ هذا الدّعاء فانّ من عرف حقّه و حرمته كفاه اللّه عزّ و جلّ كلّ شدّة و سهّل له جميع الامور و وقاه كلّ محذور و دفع عنه كلّ سوء و نجاه من كلّ مرض و عرض و أزاح الهمّ و الغمّ عنه فتعلّموه و علّموه فانّ فيه الخير الكثير و هو هذا الدّعاء الموصوف:

سبحان اللّه العظيم و بحمده من إله ما أقدره، و سبحانه من قدير ما أعظمه، و سبحانه من عظيم ما أجلّه، و سبحانه من جليل ما أمجده، و سبحانه من ماجد ما أرأفه و سبحانه من رؤوف ما أعزّه، و سبحانه من عزيز ما أكبره، و سبحانه من كبير ما أقدمه، و سبحانه من قديم ما أعلاه، و سبحانه من عال ما أسناه، و سبحانه من سنىّ ما أبهاه، و سبحانه من بهىّ ما أنوره، و سبحانه من منير ما أظهره، و سبحانه من ظاهر ما أخفاه، و سبحانه من خفىّ ما أعلمه، و سبحانه من عليم ما أخبره، و سبحانه من خبير ما أكرمه، و سبحانه من كريم ما ألطفه، و سبحانه من لطيف ما أبصره، و سبحانه من بصير ما أسمعه، و سبحانه من سميع ما أحفظه، و سبحانه من حفيظ ما أملاه، و سبحانه من ملىّ ما أهداه، و سبحانه من هاد ما أصدقه، و سبحانه من صادق ما أحمده، و سبحانه من حميد ما أذكره، و سبحانه من ذاكر ما أشكره، و سبحانه من شاكر ما أوفاه، و سبحانه من وفىّ ما أغناه، و سبحانه من غنىّ ما أعطاه، و سبحانه من معط ما أوسعه، و سبحانه من واسع ما أجوده، و سبحانه من جواد ما أفضله، و سبحانه من مفضل ما أنعمه، و سبحانه من منعم ما أسيده، و سبحانه من سيّد ما أرحمه،

و سبحانه من رحيم ما أرشده، و سبحانه من رشيد ما أقواه، و سبحانه من قويّ ما أحكمه، و سبحانه من حكيم ما أبطشه، و سبحانه من باطش ما أقومه، و سبحانه من قيّوم ما أحمده، و سبحانه من حميد ما أدومه، و سبحانه من دائم ما أبقاه و سبحانه من باق ما أفرده، و سبحانه من فرد ما أوحده، و سبحانه من واحد ما أصمده، و سبحانه من صمد ما أملكه، و سبحانه من مالک ما أولاه، و سبحانه من وليّ ما أعظمه و سبحانه من عظيم ما أكمله، و سبحانه من كامل ما أتمّه، و سبحانه من تامّ ما أعجبه و سبحانه من عجيب ما أفخره، و سبحانه من فاخر ما أبعده، و سبحانه من بعيد ما أقربه، و سبحانه من قريب ما أمنعه، و سبحانه من مانع ما أغلبه، و سبحانه من غالب ما أعفاه، و سبحانه من عفوّ ما أحسنه، و سبحانه من محسن ما أجمله، و سبحانه من جميل ما أقبله، و سبحانه من قابل ما أشكره، و سبحانه من شكور ما أغفره و سبحانه من غفور ما أكبره، و سبحانه من كبير ما أجبره، و سبحانه من جيير ما أدينه، و سبحانه من ديّان ما أقضاه، و سبحانه من قاض ما أمضاه، و سبحانه من ماض ما أنفذه، و سبحانه من نافذ ما أرحمه، و سبحانه من رحيم ما أخلقه، و سبحانه من خالق ما أقهره، و سبحانه من قاهر ما أملكه، و سبحانه من مالک ما أقدره، و سبحانه من قادر ما أرفعه، و سبحانه من رفيع ما أشرفه، و سبحانه من شريف ما أرزقه، و سبحانه من رازق ما أقبضه، و سبحانه من قابض ما أبداه، و سبحانه من بادء ما أقدسه و سبحانه من قدّوس ما أطهره، و سبحانه من طاهر ما أزكاه، و سبحانه من زكيّ ما أبقاه، و سبحانه من باق ما أعوده، و سبحانه من عواد ما أفطره، و سبحانه من فاطر ما أوهبه، و سبحانه من وهّاب ما توّبه، و سبحانه من توّاب ما أسخاه، و سبحانه من سخيّ ما أبصره، و سبحانه من بصير ما أسلمه، و سبحانه من سلام ما أشفاه، و سبحانه من شاف ما أنجاه، و سبحانه من منجی ما أبرّه، و سبحانه من بارّ ما أطلبه، و سبحانه من طالب ما أدركه، و سبحانه من مدرک ما أشدّه، و سبحانه من شديد ما أعطفه، و سبحانه من متعطّف ما أعدله، و سبحانه من عادل ما أتقنه، و سبحانه

من متقن ما أحكمه، و سبحانه من حكيم ما أكفله، و سبحانه من كفيل ما أشهده و سبحانه و هو اللّه العظيم و بحمده الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و اللّه أكبر و للّه الحمد و لا حول و لا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم دافع كل بلية و هو حسبى و نعم الوكيل قال سفيان الثورى: ويل لمن لا يعرف حرمة هذا الدّعاء فانّ من عرف حقّ هذا الدّعاء و حرمته كفاه اللّه عزّ و جلّ كلّ شدة و صعوبة و آفة و مرض و غم فتعلّموه و علّموه ففيه البركة و الخير الكثير فى الدّنيا و الاخرة إنشاء اللّه تعالى.

و منها ما فى البحار أيضا من مهج الدّعوات باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: من دعا بهذا الدّعاء مرّة واحدة فى دهره كتب فى رقّ العبوديّة و رفع فى ديوان القائم عليه السّلام، فاذا قام قائمنا نادى باسمه و اسم أبيه ثمّ يدفع إليه هذا الكتاب و يقال له: خذ هذا الكتاب العهد الذى عاهدتنا فى الدّنيا و ذلک قوله عزّ و جلّ «إِلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً» و ادع به و أنت طاهر تقول:

يا إله الالهة يا واحد يا أحد يا آخر الاخرين، يا قاهر القاهرين، يا عليّ يا عظيم أنت العليّ الأعلى علوت فوق كلّ علوّ، هذا يا سيّدى عهدى و أنت منجز وعدى فصل يا مولاى وعدى و أنجز وعدى، آمنت بک و أسألک بحجابک العربىّ و بحجابک العجمىّ و بحجابک العبرانىّ و بحجابک السّريانىّ و بحجابک الرومىّ و بحجابک الهندىّ و اثبت معرفتک بالعناية الاولى فانّک أنت اللّه لا ترى و أنت بالمنظر الأعلى و أتقرّب إليک برسولک المنذر صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعليّ أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه الهادى، و بالحسن السّيد و بالحسين الشّهيد سبطى نبيّک، و بفاطمة البتول، و بعليّ بن الحسين زين الثفنات، و محمّد بن عليّ الباقر عن علمک، و بجعفر بن محمّد الصّادق الّذى صدّق بميثاقک و ميعادک، و بموسى بن جعفر الحصور القائم بعهدک و بعليّ بن موسى الرّضا الراضى بحكمک، و بمحمّد بن عليّ الحبر الفاضل المرتضى فى المؤمنين، و بعليّ بن محمّد الأمين المؤتمن هادى المسترشدين، و بالحسن بن عليّ الطّاهر الزكى خزانة الوصيّين، و أتقرّب إليک بالامام القائم العدل المنتظر المهدى إمامنا و ابن إمامنا صلوات اللّه عليهم أجمعين، يا من جلّ فعظم و أهل ذلک فعفى

و رحم، یا من قدر فلطف أشکو إلیک ضعفی و ما قصر عنه عملی من توحیدک و کنه معرفتک، و أتوجّه إلیک بالتسمیة البیضاء و بالوحدانیّة الکبری الّتی قصر عنها من أدبر و تولّی و آمنت بحجابک الأعظم و بکلماتک التامّة العلیا الّتی خلقت منها دار البلاء و أحللت من أحببت جنّة المأوی، آمنت بالسّابقین و الصّدیقین أصحاب الیمین من المؤمنین الّذین خلطوا عملا صالحا و آخر سیئا ألاّ تولّینی غیرهم، و لا تفرّق بینی و بینهم غدا إذا قدّمت الرّضا بفصل القضا آمنت بسرّهم و علانیتهم و خواتیم أعمالهم فانک تختم علیها إذا شئت یا من أ تحفنی بالاقرار بالوحدانیة، و حبانی بمعرفة الرّبوبیّة، و خلّصنی من الشّک و العمی، رضیت بک ربّا، و بالأصفیاء حججا و بالمحجوبین أنبیاء، و بالرّسل أدلاء، و بالمتّقین أمراء، و سامعا لک مطیعا.

هذا آخر العهد المذکور کتب اللّه تعالی لنا فی زمرة المعاهدین المخلصین، و جعلنا من موالی أولیائه المعصومین صلوات اللّه علیهم أجمعین و اللّعنة علی أعدائهم و ظالمیهم و الشّاکین فیهم إلی یوم الدّین.

الترجمة

از دعاهای آن بزرگوار است:

بار پروردگارا بدرستی که تو مونس ترین انس گیرندگانی از برای دوستان خود، و حاضرترین ایشان هستی با کفایت کردن حاجتها از برای توکل کنندگان بر تو، مشاهده می فرمائی ایشان را در بواطن ایشان، و مطلع می باشی بر ایشان در ضمایر ایشان، و می دانی اندازهای بصیرت ایشان را، پس أسرار ایشان از برای تو هویدا و آشکار است، و قلبهای ایشان بسوی تو بی قرار، اگر مستوحش کند ایشان را غربت از وصل تو مونس ایشان گردد ذکر تو، و اگر ریخته شود بر ایشان مصائب روزگار ملتجی باشند بطلب أمان از تو بجهت علم ایشان باین که زمام جمیع کارها بید قدرت تو است، و صدور آنها از قضا و قدر تو است بار خدایا پس اگر عجز برسانم از سؤال خودم یا متحیر باشم از طلب حاجت

خودم پس دلالت فرما مرا بمصالح من، و فراگیر قلب مرا بسوی موارد رشد و صلاح من، پس نیست این أمر، غیر معروف أز هدایتهای تو، و نه عجب از کفایتهای تو، بار إلها معامله کن با من با عفو و بخشش خودت، و معامله مفرما با من با عدل و داد خود.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السادس و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

للّه بلاد فلان فقد قوّم الاود، و داوی العمد، خلّف الفتنة، و أقام السّنة، ذهب نقیّ الثّوب، قلیل العیب أصاب خیرها، و سبق شرّها، أدّی إلی اللّه طاعته، و اتّقاه بحقّه، رحل و ترکهم فی طرق متشعّبة، لا یهتدی فیها الضّالّ، و لا یستیقن المهتدی.

اللغة

قوله (للّه بلاد فلان) اللاّم للاختصاص و هو کلام یقال فی معرض المدح مثل قولهم للّه درّه و للّه أبوه و للّه ناديه أی البلاد التی تولّد فیها مثله جدیرة بالانتساب إلیه تعالی و تکون مخصوصة به عزّ و جلّ، و کذلک الثّدی الذی ارتضع منه، و الأب الّذی خرج من صلبه، و المجلس الّذی ربّی فیه و روی للّه بلاء فلان أی عمل حسن.

و (اود) الشیء اودا من باب فرح اعوج و (عمد) البعیر عمدا من باب فرح أیضا انفضح داخل سنامه من رکوب و حمل مع سلامة ظاهره و قوله (اتّقاه بحقّه) قال الطریحی: أی استقبله به فکأنّه جعل دفع حقّه إلیه وقایة له من المطالبة

و قوله (و تركهم) فى نسخة الشّارح المعتزلى و تركتم بدله بصيغة الخطاب، و البناء على المفعول.

الاعراب

قوله: للّه بلاد فلان تقـديم الخبر على المبتـدأ مبالغة فى الحصـر و التخصـيص، و الباء فى قوله: اتّقاه بحقه، للالة كما يوضـحه ما نقلناه عن الطريحى آنفـا، أى أخـذ الوقايـة منه لنفسه بأداء حقّه و اسـتعانته، و أمّا ما قاله الشّارح المعتزلى من أنّ المراد أنّه اتّقى اللّه و دلّنا على أنّه اتّقاه بأداء حقّه فأداء الحقّ علـة فى علّمنا بأنّه قـد اتّقى اللّه سـبحانه فتكلّف بارد، و الواو فى جملـة و تركهم، تحتمل العطف و الحال و جملـة لا يهتدى آه مجرورة المحل على أنّها نعت لطرق.

المعنى

اشارة

اعلم أنّه قـد اختلف الشـارحون فى المشـار إليه بهـذا الكلاـم و المكنّى به عنه قـال الشّـارح المعتزلى: المكنّى عنه عمر بن الخطاب، و قد وجدت النّسخة الّتى بخطّ الرّضى جامع نهج البلاغة و تحت فلان: عمر، حدّثنى بذلک فخار بن معد الموسوى.

و سألت عن النقيب أبا «أبى ظ» جعفر يحيى بن أبى زيـد العلوى فقال لى: هو عمر، فقلت له أثنى عليه أمير المؤمنين هذا الثناء؟ فقال: نعم، أمّا الاماميّة فيقولون: إنّ ذلک من التقية و استصلاح أصحابه، و أمّا الصّالحيون من الزّيدية فيقولون: انّه أثنى عليه حقّ الثّناء و لم يضع المدح إلاّ فى موضـعه و نصابه، و أمّا الجارودیّـة من الزّيديـة فيقولون: إنّه كلام قاله فى أمر عثمان أخرجه مخرج الذّم و التنقص لاعماله كما يمدح الان الأمير الميّت فى أيّام الأمير الحىّ بعده، فيكون ذلک تعريضا به، فقلت له: إلاّ أنّه لا يجوز التعريض للحاضر بمدح الماضى إلاّ إذا كان ذلک المدح صدقا لا يخالطه ريب و لا شبهة فاذا اعترف أمير المؤمنين بأنّه أقام السّنة و ذهب نقىّ الثوب

قليل العيب و أنّه أدّى إلى اللّه طاعته و اتّقاه بحقّه، فهذا غاية ما يكون من المدح فلم يجبنى بشىء و قال: هو ما قلت لک، قال:

و قال الرّاوندى إنّه عليه السّلام مدح بعض أصحابه بحسن السيرة و أنّ الفتنة هى الّذى وقعت بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الاختيار و الاثرة، و هذا بعيد، لأنّ لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعارا ظاهرا بأنّه يمدح واليا ذا رعيّة و سيرة.

ثمّ ذكر الشّارح مؤيّدات أخرى لكون المراد به عمر إلى أن قال فى آخر كلامه:

و هذه الصّفات إذا تأملها المنصف و أماط عن نفسه الهوى علم أنّ أمير المؤمنين لم يعن بها إلاّ عمر لو لم يكن قد روى لنا توفيقا و نقلا انّ المعنى بها عمر فكيف و قد رويناه عمّن لا يتّهم فى هذا الباب، انتهى.

و قال الشارح البحرانى: إرادته لأبى بكر أشبه لارادته لعمر، لما ذكر عليه السّلام فى خلافة عمر و ذمّها به فى الخطبة المعروفة بالشقشقية، انتهى.

و أقول: أما ما قاله القطب الراوندى فاستبعاد الشارح المعتزلى له بموقعه، و كذلک ما زعمه الشارح البحرانى فانه أيضا بعيد، و تقريبه له بأنه ذمّ خلافة عمر فى خطبة الشقشقية، فيه أنه عليه السّلام ذمّ هناک خلافة أبى بكر أيضا حسبما عرفت أيضا و لو لم يكن فيها إلاّ قوله عليه السّلام: فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى أرى تراثى نهبا، لكان كافيا فى الطعن و الازراء المنافى للمدح و الثناء فضلا من المطاعن و المذامّ الواردة عنه عليه السّلام فى مقامات اخر فى حقّ الأوّل كالثانى المتجاوزة عن حدّ الاحصاء و طور الاستقصاء.

و أما ما زعمه الشارح المعتزلى من أنّ المراد به عمر و مبالغته فيه و استظهاره له بما فصله فى كلامه، ففيه أنه إن كان هذا الرّجل الجلف هو المراد به و أبقينا الكلام على ظاهره على ما توهّمه الظاهر من كون عمر أهلا للأوصاف المذكورة لا غير، كان هذا الكلام مناقضا صريحا لما تقدّم عنه فى الخطبة الشقشقية من مثالب

عمر و معايب خلافته، فلاحظ المقام و انظر ما ذا ترى.

بل كان منافيا لاصول مـذهب الاماميّة رضوان اللّه عليهم المتلقّى عن أئمّتهم سـلام اللّه عليهم و لأخبارهم المتواترة المأثورة عن أهل بيت العصمة و الطّهارة المفصحة عن كفر الأوّل و الثّانى كليهما و كونهما منشأ جميع الشّرور و المفاسد و البدعات الجارية فى الامّة المرحومة إلى يوم القيامة.

قال كميت بن زيـد الأسـدى فيما رواه عنه فى البحار من الكافى: دخلت على أبى جعفر عليه السّلام قلت: خبّرنى عن الرّجلين، قال: فأخذ الوسادة و كسـرها فى صـدره ثمّ قال: و اللّه يا كميت ما اهريق محجمـة من دم و ما اخذ مال من غير حلّه و ما قلب حجر من حجر إلاّ ذاک فى أعناقهما، و نحوه أخبار كثيرة.

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ جميع الشّرور و المفاسد الواقعة فى الدّنيا من ثمرات تلک الشّجرة الخبيثة، و قد مرّت طائفة منها فى شرح الخطبة المأة و الخمسين.

فبعـد اللّتيا و اللّتى فاللاّزم على جعل المكنّى عنه عمر كما زعمه الشّارح هو صـرف الجملات الاتيـة عن ظواهرها المفيدة للمدح و الثّناء، لتطابق اصول الاماميّـة و قواعدهم المبنيّة على الذّم و الازراء، و على إبقائها على ظواهرها فلابدّ من جعل المكنّى عنه شـخصا آخر له أهليّة الاتّصاف بهذه الأوصاف.

و عليه فلا يبعد أن يكون مراده عليه السّلام هو مالک بن الحرث الأشتر، فلقد بالغ فى مدحه و ثنائه فى غير واحد من كلماته.

مثل ما كتبه إلى أهل مصر حين ولى عليهم مالک حسبما يأتى ذكره فى باب الكتب تفصيلا إنشاء اللّه.

و مثـل قوله عليه السّلام فيه لمـا بلغ إليه خبر موته: مالـک و ما مالک لو كان من جبل لكان فنـدا، و لو كان من حجر لكان صـلدا، عقمت النساء أن يأتين بمثل مالک بل صرّح فى بعض كلماته بأنّه كان له كما كان هو لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من هذا

شأنه فالبتّة يكون أهل لأن يتّصف بالأوصاف الاتية بل بما فوقها.

و الحاصل أنّه على كون المكنّى عنه عمر لا بدّ من تأويل كلامه و جعله من باب الايهام و التّورية على ما جرت عليها عادة أهل البيت عليهم السّلام فى أغلب المقامات فانّهم لما رأوا من النّاس جمهورهم إلاّ النّادر من خواصّ أصحابهم الافتتان بمحبة صنمى قريش، و أنّهم اشربوا قلوبهم حبّ العجلين، و ولعوا بعبادة الجبت و الطاغوت سلكوا فى كلماتهم كثيرا مسلك التّورية و التقيّة حقنا لدمائهم و دماء شيعتهم، حيث لم يتمكّنوا من إظهار حقيقة الأمر.

و يشهد بذلک ما رواه فى البحار من الكافى باسناده عن فروة عن أبى جعفر عليه السّلام قال: ذاكرته شيئا من أمرهما فقال: ضربوكم على دم عثمان ثمانين سنة و هم يعلمون أنّه كان ظالما فكيف يا فروة إذا ذكرتم صنميهم.

و فيه من تقريب المعارف لأبى الصّلاح فى جملة كلام له قال: و رووا عن بشير بن دراكة النّبال قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن أبى بكر و عمر فقال: كهيئة المستهزء به ما تريد من صنمى العرب أنتم تقتلون على دم عثمان بن عفّان فكيف لو أظهرتم البراءة منهما لما ناظروكم طرفة عين قال و رووا عن أبى الجارود قال: سئل محمّد بن عمر بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب عن أبى بكر و عمر فقال: قتلتم منذ ستّين سنة فى أن ذكرتم عثمان فو اللّه لو ذكرتم أبا بكر و عمر لكان دماؤكم أحلّ عندهم من دماء السنانير.

بل كثيرا ما كانوا يتكّلمون عليهم السّلام بكلمات موهمة للمدح و الثّناء مماشاتا للنّاس و مداراتا لهم.

مثل ما روى من كتاب المثالب لابن شهر آشوب أنّ الصّادق عليه السّلام سئل عن أبى بكر و عمر، فقال: كانا إمامين قاسطين عادلين كانا على الحقّ، و ماتا عليه، فرحمة اللّه عليهما يوم القيامة، فلمّا خلى المجلس قال له بعض أصحابه: كيف قلت يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم؟ فقال: نعم أمّا قولى: كانا إمامين فهو مأخوذ من قوله تعالى

«وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ » و أمّا قولى قاسطين فهو من قوله تعالى «وَ أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً » و أمّا قولى: عادلين فهو مأخوذ من قوله تعالى:

«ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ » و أمّا قولى: كانا على الحقّ، فالحقّ علىّ عليه السّلام و قولى: ماتا عليه، المراد أنّه لم يتوبا عن تظاهرهما عليه، بل ماتا على ظلمهما إيّاه، و أمّا قولى: فرحمة اللّه عليهما يوم القيامة فالمراد أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ينتصف له منهما أخذا من قوله تعالى «وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ».

و إذا عرفت ذلک فاستمع لما يتلى عليک من وجوه التّورية و التأويل فى فقرات كلامه فأقول و باللّه التّوفيق و العصمة.

قوله عليه السّلام(للّه بلاد فلان)و إن كان بظاهره مفيدا للمدح حسبما بيّناه فى بيان اللّغة إلاّ أنّه ليس بذلک، فانّ اللاّم فيه كاللاّم فى قوله تعالى«لِلّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و الكناية عن عمر بلفظة فلان مأخوذ من قوله تعالى«وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً » فقد فسّر السّبيل فى أخبار أهل البيت عليهم السّلام بأمير المؤمنين و الظالم بأبى بكر و فلانا بعمر.

قال علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسيره «وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ » قال:

الأوّل «يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً » قال أبو جعفر عليه السّلام يقول: يا ليتنى اتّخذت مع الرسول عليّا «يا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً » يعنى الثّانى «لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِى » يعنى الولاية «وَ كانَ الشَّيْطانُ » و هو الثّانى كان «لِلْإِنْسانِ خَذُولاً » و روى مثله عن حمّاد عن حريز عن رجل عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال «يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ » الاية يقول الأوّل للثّانى.

و روى عن الرّضا عليه السّلام أيضا تفسير الايتين بالأوّل و الثّانى.

و قوله (فقد قوّم الأود) و إن كان ظاهره يدلّ على أنّه أصلح و عدل ما خرج من امور المسلمين عن حدّ الاعتدال و انحرف عن السّداد، لكن المقصود به ترويجه

للاعوجـاج من قولهم: قامت السّوق أى نفقت و راجت، فانّ عمر لعـدوله عن الصّـراط المسـتقيم الـذى هو صـراط أمير المؤمنين و غصـبه للخلافة قد روّج العوج عن الدّين و الانحراف عن نهج الشّرع المبين.

و يوضح ذلک ما رواه فى الطرايف عن قتادة عن الحسن البصـرى قال: كان يقرأ هذا الحرف صـراط علىّ مسـتقيم، فقلت للحسن: ما معناه؟ قال: يقول: هذا طريق علىّ بن أبى طالب و دينه طريق و دين مستقيم فاتّبعوه و تمسّكوا به فانه واضح لا عوج فيه و على إبقاء تقويم الاود على ظاهره فلا ملازمـة له لمدح عمر أيضا لأنّ تقويم اعوجاج الناس و نظم أمر الرّعية إنما يكون ممدوحا شـرعا إذا كان جاريا على وفق القوانين الشـرعية، و أما إذا لم يجر عليها كما هو رسم الجبابرة و سـلاطين الجور فلا كما يشـير إلى ذلک قول أمير المؤمنين عليه السّـلام فى الكلام الثامن و الستّين مخاطبا لأهل الكوفة، و إنّى لعالم بما يصـلحكم و يقيم اودكم و لكنّى لا أرى إصلاحكم بافساد نفسى و لقد كان عمدة نظر عمر فى أحكامه و سياساته إلى نظم أمر خلافته و استحكام أركان رياسته و إن كان مخالفا لقانون الشرع.

كما يشـهد بـذلک ما روته الخاصة و العامة من تسوّره حايط بيت الرّجل الذى اتّهمه بشـرب الخمر حتى اعترض عليه صاحب البيت بقوله: إن كنت أخطأت فى واحـدة فقد أخطأت فى ثلاث قال اللّه «وَ لا تَجَسَّسُوا » و قد تجسّـست و قال «وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها » و قد تسوّرت و قال «فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَـلِّمُوا » و ما سـلّمت، على ما تقدّم تفصـيلا فى شرح الفصل الثانى من الخطبة الثالثة و غير ذلک مما رووا من سيره المخالفة للشريعة، و قد ذكر الشارح المعتزلى شطرا منها فى شرح هذا الكلام.

و قوله(و داوى العمد)ظاهره أنه أصلح ما فسد من الامور و خرج عن الصّحة

و السداد بمعالجات تدابيره، و باطنه أنه عالج مرضه القلبى الذى كان عليه، فقد استعير العمد الذى هو عبارة عن انشداخ سنام البعير لمرض القلب كما يستعار لمرض العشق يقال: فلان عميد القلب و معمود، قال قيس العامرى فى قصيدة عشقية مشحونة بأبيات العشق و المحبة.

يلومننى فى حبّ ليلى عواذل و لكنّنى من حبّها لعميد

و الجامع بين المستعار منه و المستعار له كون كلّ منهما موجبا للألم و الأذى و المرض الذى كان فى قلب عمر هو المرض المزمن و الداء الدّوى أعنى مرض الشك و النفاق و معاداة النبىّ و الوصىّ عليهما السّلام فانّ قبح عداوتهما لا سيما عداوة أمير المؤمنين عليه السّلام و بغضه كان يغلى فى صدره كغلى القيح فى سنام البعير لا يكاد يندمل حتى مضى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى لقاء ربّه، فعالج مرضه و داوى عمده بما مهّده فى نفسه من صرف الخلافة عن أهل بيته و تغيير وصيته و إحراق بيت ابنته، و تبديل قوانين شريعته، فنال ما أبطن فى قلبه و بلغ غاية المراد و منتهى المرام.

و إلى هذا المرض اشير فى قوله تعالى «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ » قال أمين الاسلام الطبرسى: المراد بالمرض فى الاية الشكّ و النفاق بلا خلاف و إنما سمّى الشكّ فى الدّين مرضا لأنّ المرض هو الخروج عن حدّ الاعتدال، فالبدن ما لم تصبه آفة يكون صحيحا سويا و كذلك القلب ما لم يصبه آفة من الشكّ يكون صحيحا، و قيل: أصل المرض الفتور فهو فى القلب فتوره عن الحقّ كما أنه فى البدن فتور الأعضاء و قال فى الصافى: قوله تعالى «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ » الاية أقول: كابن أبىّ و أصحابه و كالأوّل و الثانى و أضرابهما من المنافقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم و الغشاوة النفاق و لا سيّما عند نصب أمير المؤمنين عليه السّلام للخلافة و الامامة.

و قال أيضا قوله «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » قيل: نفاق و شكّ و ذلک لأنّ قلوبهم كانت تغلى على النّبىّ و الوصىّ و المؤمنين حقدا و حسدا، و فى تنكير المرض و ايراد الجملة ظرفيّة إشارة إلى استقراره و رسوخه و إلاّ لقال مرض قلوبهم.

و قوله عليه السّلام (أقام السّنة) ظاهره إقامته لسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و طريقته قولا و فعلا و تقريرا و لكنّه تورية عن السّنن العمرية و هى بدعاته و أحداثه الّتى سنّها قبال سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمقتضى أهوائه الفاسدة.

مثل تحريم المتعتين، و العول فى الفرائض، و صلاة الضّحى و صلاة التراويح و هى فعل نوافل شهر رمضان بالجماعة، و وضع الخراج على سواد العراق، و ترتيب الجزية، و إسقاط حىّ على خير العمل من الأذان بايهامه أنّ هذه الكلمة تدعو النّاس إلى ترک الجهاد لأنّهم يزعمون إنّ الصّلاة أفضل من ساير الأعمال و لكنّ الدّاعى الحقيقى له إلى الاسقاط غير ذلک.

و هو ما ورد فى رواية الصّادق عليه السّلام من أنّ عمر سمع من النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّ خير العمل هو ولاية علىّ بن أبى طالب فموّه على النّاس فى تركه حتّى يترک، إلى غير هذه ممّا مرّ فى رواية الرّوضة المتقدّمة فى شرح الخطبة الخمسين فليراجع هناک، و ذكر شطرا منها الشارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام.

و قوله عليه السّلام(و خلّف الفتنة)قال الشارح البحرانى: تخليفه للفتنة موته قبلها و وجه كون ذلک مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها بسببه و فى زمنه لحسن تدبيره.

و أقول: هذا ظاهره و باطنه من أمض الذّم فانّه تورية عن توريثه الفتنة العظيمة الّتى انشعبت منها جميع الفتن و هى فتنة الشّورى كما صرّح به الشّارح المعتزلى أيضا فى شرح الكلام المأتين و الرّابع حسبما حكينا عنه هناک حيث قال: إنّ ما فعله عمر من أمر الشّورى سبب كلّ فتنة وقع و يقع إلى أن تنقضى الدّنيا.

و توضيحه أنّ عمر لو لم يجعل الخلافة شورى بين الستّة لما أفضى الأمر إلى عثمان و لم تقع فتنة قتله حتّى يكون الطلب بدمه عنوانا لوقعة صفّين و فتن بنى امية

الشوهاء المظلمة و لوقعة البصـرة و خروج الخاطئة المشار إليها فى قوله تعالى «أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها » و فى قوله «وَ ما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً ».

ثمّ من التحكيم فى صـفّين نشـأت فتنـة المـارقين و خروجهم إلى أن انجرّ إلى شـهادة أمير المؤمنين و استيلاء معاويـة على البلاد و إهراقه للـدّماء و اسـتحلاله للأموال و فشت المعاداة بين بنى هاشم و بنى اميّة حتّى انتهت إلى الرّزء الجليل و المصـيبة العظمى و الدّاهية الدّهياء المحرقة قلوب الشّيعة إلى يوم القيامة و هى وقعة الطّف و شهادة الحسين عليه السّلام و أصحابه، بل النّار الموقدة فى الطّف لاحراق خيام آل الرّسول من قبسات النّار الّتى أوقدها عمر لاحراق باب فاطمة سلام اللّه عليها.

و بالجملة فجميع هذه الفتن من ثمرات الشجرة الخبيثة الّتى غرسها عمر.

قال العلاّمـة الحلّى فى كتاب نهج الحقّ: روى البلادرى قال: لمّا قتل الحسـين كتب عبد اللّه بن عمر إلى يزيد بن معاوية لعنة اللّه عليهما و على أبيهما: أمّا بعد فقد عظمت الرّزية و جلّت المصيبة و حدث فى الاسلام حدث عظيم و لا يوم كيوم الحسين فكتب إليه يزيد: أمّا بعد يا أحمق فاننا جئنا إلى بيوت مجدّدة و فرش ممهّدة و سايد منضّدة فقاتلنا عنها، فان يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، و إن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ و ابتزّ و استأثر بالحقّ على أهله.

و قوله عليه السّلام (ذهب نقىّ الثوب) قال الشارح البحرانى استعار الثوب لعرضه و نقاه لسلامته عن دنس المذام.

و أقول: ربما يفرق بين النقى و التقى بأنّ التقى بالتاء من حسن ظاهره و النقى من حسن باطنه فيكون فى اضافـة النقى إلى الثوب توريـة لطيفة عن أنّ اتّصافه بالنقاوة و النزاهة إنما كان بحسب ظاهره فقط، و أما فى الباطن فقد كان مدنسا بأدناس

الجاهليّة و أقذار الشّک و النّفاق و الحقد و الحسد و السّخيمة لكونه رئيس المنافقين الّذين يظهرون بأفعالهم و يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم و اللّه أعلم بما يكتمون و قد وصفهم عليه السّلام فى الخطبة المأة و الثالثة و التسعين بهذا الوصف أى بحسن الظاهر و خبث الباطن حيث قال فى تعداد صفاتهم: قلوبهم رديّة و صفاحهم نقيّة.

و قوله عليه السّلام (قليل العيب) أراد به قلّة عيوبه الظاهرة بالاضافة إلى العيوب الكثيرة الّتى فى عثمان لأخذه بظاهر أحكام الشّريعة تخديعا للنّاس و للتّزوير و الحيلة، و أمّا فى الباطن فقد كان غريقا فى بحر العيوب مغمورا فى تيّار الاثام و الذّنوب حسبما أشرنا و نشير إليه.

و قوله عليه السّلام (أصاب خيرها و سبق شرّها) قال البحرانى أصاب ما فى الخلافة من الخير المطلوب و هو العدل و إقامة دين اللّه الّذى به يكون الثّواب الجزيل فى الاخرة و الشّرف الجزيل فى الدّنيا، و سبق شرّها أى مات قبل وقوع الفتنة فيها و سفک الدّماء لأجلها.

و أقول: بل المراد به أنّه نال خير الخلافة و لذّة الرّياسة بما مهّده له أبو بكر من بساطها و صيّرها له من دون معارض و مصادم، فانقاد له الكلّ و أسلم له الجميع طوعا و كرها و حصلت له الرّياسة العامة و فتح الأمصار و نفاذ الأحكام فى الأصقاع و البلدان كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّا ثمّ يكون حطاما و فى الاخرة عذاب شديد.

و المراد بسبقه الشّر الشّرور و المفاسد و الفتن التى ظهرت فى زمن عثمان عليه اللعنة و النيران من حمله بنى اميّة و مروان على رقاب الناس و خضمهم مال اللّه خضم الابل نبتة الرّبيع حسبما عرفت تفصيلا فى الخطبة الشقشقية و شرحها إلى أن انجرّ الأمر إلى قتله و هلاكه، و ظهرت فى خلافة أمير المؤمنين سلام اللّه عليه و آله أجمعين من الناكثين و القاسطين و المارقين لعنة اللّه عليهم ملاء السماوات و الأرضين و قد عرفت فى شرح قوله: و خلف الفتنة أنّ جميع هذه الشرور و المفاسد من بركة البرامكة و ثمرات الشجرة الخبيثة التى غرسها عمر.

و قوله عليه السّلام (أدّى إلى اللّه طاعته و اتّقاه بحقّه) أراد به مواظبته على مراسم الطاعة و التقوى و سلوكه مسالک الزهد و العبادة، و لقد كان مجدّا فيها ظاهرا لما نذكره من النكتة، و أمّا فى الباطن فلم يرفع يده كصاحبه عن الكفر و عبادة الصنم إلى أن مضى إلى سبيله.

و يشهد به ما رواه فى البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالى عن أمير المؤمنين فى حديث طويل يذكر فيه شجاعته و نصرته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جبن الثلاثة و رعبهم عند الكريهة و القتال و ساق الحديث إلى أن قال:

و لقد ناداه ابن عبد ود باسمه يوم الخندق فحاد عنه و لاذ بأصحابه حتّى تبسّم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما رأى به من الرّعب، و قال: أين حبيبى علىّ تقدّم يا حبيبى يا علىّ و لقد قال لأصحابه الأربعة أصحاب الكتاب: الرّأى و اللّه أن ندفع محمّدا برّمته و نسلم من ذلک حين جاء العدوّ من فوقنا و من تحتنا كما قال اللّه تعالى «وَ زُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً »، و «تَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا »... «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللّهُ وَ رَسُولُهُ إِلاّ غُرُوراً » فقال صاحبه لا و لكن نتّخذ صنما عظيما نعبده لأنّا لا نأمن أن يظفر ابن أبى كبشة فيكون هلاكنا، و لكن يكون هذا الصّنم لنا ذخرا، فان ظهرت قريش أظهرنا عبادة هذا الصنم و أعلمناهم أنّا لن نفارق ديننا، و إن رجعت دولة ابن أبى كبشة كنا مقيمين على عبادة هذا الصنم و أعلمناهم أنا لن نفارق سرّا، فنزل جبرئيل فأخبر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذلک، ثمّ خبّرنى به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد عمرو بن عبد ود، فدعاهما فقال: كم صنم عبدتما فى الجاهلية؟ فقالا: يا محمّد لا تعيّرنا بما مضى فى الجاهليّة، فقال: فكم صنم تعبدا وقتكما هذا؟ فقالا: و الذى بعثک بالحقّ نبيّا ما نعبد إلاّ اللّه منذ أظهرنا لک من دينک ما أظهرنا، فقال: يا علىّ خذ هذا السّيف فانطلق إلى موضع كذا و كذا فاستخرج الصنم الذى يعبدانه فاهشمه فان حال بينک و بينه أحد فاضرب عنقه، فانكبّا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقالا: استرنا سترک اللّه، فقلت أنا لهما أضمنا للّه و لرسوله ألاّ تعبدا إلاّ اللّه و لا تشركا به شيئا، فعاهدا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على هذا،

و انطلقت حتّى استخرجت الصنم من موضعه و كسرت وجهه و يديه و جزمت رجليه ثمّ انصرفت إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فو اللّه لقد عرفت ذلک فی وجههما حتّى ماتا و يشعر بما قلناه ما رواه العياشی عن الصادق عليه السّلام فی قوله تعالى «اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ » انه قال فأعداء علىّ أمير المؤمنين هم الخالدون فی النار و إن كانوا فی أديانهم على غاية الورع و الزّهد و العبادة.

إلى غير هذه من الرّوايات التی لا نطيل بذكرها المفيدة لكون عبادة هذا الرّجل للّه و زهده و رياضته تزويرا و رياء و سمعة، بل الدلالة على أنه أبطن الكفر و أظهر الاسلام وصلة بذلک إلى رياسة المسلمين و السلطنة عليهم و إلى ما أضمره فی قلبه من هدم أساس الدين و تخريب سوارى اليقين ضمنا بقدر الامكان و التمكن و إلى صرف الناس و اضلالهم عن الصراط المستقيم و المنهج القويم.

فانه لو لم يسلک مسلک العبادة و الرّياضة و الزهد و القشف و الضيق على نفسه و التوسعة على غيره و ترک اللذات و الشهوات رأسا لم يتمكّن من ذلک كما لم يتمكّن عثمان منه لعدم سلوكه هذا المسلک.

و قد صرّح نفسه بهذه النكتة و أظهر هذا السر إلى بطانته المشارک له فی الكفر و الالحاد اللعين بن اللعين معاوية بن أبی سفيان فی العهد الطويل الذی رواه أصحابنا فی مؤلفاتهم و هو العهد الذی أخرجه يزيد الملعون من خزانته و أبرزه لعبد اللّه بن عمر الملعونين لما جاء إلى الشام مستصرخا فی دم الحسين عليه السّلام و ثائرا فيه، فسكّته بذلک العهد الذی كان بخطّ أبيه عمر فانه بعد ما كتب فيه إلى معاوية صريحا كفره و إلحاده و بقاءه على عبادة اللاّت و العزّى و تكذيبه للرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لما جاء به و نسبته له إلى السحر و أبرز عداوته المكنونة له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آله و شرح صرفه الخلافة بتدبيراته و حيله عن وصيّه كتب فيه ما عين لفظه:

فبطل سحره - يعنى سحر محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم - و خاب سعيه و علاها ابو بكر و علوتها بعده و أرجو أن تكونوا معاشر بنى أميّة عيدان أطنابها، فمن ذلک قد ولّيتک و قلّدتک إباحة ملكها، و عرفتک فيها و خالفت قوله فيكم، و ما ابالى من تعريف شعره و نثره أنّه قال يوحى إلىّ منزل من ربّى فى قوله: و الشّجرة الملعونة فى القرآن فزعم أنّها أنتم يا بنى اميّة فبيّن عداوته حيث ملک كما لم يزل هاشم و بنوه أعداء بنى عبد شمس و أنا مع تذكيرى إياک يا معاوية و شرحى لک ما قد شرحته ناصح لک و مشفق عليک من ضيق عطنک و حرج صدرک و قلّة حلمک أن تعجل فيما وصيّتک به و مكّنتک منه من شريعة محمّد و أمّته أن تبدى لهم مطالبته بطعن أو شماتة بموت أو ردّا عليه فيما أتى به أو استصغارا لما أتى به فتكون من الهالكين، فتخفض ما رفعت و تهدم ما بنيت، و احذر كلّ الحذر حيث دخلت على محمّد مسجده و منبره و صدّق محمّدا فى كلّ ما أتى به و أورده ظاهرا، و أظهر التحرّز و الواقعة فى رعيتک و أوسعهم حلما و أعمّهم بروايح العطايا، و عليک باقامة الحدود فيهم و تصفيف الجناية منهم، لسبا محمّد من مالک و رزقک و لا ترهم أنک تدع للّه حقّا و لا تنقص فرضا و لا تغيّر لمحمد سنّة فتفسد علينا الامّة بل خذهم من مأمنهم و اقتلهم بأيديهم و أيّدهم بسيوفهم و تطاولهم و لا تناجزهم، و لن لهم و لا تبخس عليهم، و افسح لهم فى مجلسک و شرّفهم فى مقعدک، و توصّل إلى قتلهم برئيسهم و أظهر البشر و البشاشة، بل اكظم غيظک، و اعف عنهم يحبّوک و يطيعوک، فما آمن علينا و عليک شورة علىّ و شبليه الحسن و الحسين، فان أمكنک فى عدّة من الامة فبادر و لا تقنع بصغار الأمور، و اقصد بعظيمها و احفظ وصيّتى اليک و عهدى و اخفه و لا تبده، و امتثل أمرى و نهيى، و انهض بطاعتى و إيّاک و الخلاف علىّ و اسلک طريق أسلافک، و اطلب بثارک و اقتصّ آثارهم فقد أخرجت إليک بسرّى و جهرى، و شفّعت هذا بقولى:

معاوى إنّ القوم جلّت أمورهم بدعوة من عمّ البريّة بالوتر

صبوت إلى دين لهم فأرابنى فأبعد بدين قد قصمت من ظهرى

ص:384

إلى أن قال:

توسل إلى التخليط فى الملّة التى أتانا به الماضى و المموّه بالسحر

و طالب بأحقاد مضت لک مظهرا لعله دين عمّ كلّ بنى النفر

فلست تنال الثار الابد منهم فتقتل بسيف القوم جند بنى عمر

فقد تحصّل بما ذكرنا كلّه أنّ طاعة الرّجل و رياضته و تضييقه على نفسه و توفيره الفئ و الغنايم على غيره لم يكن إلاّ خديعة و مكيدة و إطفاء لنور اللّه و هدما لأساس الاسلام و إغواء للمسلمين.

كالشيطان الذى أراد إضلال عابد بنى إسرائيل و إغواءه فتقرّب إليه من جهة البرّ و العبادة لما يئس من ساير العبادات فانطلق إلى منزله فأقام حذاءه يصلّى و كان العابد ينام و الشّيطان لا ينام، و هو يستريح و الشيطان لا يستريح، فتحوّل إليه العابد و قد تقاصرت إليه نفسه و استصغر عمله، فقال يا عبد اللّه بأىّ شىء قويت على هذه الصّلاة، فلم يجبه، ثمّ عاد إليه فلم يجبه، ثم عاد إليه فقال: إنّى أذنبت ذنبا و أنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت عليها، فاغترّ العابد المسكين بما أتى به من الصّلاة، فلم يجبه، ثمّ عاد إليه فلم يجبه، ثم عاد إليه فقال: إنّى أذنبت ذنبا و أنا تائب منه فاذا ذكرت الذّنب قويت عليها، فاغترّ العابد المسكين بما أتى به من الصّلاة على أن يأتى بفاحشة و يتوب منها فتوصّل بكثر صلاته إلى إضلاله.

و هكذا كان حال الاعرابى الجلف فمثله كما قال اللّه تعالى «وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ وَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخادِعُونَ اللّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ ما يَخْدَعُونَ إِلاّ أَنْفُسَهُمْ وَ ما يَشْعُرُونَ » - إلى قوله - «وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ اَللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِى طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ » هذا.

و قوله (رحل و تركهم فى طرق متشعّبة لا يهتدى فيها الضّال و لا يستيقن المهتدى) قال الشارح البحرانى: إنّ المراد رحيله إلى الاخرة تاركا للناس بعده فى طرق متشعّبة من الجهات لا يهتدى فيها من ضلّ عن سبيل اللّه، و لا يستيقن المهتدى فى سبيل اللّه انّه على سبيله، لاختلاف طرق الضّلال و كثرة المخالف له إليها.

ص:385

أقول: هذا ظاهر معنى الكلام و أمّا باطنه فهو أنّ الأعرابى الجلف رحل عن الدّنيا و ترک النّاس حيارى و أوقعهم بما أبدعه من سننه و سيره و بدعاته و حيله و مكايده و تمويهاته فى الفتنة و الضّلال و الخزى و النكال، لا سيّما ما قرّره من الشّورى و جعلها بين السّتة أوجب تفرّق النّاس عن الصّراط المستقيم أيادى سبا و أيدى سبا.

فمنهم من قد كان اشرب قلبه حبّ الشيخين و استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربّه فضلّ عن السّبيل المقيم و هوى أسفل درک الجحيم.

و منهم من كان طالبا للهداية إلاّ أنّه نظر إلى اختلاف طرق الضّلال و الهدى و كثرة السالكين إلى الأولى و قلّتها إلى الاخرى فبقى تائها متحيّرا بين السّبيلين فلم يتمكّن من تحصيل السّبيل و رفع الشک و التّحير من البين كما أشار إلى ذلک فى الخطبة الخمسين بقوله:

إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحكام تبتدع يخالف فيها كتاب اللّه و يتولّى عليها رجال رجالا على غير دين اللّه، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فهنالک يستولى الشيطان على أوليائه و ينجو الّذين سبقت لهم من اللّه الحسنى و الحاصل أنّ عمر بتلبيسه الحقّ بالباطل و الباطل بالحقّ و خلطه الصّالح بالسّيء و ايقاعه الاشتباه بينهما أوقع النّاس فى الشکّ و الضّلال خصوصا جعله أمير المؤمنين و باب علم النّبيين قرينا للخمسة الالواد، و ترشيحه كلاّ منهم بأهليّة الخلافة ألقى التفرقة بين الامّة و شقّ عصا الجماعة و اختلف بذلک الاراء و تشتّت الأهواء و تشعّب الطّرق و تفرّقت السبل.

و يدلّ على ذلک صريحا ما نقله العلامة الحلّى فى كتاب نهج الحقّ من كتاب العقد لابن عبد ربّه أنّ معاوية قال لابن أبى الحصين: أخبرنى ما الّذى شتّت أمر

المسـلمين و جمـاعتهم و فرّق ملأـهم و خالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان، قال: ما صـنعت شـيئا قال: فسـير عليّ عليه السّلام إليک قال ما صنعت شيئا قال: ما عندی غير هذا يا أمير المؤمنين فقال: فأنا اخبرک أنّه لم يشتّت بين المسلمين و لا فرّق أهواءهم الاّ الشّوری الّتی جعلها عمر فی ستّة.

ثمّ فسّر معاويـة ذلک فی آخر الحديث فقال: لم يكن من السـتّة رجل إلاّ رجاها لنفسه و رجاها لقومه و تطلّعت إلی ذلک أنفسـهم و لو أنّ عمر استخلف كما استخلف أبو بكر ما كان فی ذلک اختلاف، انتهی.

فقد تحصّل بما ذكرنا كلّه أنّ المراد بتركه لهم فی طرق متشعّبة اثارته الفتنة العامة بين المسلمين و الضلالة العمياء التی لم ينج منها أحد الاّ المخلصـين فانّ عباد اللّه المخلصـين ليس له سلطان عليهم كأخيه الشيطان اللعين و إنما سلطانه علی الذين يتولّونه و هم به مقتدون، و هو الهادی و أنّهم المهتدون، لعنه اللّه و من تبعه من الملعونين المردودين.

تنبيهان

اشارة

:

الاول

اعلم أنّ الشـارح المعتزلی قـد أطـال الكلام فی شـرح هـذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السّلام و ذكر من مناقب عمر علی زعمه و مثالبه و مطاعنه و الأخبار العامية الواردة فی شأنه و من سـيره و أخلاقه و كلماته فصـلا طويلا أورث الاطناب المملّ للناظرين حتی صار شـرح هذا الكلام مجلّدا منفردا من مجلّدات شرحه للنهج و هو المجلّد الثانی عشر منه.

و لما رأيت أنّ نقل ما أتی به و جرحه و الاعتراض عليه حسـبما جرت عليه عادتنا فی الشـرح يحتاج إلی مجلّد مسـتقلّ و بسط بسيط يشمئزّ منه الطباع و يملّ الأذهان طوينا عن التعرّض له كشحا و لكنّی أقول إجمالا:

أما سير عمر و أخلاقه و أطواره فالعمر أعزّ و أنفس من أن يصرف إلی ذكرها و يضيع فی بيان مثلها.

و أمّا مطاعنه و مثالبه فهى صحيحة لا ريب فيها و أجوبة قاضى القضاة عنها مندفعة بما اعترض به المرتضى عليها فى الشافى حسبما حكاه تفصيلا.

و أمّا مناقشة الشّارح فى بعض تلك الاعتراضات فقد رواها العلامة المجلسى «ره» فى مجلّد الفتن من البحار و لا حاجة لنا إلى نقلها و من أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى محالّه الّتى نبّهنا عليها.

و أمّا الأحاديث الّتى رواها فى فضل عمر موضوعة مجهولة مجعولة، و آثار الوضع عليها ظاهرة واضحة و قد مرّ الاشارة إلى بعضها فى شرح الكلام المأتين و التاسع نعم قد ذكر الشارح فى تضاعيف كلامه فى المقام أخبارا عاميّة صريحة فى حقيّة خلافة أمير المؤمنين عليه السّلام و بطلان خلافة غيره، و اتبعها بكلام طويل جرى بينه و بين النّقيب أبى جعفر و هو كلام لطيف كاشف عن سوءات عمر و فضايحه و عن كفره و نفاقه و كونه فى مقام الاعتراض على ما يقوله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المعارضة له و عن أنّ عمدة نظره فيما أسّسه و أتى به إنّما كانت إلى حبّ السلطنة و الرّياسة لا الاشفاق على الاسلام و الامّة كما يزعمه العامّة، فأحببت نقل هذا الكلام على طوله لأنّه من لسان من هواه مع عمر أثبت و أقوى و ألذّ و أحلى فأقول:

قال الشّارح بعد ما ذكر طائفة من الأخبار الدّالة على خلافة أمير المؤمنين ما هذا لفظه:

سألت النّقيب أبى «أباظ» جعفر يحيى بن محمّد بن أبى زيد و قد قرأت عليه هذه الأخبار فقلت له: ما أراها إلاّ تكاد تكون دالّة على النّص و لكنّى أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول اللّه على شخص بعينه كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبة و شهر رمضان و غيرهما من معالم الدّين.

فقال: أبيت إلاّ ميلا إلى المعتزلة.

ثمّ قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون إلى أنّها من معالم الدّين و انّها جارية مجرى العبادات الشرعية كالصّلاة و الصّوم و لكنّهم كانوا يجرونها مجرى الامور

الدّنيويّة مثل تأمير الأمراء و تدبير الحروب و سياسة الرّعية و ما كانوا بهذا الأمر و أمثال هذا من مخالفة نصوصه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا رأوا المصلحة فى غيرها ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبى بكر و عمر فى جيش اسامة و لم يخرجا لما رأيا أنّ فى مقامهما مصلحة للّه و له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و للملّة و حفظا للبيضة و دفعا للفتنة.

و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخالف و هو حىّ فى أمثال ذلک فلا ينكره و لا يرى به بأسا.

أ لست تعلم أنّه نزل فى غزوة بدر منزلا على أن يحارب قريشا فيه فخالفته الأنصار و قالت له: ليس الرأى فى نزولک هذا المنزل فاتركه و أنزل فى منزل كذا فرجع إلى آرائهم.

و هو الّذى قال للأنصار عام قدم إلى المدينة: لا توبروا النّخل، فعملوا على قوله فخاست نخلهم فى تلک السّنة و لم تثمر حتّى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنياكم و أنا أعرف بأمر دينكم و هو الذى أخذ الفداء من اسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر و خلص الاسارى و رجعوا إلى مكّة.

و هو الّذى أراد أن يصالح الأحزاب على ثلث تمر المدينة فرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة و خالفاه فرجع إلى قولهما.

و قد كان قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأبى هريرة: اخرج فناد فى الناس من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا بها قلبه دخل الجنّة، فأخبر أبو هريرة عمر بذلک فدفعه فى صدره حتى وقع على الأرض فقال: لا تقلها فانّک إن تقلها يتكلوا عليها و يدعوا العمل فأخبر أبو هريرة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذلک فقال: لا تقلها و خلّهم يعملون فرجع إلى قول عمر.

و قد أطبقت الصّحابة إطباقا واحدا على ترک كثير من النصوص لما رأوا المصلحة فى ذلک كاسقاطهم سهم ذوى القربى و إسقاطهم سهم المؤلفة قلوبهم و هذان الأمران أدخل فى باب الدّين منهما فى باب الدّنيا.

و قـد عملوا بـارائهم امورا لـم يكن لها ذكر فى السـنّة، كحـدّ الخمر فانهم عملوه اجتهادا و لـم يحـدّ رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم شاربى الخمر و قـد شـربها الجمّ الغفير فى زمانه بعـد نزول آية التحريم، و لقد كان أوصاهم فى مرضه أن اخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم حتّى مضى مدة من خلافة عمر و عملوا فى أيام أبى بكر برأيهم فى ذلک و استصلاحهم، و هم الّذين هدموا المسجد بمدينـة و حوّلوا المقام بمكّـة و عملوا بمقتضـى ما يغلب فى ظنونهم من المصـلحة و لـم يقفوا مع موارد النّص حتى اقتـدى بهم الفقهاء من بعد، فرجّح كثير منهم القياس على النص حتى استحالت الشريعة و صار أصحاب القياس أصحاب شريعة جديدة.

قال النقيب: و اكثر ما كانوا يعملون بارائهم فيما يجرى مجرى الولايات و التأمير و التـدمير و تقرير قواعد الدّولة و ما كانوا يقفون مع نصوص رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تدبيراته اذا رأوا المصلحة فى خلافها، كانهم يقيدون نصوصه المطلقة بقيد غير مذكور لفظا و لأنهم كانوا يفهمونه من قراين أحواله و تقدير ذلک القيد افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة.

فأما مخالفتهم فيما هو محض الشـرع و الـدّين و ليس بمتعلق بامور الـدّنيا، فانه يقل جدّا نحو أن يقول: الوضوء شـرط فى الصـلاة، فيجمعوا على ردّ ذلک و يجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: صوم شهر رمضان واجب، فيطبقوا على مخالفة ذلک و يجعلوه شوالا عوضا عنه، فانه بعيد إذ لا غرض لهم فيه و لا يقدرون على اظهار مصلحة عثروا عليها خفيت عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و القوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنّ العرب لا تطيع عليا، فبعضـها للحسد، و بعضـها للوتر و الثار، و بعضـها لاستحداثهم سنه عليه السّلام، و بعضها لاستطالته عليهم و رفعه عنهم، و بعضها كراهية اجتماع النبوة و الخلافة فى بيت واحد، و بعضها للخوف من شدة وطئه و شـدته فى دين اللّه، و بعضـها لرجاء تداول قبايل العرب الخلافة اذا لـم يقتصـر بها على بيت مخصوص عليه فيكون رجاء كل حىّ لوصولهم إليها ثابتا

مستمرّا، و بعضها يبغضه لبغضهم من قرابته لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هم المنافقون من النّاس و من فى قلبه زيغ من أمر النّبوة.

فأصفق الكلّ اصفاقا واحدا على صرف الأمر لغيره، فقال رؤساؤهم بانّا خفنا الفتنة و علمنا أنّ العرب لا تطيعه و تتركه و تأوّلوا عند أنفسهم النّص و قالوا إنّه النّص و لكن الحاضر يرى ما لا يرى الغايب و الغايب قد يترک لأجل المصلحة الكليّة.

و أعانهم إلى ذلک مسارعة الأنصار إلى ادّعائهم الأمر و إخراجهم سعد بن عبادة من بيته و هو مريض لينصبوه خليفة فيما زعموا، و اختلط النّاس و كثر الخبط و كادت الفتنة أن يضطرم نارها فوثب رؤساء المهاجرين و بايعوا ابا بكر و كانت فلتة كما قال قائلهم و زعموا أنّهم أطفئوا نائرة الأنصار.

فمن سكت من المسلمين و اغضى و لم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه، و من قال سرّا أو جهرا أو فلانا قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ذكره أو نصّ عليه أو أشار إليه أسكتوه فى الجواب بأنّا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة.

و اعتذروا عنده ببعض ما تقدّم، إما أنّه حديث السّن، أو تبغّضه للعرب لأنّه وترها و سفک دماءها، أو لأنّه صاحب زهو و تيه، أو كيف يجتمع الخلافة و النبوّة فى غرس واحد.

بل قد قالوا فى العذر ما هو أقوى منها و آكد قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه لا سيّما و عمر يعضده و يساعده و العرب يحبّ ابا بكر و يعجبها لينه و رفقه و هو شيخ مجرّب للأمور لا يحسده أحد و لا يحقد عليه أحد و لا يبغضه أحد، و ليس بذى شرف فى النسب فيشمخ على النّاس بشرفه، و لا ذى قربى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيدلّ بقربه و دع ذا كلّه فانّه فضل مستغنى عنه.

قالوا: لو نصبنا عليّا ارتدّ النّاس عن الاسلام و عادت الجاهليّة كما كانت فأيّما أصلح فى الدّين الوقوف مع النّص المفضى إلى ارتداد الخلق و رجوعهم إلى الأصنام و الجاهلية؟ أم العمل بمقتضى الأصلح و استبقاء الاسلام و استدامة العمل بالدّين و إن

كان فيه مخالفة النّص؟ قال: و سكت النّاس عن الانكار لأنّهم كانوا متفرّقين.

فمنهم من هو مبغض شانئ لعليّ فالذى ثمّ من صرف الأمر عنه قرّة عينه و برد فؤاده.

و منهم ذو الدّين و صحّة اليقين إلاّ أنّه لما رأى كبراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه ظنّ أنهم إنما فعلوا ذلک خلاف النصّ من رسول اللّه بنسخ ما قد كان سمعه من النصّ على أمير المؤمنين لا سيما ما رواه أبو بكر من قول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الأئمة من قريش، فانّ كثيرا من الناس توهموا أنه ما ينسخ النصّ الخاص و أنّ معنى الخبر أنكم مجازون فى نصب إمام من قريش من أىّ بطون قريش كان فانه يكون إماما.

و اكد أيضا فى نفوسهم رفض النصّ الخاصّ ما سمعوه من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما رواه «رءاه ظ» المسلمون حسنا فهو عند اللّه حسن، و قوله: سألت اللّه أن لا يجمع امتى على ضلال فأعطانيها فأحسنوا الظنّ بعاقدى البيعة و قالوا: هؤلاء أعرف بأغراض رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كلّ أحد فأمسكوا و كفّوا عن الانكار.

و منهم فرقة اخرى و هم أكثرون الأعراب و جفاة طغام أتباع كلّ ناعق يميلون مع كل ريح، فهؤلاء مقلّدون لا يسألون و لا ينكرون و لا يبحثون و هم مع امرائهم و ولاتهم لو أسقطوا عنهم الصّلاة الواجبة لتركوها.

فلذلک محق النصّ و خفى و درس و قويت كلمة العاقدين لبيعة أبى بكر.

و قواها زيادة على ذلک اشتغال عليّ و بنى هاشم برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اغلاق بابهم عليهم و تخليتهم الناس يعملون ما شاءوا و أحبّوا من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراک ذلک بعد ما فات، و هيهات الفايت لا رجعة له.

و أراد عليّ بعد ذلک نقض البيعة فلم يتم له ذلک، و كانت العرب لا ترى الغدر و لا ينقض البيعة صوابا كانت أو خطاء، و قد قالت له الأنصار و غيرها: أيها الرّجل لو دعوتنا

إلى نفسک قبل البيعة لما عدلنا بک أحدا و لكنا قد بايعنا فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها.

قال النّقيب: و ممّا جرء عمر على بيعة أبى بكر و العدول عن علىّ عليه السّلام مع ما كان يسمعه من الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى أمره أنه أنكر مرارا على رسول اللّه أمورا اعتمدها فلم ينكر عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنكاره بل رجع فى كثير منها إليه أشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته فأطمعه ذلک فى الاقدام على اعتماد كثير من الامور التى كان يرى فيها المصلحة ممّا هى خلاف النّص.

و ذلک نحو إنكاره الصّلاة على عبد اللّه بن ابىّ المنافق، و إنكاره فداء اسارى بدر، و إنكاره عليه تبرّج نسائه للنّاس، و إنكاره قضية الحديبية، و إنكاره أمان العباس لأبى سفيان بن حرب، و إنكاره واقعة أبى حذيفة بن عتبة، و إنكاره أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنداء من قال: لا إله إلا اللّه دخل الجنّة، و إنكاره أمره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذبح النّواضح، و إنكاره على النساء هيبتهنّ له دون رسول اللّه إلى غير ذلک من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث.

و لو لم يكن إلاّ إنكاره قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مرضه: ائتونى بدواة و كتب أكتب لكم ما لا تضلّون بعدى، و قوله ما قال و سكوت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنه و أعجب الأشياء أنّه قال ذلک اليوم: حسبنا كتاب اللّه، فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدّار فبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قد كثر اللغط و علت الأصوات: قوموا عنّى فما ينبغى لنبىّ أن يكون عنده هذا التّنازع.

فهل بقى للنبوّة مزيّة أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين و ميل المسلمين بينهما فرجّح قوم هذا و قوم هذا أفليس ذلک دالا على أنّ القوم سوّوا بينه و بين عمر و جعلوا القولين مسألة خلاف ذهب كلّ فريق منهم إلى نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الأحكام فينصر قوم هذا و ينصر ذاک آخرون

ص:393

فمن بلغت قوّته و همّته إلى هـذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصـلحة رآها و يعدل عن النّص و من الّذى ينكر عليه ذلک و هو فى القول الّـذى قاله للرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى وجهه غير خائف من الأنصار و لا أنكر عليه رسول اللّه و لا غيره و هو أشـدّ من مخالفة النّص فى الخلافة و أفظع و أشنع.

قال النّقيب: على أنّ الرّجل ما أهمل أمر نفسه بل أعدّ أعذارا و أجوبة.

و ذلک لأنّه قال لقوم عرضوا له الحـديث النّص أنّ رسول اللّه رجع عن ذلک باقامته ابا بكر فى الصّـلاة مقامه و أوهمهم أنّ ذلک جار مجرى النّص عليه بالخلافة، و قال يوم السّقيفة: أيّكم يطيب نفسا أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الصّلاة.

ثمّ أكّـد ذلـک بأن قال لأبى بكر و قـد عرض عليه البيعـة: أنت صاحب رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى المواطن كلّها شـدّتها و رخاتها، رضيک لديننا أفلا نرضاک لدنيانا.

ثمّ عاب عليّا بخطبة بنت أبى جهل فأوهم أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كرهه لذلک و وجد عليه و أرضاه عمرو بن العاص فروى حديثا افتعله و اختلقه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: سمعته يقول: إنّ آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنّما وليّى اللّه و صالح المؤمنين فجعلوا ذلک كالناسخ لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كنت مولاه فهذا مولاه.

قلت للنقيب: أيصحّ النّسخ فى مثل هذا أليس هذا نسـخا للشـىء قبل تقضّى وقته؟ فقال: سبحان اللّه من أين تعرف العرب هذا و أنّى لها أن يتصوّره فضـلا عن أن تحكم بعـدم جوازه فهل يفهم حـذاق الأصوليّين هـذه المسألة فضـلا عن حمقى العرب؟ هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة و يسـتمالون بأضعف سبب و يبنى الامور معهم على ظواهر النّصوص و أوائل الأدلّة و هم أصحاب جمل و تقليد لا أصحاب تفصيل و نظر.

قال: ثمّ أكّد حسن ظنّ النّاس بهم أن خلعوا أنفسهم عن الأموال و زهدوا فى

فی متاع الدّنیا و زخرفها و سلکوا مسلک الرّفض لزینتها و الرّغبة و القناعة بالتّطفیف النّزر منها و أکلوا الخشن و لبسوا الکرابیس.

و لمّا ألقت إلیهم أفلاذ کبدها وفّروا الأموال علی النّاس و قسّموها بینهم لم یتدنّسوا منها بقلیل و لا کثیر فمالت إلیهم القلوب و أحبّتهم النّفوس، و حسنت فیهم الظنّون و قال من کانت فی نفسه شبهة منهم أو وقفة فی أمرهم: لو کانت هؤلاء قد خالفوا النّص لهوی أنفسهم لکانوا أهل الدّنیا و بسط علیهم المیل إلیها و الرغبة فیها و الاستیثار بها، و کیف یجمعون علی أنفسهم بین مخالفة النصّ و ترک لذّات الدنیا و ماربها، فیخسروا الدّنیا و الاخرة، و هذا لا یفعله عاقل و ذو لباب و آراء صحیحة.

فلم یبق عند أحد شکّ فی أمرهم و لا ارتیاب لفعلهم و ثبت العقائد علی ولائهم و تصویب أفعالهم و نسو الذّة الرّیاسة و أن أصحاب الهمم العالیة لا یلتفتون إلی الماکل و المشرب و المنکح و إنّما یریدون الحکم و الریاسة و نفوذ الأمر کما قال الشاعر:

و قد رغبت عن لذّة المال أنفس و ما رغبت عن لذّة الأمر و النهی

قال: و الفرق بین الرّجلین و بین الثالث ما اصیب الثالث و قتل تلک القتلة و خلعه النّاس و حصروه و ضیّقوا علیه بعد أن توالی إنکارهم أفعاله فی وجهه و فسّقوه و ذلک لأنّه استأثر هو و أهله بالأموال و انغمسوا فیها و استبدّوا بها فکانت طریقته و طریقتهم مخالفة لطریقی الأوّلین، فلم تصبر العرب علی ذلک.

و لو کان عثمان سلک مسلک عمر فی الزّهد و جمع النّاس، و ردع الأمراء و الولاة عن الأهوال، و تجنب استعمال أهل بیته، و وفّر أعراض الدّنیا و ملاذها و شهواتها علی الناس زاهدا فیها تارکا لها معرضا عنها لما ضرّه شیء قطّ و لا أنکر علیه أحد قطّ و لو حوّل الصّلاة من الکعبة إلی بیت المقدس بل لو أسقط عن الناس إحدی الصلاة الخمس و اقتنع منهم بأربع.

و ذلک لأنّ همم الناس مصروفة إلی الدّنیا و الأموال فاذا وجدوها سکتوا و إذا نفدوها هاجوا و اضطربوا.

أ لست ترى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم كيف قسّم قسايم هو اذن على المنافقين و على أعـدائه الّذين يتمنّون قتله و موته و زوال دولته فلمّا اعطوه أحبّوه إمّا كلّهم أو أكثرهم، و من لم يحبّه منهم بقلبه جاهله و داره و كفّ عن إظهار عداوته و الاجلاب عليه.

و لو أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام صانع أصـحابه بالمال و إعطاء الوجوه و الرّؤساء لكان أمره إلى الانتظام أقرب، و لكنّه رفض جانب التّدبير الذى بنوا و آثر لزوم الدّين و تمسّک بأحكام الشّريعة، و الملک أمر آخر غير الدّين فاضطرب عليه أصحابه و هرب كثير منهم إلى عدوّه.

قـال الشّارح المعتزلى: و قـد ذكرت فى هـذا الفصل خلاصـة ما حفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن إماميّ المـذهب و لا كان يبرء من السّلف و لا يرتضى قول المسرفين من الشّيعة، و لكنّه كلام أجراه على لسانه البحث و الجدل بينى و بينه على أنّ العلوى لو كان كراميّا لابدّ أن يكون عنده نوع من تعصّب و ميل على الصحابة و إن قلّ، انتهى.

و أقول: للّه درّ النقيب فلقـد أجاد فيما أفاد و جانب العصبية و العناد و أبان عن مخّ ما يقوله الفرقة الحقّة الامامية و تذهب إليه و تدين به ببيان ليس فوقه بيان، و قـد اتّضـح بما ذكره كلّ الوضوح أنّ عمر كان دائما فى مقام المعارضة لرسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم و الطعن و الازراء عليه و الرّد لأقواله و أفعاله فى حياته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و بعد موته، و أنه أنكر النصّ على خلافة أمير المؤمنين عليه السّلام و أوّله بتأويلات سـخيفة بأحاديثه المختلقة المجعولة و معاذيره الباطلة، كما اتّضح أنّ نكتة زهده فى الدّنيا إنما كانت حبّ الملک و الرّياسة و نفوذ الأمر لا الزّهد الحقيقى الذى أوهمه للناس و ظنه فى حقّه الهمج الرّعاء، فويل له ثمّ ويل له من ديّان يوم الدّين، و لعنة اللّه على جميع الظالمين و الغاصبين لحقّ آل محمّد سلام اللّه عليهم أجمعين.

ص:396

التنبيه الثانى

قد ظهر لک بما حققناه و اتّضح لک کلّ الوضوح أن هذا الکلام الذی نحن فی شـرحه إن کان نظره علیه السّلام فیه إلی عمر فلیس هو ثنإله کما توهّمه الشارح المعتزلی و غیره، و إن کان إشارة إلی أبی بکر کما زعمه الشارح البحرانی فلا یکون ثناء له أیضا.

و أقول تأکیـدا لهذا المعنی: کیف یمکن أن یمدحهما أمیر المؤمنین مع ما صدر عنهما من الالحاد و الارتداد و الشّقاق و النّفاق و المحادّة للّه عزّ و جلّ و لرسوله صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و لأولیائه علیهم السّلام و اتیانه من الکبائر و الجرائر العظیمة الّتی لا یحصیها الألسنة و الأفواه و لا یحیط بها الدّفاتر و الأقلام و قد أفصح عنها أئمّتنا الأطهار فی أخبارهم و صرّح بها علماؤنا الأبرار فی زبرهم و آثارهم.

و أوّل من أبدی سوآتهما بعد اللّه و بعد رسوله هو أمیر المؤمنین علیه السّلام فاحتذی حذوه ذرّیته البررة و شـیعته الطیّبة و سـلکوا مسلکه و کلماته المتضمّنة للعنهما و الطّعن و القدح و الازراء علیهما و التّظلم و الشکوی منهما فی النّهج و غیره کثیرة جدّا.

و أکثرها احتواء لذلک دعاؤه المعروف بدعاء صـنمی قریش الّذی کان یواظب علیه السّلام علیه فی قنوته و ساير أوقاته، و قد رواه غیر واحد من أصـحابنا قدّس اللّه أرواحهم فی مؤلّفاتهم، و أحببت نقله هنا لکونه أنقض لظهر النّاصبین و أرغم أنف المعاندین و أبطل لزعم من توهّم ثناء أمیر المؤمنین لهذین الذین لا حریجة لهما فی الدّین.

فأقول و باللّه التوفیق:

فی کتاب البلد الأمین و جنّة الأمان الواقیة المشتهر بالمصباح للشّیخ العالم الفاضل الکامل إبراهیم بن علی بن الحسن بن محمّد الکفعمی رضـی اللّه عنه إنّ هذا الدّعاء رفیع الشّأن عظیم المنزلة، و رواه عبد اللّه بن عبّاس عن علیّ علیه السّلام أنّه کان یقنت به و قال: إنّ الدّاعی به کالرّامی مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی بدر و احد و حنین بألف ألف سهم و هو:

اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و العن صنمی قریش وجبتیها و طاغوتیها و افکیها و ابنتیها اللّذین خالفا أمرک، و أنکرا وحیک و جحدا أنعامک، و عصیا رسولک، و قلّبا دینک، و حرّفا کتابک، و عطلا أحکامک، و أبطلا فرائضک، و ألحدا فی آیاتک و عادیا أولیاءک، و والیا أعداءک، و خرّبا بلادک، و أفسدا عبادک.

اللّهمّ العنهما و اتباعهما و أولیاءهما و أشیاعهما و محبّیهما فقد أخربا بیت النبوّة و ردما بابه و نقضا سقفه، و ألحقا سماءه بأرضه و عالیه بسافله، و ظاهره بباطنه، و استأصلا أهله، و أبادا أنصاره، و قتلا أطفاله، و أخلیا منبره من وصیّه، و داریا علمه، و جحدا إمامته، و أشرکا بربّهما، فعظّم ذنبهما، و خلّدهما فی سقر، و ما أدریک ما سقر لا تبقی و لا تذر.

اللّهمّ العنهم بعدد کلّ منکر أتوه، و حقّ أخفوه، و منبر علوه، و مؤمن ارجوه، و منافق ولوه، و ولیّ آذوه، و طرید آووه، و صادق طردوه، و کافر نصروه و إمام قهروه، و فرض غیّروه، و أثر أنکروه، و شرّ آثروه، و دم أراقوه، و خبر بدّلوه، و کفر نصبوه، و إرث غصبوه، و فیء اقتطعوه، و سحت أکلوه، و خمس استحلّوه، و باطل أسّسوه، و جور بسطوه، و نفاق أسرّوه، و غدر أضمروه، و ظلم نشروه، و وعد أخلفوه، و أمان خانوه، و عهد نقضوه، و حلال حرّموه، و حرام أحلّوه، و بطن فتقوه، و جنین أسقطوه، و ضلع دّقوه، و صکّ مزقوه، و شمل بدّدوه و عزیز أذلّوه، و ذلیل أعزّوه، و حقّ منعوه، و کذب دلّسوه، و حکم قلّبوه، و إمام خالفوه.

اللّهمّ العنهم بکلّ آیة حرّفوها، و فریضة ترکوها، و سنّة غیّروها، و رسوم منعوها، و أحکام عطّلوها، و بیعة نکثوها، و دعوی أبطلوها، و بینة أنکروها، و حیلة أحدثوها، و خیانة أوردوها، و عقبة ارتقوها، و دباب دحرجوها، و ازیاف لزموها، و شهادات کتموها، و وصیّة ضیّعوها اللّهمّ العنهما فی کمون السرّ و ظاهر العلانیة لعنا کثیرا أبدا دائما دائبا

ص:398

سرمدا لا انقطاع لأمده، و لا نفاد لعدده، لعنا يغدو أوّله و لا يروح آخره، لهم و لأعوانهم و أنصارهم و محبّيهم و مواليهم و المسلمين لهم و المائلين إليهم و النّاهضين باحتجاجهم و المقتدين بكلامهم و المصدّقين بأحكامهم.

ثمّ قل أربع مرّات:

اللّهمّ عذّبهم عذابا يستغيث منه أهل النّار آمين ربّ العالمين.

بيان

قال الشّيخ عند نقله هذا الدّعاء من غوامض الأسرار و كرايم الأذكار و كان أمير المؤمنين عليه السّلام مواظبا عليه فى ليله و نهاره و أوقات أسحاره.

قال شارح هذا الدّعاء الشيخ العالم أبو السّعادات أسعد بن عبد القادر فى كتابه رشح البلاء فى شرح هذا الدّعاء: «الصّنمان» الملعونان هما الفحشاء و المنكر و إنّما شبّههما بالجبت و الطّاغوت لوجهين: إمّا لكون المنافقين يتبعونهما فى الأوامر و النواهى الغير المشروعة كما اتّبع الكفّار هذين الصّنمين، و إمّا لكون البراءة منهما واجبة لقوله تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَکَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى ».

و قوله «الّذين خالفا أمرک» إشارة إلى قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ » فخالفا اللّه و رسوله فى وصيّه بعد ما سمعا من النّص عليه ما لا يحتمله هذا المكان، و منعاه من حقّه فضلّوا و أضلّوا و هلكوا و أهلكوا و «إنكارهما الوحى» إشارة إلى قوله تعالى «بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ » و «جحودهما الانعام» إشارة إلى أنّه تعالى بعث محمّدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رحمة للعالمين ليتّبعوا أوامره و يجتنبوا نواهيه، فاذا أبوا أحكامه و ردّوا كلمته فقد جحدوا نعمته

و كانوا كما قال سبحانه «كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَ فَرِيقاً يَقْتُلُونَ ».

و أمّا «عصيانهما الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» فلقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا عليّ من أطاعک فقد أطاعنى و من عصاک فقد عصانى، و أمّا «قلبهما الدّين» فهو إشارة إلى ما غيّراه من دين اللّه كتحريم عمر المتعتين و غير ذلک ممّا لا يحتمله هذا المكان.

و قوله «و حرّفا كتابک» يريد به حمل الكتاب على خلاف مراد الشّرع و ترک أوامره و نواهيه، «و محبتهما الأعداء» إشارة إلى الشجرة الملعونة بنى اميّة و محبّتهما لهم حتّى عهدا لهم أمر الخلافة من بعدهما، و جحدهما الالاء كجحدهما النّعماء و قد مرّ ذكره، و «تعطيلهما الأحكام» يعلم ممّا تقدّم و يأتى و كذا إبطال الفرائض.

و «الالحاد فى الدّين» الميل عنه و «معاداتهما الأولياء» إشارة إلى قوله تعالى «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ » - الاية، و «تخريبهما البلاد و إفسادهما العباد» بما هدموا من قواعد الدّين و تغييرهم أحكام الشّريعة و أحكام القرآن و تقديم المفضول على الأفضل.

و قوله «فقد أخربا بيت النّبوة» إشارة إلى ما فعله الأوّل و الثّانى مع عليّ و فاطمة من الايذاء و أرادا إحراق بيت عليّ بالنار و قادوه قهرا كالجمل المخشوش و ضغطا فاطمة فى بابها حتّى اسقطت بمحسن و أمرت أن تدفن ليلا لئلاّ يحضر الأوّل و الثانى جنازتها و غير ذلک من المناكير.

و عن الباقر عليه السّلام ما اهرقت محجمة دم إلاّ و كان وزرها فى أعناقهما إلى يوم القيامة من غير أن ينتقص من وزر العالمين شىء، و سئل زيد بن عليّ بن الحسين و قد أصابه سهم فى جبينه: من رماک به؟ قال: هما رميانى هما ضلانى.

و أمّا «المنكرات التى أتوها» فكثيرة جدّا و غير محصورة عدّا حتى روى

أنّ عمر قضى فى الجدّة بسبعين قضيّة غير مشروعة، و قد ذكر العلاّمة قدّس اللّه سرّه فى كتاب كشف الحقّ و نهج الصّدق فمن أراد الاطلاع على جملة من مناكرهم و ما صدر من الموبقات من أوّلهم إلى آخرهم فعليه بالكتاب المذكور و كذا كتاب الاستغاثة فى بدع الثلاثة، و كذا كتاب مطالب العواصب فى مثالب النّواصب، و كتاب الفاضح و كتاب صراط المستقيم و غير ذلک ممّا لا يحتمل المكان ذكر الكتب فضلا عما فيها.

و «الحقّ المخفى» إشارة إلى فضايل علىّ عليه السّلام و ما نصّ عليه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الغدير و كحديث الطّاير و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لأعطينّ الرّاية غدا الحديث و حديث السّطل و المنديل و هوى النّجم فى داره و نزول هل أتى فيه و غير ذلک مما لا يتسع لذكره هذا الكتاب.

و «ارجاؤهم المؤمن» إشارة إلى أصحاب علىّ عليه السّلام كسلمان و مقداد و عمّار و أبى ذر، و الارجاء التأخير و منه قوله تعالى «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ » مع أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقدم هؤلاء و أشباههم على غيرهم.

و «توليتهم المنافق» إشارة إلى معاوية و عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة و الوليد بن عقبة و عبد اللّه بن أبى سرح و النعمان بن بشير، و «ايذاؤهم الولىّ» يعنى عليا عليه السّلام و «ايواؤهم الطريد» هو الحكم بن أبى العاص طرده النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلما تولّى عثمان آواه، و «طردهم الصادق» إشارة إلى أبى ذر و طرده عثمان إلى الرّبذة و قد قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقه: ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء الحديث و «نصرهم الكافر» إشارة إلى كلّ من خذل عليا و حادّ اللّه سبحانه و رسوله و هو سبحانه يقول «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ » الاية و «الامام المقهور» منهم يعنى نفسه عليه السّلام.

قوله عليه السّلام: «و فرض غيّروه» تغييرهم الفرض اشارة إلى ما روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه رأى ليلة الاسرى مكتوبا على ورقة من آس: أنى افترضت محبة علىّ على امتک فغيّروا فرضه و مهّدوا لمن بغّضه و سبّه حتى سبّوه على منابرهم ألف شهر.

و «الاثر الذى أنكروه» إشارة إلى استيثار النبىّ عليّا من بين أفاضل أقاربه و جعله أخا و وصيا و قال له أنت منّى بمنزلة هارون من موسى أو غير ذلک، ثمّ بعد

ذلک کلّه أنکروه.

و «الشـرّ الذی آثروه» هو ایثارهم الغیر علیهم و هو ایثار شـرّ مجهول متروک علی خیر مأخوذ و معلوم هذا مثل قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: علیّ خیر البشر من أبی فقد کفر.

و «الدّم المهراق» هو جمیع ما قتل من العلویّین لأنّهم أسّسوا ذلک کما ذکرنا من قبل من کلام الباقر علیه السّلام ما اهرقت محجمة دم آه حتّی قیل: اریتکم إنّ الحسین اصیب فی یوم السّقیفة.

و «الخبر المبدّل» منهم عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کثیر کقولهم: أبو بکر و عمر سیّدا کهول أهل الجنّة و غیر ذلک ممّا هو مذکور فی مظـانّه، و «الکفر المنصوب» هو أنّ النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم نصب علیـا علما للناس و هادیا فنصـبوا کافرا و فاجرا، و «الارث المغصوب» هو فـدک فاطمة و إرثها من أبیها، و کذا «الفیء المقتطع» هو فدک و «السّحت المأکول» هی التصـرفات الفاسدة فی بیت مال المسلمین، و کذا ما حصلوه من ارتفاع فدک من التمر و الشعیر فانها کانت سحتا محضا.

و «الخمس المستحلّ» هو الذی جعله سبحانه لال محمّد فمنعهم إیاه و استحلّوه حتی اعطی عثمان مروان بن الحکم خمس إفریقیة و کان خمسمائة ألف دینار بغیا و جورا، و «الباطل المؤسّس» هی الأحکام الباطلة التی أسّسوها و جعلوها قدوة لمن بعدهم و «الجور المبسوط» هو بعض جورهم الذی مرّ ذکره.

و «النفاق الذی أسـرّوه» هو قولهم فی أنفسـهم لما نصب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیا علما للخلافة قالوا: و اللّه لا نرضی أن یکون النبوّة و الخلافة فی بیت واحد، فلما توفّی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أظهروا ما أسّروه من النفاق، و لهذا قال علیّ علیه السّلام: و الذی فلق الحبّة و برء النسمة ما أسلموا و لکن استسلموا أسرّوا الکفر فلما رأوا أعوانا علیه أظهروه.

و أما «الغـدر المضـمر» فهو ما ذکرناه من اسـرارهم النفاق، و «الظلم المنشور» کثیر أوّله أخـذهم الخلافـة منه علیه السّلام بعد فوت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم «و الوعد المخلف» هو ما وعدوا النبیّ صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم من قبولهم ولایة علیّ و الایتمام به فنکثوه و «الأمان الذی خانوه»

هو ولايـة عليّ فى قوله تعالى: إنّا عرضـنا الأمانـة على السـموات و الأرض الاية، و الانسان فيها هم لعنهم اللّه، و «العهد المنقوض» هو ما عاهـدهم به النبيّ صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم يوم الغـدير على محبـة عليّ و ولايته فنقضوا ذلک و «الحلال المحرّم» كتحريم المتعتين، و عكسه كتحليل الفقاع و غير ذلک.

و «البطن المفتوق» بطن عمار بن ياسـر ضـربه عثمان على بطنه فأصابه الفتق و «الجنين المسـقط» هو محسن و «الضلع المدقوق و الصكّ الممزوق» إشارة إلى ما فعلاه مع فاطمة عليهما السّلام من مزق صكّها و دقّ ضلعها، و «الشمل المبدّد» هو تشتيت شمل أهل البيت و كذا شتتوا بين التأويل و التنزيل و بين الثقلين الأكبر و الأصغر.

و «إعزاز الـذّليل» و عكسه معاويـة و كذا الحقّ الممنوع قد تقدّم ما يدلّ عليه و «الكذب المدلّس» مرّ معناه فى قوله: و خبر بدّلوه و «الحكم المقلّب» مرّ معناه فى أوّل الدّعاء فى قوله عليه السّلام و قلّبا دينک.

و «الاية المحرّفة» مرّ معناه فى قوله: و حرّفا كتابک «و الفريضة المتروكة» هى موالاة أهل البيت لقوله تعالى: «قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى » و «السـنّة المغيرة» كثيرة لا ـ تحصـى و «الرّسوم الممنوعـة» هى الفىء و الخمس و نحو ذلک و «تعطيل الأحكام» يعلم ممّا تقـدّم، و «البيعـة المنكوثـة» هى نكثهم بيعته كما فعل طلحـة و الزّبير و «الـدّعوى المبطلة» إشارة إلى دعوى الخلافة و فدک، و «البينة المنكرة» هى شهادة عليّ و الحسنين عليهم السّلام و أمّ أيمن لفاطمة فلم يقبلوها.

و «الحيلة المحدثة» هى اتّفاقهم أن يشهدوا على عليّ بكبيرة توجب الحدّ إن لم يبايع.

قوله «و خيانـة أوردوها» إشارة إلى يوم السّقيفة لما احتجّ الأنصار على أبى بكر بفضايل، عليّ عليه السّلام و أنّه أولى بالخلافة فقال أبو بكر: صدقتم ذلک

و لكنّه نسخ بغيره لأنّى سمعت النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إنّا أهل بيت أكرمنا اللّه بالنبوّة و لم يرض لنا الدّنيا و إنّ اللّه تعالى لا يجمع لنا بين النبوّة و الخلافة و صدّقه عمر و أبو عبيدة و سالم مولى حذيفة على ذلک و زعموا أنّهم سمعوا هذا الحديث من النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كذبا و زورا فشبهوا على الأنصار و الامّة و النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: من كذب علىّ متعمّدا فليتبوّء مقعده من النّار.

و قوله «و عقبة ارتقوها» إشارة إلى أصحاب العقبة و هم أبو بكر و عمر و عثمان و طلحة و الزّبير و أبو سفيان و عتبة بن أبى سفيان و أبو الأعور السّلمى و المغيرة بن شعبة و سعد بن أبى وقاص و أبو قتادة و عمرو بن العاص و أبو موسى الأشعرى لعنهم اللّه جميعا اجتمعوا فى غزوة تبوک على كؤد لا يمكن أن يجتاز عليها إلاّ فرد رجل أو فرد جمل، و كان تحتها هوّة على مقدار ألف رمح من تعدّى عن المجرى هلک من وقوعه فيها، و تلک الغزوة كانت فى أيام الصّيف و العسكر تقطع المسافة ليلا فرارا من الحرّ فلمّا وصلوا إلى تلک العقبة أخذوا دبابا كانوا هيّئوها من جلد حمار و وضعوا فيها حصى و طرحوها بين يدى ناقة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لينفروها به فتلقاه فى تلک الهوّة فيهلک فنزل جبرئيل على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذه الاية: يحلفون باللّه ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد إسلامهم و همّوا بما لم ينالوا، الاية و أخبره صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمكيدة القوم فأظهر اللّه تعالى برقا مستطيلا دائما حتى نظر النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى القوم فعرفهم.

و إلى هذه الدّباب التى ذكرناها أشار بقوله «و دباب دحرجوها» و سبب فعلهم هذا مع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كثرة نصّه على علىّ عليه السّلام بالولاية و الامامة و الخلافة و كانوا من قبل نصّه أيضا يسبونه لأنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سلّطه على كلّ من عصاه من طوايف العرب فقتل مقاتليهم و سبى ذراريهم فما من بيت إلاّ و فى قلبه(1) فانتهزوا فى هذه الغزوة الفرصة و قالوا إذا هلک محمّد رجعنا إلى المدينة و نرى رأينا فى هذا الأمر من بعده، و كتبوا بينهم كتابا فعصم اللّه نبيّه منهم و كان من فضيحتهم ما ذكرناه.

1- (1) - الظاهر سقوط شىء من هنا. المصحح.

و قوله «و أزياف لزموها» الأزياف جمع زيف و هو الدّرهم الرديّ غير المسكوك الّذى لا ينتفع به أحد شبّه أفعالهم الرديّة بالدّرهم الزيف الذى لا يظهر فى البقاع و لا يشترى به متاع فلأفعالهم الفظيعة و أقوالهم الشّنيعة ذكرهم اللّه تعالى فى قوله و الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، الاية و «الشهادات المكتومة» هى ما كتموا من فضايله و مناقبه الذى ذكره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى كثيرة جدّا و غير محصورة عدّا و «الوصيّة المضيعة» هى قول النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أوصيكم بأهل بيتى خيرا و أمرهم بالتمسک بالثقلين و أنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و أمثال ذلک، انتهى كلامه رفع اللّه مقامه.

اقول: و قد كان الشارح ذكر شرح فقرات الدّعاء بلا مراعاة الترتيب بينها فأوردته على ترتيب تسهيلا للأمر بلا تغيير و تبديل فيما أتاه، هذا.

و قال المحدّث العلاّمة المجلسى فى قوله: و أزياف لزموها، فى بعض النسخ بالراء المهملة جمع ريف بالكسر و هى أرض فيها زرع و خصب و السعة فى المأكل و المشرب و ما قارب الماء من أرض العرب أو حيث الماء و الخضر و الزّرع و لا يخفى مناسبة الكلّ.

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست مى فرمايد:

خدا راست شهرهاى فلان شخص - بقول بعض شارحين مراد از اين عمر بن الخطاب است، و بقول بعضى غير اوست - پس بتحقيق كه راست گردانيد كجى را و مداوا نمود مرض را، و برپا داشت سنّت را، و باز پس انداخت فتنه را، رفت بزير خاک در حالتى كه پاک لباس بود و كم عيب، رسيد بخير خلافت، و سبقت نمود بشرّ خلافت، ادا كرد بسوى خداى تعالى طاعت و عبادت او را، و پرهيز كرد از او با

أدا کردن حقّ او، و رحلت نمود از دنیا و واگذاشت مردمان را در طرق مختلفه و راههای متفرّقه که هدایت نمی یابد در آنها شـخص گمراه، و یقین تحصیل نمی تواند بکند شخص طالب هدایت.

شارح گویـد: اگر نظر إمام علیه السّلام در این کلام بعمر باشـد و لفظ فلان کنایه از او باشد چنانچه بعض شـرّاح همچنین فهمیده اند باید بتوریة حمل نمود چنانچه عادت أئمه علیهم السّلام در کلماتی که در حقّ خلفای جور وارد شده بر این جاریست.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان و السابع و العشرون من المختار فی باب الخطب

اشارة

فی وصف بیعته علیه السّلام بالخلافة و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفة و بسـطتم یدی فکففتها، و مددتموها فقبضتها، ثمّ تداککتم علیّ تداکّ الابل الهیم علی حیاضها یوم وردها، حتی انقطعت النّعل، و سقطت الرّداء، و وطئ الضّعیف، و بلغ من سرور النّاس ببیعتهم إیّای أن ابتهج بها الصّغیر، و هدج إلیها الکبیر، و تحامل نحوها العلیل، و حسرت إلیها الکعاب.

اللغة

(التّداکّ) الازدحام الشدید مأخوذ من الدّک و هو الدّق و (الهیم) بالکسر

ص:406

العطاش و (الورد) بالكسر الشّرب أو الاشراف على الماء دخله أو لم يدخله، و فى بعض النّسخ يوم ورودها و (هدج) يهدج من باب ضرب مشى مشيا ضعيفا مرتعشا قال الفيروز آبادى: الهدجان محرّكة و كغراب مشية الشّيخ و (تحامل) فى الأمر تكلّفه على مشقّة و (حسرت) أى كشفت عن وجهها و فى نسخة الشّارح البحرانى و حسرت عن ساقها الكعاب و (كعب) الجارية تكعب من باب ضرب و قعد كعوبا نهد ثديها، و جارية كعاب وزان سحاب النّاهدة الثدى و الجمع كواعب قال تعالى «وَ كَواعِبَ أَتْراباً ».

الاعراب

فاعل بلغ محذوف و قوله: أن ابتهج أن مصدريّة و مدخولها فى تأويل المصدر و محلّ النّصب بنزع الخافض، و مفعول حسرت محذوف بقرينة الكلام و قوله: اليها متعلّق بقوله حسرت على تضمين معنى الشوق و الرّغبة.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما قال الرّضىّ وارد (فى وصف بيعته عليه السّلام بالخلافة و قد تقدّم مثله بألفاظ مختلفة) الظاهر أنّ مراده بما تقدّم ما مرّ فى الكلام المأة و السّابع و الثّلاثين من قوله: قبضت يدى فبسطتموها و نازعتكم يدى فجاذبتموها، و يحتمل أن يكون مراده به ما مرّ فى الخطبة الثالثة و الخمسين من قوله: فتداكّوا علىّ تداكّ الابل الهيم يوم ورودها، و لم يتقدّم فى الكتاب ما يشبه ألفاظ هذا الكلام غير هذين.

نعم تقدّم منّا فى شرح الخطبة السّادسة و العشرين رواية طويلة عن كتاب الغارات لابراهيم الثّقفى و الأشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطا منها لكنّها مختلفة الألفاظ جدّا كما يظهر بالرّجوع إلى ما تقدّم.

و كيف كان فهذا الكلام منه عليه السّلام وارد مورد الاحتجاج على النّاكثين لبيعته

و محصّله أنّكم قد كنتم على غاية الحرص و الميل إلى بيعتى مع إباء منّى فمن كان هذا حاله فكيف ينكث و أشار إلى مزيد حرصهم عليها بقوله (و بسطتم يدى فكففتها) شوقا منكم إلى البيعة و تمانعا منّى (و مددتموها فقبضتها) رغبة منكم إليها و استنكافا منّى(ثمّ تداككتم علىّ تداكّ الابل الهيم على حياضها يوم وردها)و هو من تشبيه المحسوس بالمحسوس أى ازدحمتم ازدحاما شديدا يدكّ بعضكم بعضا كما يدكّ الابل العطاش بعضها لبعض على الحياض عند شربها و وجه الشبه مزيد الازدحام.

قال الشّارح البحرانى: و يمكن أن يلاحظ فى وجه الشبه كون ما عنده من الفضايل الجمّة العلميّة و العملية تشبه الماء و كون المزدحمين عليه فى حاجتهم و تعطّشهم إلى استفادة تلك الفضايل النّافعة لعلّتهم كالعطاش من الابل يوم ورودها انتهى، و الأوّل أظهر و أشبه (1).

أقول: و فى تخصيص الصغير و الكبير و العليل و الكعاب بالذّكر زيادة توكيد و تقرير للغرض المسوق له الكلام، فانّ من شأن الصّغير على ماله من عدم التميز عدم الالتفات و التّوجه إلى كثير من الامور، و من شأن الكبير على ما به من ضعف الكبر عدم المشى إليها، و كذلك المريض على ما فيه من ثقل المرض و من شأن الكعاب الاستحياء عن كشف وجهها لا سيّما فى منتدى الرّجال و بين ملاء النّاس فسرور الأوّل بالبيعة و سعى الثّانيين إليها بالتكلّف و المشقّة، و حسر الرابعة إليها كاشف عن فرط رغبة العامّة و حرصهم عليها فالبيعة الواقعة على هذا الوجه ليس لأحد أن يتخلّف أو ينكث عنه.

كما أشار عليه السّلام إلى ذلک فى كلامه الذى رواه فى الارشاد عن الشعبى قال:

لمّا اعتزل سعد بن أبى وقاص و عبد اللّه بن عمر و محمّد بن سلمة و حسّان بن ثابت و اسامة بن زيد أمير المؤمنين و توقفوا عن بيعته حمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

أيّها النّاس إنّكم بايعتمونى على ما بويع عليه من كان قبلى، و انّما الخيار

1- (1) - الظاهر سقوط شىء كثير من هنا. المصحح.

للنّاس قبل أن يبايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم، و إنّ على الامام الاستقامة و على الرّعيّة التسليم، و هذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الاسلام و اتّبع غير سبيل أهله و لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة، الحديث، هذا و قد تقدّم تفصيل كيفيّة بيعته عليه السّلام فى شرح الكلام الواحد و التّسعين فليراجع ثمة.

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن حضرتست در تعريف بيعت كردن خلق باو بخلافت مى فرمايد:

و گشاديد دست مرا بجهت بيعت پس نگاه داشتم من آنرا، و كشانديد آنرا بسوى خودتان پس بر چيدم من آن را، بعد از آن ازدحام كرديد بر من مثل ازدحام نمودن شتران عطشان بر سر حوضهاى خود وقت آب خوردن آنها تا اين كه گسيخت بند كفشهاى من و از دوش افتاد عباى من و زير پا ماند ضعيفان و رسيد كار از شدّت شادى مردمان به بيعت من بمقامى كه خوشنود شد بان بيعت بچّها، و مشى مرتعشانه نمود بسوى آن پيرها، و مشى نمود با مشقّت و زحمت بطرف آن مريض ها، و نقاب از رو برداشت بجهت زيادى ميل و رغبت بان دختران نارپستان، و اللّه أعلم بالصواب

و من خطبة له عليه السّلام و هى المأتان و الثامنة و العشرون من المختار فى باب الخطب

اشارة

فانّ تقوى اللّه مفتاح سداد، و ذخيرة معاد، و عتق من كلّ

ص:409

ملكـة، و نجاة من كلّ هلكـة، بها ينجـح الطّالب، و ينجو الهارب و تنال الرّغائب، فاعملوا و العمل يرفع، و التّوبـة تنفع، و الدّعاء يسـمع، و الحال هادئـة، و الاقلام جارية، و بادروا بالأعمال عمرا ناكسا و مرضا حابسا، أو موتا خالسا، فإنّ الموت هادم لذّاتكم، و مكدّر شـهواتكم، و مباعـد طيّـاتكم، زائر غير محبـوب، و قرن غير مغلوب، و واتر غير مطلوب. قـد أعلقتكم حبـائله، و تكنّفتكم غوائله، و أقصـدتكم معـابله، و عظمت فيكم سـطوته، و تتابعت عليكم عـدوته، و قلّت عنكم نبوته فيوشك أن تغشـيكم دواجى ظلله، و احتـدام علله، و حنادس غمراته، و غواشـى سـكراته، و أليم إرهاقه، و دجّو أطباقه، و جشوبـة مذاقه، فكأن قد أتاكم بغتة فأسـكت نجيّكم، و فرّق نديّكم، و عفّى آثاركم، و عطّل ديـاركم، و بعث ورّاثكم، يقتسـمون تراثكم بين حميم خاصّ لم ينفع، و قريب محزون لم يمنع، و آخر شامت لم يجزع. فعليكم بالجـدّ و الاجتهاد و التّأهّب و الاستعداد و التّزوّد فى منزل الزّاد، و لا تغرّنّكم الحياة الدّنيا كما غرّت من كان قبلكم من الامم

ص:410

الماضية و القرون الخالية الّذين احتلبوا درّتها، و أصابوا غرّتها، و أفنوا عدّتها و أخلقوا جدّتها، أصبحت مساكنهم أجداثا، و أموالهم ميراثا، لا يعرفون من أتاهم، و لا يحفلون من بكاهم، و لا يجيبون من دعاهم، فاحذروا الدّنيا(1) فإنّها غدّارة غرّارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، لا يدوم رخائها، و لا ينقضى عنائها، و لا يركد بلائها. منها فى صفة الزهاد كانوا قوما من أهل الدّنيا و ليسوا من أهلها، فكانوا فيها كمن ليس منها، عملوا فيها بما يبصرون، و بادروا فيها ما يحذرون، تقلّب أبدانهم بين ظهرانى أهل الاخرة، يرون أهل الدّنيا يعظّمون موت أجسادهم و هم أشدّ إعظاما لموت قلوب أحيائهم.

اللغة

(السّداد) بالفتح الصّواب من القول و العمل و (ملكه) يملكه من باب ضرب ملكا مثلثة و ملكة بالتحريک احتواه قادرا على الاستبداد به و (النجح) بالضمّ الظفر بالمطلوب و أنجحه اللّه أى أظفر به و (الرّغائب) جمع الرّغيبة و هو الأمر المرغوب فيه و العطاء الكثير و (هدء) هدءا من باب منع سكن و (نكسه)

1- (1) - من قوله (عليه السلام): «كما غرت» إلى قوله «فاحذروا الدّنيا» هذه الجملات كانت ساقطة من النسخة فى الطبعة الاولى و كم له فى هذا الجزء من نظير أصلحناه، نبهنا عليه فى بعض المقام. المصحح.

قلّبه على رأسه كنكّسه بالتشديد و النكس بضمّتين المدرهمّون من الشّيوخ بعد الهرم أى السّاقطون كثيرا قال تعالى «وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ ».

و (خلست) الشـىء اختطفته و (الطيـة) بالكسـر كالنيّة لفظا و معنى و قال الشّارح المعتزلى: هى منزل السّفر و (القرن) بالكسـر كفوك فى الشّجاعة.

و (الواتر) القاتل و الموتور القتيل الذى لم يدرک دمه مأخوذان من الوتر بالكسر و الفتح و هى الجناية الّتى يجنيها الرّجل على غيره من قتل أو نهب أو سبى و قد وتره يتره وترا و وترا وترة أفزعه و أدركه بمكروه، و تره ماله نقصه إياه.

و (اعانتكم) فى بعض النّسـخ بغير همزة و (المعابل) جمع معبلـة و زان مكنسـة و هو النّصل العريض الطّويل و (العـدوة) التّعـدى و (نبا) السّيف عن الضـريبة نبوا و نبوة كلّ و لم يؤثر و (يوشک) الأمر أن يكون و أن يكون الأمر بكسـر الشّين أى يقرب و لا تفتح شينه إلاّ فى لغة ردّية و (الظّلل) جمع ظلّة و هى السّحاب و (احتدم) النّار التهبت و اشتدّ حرّها و (الحنادس) جمع حندس و زان زبرج الظلمة.

و (إرهـاقه) بالرّاء المهملـة مصـدر أرهقته أى أعجلته و يقال أرهقه طغيانا أغشاه إيّاه و الحق ذلک به، و فى بعض النّسـخ بالزاء المعجمـة من زهق الشّىء بطل و (أطباقه) بالفتح جمع الطّبق بالتحريک غطاء كلّ شىء و فى بعض النسخ بالكسر مصدر أطبقه أى غطاه.

و (جشب) الطّعام من باب ضـرب جشوبة صار جشـيبا و هو السّـىء الماكل و الخشن الغليظ البشع من كلّ شـىء و الجشب بالضمّ قشور الرّمان، و فى بعض النّسـخ و خشونـة مـذاقه بالخاء المعجمة و النون و (الدرة) بالكسـر كالدّر بالفتح اللّبن و كثرته و (الجدّة) بكسـر الجيم كالجد الرّزق و العظمة و (حفل) القوم حفلا اجتمعوا و المحفل و زان مجلس و مقعد محل الاجتماع، و الاحتفال بالشىء

الاعتناء به و المبالغة فيه.

و (تقلب) فى بعض النسـخ على البناء على الفاعل من باب التفعل و حذف إحدى التائين و فى بعضـها على البناء على المفعول و فلان بين ظهرى القوم و (ظهرانيهم) بفتح النون و بين أظهرهم أى فى وسطهم و فى معظمهم.

الاعراب

قوله: مفتاح سداد(1) و قوله: بها متعلّق بقوله ينجح و تقديمه عليه لقصد الحصـر و الفاء فى قوله فاعملوا فصـيحة، و جملة و العمل يرفع فى محلّ النصب على الحال و الباء فى قوله بالأعمال للمصاحبة، و الفاء فى قوله: فانّ الموت للتعليل، و قوله:

زائر خبر رابع لأنّ ترک العاطف لحسن الوصف الذى هو من صناعة البلاغة.

و جملة قد أعلقتكم فى محلّ الانتصاب على الحال و قوله: فكأن قد أتاكم مخففة من المثقلة مفيدة للتقريب و اسـمها ضمير شأن مستتر، و قوله: بين حميم متعلّق بقوله يقتسمون لا بقوله أتاكم بغتة كما توهّمه الشارح البحرانى و قوله: فعليكم بالجدّ اسم فعل أى خذوه و الزموه قال نجم الأئمـة الرّضـى: يقـال عليک زيـدا أى خـذه كان الأصل عليک أخـذه و قوله: أصـبحت مساكنهم فعل ناقص بمعنى صارت و الجملة استينافيّة بيانيّة و مثلها جملة لا يعرفون من أتاهم.

المعنى

اشارة

اعلم أنّ هـذه الخطبـة الشـريفة من محاسن خطبـة عليه السّلام و فيها من نكات البلاغة و فنون البديع ما لا يخفى على المصـقع البارع، و مدارها على فصلين:

الفصل الاول منها

فى الحثّ على البرّ و التقوى و أخذ الزاد ليوم المعاد بالتذكير بالموت

ص:413

1- (1) - الظاهر سقوط شيء من هنا. المصحح.

الذى هو هادم اللذات و قاطع الامنيات و التحذير من الدّنيا التى هى دار الغرور و المكاره و الافات و هو قوله:

(فانّ تقوى اللّه مفتاح سداد و ذخيرة معاد) و قد تقدّم تحقيق معنى التقوى و ما يترتّب عليها من الثمرات الدّنيوية و الاخروية فى شرح الخطبة الرّابعة و العشرين و غيرها فليراجع هناك و أقول هنا توضيحا لكلامه عليه السّلام: إنّ التقوى لما كانت عبارة عن اتّخاذ الوقاية من العقوبات و الحذر من الموبقات الاخروية و بها يحصل التجنّب من المعاصى و الاتيان بالواجبات المتّصفة بالصلاح و السداد لا جرم استعار لها المفتاح الذى يوصل به إلى ما فى البيت قال تعالى«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً ».

قال أمين الاسلام الطبرسىّ أمر اللّه سبحانه أهل الإيمان و التوحيد بالتقوى و القول السديد فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ » أى اتّقوا عقاب اللّه باجتناب معاصيه و فعل واجباته «وَ قُولُوا قَوْلاً سَدِيداً » أى صوابا برّيا من الفساد خالصا من شائب الكذب و اللّغو موافق الظاهر للباطن، و قال الحسن و عكرمة صادقا يعنى كلمة التوحيد لا إله إلاّ اللّه «يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ » معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتّى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد و يوفقكم لما فيه الصلاح و الرشاد «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » باستقامتكم فى الأقوال و الأفعال «وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ » فى الأوامر و النواهى «فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً » أى فقد أفلح افلاحا عظيما، و قيل فقد ظفر برضوان اللّه و كرامته.

و أما انها ذخيرة معاد فواضح لأنها أنفس ذخيرة معدّة لفاقة الاخرة و بها ينجى من أليم العذاب و يفاز عظيم الزلفى و الثواب قال تعالى «وَ يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ وَ يُنَجِّى اللّهُ »

«اَلَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفـازَتِهِمْ لا ـ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَ لا ـ هُمْ يَحْزَنُونَ » و قـال «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْـدَ رَبِّهِمْ جَنّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِـدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ ».

(و عتق من كلّ ملكـة) قال الشّارح البحرانى: اسـتعار لفظ العتق لخلاص النفس العاقلـة من استيلاء حكم شـياطينها المطبقة بها كخلوص القلب من استيلاء سـيّده ثمّ جعل التقوى نفسـها عتقا إطلاقا لاسم السّبب على المسبّب انتهى و محصّله أنّ التقوى سبب الخلاص من قيد رقيّـة نفس الأمارة و عبوديـة الهوى و مملوكيّـة الشـيطان فانه ليس له سـلطان على الذين آمنوا و على ربّهم يتوكّلون إنّما سـلطانه على الذين يتولّونه و الّذينهم به مشركون.

(و نجاة من كلّ هلكة) أى سبب للنّجاة من الهلكات الدّنيويّة و الاخروية فاطلق عليها النّجاة مبالغة من قبيل زيد عدل قال تعالى«وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ »أى مخرجا من كلّ كرب فى الدّنيا و الاخرة.

و فى مجمع البيان عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قرأها و قال: مخرجا من شبهات الدّنيا و من غمرات الموت و شدائد الاخرة.

و فى البحار من الدّعوات للرّاوندى قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من اتّقى اللّه عاش قويا و صار فى بلاد عدوّه آمنا.

(بها ينجـح الطالب) للاخرة أى يفوز بمطلبه قال تعالى «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنّاتِ عَـدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ » و قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم: خصلة من لزمها أطاعته الدّنيا و الاخرة و ربح الفوز بالجنّة، قيل: و ما هى يا رسول اللّه؟ قال: التّقوى من أراد أن يكون أعز النّاس فليتّق اللّه عزّ و جلّ ثمّ تلا «وَ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ » الاية.

(و ينجو الهارب) «(1)» الراهب من سـخط اللّه و عقـابه فـانّ أولياء اللّه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و من يتّق اللّه يكفّر عنه سـيئاته و يعظم له أجرا.

(و تنال الرّغائب) أى العطايا الكثيرة و الخيرات الدّنيوية و الاخروية التى ترغب إليها النفوس.

1- (1) - لا ـ يخفى أن بين هـذه الفقرة و سابقتها من محاسن البـديع حسن الطباق و الجناس اللاحق و السـجع المتوازى و مثلها الفقرتان السابقتان عليها و أما الاوليان ففيهما السجع المتوازى فقط، منه.

أمّا الدّنيويّة فقد قال الصّادق عليه السّلام: من أخرجه اللّه تعالى من ذلّ المعصية إلى عزّ التقوى أغناه اللّه بلا مال، و أعزّه بلا عشيرة، و انسه بلا بشر، أى من غير أنيس من البشر بل اللّه مونسه.

و أما الاخرويـة فقد قال اللّه تعالى «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبِينَ وَ أَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » و قال عزّ و جلّ «اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوابٍ وَ فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ » هذا و لما نبّه على ثمرات التقوى و كانت التقوى ملازمة للعمل و رتّب عليه الحثّ على العمل فقال (فاعملوا و العمل يرفع) أى اعملوا صالحا فانّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات فى روضات الجنّات لهم ما يشاؤن عند ربّهم ذلک هو الفضل الكبير، و معنى قوله: و العمل يرفع إنّ العمل الصّالح يرفع اللّه إليه و يقبله من فاعله.

و قد أشير إلى ذلک فى قوله عزّ و جلّ «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ » قال أمين الاسلام الطبرسى: معنى الصعود القبول من صاحبه و الاثابة عليه، و كلّما يتقبله اللّه سبحانه من الطاعات يوصف بالرّفع و الصّعود لأنّ الملائكة يكتبون أعمال بنى آدم و يرفعونها إلى حيث شاء اللّه، و هذا كقوله «إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ » و الكلم الطيّب الكلمات الحسنة من التعظيم و التقديس و أحسن الكلم لا إله إلاّ اللّه و العمل الصّالح يرفعه قيل فيه وجوه: أحدها أنّ الكلم الطيّب يرفعه العمل الصالح فالضمير يعود إلى الكلم، و الثانى أنه على القلب من الأول(1).

1- (1) - هذا آخر ما وفق الشارح المصنف العلامة الهاشمى الخوئى أعلا اللّه مقامه بشرحه و برز من قلمه الشريف و آخر المجلد السابع حسب تجزأته «قد» على ما فى الطبعه الاولى، و تتمة ما نقله هنا عن الطبرسى «قد» هكذا:أى و العمل الصالح يرفعه الكلم الطيّب، و المعنى أنّ العمل الصالح لا ينفع إلاّ إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس، و الثالث أنّ المعنى العمل الصالح يرفعه اللّه لصاحبه، أى يقبله عن قتادة، و على هذا فيكون ابتداء اخبار لا يتعلّق بما قبله. المصحح.

بسم اللّه الرحمن الرحيم بعـد الحمد و الصّلاة على رسوله و آله يقول العبد المحتاج إلى رحمة ربّه أبو الحسن المدعوّ بالشـعرانى عفى عنه إنى لما وقفت على هذا الشّرح النّفيس الجامع لشتات اللّطائف، الحاوى لطرايف الظرائف و رأيت أنّ صاحبه لم يتمكّن من اتمامه و توقّف على شـرح كلام أمير المؤمنين عليه السّلام: و العمل يرفع، علمت أنّ عاقبته إلى رفع العمل و القبول كما ان ختم كلامه إليه و هذا و ان كان فالا حسـنا للشارح لكن الناظرين يرون عمله أبتر إذ لم يكمل شرح الكتاب بل الخطبة التى شرع فى شرحها فرأيت أن اعلّق عليه شيئا يتمّ به شرح الخطبـة الأخيرة و أضمّ عملى إلى عمله المقبول و أتطفل فى تحصـيل الثواب الحاصل له و سـلكت فيه مسـلكه من الاقتصار على ما يسـهل تناوله بعون اللّه و حسن توفيقه و أقول (و العمل يرفع) فى كلام أمير المؤمنين عليه السّلام جملة حالية فى محلّ النصب و كذلک ما يتلوها إلى قوله عليه السّلام: و الأقلام جاريـة أى اعملوا فى هذا الوقت الذى يرفع العمل و أنتم أحياء فى دار الدّنيا و أما بعد ذلک فلا يرفع العمل إذ لا عمل بعـد الموت حتّى يرفع و هـذا طريقة العرب فى كلامهم يقول شاعرهم: على لا حب لا يهتدى بمناره يعنى على طريق لا منار فيها حتى يهتدى به.

قوله (و التوبـة تنفع) أى اعملوا فى هـذه الحال التى تنفع التوبـة قبل الموت فاذا مات ابن آدم انقطع عمله و لم يقبل منه التّوبـة إذ لا تقع منه حتّى تقبل (و الدعاء يسمع) فى حال الحياة يسمع الدّعاء، و أمّا بعد الموت فلا يسمع و المقصود الدّعاء الذى يصير سببا للنجاح و السعادة و غفران الذنوب و رفع الدّرجات.

و أمّا الدّعاء بمعنى آخر فقد يقع فى الاخرة و يسمع و قد ورد فى القرآن

الكريم(و الحال هادئـة)فى الحياة الـدّنيا و سـكون الحال كناية عن السـلامة و القدرة و الاختيار بحيث يتمكن من فعل الخيرات (و الأقلام جاريـة) و الملائكـة تكتب أعمال العباد فى الحياة الدّنيا أى اغتنموا الحياة و اعملوا فيها ثمّ أكّد عليه السّلام ذلک بقوله (و بادروا بالأعمال عمرا ناكسـا) يعنى لا يتمكّن أحـد من العمل فى الحياة إذا هرم و شاخ و ضـعف فبادروا بالعمل قبل أن يمنعكم منه الهرم (و مرضا حابسا) يسـلبكم النشاط (أو موتا خالسا) يعرض بغتة فلا يبقى لكم فرصة التوبة و الاسـتغفار (فانّ الموت هادم لذاتكم و مكدّر شهواتكم) الدنيوية (و مباعـد طياتكم) و الطية ما يطويه الانسان فى ضـميره من العزائم و النيات يعنى عليه السّلام يباعد الموت عنكم نياتكم و عزائمكم فكم عزم للانسان يريد نفاذه و حال بينه و بين عزمه الموت و إن فسر الطيات بمنازل السفر فالمعنى يرجع إلى ما ذكر أيضا.

(زائر غير محبوب و قرن غير مغلوب و واتر غير مطلوب) أى قاتـل لا يطلبه أحـد حتى يقتصّ منه(قـد أعلقتكم حبائله)شـبه الانسان و عـدم قـدرته على التخلص من الموت بطير وقع فى حبالـة الصـياد و قـد علق برجله و عنقه الحبـل (و تكنفتكم غوائله) أحـاطت بكم مصـائبه (و أقصـدتكم معابله) أصابتكم نصال الموت و معبلة بالفارسـية پيكان -(و عظمت فيكم سـطوته) واضح(و تتابعت عليكم عدوته)أى تراكمت عليكم الظلمـة فوق الظلمـة و هو كنايـة عن شـدّة الهول و المصـيبة أو تكرر منه التعدى و المجاوزة على أحبابكم و أصدقائكم و أقاربكم و المعنى الأول أنسب و أولى (و قلّت عنكم نبوته) قل أن يتفق لأحـدكم أن يعرض له الموت و يبدو عليه آثاره ثمّ يفلت عنه فان انفلت فسوف يعترض ثانية.

(فيوشک أن تغشاكم دواجى ظلله) الموت قريب منكم كاد أن يحيط بكم ظلمات من ظلل الموت و الظلة هى السـحاب (و احتدام علله) و يحيـط بكم التهاب أمور لا بـدّ للموت أن ينزل معها (و حنادس غمراته) ظلمات يكتنفكم من غمرات الموت (و غواشـى سـكراته) السـكرة حالة كالغشى تعرض عند الاحتضار (و أليم ارهاقه) مجيئه عاجلا أليم (و دجّو اطباقه) الدجوّ الدّجى و الظلمة و المعنى تراكم

الظلمات طبقا بعد طبق (و جشوبة مذاقه) طعم الموت غير مطبوع لو فرض كونه مذوقا.

(فكأن قد أتاكم بغتة فأسكت نجيّكم) أسكت متكلّمكم فبينما هو يتكلّم إذا سكت (و فرّق نديّكم) أى محفلكم(و عفّى آثاركم)العفا فى الأصل التراب و هنا كناية عن الاندراس و المحو لأنّ المنزل إذا رحل عنه سكانه عملت الرياح و التراب فى محو آثارهم (و عطل دياركم) الدّيار جمع الدّار و تعطيلها خلوها عن أهلها.

(و بعث وراثكم) نسبة البعث إلى الموت مجاز لأنه سبب لبعث الوراث نظير بنى الأمير المدينة (يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع) الوراث على ثلاثة أقسام بعضهم حميم قريب من أقربائكم يحبّكم و يريد دفع الموت عنكم و لا يقدر عليه كالأب و الأمّ (و) الثّانى (قريب محزون لم يمنع) يهمه أمركم و يحزنه موتكم لكن لا- مثل الأوّل كالأخ و الأخت و العمّ و لا يقدر أن يمنع عنكم الموت و الثالث قوله (و آخر شامت لم يجزع) يفرح لموتكم و لا- يجزع عليكم كالولد العاق ينتظر موت أبيه الهرم حتى يفوز بميراثه و يتخلّص من القيام بخدمته خصوصا إذا طال مرضه و لو لم يكن هذا تقسيما للوارث فقط بل لجميع من يعرفك و تعرفه كان المعنى أنهم على ثلاثة: الصديق و القريب و العدوّ (فعليكم بالجدّ و الاجتهاد) و لعلّ الفرق بين الجدّ و الاجتهاد أنّ الأوّل صفة للعزم و النية و الثّانى للعمل (و التأهّب و الاستعداد) الفرق بينهما نظير الفرق بين الجدّ و الاجتهاد فالتأهّب للعزم و الاستعداد للعمل (و التزوّد فى منزل الزاد و لا تغرّنكم الدّنيا كما غرّت من كان قبلكم من الامم الماضية و القرون الخالية) معناه ظاهر (الذين احتلبوا درتها)الدّرة اللبن استعارة للمنافع و الاحتلاب إخراج اللبن من الضرع و الثدى استعارة للفوز و الانتفاع(و أصابوا غرّتها)أى اغتنموا فرصة غفلة الدّنيا عنهم فاستمتعوا بمنافعها و لو لم تكن غافلة عنهم لاختطفتهم، شبههم بسارق ينتظر غفلة صاحب المتاع عن متاعه فيختلسه حين غفلته كذلك هؤلاء انتظروا

غفلـة الـدّنيا و أصـابوا وقت غفلتهـا فانتفعوا بها (و أفنوا عـدّتها) الافناء عبارة عن الانتفاع اذ لا ينتفع غالبا بما فى الـدّنيا إلاّ بافنائه فأفنوا عـدة منافعها (و أخلقوا جدّتها) و هذا أيضا عبارة عن الانتفاع ببعض متاع الدنيا كاللّباس الجديد يخلق بالاستعمال.

(أصـبحت مساكنهم أجـداثا) أى قبورا (و أموالهم ميراثا) و هو ظاهر (لا يعرفون من أتاهم و لا يحفلون من بكاهم و لا يجيبون من دعاهم) معناه واضـح فان قيل: كيف الجمع بين هـذا الكلام و ما روى فى التلقين و زيارة القبور فقـد قال أبو عبـد اللّه عليه السّلام على ما روى فى الكـافى و التهـذيب و الفقيه «إذا افرد الميّت فليتخلّف عنـده أولى الناس به فيضع فمه عنـد رأسه ثمّ ينادى بأعلى صوته يا فلان بن فلان أو يا فلانة بنت فلان هل أنت على العهد الذى فارقتنا عليه من شـهادة أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريک له و أنّ محمّدا عبده و رسوله سيّد النبيّين و أنّ عليّا أمير المؤمنين و سـيّد الوصـيّين و أنّ ما جاء به محمّد صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حقّ و أنّ الموت حقّ و أنّ البعث حقّ و أنّ اللّه يبعث من فى القبور فيقول منكر لنكير انصرف بنا عن هذا فقد لقن حجّته انتهى و فى معناه أخبار اخر.

و لو لم يكن إلاّ هذا لسـهل الجمع لكن ورد فى زيارة القبور فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا و هذا ينافى بظاهره قول أمير المؤمنين عليه السّلام: لا يعرفون من أتاهم.

و روى فى الفقيه عن محمّد قال قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام الموتى نزورهم؟ فقال نعم، فقلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال: إى و اللّه إنهم يعلمون بكم و يفرحون بكم و يستأنسون إليكم قال: قلت: فأىّ شىء نقول آه.

و فى الكافى عن إسـحاق بن عمار عن أبى الحسن عليه السّلام قال قلت: المؤمن يعلم من يزور قبره؟ قال: نعم لا يزال مستأنسا به ما دام عند قبره فاذا قام و انصرف عن قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة.

و فى الفقيه قال الصّادق عليه السّلام إذا قبضت الرّوح فهى مظلة فى الجسد روح

المؤمن و غيره ينظر إلى كلّ شـىء يصـنع به فاذا كفن و وضع على السـرير و حمل على أعناق الرّجال عادت الرّوح و دخلت فيه فيمدّ له فى بصـره فينظر إلى موضـعه من الجنـة أو من النار فينادى بأعلى صوته إن كان من أهل الجنّة: عجّلونى عجّلونى، و إن كان من أهل النّار ردّونى ردّونى و هو يعلم كلّ شىء يصنع به و يسمع الكلام، انتهى.

و ردّ الرّوح إلى الجسـد المحمول على الجنـازة نظير ردّ الرّوح إليه فى القبر لسؤال منكر و نكير و لا ـ ينبغى أن يتعجّب من خفـاء ذلـک عن الأحياء كالمشيّعين.

كما روى فى الكافى فى حديث عن علىّ بن الحسـين عليهما السّلام بعد أن نقل تكلّم الميّت لحملته قال ضمرة و هو أحد الحاضرين: يا أبا الحسن إن كان هـذا يعنى الميّت يتكلّم بهذا الكلام يوشک أن يثب على أعناق الذين يحملونه قال: فقال علىّ بن الحسـين عليهما السّلام: اللّهمّ إن كان ضـمرة هزء من حديث رسولک صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فخذه أخذة اسف، قال: فمكث أربعين يوما ثمّ مات فحضره مولى له فلما دفن أتى علىّ بن الحسـين عليهما السّلام فجلس إليه فقال له: من أين جئت يا فلان؟ قال: جئت من عند قبر ضـمرة فوضعت وجهى عليه حين سوى عليه فسـمعت صوته و اللّه أعرفه كما كنت أعرفه و هو حىّ يقول: ويلک يا ضـمرة بن معبـد اليوم خـذلک كلّ خليل و صار مصـيرک إلى الجحيم فيها مسـكنک و مبيتک و المقيل قال: فقال علىّ بن الحسـين عليهما السّلام: اسأل اللّه العافية هذا جزاء من يهزء من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و مثل ذلک كثير فى الروايات فما وجه كلام أمير المؤمنين عليه السّلام؟ و الجواب أنّ كلامه عليه السّلام لأهل الدّنيا المغترّين بها، و غرضه عليه السّلام قطع طمعهم عن الدّنيا و بيان انقطاع لذاتها و انصرام شهواتها و مفارقة الخلاّن فيها، و لا ريب أنّ الموت يهـدم اللذات و يفرّق بين الجماعات و لا يحسّ الأموات بسـمعهم الدنيوى و أبصارهم الجسـمانية شـيئا من هذا العـالم المادّى، بل الميّت جماد مثل سـنّک إذا قلعت و شـعر رأسک إذا حلق، و أظافيرک إذا قصت و بهـذا الاعتبار قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

لا يعرفون من أتاهم و لا يحفلون من بكاهم

ص:421

و أمّا بالنظر إلى أنّ للانسان حسّا برزخيا يسمع و يبصر و يتلذّذ و يتألم به من غير وساطة عصب و دماغ و جارحة و لا يمنعه حجاب اللحد و ظلمة القبر و بعد المنازل شرّع التلقين و ورد ما ورد من الروايات ذكرناها أو لم نذكرها.

و بالجملة فكلام أمير المؤمنين عليه السّلام ناظر إلى الحسّ الدّنيوى و ما ورد فى تلك الروايات ناظر إلى الادراك الاخروى و لا منافاة بينهما و لا يريدون أنّ الميّت لم يمت و لا أنّه إذا مات فات و الروح مدرک بذاته و البدن مدرک بالروح و المدرک بالذات أقوى و أشدّ فى الادراک من المدرک بالغير كما فى كلّ صفة.

و الطبيعيون يزعمون أنّ الادراک عبارة عن تأثر العصب من المحسوس الخارجى كتأثر عصب البصر عن النور، فاذا لم يكن عصب لم يكن إدراک و لذلک إذا خدر الأعصاب بالأدوية المخدّرة زال البصر و كلّ حس آخر.

و الجواب أنّه لو كان الأمر كذلک لم يكن اللّه تعالى و الملائكة المقرّبون مدركين عالمين بشىء إذ لا عصب لهم و لا انفعال و العصب لا يستطيع أن يدرک إلاّ بواسطة الروح و إذا تقطعت العلاقة بين العصب و الروح زال الادراک عن العصب لا عن الروح كالشمس إذا غاب عن الجدران زال الضوء عن الجدران لا عن الشمس فلم يزل الادراک عن الميّت مطلقا بل بمقدار أن لا يكون دفنه فى التراب أو القائه فى البحر ظلما و اجحافا عليه و تعذيبا له كالقاء الاحياء فى البحر.

(فاحذروا الدّنيا فانها غدّارة غرّارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع) وزن فعول إذا كان بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر و المؤنّث و لذلک وصف به الدّنيا (لا يدوم رخاؤها و لا ينقضى عناؤها و لا يركد بلاؤها) و هذا الكلام بالغ فى البلاغة غايتها فى وصف الدّنيا و التزهيد عنها و الوصف بعينه مما يعرفه أصحاب الهوى و القائلون بالطبائع و أمثالهم و يجعلونه عذرا فى لزوم اللّذات و متابعة الشهوات و يقولون إذا كانت الدّنيا منقلبة غير ثابتة لا تدوم أحوالها وجب اغتنام الفرصة مهما أمكن فى الاستمتاع باللذات و المبادرة إلى الشهوات لئلا يفوت الفرصة و يحرم الانسان منها فما دام حيا شابا ذا قدرة و مقدرة يتسرّع إلى ما لا يتمكن منه بعد ذلک و أمّا

أمير المؤمنين عليه السّلام جعل هذه الصفة بعينها موجبا لتنفير النّاس و سببا لتزهيدهم قال طرفة:

ألا أيّهذا اللائمى احضر الوغى و ان اشهد اللّذات هل أنت مخلدى

يعنى إذا لم يكن الانسان خالدا فى الدّنيا فعليه أن يشهد اللذات لئلاّ يفوته و أن يحضر الوغى ليتنقم عن أعدائه و يظفر بالمال بالاغارة و مثله كثير فى أشعارهم بالعربية و الفارسيّة خصوصا فى أشعار الخيام، و قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنها غرّارة خدوع و لذاتها ليست لذّة بل عذاب أليم و يخدع بها الجهال و ليس شىء منها دائما فلا ينبغى أن يعرج العاقل عليه.

و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام يفيد أرباب العقول و أصحاب الأديان القائلين بالاخرة و الحياة الدّائمة فيها يستبدلون اللّذة الخالصة الباقية باللّذة المكدّرة الفانية و أمّا أصحاب الطبائع الذين لا يعترفون بالاخرة يقولون: اللّذة الفانية غير الدائمة أولى من عدم اللّذة مطلقا.

و مما يناسب ذلک فى أنّ خصلة واحدة يجعلها كلّ أحد دليلا على شىء يقتضيه طباعه الحديث المروى عن الحسن بن علىّ عليهما السّلام: اعمل لدنياک كأنک تعيش أبدا، حمله أهل الدّين على الأمر بالمسامحة و التعلّل و عدم الحرص فى الدّنيا، لأن من يزعم أنه يعيش أبدا لا يتعجّل فى الامور، و حمله أهل النفاق و المتجدون على الأمر بالحرص فى الدّنيا لأنّ الذى يعلم أنّه يعيش أبدا يسعى فى جمع المال و عمارة مسكنه و تدبير ماله و اجادة معاشه أكثر ممن يعلم أنه سيرحل عن منزله.

الفصل الثانى

(منها فى صفة الزهاد: كانوا قوما من أهل الدّنيا و ليسوا من أهلها فكانوا فيها كمن ليس منها) و منه اخذ أبو على بن سينا كلامه فى وصف العارفين: فكأنهم و هم فى جلابيب أبدانهم قد نضوها و تجرّدوا عنها و قال السعدى:

هرگز وجود حاضر و غائب شنیدهٔ من در میان جمع و دلم جای دیگر است

(عملوا فیها بما یبصـرون) الفرق بین أهل الدّنیا و أهل الاخرة أنّ بناء الأولین علی الشکّ و بناء الاخرین علی الیقین کما قال تعالی فی صفة الدهریّة:

«وَ قـالُوا مـا هِیَ إِلاّـ حَیاتُنَا الـدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلاَّ الـدَّهْرُ وَ ما لَهُمْ بِـذلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاّ یَظُنُّونَ » فانهم یشـکّون فی اللّه و ملائکته و کتبه و رسله و الیوم الاخر و الجنّة و النّار و یعملون عمل المستیقن بالعدم و الشاک فی شیء حقّه أن یحتاط کمن یشکّ فی وجود سبع فی الطریق أو بئر فی ظلمة إذ لا یجوّز له العقل الاقتحام فی المهلکة و أصحاب الدّهر ما لهم علم بالعدم إن هم إلاّ یظنّون و دلیلهم انا لا نؤمن بما لا نحسّ مع أنّ عـدم الوجـدان لا یدلّ علی عدم الوجود و هذا بخلاف أهل الاخرة فانهم آمنوا بالدلیل الیقینی و البرهان العلمی فعملوا بما یبصرون.

(و بادروا فیها ما یحـذرون) سـبقوا الموت إلی فعل الخیرات أی خافوا أن یفجاهم الموت فبادروا (تقلب أبدانهم بین ظهرانی أهل الاخرة) لا یجالسون غیرهم و لا یخالطون أحدا سواهم (یرون أهل الدّنیا یعظمون موت أجسادهم) یعدون موتهم عظیما شدیدا إذ یسلبهم مشتهیاتهم و یمنعهم التمتع بلذاتهم (و هم) أهل الاخرة (أشدّ إعظاما لموت قلوب أحیائهم) إذ یسلبهم مشتهیاتهم الحقیقیة و یمنعهم التمتع باللّذات الدّائمة.

و اعلم أنّ أهل الـدّنیا یظنون أن لا موجود وراء الجسم و لا دلیل علی شـیء غیر الحسّ و یکـدون کلّ کـدّهم و یجدون جدّهم لعمارتها و التمتّع بهـا، و العقلاـء عرفوا بعقولهم و بما أخبرهم أصـحاب الوحی أنّ وراء هـذا العالم المحسوس عالما آخر بل عوالم اخری لا یحصـی عددها إلاّ اللّه.

و نظیر ذلک أنّ جماعة زعموا أنّ الشـمس واحدة، و قد ورد فی الأخبار و أثبتت الارصاد أن وراء هذه الشـمس شموسا لا یحصی عددها إلاّ اللّه تعالی و قـد فتـح اللّه علی عقول المتوسـطین بابا إلی بعض تلک العوالم غیر المحسوسة و هی باب الرؤیا الصادقة فانّ الانسان فی منامه قد یطلع علی امور غائبة لا یمکن

أن يطلع عليها أحـد بحواسه و عقله لعدم وجودها بعد، كموت زيد بعد سـنة مثلا و ليس العلم به و انتقاش ذهن أحد بمثله ممكنا فى زمان الرؤيـا إلاّ أن يكون صورا و نقوشـا مسـطورة فى ذهن عال من موجود عالم بالغيب غيرنا و غير من فى عالمنا، فيـدرک الانسان بعقله أن فى الوجود عالما غير عالمنا و فى ذلک العالم علماء بما لم يوجـد بعـد و ليس ما رآه النّائم فى منامه إلاّ مأخوذا من ذلک العالم و ليست الرؤيا أوهاما و خيالات باطلة لا أصل لها دائما إذ لو كان كذلک لم يكن ينطبق على الحقيقة و لم يكن للرؤيا تعبير أصلا و بالجملة أدرک الانسان بحسّه المشترک عالما آخر غير هـذا العالم الجسـمانى، و عرف أنّ نفسه يناسب ذلک العالم فى الجملـة حيث يرتبط به و يأخـذ منه، و هذا باب واسع حقّقه الحكماء خصوصا الشيخ أبو علىّ بن سينا فى الاشارات.

ثمّ بعد الاعتقاد بوجود عالم ما غير هذا العالم المادى المحسوس زال الاسـتعجاب من كلّ ما أخبرنا به الأنبياء و أصحاب النواميس الالهية من بقـاء الرّوح و دخولهـا فى عـالم آخر و تمتّعهـا باللـذات و انتفاعهـا بالمشـتهيات هنـاک و لا يتصوّر أن يكون سـعادة الموجود الكامل الرّوحانى أدنى و أقلّ من الانسان المخلوط من الرّوح و الجسم كما أنّ سـعادة الانسان المخلوط ليس أقلّ من سعادة الجمادات، فان عرف الانسان انه مسـتعدّ لادراک تلک السـعادة العظمى اشـتدّت حسـرته من فواته و خاف من موت قلبه المانع من النيل بتلک السعادة أشدّ من خوف أهل الدّنيا من الموت الطبيعى، و لذلک قال أمير المؤمنين عليه السّلام عليهم: و هم أشدّ إعظاما لموت قلوب احيائهم.

و إذا انتهينا إلى ذلک حقّ لنا أن نختم الكلام بالـدّعاء لجميع من تصـدّى لترويـج الدين و تعليم المؤمنين بالتوفيق و السداد، و لم نذكر مما اختلـج فى الـذّهن حين قراءة الخطبـة من نكتة علمية و دقّة عقلية لئلاّ نخرج من سـياق الكتاب، فانّ الشّارح رحمه اللّه اكتفى بما هو سـهل الوصول قريب المأخـذ من روايـة تاريخيـة و حكايـة أدبية او حديث فى الأخلاق و تفسـير يتعلّق بظواهر الألفاظ و غير ذلک مما يفيد أكثر الناس

و أما التحقيق العميق و البحث الدّقيق فممّا ينفر الطباع.

الترجمة

بـدرستی که پرهیزکاری کلیـد صـلاح است و توشـهٔ آخرت و آزادی از بنـد بندگی و رهائی از دام هلاکت، آنکه خواهنده خیر است بتقوی بمقصود نائل آید و آنکه از شـر گریزان است بتقوی از آن رهائی جوید مقاصد مردمان بتقوی حاصل گردد پس اکنون که عمل صالح بدرگاه الهی بالا می رود و گناهکاران را توبه سود دارد آرامش حال برقرار و قلم فرشـتگان بنوشتن اعمال بندگان روان است بکوشید و بشتابید پیش از آنکه عمر از شما روی بگرداند و پشت کند و بیماری مانع عمل شود و مرگ ناگهان فرود آید.

مرگ لذات شما را تباه سازد و شهوات شما را مکدّر کند و شما را از مقاصد خود باز دارد، بدیدن آید آنکه دوستش ندارید، و با شما بکشتی در آویزد آنکه هرگز پشتش بزمین نیاید، خون ریزد و کسی بکین او برنخیزد دام های او در شما آویخته و مصائب او شما را احاطه کرده است پیکان او بنشانه رسـیده و حملهٔ او بر شـما گران است و تاختن او پی در پی، کم افتد که ضربت او نافذ نشود بزودی ابرهای تیرهٔ مرگ شما را فراگیرد و بیماری ها از جوانب در آینـد و امواج تاریک آن بر گرد شـما احاطه کند و سـکرات موت شـما را از خود باز گیرد و بشـتاب ببرد و بحسـرت براند در میان طبقات تاریک و طعم آن بسـیار ناگوار است، گوئی اینک شما را دریافته گویندهٔ شما را خاموش کرد و انجمن شما را پراکنده ساخت و آثار شـما را محو کرد و سـراهای شـما را خالی گذاشت وارثان را برانگیخت تا میراث شـما را تقسیم کردند، یکی دوست نزدیک شماست اما سود بحال شما ندارد، دیگری خویش است و از مرگ شما اندوهناک اما دفع مرگ نمی تواند کرد، و سیمی از مرگ شما شاد است و جزع نمی کند.

بر شما است که بجان بکوشید و آماده گردید و در جائی که باید توشه

گرفت توشه گیرید و زندگی دنیا شـما را فریب ندهد چنانکه پیش از شـما بسـیار فریب داد، از پسـتان او شیر خوردند و در غفلت او فرصت جستند و آنچه آماده کرده بود تباه ساختند و جامه های نو آنرا کهنه و فرسوده کردند آخر مسکن آنها گور شد و مال آنها را بمیراث بردند.

بی وفاست و مکار و فریبنده، می دهد و می ستاند، می پوشاند و برهنه می سازد آسایش او پیوسته نماند و سختی آن نگذرد و بلای آن ثابت نماند.

و در صـفت زاهدان فرمود: گروهی بودند از اهل دنیا اما اهل دنیا نبودند در دنیا بودند مانند کسـی که در دنیا نبود به آن چه دیدند و دانستند عمل کردند و از آنچه می ترسـیدند درگذشـتند تن آنها میان أهل آخرت می گردد چون دیدند مردم این جهان از مرگ تن می ترسند آنها از مرگ دل در حـال زنـدگی ترسان گشـتندثمّ إنّ حضـرة الفاضل الأديب العالم الأريب الجامع بين العلوم العقليـة و النّقليـة و الحائز للملكة العلمية و العملية الشـيخ المؤتمن الشيخ حسن الاملى ضاعف اللّه قدره و أجزل أجره تصدّى لشرح باقى كتاب نهج البلاغة و هو الحرى به و المتوقّع منه و هو كما قال بعض الأنصار كما قيل: عذيقها المرجب و جذيلها المحكك فقد جرّبته سـنوات عند قراءة مختلف العلوم علىّ حتى حاز الرتبـة القصوى و فاز بالقـدح المعلى و نرجو من اللّه له التوفيق و لنا العبد أبو الحسن الشـعرانى هذا آخر المجلد الرابع عشـر من هذه الطبعة الجديدة القيمة، و تم تصحيحه و ترتيبه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه و ذلک فى - 25 - من الربيع المولود - 1383 - و يليه انشاء الله الجزء الخامس عشر و أوله:

«و من خطبة له (عليه السلام) خطبها بذى قار» و الحمد للّه ربّ العالمين

ص:427

درباره مرکز

بسمه تعالی

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

با اموال و جان های خود، در راه خدا جهاد نمایید، این برای شما بهتر است اگر بدانید.

(توبه : 41)

چند سالی است که مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه موفق به تولید نرم‌افزارهای تلفن همراه، کتاب‌خانه‌های دیجیتالی و عرضه آن به صورت رایگان شده است. این مرکز کاملا مردمی بوده و با هدایا و نذورات و موقوفات و تخصیص سهم مبارك امام علیه السلام پشتیباني مي‌شود.

براي خدمت رسانی بیشتر شما هم می توانید در هر کجا که هستید به جمع افراد خیراندیش مرکز بپیوندید.

آیا می‌دانید هر پولی لایق خرج شدن در راه اهلبیت علیهم السلام نیست؟

و هر شخصی این توفیق را نخواهد داشت؟

به شما تبریک میگوییم.

شماره کارت :

6104-3388-0008-7732

شماره حساب بانک ملت :

9586839652

شماره حساب شبا :

IR390120020000009586839652

به نام : (موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه)

مبالغ هدیه خود را واریز نمایید.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک 129/34- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: 03134490125

دفتر تهران: 88318722 ـ 021

بازرگانی و فروش: 09132000109

امور کاربران: 09132000109

مرکز تحقیقات رایانه‌ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹